

سلسلة تقريب التاريخ الإسلامي ٣

إمام الأمة وأوقانها
خليفة رسول الله ﷺ

أبو بكر الصديق

حامي الإسلام من الرفض والردة



الجزء الأول

تأليف
د. محمد عبد العزيز

للشرو والنوزيع

اسم الكتاب:

إمام الأمة وقائدها، خليفة رسول الله ﷺ، أبو بكر الصديق رضي الله عنه، حامي الإسلام من الرفض والردة - مجلدان

المؤلف:

د. حامد محمد الخليفة

الناشر:

الميمان للنشر والتوزيع

التصنيف:

التاريخ، حياة الصحابة

الطبعة:

الأولى

تاريخ النشر:

٢٠١١

تاريخ النشر الإلكتروني:

ذوالحجة ١٤٣٦



تم تنزيل هذا الكتاب من موقع مكتبة العقيدة.
www.aqeedeh.com

book@aqeedeh.com

الإيميل:

مواقع مجموعة الموحدين

www.aqeedeh.com

www.islamtxt.com

www.shabnam.cc

www.sadaislam.com

www.mowahedin.com

www.videofarsi.com

www.zekr.tv

إمامنا العلامة أبو عبد الله محمد باقر
خليفة رسول الله ﷺ

الوحي الصادق

كما في الإسلام من الرضا والرضا

الجزء الأول

© دار الميمان للنشر والتوزيع، ١٤٣٢هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الخليفة، حامد محمد

إمام الأمة وقائدها خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر
الصديق رضي الله عنه. / حامد محمد الخليفة. - الرياض، ١٤٣٢هـ.
٢ مج.

ردمك: ٦-٦٤-٦٨٦-٩٩٦٠-٩٧٨ (مجموعة)

٣-٦٥-٦٨٦-٩٩٦٠-٩٧٨ (ج ١)

١- أبو بكر الصديق، عبد الله بن أبي قحافة، ت ١٣هـ. قصص
أ. العنوان

١٤٣٢/٧٣٨

ديوي ٩، ٢٣٩

رقم الإيداع: ١٤٣٢/٧٣٨

ردمك: ٦-٦٤-٦٨٦-٩٩٦٠-٩٧٨ (مجموعة)

٣-٦٥-٦٨٦-٩٩٦٠-٩٧٨ (ج ١)

© جميع الحقوق محفوظة للناشر

دار الميمان للنشر والتوزيع - الرياض

الطبعة الأولى ١٤٣٢هـ جري - ٢٠١١م

دار الميمان للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية

الرياض ١١٦١٣ ص.ب ٩٠٠٢٠

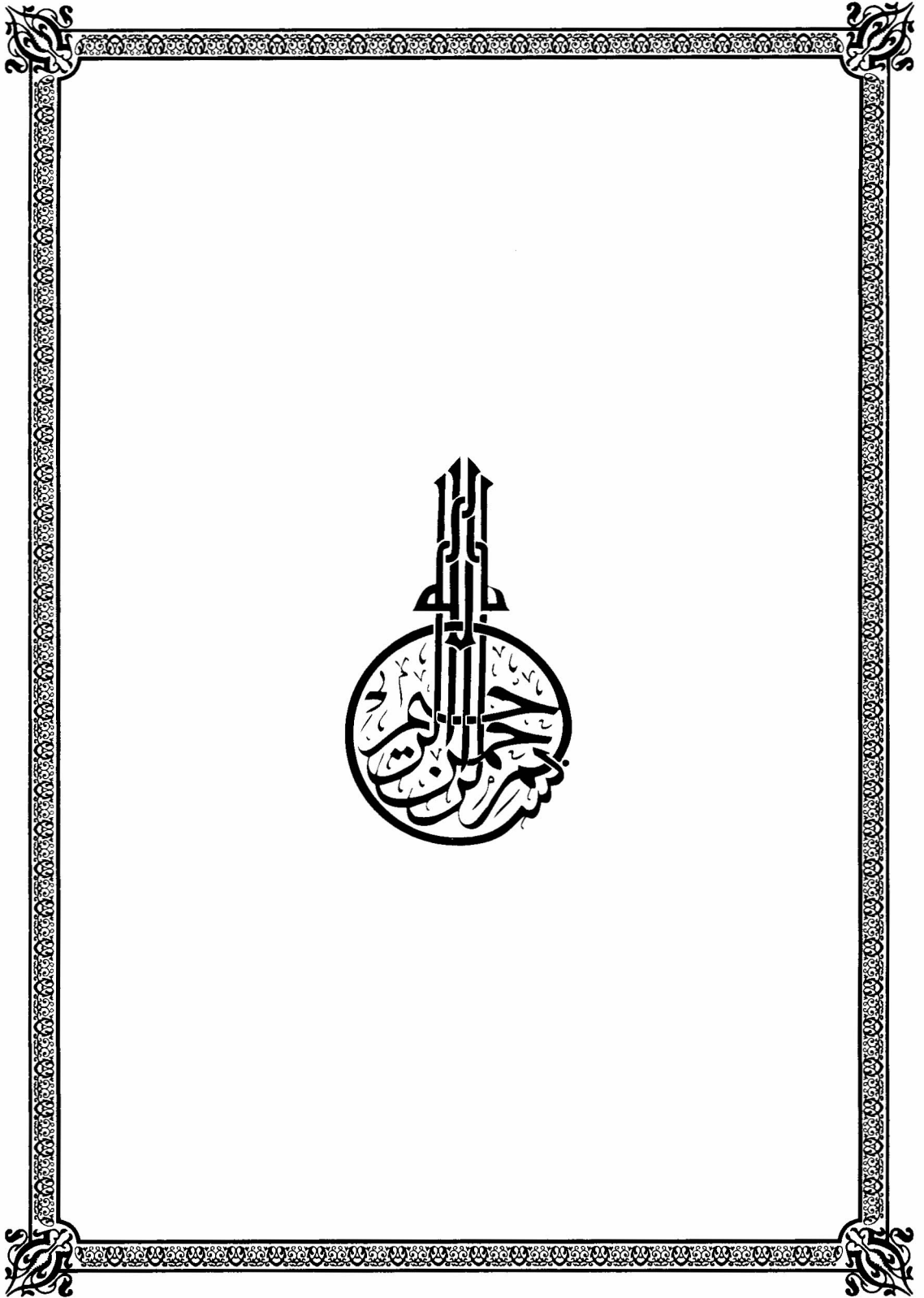
الموقع: www.arabia-it.com

البريد الإلكتروني: info@arabia-it.com

هاتف: ٤٦٢٧٣٣٦ (٠١) فاكس: ٤٦١٢١٦٣ (٠١)

حقوق الطبع والنشر محفوظة لدار الميمان للنشر والتوزيع، ولا يجوز طبع أي جزء من
الكتاب أو ترجمته لأي لغة أو نقله أو حفظه ونسخه على أية هيئة أو نظام إلكتروني أو على
الإنترنت دون موافقة كتابية من الناشر إلا في حالات الاقتباس المحدودة بغرض الدراسة مع
وجوب ذكر المصدر.

الصف والإخراج الطباعي وتصميم الغلاف: دار الميمان للنشر والتوزيع



سلسلة تقريب التاريخ الإسلامي (٣)

إمام الأئمة وقائدهما
خليفة رسول الله ﷺ

العكر الضيق

حامي لإسلام من الرفض والردة

الجزء الأول

تأليف

د. محمد محمد الطيف



للنشر والتوزيع

الاهتداء

- إلى الأيدي الطاهرة التي تضع أصابعها على الزناد وتمسك بالقلم وتنفق الدرهم والدينار دفاعًا عن الكتاب والسنة وحملتهما وحُماتهما أصحاب رسول الله ﷺ ومن تبعهم بإحسان.
- وإلى جميع محبي خليفة رسول الله أبي بكر الصديق رضي الله عنه.
- سائلًا الله تعالى بأسمائه الحسنی وصفاته العلی أن يجعله خالصًا لوجهه الكريم.

المؤلف

مقدمة

الحمد لله الذي أرسل عبده ورسوله محمدًا ﷺ بالهدى والنور المبين، وجعله إمامًا وقائدًا للغر المحجلين، واختار له خير الأصحاب من الأنصار والمهاجرين الطيبين الطاهرين، الذين أزالوا بعدل جهادهم ظلم المشركين، وبغي ومكر الرافضة المرتدين، أتباع مسيلمة الكذاب وإخوانه المتنبيين، وأطفئوا بنور عقيدتهم نار المجوس الملحدين، وطغيان الروم الصليبيين، ومن والاهم من الأتباع المنافقين، فكانوا بعدلهم وجهادهم خير أمة أخرجت للناس أجمعين.

والصلاة والسلام على النبي الهادي الأمين، الذي ربي وزكى الصحابة النجباء^(١) الأكرمين، خيرة الله في العالمين؛ أئمة الهدى والتقى لمن جاء بعدهم من المسلمين والمؤمنين؛ وفي مقدمتهم قائدهم وإمامهم بعد نبيهم ﷺ الصديق الأكبر خليفة رسول الله ﷺ في الأمة والدين، أبو بكر رضي الله عنه السباق إلى كل خير الصاحب الأمين.

وبما أن محبة أصحاب رسول الله ﷺ واجب شرعي على كل مسلم؛ وشكرهم والثناء

(١) من مكر أعداء الصحابة بالأمة أنهم لا يجاهرون بعداء الصحابة إن لم تكن لهم شوكة، ليمهوا ويلبسوا على المسلمين بالصلاة على الصحابة المتجيبين أو النجباء فيقولون: وعلى (أصحابه المتجيبين) وهم يقصدون بذلك ثلاثة من الصحابة فقط؛ هم علي وسلمان وعمار رضي الله عنهم، وإلا فدينهم قائم على لعن الصحابة وتكفيرهم، ودعاء صنمي قريش الذي يشتمون به أمة الإسلام وأئمتها هو أهم طقوسهم التي يتعبدون بها في دينهم! الكليني: روضة الكافي، ٨/ ٢٦٤. والله تعالى قال: ﴿إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ﴾ [التوبة: ١٠٣].

عليهم وموالاتهم من ألزم تلك الواجبات، ولما كانت محبتهم لا تتم إلا بمعرفتهم والوقوف على فضائلهم ومناقبتهم وخصائصهم وتفصيل سيرهم، وعظيم إنجازاتهم وفائق بطولاتهم وكرمهم وعلمهم وشجاعتهم، والإحاطة بجميل صفاتهم وعميق إخلاصهم وسمو قيمهم؛ وشهادة الله تعالى ورسوله ﷺ لهم بصدق إيمانهم وحسن تدابيرهم، وتوزيع ذلك برضا الله عنهم، قال تعالى: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾^(١) مما جعل معرفتهم معرفة للدين ومقاصد النبوة، والجهل بهم جهلاً بالدين وبالنبوة.

ولما كان الصحابة رضي الله عنهم هم من قام بأمر الله ورسوله ﷺ أصبحوا غرضاً وهدفاً لأعداء الإسلام والمسلمين فتطوعت أقلام الرافضة والمنافقين وكثير من العلمانيين والمستشرقين، فضلاً عن الملحدين والمتطرفين من اليهود والصليبيين للانغماس في تنن الكذب والبهتان والافتراء والتدليس على كتاب المسلمين وسنة النبي الأمين ﷺ وعقيدة أصحابه الأكرمين رضي الله عنهم فكان من ثمار ذلك التحالف الأثم في هذا العصر علقم هذه الحملات التي استهدفت تشويه سيرة الرسول العظيم ﷺ التي يقودها اليهود والصليبيون في الغرب، ويتردد صداها على أيدي حلفائهم أعداء الصحابة الحاقدين؛ بقتل محبي السنة المطهرة؛ وكل من يتسمى بأسماء الصحابة الميامين، وحرق مساجدهم وتدنيس مصاحفهم واغتيال أئمتهم لا لذنوب سوى أنهم يحبون الله ورسوله ﷺ وعبادة الصحابة المطهرين.

لكل ما سبق ولغيره أصبح فرضاً واجباً على المسلمين الذين يعيش معظمهم في لهوهم سادرين تلمس وسائل المواجهة الشاملة؛ مع من أعلن بالعداوة لهم ولعقيدتهم وعلى الصعد كافة، فانتهك الأرض والعرض وافترى على العقيدة ومزق الهوية واغتصب الثروات وسفك الدماء، فلم يعد في هذا العصر سوى طريق الاحتماء بعقيدة الكتاب والسنة، والإمساك بسواري رايات وأعلام الصحابة الأكرمين، والتمترس في خنادقهم والسير على دروبهم، والأخذ بتدابيرهم في مواجهة الأعداء القادمين من أبعد الآفاق، وحلفائهم المقيمين بين

(١) سورة المائدة، الآية: ١١٩.

ظهراني الأمة؛ يجنون خيراتها، ويلعنون أختيارها، ويكشفون عوراتها، ويفشون أسرارها، ويفسدون أجيالها، وينصرون أعداءها.

ولما كان خليفة رسول الله الصديق إمام الأمة وقائدها رضي الله عنه هو الذي شمّر عن سواعد الجد؛ فكتب الكتاب وجيش الجيوش وأفصح بإعلان المواجهة الشاملة على أعداء الدين والأمة، من رافضي الخلافة المرتدين، وإخوانهم من اليهود والمنافقين، ومن بعدهم المجوس والصليبيون وواجه كل ذلك الركام الهائل؛ من الجهل والطغيان والظلم والإفك والغدر والمكر والعداوة؛ فأظهر فهماً وعلماً وفقهاً لحركة الواقع المحيط بأمة المؤمنين في عصره، أثمر الانتصارات تتلو الانتصارات والنجاحات تتلو النجاحات، حتى أزهرت شجرة قيادته بثبات الدين وسحق عدوان الرافضة المرتدين وأثمهم المتبئين الكذابين، فأزال دولة المجوس الظالمين، وطرد وقهر الروم الطغاة الصليبيين من كل المواقع المحيطة ببلاد المسلمين.

لهذا أصبحت معرفة سيرة خليفة رسول الله فرضاً واجباً على كل السائرين على منهج سيد المرسلين ﷺ، ووسيلة أولى من وسائل علاج جراح الأمة وسد ثلمات الغدر التي أوجدها أعداء الصحابة في جدارها الحصين، وأصبحت البلسم الشافي والشهد الصافي لجموع الظالمين، المتجرعين مرارة ثمار الهزيمة والانبطاح وموالة الظالمين ومسالمة الطامعين ومودة المرتدين، إنها سيرة قائد الأمة وإمامها خليفة رسول الله؛ فالأعداء هم الأعداء، والحلفاء هم الحلفاء، والظروف ذاتها، والمواجهة هي المواجهة، فلم الحيدة والانحراف والتضليل!؟

وما يجب أن يعلمه المؤمنون أن العلاج الذي وصفه وعمل به الصديق رضي الله عنه في عصره هو العلاج الناجع لعصرنا ولا شيء سوى ذلك، وكل من يسير على غير هذا الهدى، وعلى غير ما خطط له الصديق رضي الله عنه فإنه سيجد نفسه يسير في متاهة لا علامات على مفترقاتها، ولا دلائل لمنعطفاتها، لهذا لا بد من فهم وفقه وعلم سيرة خليفة رسول الله

ودراستها دراسة تحليلية تركيبية تبصيرية للوصول إلى نتائج واضحة؛ ثمر رسوخ العقيدة في القلوب، وتسرج المصاييح التي تنير لأهل السنة جميع الدروب، حتى يصلوا إلى ما وصل إليه الصحابة من قهر الأعداء جميعاً وإنجاز المهام كافة، على منهج وسياسة إمام الأمة وقائدها الصديق رضي الله عنه.

وقيامًا بهذا الواجب الذي لأصحاب رسول الله ﷺ في عنقي وعنق كل مسلم أدليت بدلوي في هذا المعين الذي لا ينضب، لعلي أجلب لنفسي ولإخواني من أهل السنة جميعاً شربة تجلو الظمأ وتزيل مرارة الألم وعلقم الحسرة، الذي ضاقت به الصدور وانكسرت منه النفوس، لما وصل إليه حال الأمة من الهوان والتمزق وضعف الولاء، وقتل الأخيار واستباحتهم وسجنهم وتشريدهم، والإسهام المستمر في تشويه إنجازاتهم وقلب مسمياتهم والاصطفاف مع الأعداء لهزيمتهم، والحيلولة دون عودتهم إلى معين حضارتهم ومعدن هويتهم ودروب أئمتهم، وسنة نبيهم ﷺ ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وعلى هذا الأساس تأكد جلياً أن جميع الأحداث التي مرت بالأمة بعد وفاة رسول الله ﷺ أثبتت وبكل جدارة ووضوح أن إمام الأمة وقائدها بعد نبيها ﷺ هو خليفته أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وليس في هذا أية مغالاة أو تجاوز على أحد، بل إن التجاوز والوهم عند من يعتقد أن هناك إماماً غير الصديق في عصره، أما النبوة التي يرهاها الوحي فهي أعظم من القيادة والسيادة والإمامة المجردة، وما هذه الصفات إلا أعمدة في بنيان النبوة والرسالة؛ فعندما يوصف النبي بالقائد لا يعد هذا هو المدح المتوافق مع مقام النبوة، التي خير ما يوصف به رائدها بأنه نبي الله ورسول الله، لما يشتمل ذلك على الإمامة والقيادة والسيادة وعامة المكارم وملكات البشر؛ مضافاً إليها العصمة ورعاية الوحي والعناية الربانية؛ التي لها علم الغيب والخفض والرفع ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُوتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ يَبْدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (١).

(١) سورة آل عمران، الآية: ٢٦.

أما خليفة رسول الله فهو الإمام الذي أقامه رسول الله ﷺ مقام الإمامة من بعده، فهو إمام الأمة الذي نصبه نبيها ﷺ بإقرار من الوحي، وقبول ورضا وسرور من الأمة بأجمعها خلفاً عن سلف، فخليفة رسول الله هو الإمام الشرعي للأمة، وكل من يزعم أن للأمة إماماً بهذا المعنى أولى من خليفة رسول الله فهو مفتت على رسول الله ﷺ ومتجاوز لكل الآداب والعلوم والأعراف التي سار عليها المهاجرون والأنصار. هذا من جانب، ومن جانب آخر فإن من يردد الإمامة بهذا المعنى الذي أشار إليه رسول الله ﷺ لغير أبي بكر فإنما يخشى عليه أن يكون مصاباً بلوثة رافضية أو نزعة شعوبية، ولا سيما من يرددون ذلك لأmir المؤمنين علي رضي الله عنه خاصة من دون الصحابة؛ فإنما هم صدى لأعداء السنة ممن يزعم أن هناك في الأمة معصومين غير رسول الله ﷺ مفترياً على الله ورسوله ﷺ، فالإمام هو أبو بكر؛ لأن رسول الله ﷺ وعمر وعثمان وعلياً رضي الله عنه والمؤمنين جميعاً أبوا أن يكون في الأمة إمام غيره، والصحابة جميعاً أئمة وقادة وسادة كل في مقامه من السابقة والجهاد في سبيل الله؛ ولكن لا يستطيع عاقل في هذا الوجود أن يشكك بأن إمامهم وقائدهم جميعاً - بعد نبيهم ﷺ - هو خليفة رسول الله لقوله ﷺ: «لا ينبغي لقوم فيهم أبو بكر أن يؤمهم غيره»^(١)، وقوله ﷺ: «فإني أخاف أن يتمنى متمنٌ ويقول قائل: أنا أولى، ويأبى الله عز وجل والمؤمنون إلا أبا بكر»^(٢) فمن هذا الذي يردّ حكم رسول الله ﷺ ليهب الإمامة لمن يشاء وينزعها عمّن يشاء بوحي من أوهامه؟!

وخلافة رسول الله ﷺ هي أيضاً لأبي بكر رضي الله عنه وحده، كما هو معلوم في النصوص الصحيحة التي ستذكر في مواضعها؛ وكما صدق ذلك الواقع التطبيقي الذي عاشته الأمة وأجمع عليه المهاجرون والأنصار والذين جاؤوا من بعدهم؛ وما سواه هم

(١) الترمذي: سنن الترمذي، كتاب المناقب، باب مناقب أبي بكر وعمر كليهما رضي الله عنهما، ح (٣٦٧٣).

(٢) مسلم: صحيح مسلم، ك. الفضائل، باب: فضائل أبي بكر، ح (٦١٣١). ابن حنبل، المسند، كتاب وباب حديث عائشة، (٢٤٥٨٩).

خلفاء لأبي بكر ومن جاء من بعده؛ أو أمراء للمؤمنين، وما ذلك إلا لأن هذا هو مراد رسول الله ﷺ وإقرار الوحي بأن أبا بكر هو ﴿ثَابِتٌ كَثِيرٌ﴾ وهذا ما اختص به من دون الأمة، لا يماري في ذلك إلا متهم على الكتاب والسنة؛ أو مرتد رافض لأمر رسول الله ﷺ وحكمه المؤيد بالوحي.

أما القيادة بعد رسول الله ﷺ فهي لأبي بكر رضي الله عنه وحده كما كان يمارسها إلى جنب رسول الله ﷺ في علاقات المسلمين مع مشركي مكة وغيرهم، وكما هو في عريش القيادة يوم بدر ومع الأسرى؛ وفي بقية المشاهد الكبرى يوم الحديبية ويوم الفتح ويوم حنين ويوم تبوك وغير ذلك، وكما ينطق بذلك واقع الأمة الداخلي والخارجي، وقد ظهر ذلك لكل ذي لب منذ وفاة رسول الله ﷺ، فقد برزت القيادة المطلقة عندما أصيب وجوه الناس ورؤساؤهم بالذهول والدهشة لفقد نبيهم ﷺ، فمنهم من أقعد ومنهم من أحرص ومنهم من أنكر موته ومنهم من أصيب بغير ذلك، وفي وسط تلك الفاجعة وذلك المصاب الأعظم برز أبو بكر رضي الله عنه كقائد وحيد في ذلك اليوم العصيب الذي لن تمر الأمة بأصعب منه في محيط عقيدتها ووحدتها. لقوله ﷺ: «من نجا من ثلاث فقد نجا». قالوا: ماذا يا رسول الله؟ قال: «موتي، وقتل خليفة مصطبر بالحق يعطيه، والدجال»^(١). ولم يمنع خليفة رسول الله ﷺ وهو يعالج زفرات فراق صاحبه التي كوت فؤاده بجمر الحسرة والأسى على من كان منبع العلم ومائدة الإيمان وفيض الجود ومرتع الوحي ومبتغاه، وآلام الوحشة والوحدة التي كان يشعر بها بين من لم يستطع أن ينظر إلى الأحداث بما كان ينظر إليها رسول الله ﷺ، فكان على خليفته رضي الله عنه أن يتلقى كل تلك الأعباء وألا يشغله مصابه الأكبر بفقدان صاحبه الأعظم ﷺ بالتواني عن تحمل الأعباء التي كان يقوم بها ﷺ فنهض بذلك وحيداً وعلى أتم وجه وأكمله، فقد أقرّ وفاة رسول الله ﷺ بخطبته العصماء الشهيرة الفريدة؛ ووضع المسلمين أمام مسؤولياتهم التي أعدهم ﷺ لتحملها، وكان وحيداً في ذلك حتى استقرت

(١) الحاكم: المستدرک، ٣/ ١٠١. ابن شبة: تاریخ المدينة، ٢/ ١٨٨٢. الخليفة: الإنصاف فيما وقع في

تاریخ العصر الراشدي من الخلاف، ٩٠.

القلوب وهدأت النفوس، وأنفذ جيش أسامة كما أمر رسول الله ﷺ مع كل الأخطار التي كانت محدقة بالإسلام والمسلمين دون أن يكون له من الأمة معين أو نصير لهذه الواجهة، فكان وحيداً في ذلك الصرح القيادي الشامخ؛ فهو في صف وحده والأمة كلها في صف آخر، لم تستوعب وجهته التي بقي ثابتاً عليها حتى انقادت له أمة المهاجرين والأنصار وعلموا أن الحق والرشد في الاقتداء بأمره رضي الله عنه الذي جنوا من ثماره اليانعة وحده الصف ورسوخ التوحيد والسنة، وامتداد الإسلام وعزه، وأمن الأمة وهيبته.

ثم أمره رضي الله عنه بقتال من فرق بين الصلاة والزكاة ومن رفض الزكاة^(١) والانقياد لخلافة النبوة على الرغم من شدة المعارضة في بداية الأمر والخوف من قتال من يقول لا إله إلا الله، وعدم استيعاب رؤية خليفة رسول الله للفارق الكبير بين ما كانوا يرونه وبين ما يراه خليفة رسول الله بعين صاحبه الذي كان يستحضر رؤيته ﷺ القيادية النبوية، التي تشرّبها في قلبه ولبه ووسائل تصديه للنوائب، وفي مقاصده ومراميه وثقته وبقينه، ولاستيعابه الكامل لهدي ونور ودلائل وإشارات النبوة، التي كانت تستشرف الأحداث وترسم مستقبل الأمة.

(١) كما هو الحال عند أعداء الصحابة الذين أسقطوا الزكاة ومصاريفها التي أمر بها القرآن الكريم للفقراء والمساكين.... واستبدلوا ذلك بأخذ خمس أموال أتباعهم مع علمهم أن الخمس لا يكون إلا من غنائم الجهاد مع الكفار والمشركين. قال تعالى: ﴿ وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ مِنْهُ وَالرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَآبِئِ السَّبِيلِ ﴾ [الأنفال: ٤١] وهم يُلبسون على أتباعهم أن ذلك من الدين!! فيستلبون أموالهم لقضاء مآربهم ولتهيئة المدارس وتربية متسيبها على بغض السنة وكراهية الصحابة وشراء ضعاف النفوس من الخائبين المحسوسين على أهل السنة النبوية، ليرددوا مع أعداء الصحابة شتم الأطهار، وأن السني نجس كما هو في عقيدتهم، بل هو شر من ذلك ولكن الغرغاء لا زالوا غارقين في جهلهم. ينظر الفيض الكاشاني، الوافي، ١/ ٤٤٣. وقوله: إن الناصب - أي السني - أهون على الله من الكلب. وقولهم إذا سلمت على الناصب - السني - فاغسل يدك. الكليني: الكافي، ٢/ ٦٥٠. الكاشاني: الوافي، ٢/ ٤٤٣. باب التطهر من مس الحيوانات... والناصبي - أي السني - شر من الحيوانات. فماذا يقول مخادعو الأمة دعاة التقريب المزيف مع أعداء الصحابة ورافضي السنة ومبغضي العرب!! وإلى متى يغشون أهل السنة ويدجنونهم!؟

وبعد أن تمكن خليفة رسول الله من دحر الردة وسحق الجاهلية بعدل الإسلام وحسمه وثب وثبته القيادية الفريدة في التاريخ، وانطلق انطلاقته الكبرى حينما أذهل بجند الإسلام وأخلاقهم وقوتهم وسماحتهم دولة المجوس الفارسية، فقوض أركان كبرهم بالعدل والتواضع ونور التوحيد وقوة الحق التي لم تبق ركنًا من أركان دولة عبدة النار إلا وتزلزل مترنحًا من أثرها المادي والمعنوي والحضاري، في الوقت الذي قرّ فيه قيصر الروم مهزومًا إلى جحره في القسطنطينية، مودعًا سوريا وداعًا لا عودة بعده أبدًا، وبذلك أسس خليفة رسول الله انطلاقة الإسلام العالمية البديلة بعدلها وهديتها عن بغي الجاهلية وظلم المجوسية وطغيان الصليبية ومكر اليهودية، وقد تمكن بذلك من وضع الأمة على مسارها الصحيح تحت ظلال التوحيد وقواعد العدل على القريب والبعيد، فأصبح الموقف من خلافته والإيمان بها فرضًا من فرائض حماية السنة، وبابًا من أوسع أبواب عز الأمة وأمنها؛ بل إنها أصبحت فيصلاً بين المؤمنين برسول الله ﷺ وما جاء به؛ وبين المنافقين الراضين للسنة، المكفرين لأهلها^(١)، المخربين لعقيدها، الموالين لأعدائها، المزيفين لموروثها، الممزقين لهويتها.

فأصبح الموقف من إمامة خليفة رسول الله فيصلاً بين السنة والردة، فأما السنة فقد تأكدت فيما سبق من أحاديث، وأما الردة فيؤكددها من يرفض خلافته رضي الله عنه كما هو حال أعداء الصحابة الذين صبوا جام بغضهم وكراهيتهم وتضليلهم، وكل طاقات مكرهم وكيدهم لطمس إنجازاته الباهرة في خلافة النبوة وتقييح محاسنها ورفضها، ورد كل ما جاء في إثباتها عن رسول الله ﷺ حتى قال قائلهم مفصحًا عن حقيقة حالهم: «إن الرب الذي خليفة نبيه أبو بكر ليس ربنا ولا ذلك النبي نبينا»^(٢) معلنًا المفاصلة والمقاطعة التامة مع السنة النبوية ليحرق بذلك كل الأوراق والمسميات التي لا زالت تُخدع بها طبقات كثيرة من أبناء

(١) ينظر: موقف الخميني من أهل السنة، ١١. له ثم للتاريخ، ٨٢. الشافعي: الفكر التكفيري عند الشيعة، ١٩ فما بعدها.

(٢) نعمة الجزائري: الأنوار النعمانية، ٢/٢٧٨.

الامة فيلقى بها في أحوال الوهن والضياع والتهيه؛ من بعض العابثين المحسوبيين على السنة، ممن لا زالت مواقفهم المسقطه للهويه والفاقده للانتماء تسهم في تصدع الصف وتميع المواقف وتمدد دين أعداء الصحابة في بلاد المسلمين، تلك المواقف الهدامة والمريية التي ما زال يرددها الجهلة والمفلسون بأنه من الممكن التقريب بين القرآن والسنة؛ وبين الرفض والردة، وبين وضوح الإسلام وسماحته؛ وضبابية أعداء الصحابة وباطنيتهم.

فالموقف من خلافة أبي بكر رضي الله عنه له أبعاد عميقة ودلالات عديدة، حاسمة في الولاء والبراء والانتماء والهوية؛ وهو فيصل بين القبول بموروث الأمة ونتاجها الشرعي والحضاري؛ وبين رفض ذلك وإعادتها إلى منحدر الجاهلية وحافة الردة، فأبو بكر رضي الله عنه عظيم في حياته؛ عظيم في جهاده؛ عظيم بعد وفاته؛ ولعل من مظاهر تلك العظمة أن رفض إمامته يكشف المتربصين بالسنة وأهلها، فمبغضو خليفة رسول الله الذين يمدون أيديهم إلى كل آثم وقاتل ومحتل؛ ليمتطيهم فيجوس بهم ديار المؤمنين ومقدساتهم وثوراتهم؛ أولئك هم الشر القريب والخطر الدايم، وهم الامتداد الطبيعي لمن قال الله فيهم: ﴿هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرُوهُمْ فَنَلَّهْمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾^(١).

وفي سيرة خليفة رسول الله تبين موقفه الحاسم من هذا الشر الذي أعلن الحرب على الكتاب والسنة وحملتهما، فتجلت في ذلك الموقف مواصفات خلافة النبوة وما يتمتع به الصديق رضي الله عنه من نفحات إيمانية خالدة، وقدرات بشرية خارقة، ومواقف تاريخية هائلة وسماوات حضارية رائعة، أكد من خلالها أنه هو الثاني في الأمة؛ وأن أي مسلم لا يواليه فهو ليس من الأمة وإن زعم، وكيف يكون من الأمة من دينه بغض إمامها، ورفض إجماع المهاجرين والأنصار وفي مقدمتهم علي رضي الله عنه الذي بايع وناصر وتابع وسمع وأطاع مخلصاً محبباً أميناً لصديق الأمة وقائدها وخليفة نبيها ﷺ؟!!

وقد يقال: إن الخوض في مثل هذه المسائل لا طائل منه بعد هذه القرون وأن المتبوع في

(١) سورة المنافقون، الآية: ٤.

ذلك هو الامتثال لقوله تعالى: ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُنتَلَوْنَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾^(١) وهذا القول صحيح في ذاته، ولكن هل يجوز السكوت عما يقوم به أعداء الصحابة ومبغضو السنة في هذا العصر من التلبس والتدليس والبهتان، وما يمارسونه من تغذية مستمرة للإفك وثقافة الكراهية للصحابة رضي الله عنهم، والحقد الأعمى على أمتهم وتشكيك الناس بعقيدتهم، فهل يصح تجاهل ذلك وترك الحركات والثقافات الراضية الهدامة تعيث في هويتنا خراباً وتمزيقاً لتحقيق المزيد من النجاحات في تجهيل الأمة ونبذ ماضيها المشرق وقطع ينابيع تواصلها مع الصحابة رضي الله عنهم واستبدال أنوار الخلافة الراشدة، بظلمة المرجعيات وجاهلية العصمة المخادعة، التي يزعمون كفر من لا يؤمن بباطلها^(٢)؟

ونظرًا لإدراك أعداء الصحابة لأصالة دور الخلافة الراشدة قاموا باغتيال الخلفاء الراشدين الثلاثة عمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم، وحاولوا اغتيال كبار قادة الأمة وفي مقدمتهم معاوية بن أبي سفيان حلیم الأمة، وعمرو بن العاص سياسياً البارع رضي الله عنهما، ولما فشلوا في قتل هذين القائدين حاولوا اغتيال الحسن بن علي رضي الله عنهما محب الأمة الغيور على وحدتها، لكنهم طعنوه ولم يتمكنوا من قتله، فلما فشلت الراضية في ذلك استدرجوا الحسين رضي الله عنه إلى الكوفة ثم تخلوا عنه ونقضوا كل الوعود والعهود والأيمان التي قطعوها له، دون أي وازع من حياء أو دين، وبدلاً من نصرته ومبايعته بالخلافة قاموا بقتله بين ظهرانيهم، فأوقدوا هذه الفتنة المتجددة التي لا زالوا يغذونها حقداً وكراهية؛ مستعينين على تسعيرها باستغلال دعاة التقريب الذين لا زالوا يمهرن لهم صكوك الأخوة والمودة مع مخالفة ذلك لسيرة خليفة رسول الله وإجماع المهاجرين والأنصار رضي الله

(١) سورة البقرة، الآية: ١٣٤.

(٢) الموسوي: لله ثم للتاريخ، ٨٥. وفيها أن أهل السنة مستباحو الدم عند الراضية كما هو ثابت في أمهات مصادرهم وفي واقع حكمهم، وعقيدتهم في أهل السنة في حال قوتهم، وأن صاحب الأمر يعامل أهل السنة معاملة الكفار، ينظر: العاملي، وسائل الشيعة، ١٨/٤٦٣. الصدوق، علل الشرائع، ٦٠١. الشافعي: الفكر التكفيري عند الشيعة، ١٨٠.

عنهم، لكل ذلك استمات أعداء الصحابة في وضع كل ما يمكنهم من العقبات أمام عودة الخلافة التي ترعى آل البيت النبوي وتكرمهم، وأحكموا ذلك بكل وسائل المكر والباطنية والتآمر على الإسلام وأهله، فبنوا دينهم على عداوة الصحابة وكرهية أمهات المؤمنين وأعلام السلف ورفض السنة، وجعلوا من أركان عقيدتهم مناهضة عقيدة القرآن والسنة، والشهادة على الصحابة بالردة وانعدام الأمانة^(١) ودنوا لذلك طلاسماً وأباطيل حولوها إلى أورداد ينفثونها في معابدهم، تدعو أتباعها إلى التحالف مع كل عدو للأمة يعمل على طمس دين الصحابة رضي الله عنهم وهوية أمتهم.

ونظراً لكل ما سبق ولغيره فإن التمسك بالهوية المنبعثة من بين صفحات الكتاب والسنة وفقه الصحابة وفكرهم وحضارتهم ومواقفهم، وفي مقدمتهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه خليفة رسول الله بكل موروثه الزاهر المشرق الذي وحد الأمة وأطفأ الفتنة واجتث الرفض والردة؛ وباشر الفتوح وسار بالأمة على منهاج النبوة الطاهر القويم، يُعدّ من أولى بصمات سلامة تلك الهوية وأصالتها وصدق انتمائها إلى الأمة؛ التي أثبت أبو بكر رضي الله عنه وبكل جدارة واقتدار وإخلاص أنه الخليفة الحق لنبي الحق وأمة الحق، وأن كل من لا ينقاد له إنما يسير حائداً عن الحق بعيداً عن الرشد مناطحاً لثوابت الإيمان وحقائق العقيدة والواقع الصحيح، وحرّباً على القرآن والسنة المطهرة.

ولا يوجد مسلم عاقل يشك بأن خليفة رسول الله ﷺ هو الأقدر على ملء الفراغ الذي تركه غياب رسول الله ﷺ، الأكثر خبرة قيادية ومعرفة سياسية، والأعرف بشؤون القبائل العربية وحركة الواقع العسكري والسياسي والاقتصادي للدول المجاورة وتحالفاتها مع الكيانات السياسية التابعة لها في أطراف بلاد العرب؛ إضافة إلى ما توصل إليه من المراتب العلمية والقيادية والفقهاء والإحاطة بتطلعات رسول الله ﷺ نحو مستقبل الأمة وما أشار إليه ﷺ من تحذيرات وإرشادات للتعامل مع ما سيعترض سبيل الدعاة والمجاهدين،

(١) ينظر: الموسوي: له ثم للتاريخ، ٨٣ فما بعدها. الشافعي، الفكر التكفيري عند الشيعة، ١٧٥ فما بعدها.

وما صدر عنه من مبشرات وإشارات تؤكد للمؤمنين أن المستقبل لهذا الدين وأن العزة لله ورسوله وللمؤمنين.

فكان الصحابة رضي الله عنهم يلمسون في مواقف الصديق رضي الله عنه روح النبوة والانقياد الكامل لتعاليمها ورؤيتها وثقتها ويقينها الذي لا يتردد ولا يضعف ولا يستكين أمام المستجدات والصعاب، لكل هذا ولغيره كان أبو بكر هو المؤهل والمهيأ والأولى والأحق بخلافة رسول الله ﷺ دون أي شك أو منافسة عند أحد من المسلمين.

ولعل من أبرز الأمور التي تؤكد ذلك أنه لا يمكن لباحث مهما مَحَّص وبحث وقرأ؛ أن يأتي برواية واحدة بسند صحيح يطعن فيها صحابي واحد أو يتشكك في صحة خلافة أبي بكر رضي الله عنه أو أن صحابياً واحداً لم يخاطبه بـ «يا خليفة رسول الله» فضلاً عن أن يجد منافساً أو رافضاً لتلك الخلافة الراشدة من المؤمنين.

وعلى ضوء هذه الحقائق أصبح خليفة رسول الله ﷺ هو الميزان الذي تمتحن عليه العقائد، وتقاس عليه درجات الولاء والانتماء للكتاب والسنة؛ فكل من لا يحب خليفة رسول الله ويواليه ويعتقد خلافته فهو خارج دائرة الإسلام الذي جاء به محمد عليه الصلاة والسلام، وعلى غير الكتاب والسنة؛ إذ إن خليفة رسول الله هو باب المهاجرين والأنصار؛ وباب الكتاب والسنة، وباب رسول الله ﷺ القائل: «لو كنت متخذاً خليلاً من أمتي لاتخذت أبا بكر، ولكن أخوة الإسلام ومودته، لا يبقين في المسجد باب إلا سد، إلا باب أبي بكر»^(١).

فكيف يزعم مبغضو خليفة رسول الله أنهم داخل البيت الإسلامي وهم لا يعرفون بابه مع كل ما أرشد إليه وأشار له رسول الله ﷺ؟! فمن أي باب دخل أولئك الذين يزعمون أن الخلافة لا تجوز إلا في آل البيت^(٢) ولكنهم إذا هيمنوا على أي إقليم أو دولة إسلامية فإن

(١) صحيح البخاري، كتاب: فضائل الصحابة. باب: قول النبي ﷺ: «سدوا الأبواب إلا باب أبي بكر». (٣٦٥٤).

(٢) الشافعي: الفكر التكفيرى عند الشيعة، ٢١٧، ٢٢٢.

المراقب الحصيف يلاحظ كيف يسارعون إلى ورثة آل البيت الصفوي، أو آل بيت هولانكو أو آل بيت بريمر أو غيرهم، يقدمون لهم فروض الطاعة القائمة على بغض كل ما هو عربي يستند إلى الكتاب والسنة، في الوقت الذي يزعمون فيه أنهم مسلمون وليسوا علمانيين أو ملحدين، وفي صلافة تدعو إلى التساؤل المر لما يقع به كثير من الغوغاء والمغفلين، ألا وهو أين آل البيت النبوي الهاشمي القرشي، الذي يرفعون راياته تليسياً وتضليلاً يزعمون أن الخلافة لا تصلح إلا فيه؟! فكيف يوفق أولئك الهالكون بين هذه الحقائق وبين ما كانوا يزعمونه؟! أم أن الغاية تبرر الوسيلة في دينهم؟ وأن حرف الأمة عن منهج الصحابة يبيح لهم كل شيء يوصل إلى تلك المقاصد المدمرة؟!

ولتأكيد ما سبق ولإسقاط كل الأوراق التي يلعب بها أعداء الصحابة والعابثون المفلسون ممن يحسبون على أهل السنة النبوية المطهرة، فإنه لا إسلام بدون خليفة رسول الله، وأن كل من يريد أن يقفز فوق هذه الحقيقة فلن يجد أمامه إلا مسيلمة الكذاب وأبا لؤلؤة المجوسي وابن سبأ اليهودي وابن ملجم الرافضي، وزنادقة الكوفة الذين مروا الدس والبهتان وامتهنوا الإفك وتسعير الفتن؛ وبيع بلاد المسلمين وعقيدتهم بأي ثمن، لكل هذا فإن شعار هذه الدراسة هو: إما خليفة رسول الله والسنة، وإما الرفض والردة، فمن أحب رسول الله ﷺ وآمن به؛ لا بد أن يؤمن بسنته وخلافته وإمامة صاحبه أبي بكر الصديق عبد الله بن عثمان التيمي القرشي إمام الأمة وقائدها من بعده ﷺ وأن من رضي بذلك عليه أن يعرف ما يؤمن به من سيرة هذا الإمام القائد والخليفة الراشد، ليعلم كيف ثبت الله به السنة وقمع به الفتنة التي قادها المرتدون بكل ضلالهم وفجورهم.

واليوم وقد بُعث دين الرفض والردة من جديد، مضافاً إليه التحالف مع المعتدين على بلاد المسلمين، أصبحت الأمة أحوج ما تكون إلى معرفة خليفة رسول الله أبي بكر رضي الله عنه وفقه سيرته بمواقفها وتطلعاتها التي قهرت المعتدين وقومت المرتدين، وفضحت الكذابين المتنبئين الذين يزعمون العصمة لغير رسول الله ﷺ وحفظت الأمة من مكرهم

وكيدهم وتعاونهم مع الفرس المجوس واليهود والصليبيين. قال تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ﴾ (١).

وما هذه الدراسة إلا لبنة متينة استقرت في موضعها على أسس منهاج وفتاوى أئمة أهل السنة^(٢) الذين نذروا أنفسهم للدفاع عن السنة وحملتها، وما والى ذلك المنهج النقي الأصل لتأخذ مكانها في الحصن الذي يجب أن يشيده الأخيار من أهل السنة؛ بينهم وبين أعداء الصحابة، ليرد المتساقطين من المخدوعين والمتنفعين، ويصد المهاجمين المعتدين، ويفضح الماكرين المخربين، ويحمي الكرام المدافعين الساهرين على نصره السنة وحماية أهلها.

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٤.

(٢) فتوى الإمام مالك فيمن يغتاظ من الصحابة استناداً إلى قوله تعالى: ﴿ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ﴾ وقوله: (الذي يشتم أصحاب النبي ﷺ ليس له سهم ولا نصيب في الإسلام) السنة للخلال (٥٥٧/٢). فتوى الإمام أحمد (إذا رأيت أحداً يذكر أصحاب محمد ﷺ بسوء لا أراه على الإسلام) الصارم المسلول: ٥٧٠، الخلال: السنة، ٥٥٧. (ومن طعن في عدالتهم، واستحل شتمهم فهو كافر بلا خلاف) الصارم المسلول: ٥٨٢. الصواعق المحرقة، ٣٧٧. فهل يوجد رافضي لا يشتم الصحابة؟! قول الإمام الشافعي: لا تصل خلف الرافضي. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ٣١/١٠. وتقرير شيخ الإسلام ابن تيمية بأن: (الرافضة هم معاونون للمشركين واليهود والنصارى على قتال المسلمين وكانوا من أعظم الناس معاونة لهم على أخذهم لبلاد الإسلام وقتل المسلمين وسبي حريمهم) الإنصاف، ٥٢. وعن فتاوى الأحناف في الرافضة ينظر: فتاوى السبكي ٥٧٦/٢ أصول الدين، ٣٤٢. لللالكائي: شرح أصول اعتقاد أهل السنة، ٧٣٣/٤. قول الإمام البخاري في الرافضة: ما أبالي صليت خلف الجهمي والرافضي أم صليت خلف اليهود والنصارى، ولا يسلم عليهم ولا يعادون - لا يزارون - ولا يناكحون، ولا يشهدون ولا تؤكل ذبائحهم. خلق أفعال العباد: ١٢٥. وليعلم الغافلون ناهة أئمة أهل السنة ومعرفتهم بمكر الرافضة وليظهر جهل أئمة التقريب بعقيدة الرافضة، أو تليسههم على الأمة. وينظر الشافعي: الفكر التكفيري عند الشيعة، ١٩ فما بعدها. وزهو الرافضة وفخرهم وتشفيهم بقتل أهل السنة، ١٥٢ فما بعدها. ومن لم يقرأ الفتاوى فليقرأ الواقع وما يجري على أيدي الرافضة لأهل السنة من المآسي؛ في ظل التحالف مع الغزاة والمحتلين من الصليبيين والعلمانيين والبوذيين وغيرهم وليقارن بين ما حذر منه أئمة أهل السنة، وبين فتاوى أئمة الرافضة وما يفعلونه. ليعلم المسلم الشر فيتيقنه ويحذره.

وقد بنيت هذه الدراسة على «سبعة فصول» في كل فصل عدد من المباحث.

تناول الفصل الأول: دراسة شخصية خليفة رسول الله وإسلامه، وذلك في ثلاثة مباحث:

المبحث الأول اشتمل على البحث في اسم الصديق ونسبه وألقابه وأسبابها ومعانيها.

والمبحث الثاني: في أسرته؛ والديه وأولاده وأمهاتهم، ومواليه.

والمبحث الثالث: إسلام خليفة رسول الله وصفاته وموقفه من الدعوة وآثار ذلك عند النبي ﷺ والمسلمين وعند المشركين.

الفصل الثاني: يتناول خليفة رسول الله أبا بكر الصديق في (الإمامة والقيادة) فأظهر خصائص وفضائل ومناقب ومزايا ومواقف خليفة رسول الله في ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الإشارات إلى صفات خليفة رسول الله في الآيات القرآنية «الإمامة والتمكين والبراءة من المرتدين ومواقف السبق واليقين».

المبحث الثاني: خصائص خليفة رسول الله أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

المبحث الثالث: فضائل خليفة رسول الله المتفردة والمشاركة.

الفصل الثالث: أبو بكر الصديق رضي الله عنه في عصر الرسالة، في ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: من مواقف أبي بكر الصديق رضي الله عنه وجهاده قبل الهجرة.

المبحث الثاني: من مواقف أبي بكر الصديق رضي الله عنه وجهاده يوم الهجرة.

المبحث الثالث: جهاد أبي بكر الصديق رضي الله عنه بعد الهجرة.

الفصل الرابع: الموقف من خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه في أربعة مباحث:

المبحث الأول: إمامة الصديق للمهاجرين والأنصار في الصلاة بأمر النبي ﷺ.

المبحث الثاني: موقف خليفة رسول الله يوم وفاة النبي ﷺ.

المبحث الثالث: خلافة أبي بكر رضي الله عنه بين النص والاختيار:

أولاً: لا وصية ولا نص على الخلافة.

ثانياً: النص على أبي بكر رضي الله عنه وحرية الاختيار.

المبحث الرابع: الموقف يوم السقيفة وإقرار الإمامة وخلافة النبوة لأبي بكر بإجماع الصحابة.

الفصل الخامس: حول منهجه في حياته وإدارته في أربعة مباحث:

المبحث الأول: منهج خليفة رسول الله في الزهد ومحاسبة النفس والأهل.

المبحث الثاني: ميراث السيدة فاطمة رضي الله عنها.

المبحث الثالث: في منهجه الاجتماعي والإداري.

المبحث الرابع: في الشؤون المالية.

الفصل السادس: موقف خليفة رسول الله أبي بكر الصديق من إنفاذ جيش أسامة ومن

حركات الرفض والردة في أربعة مباحث:

المبحث الأول: موقف خليفة رسول الله من إنفاذ جيش أسامة بعد وفاة النبي ﷺ.

المبحث الثاني: أقسام الرفض والردة وأسبابها وموقف خليفة رسول الله منها.

المبحث الثالث: الموقف من المتنبئين والمرتدين «الأسود العنسي وطليحة بن خويلد

الأسدي وموقف بني عامر وهوازن وبني سليم».

المبحث الرابع: موقف خليفة رسول الله من مسيلمة الكذاب والمرتدين في البحرين

واليمن وعمان وحضرموت.

الفصل السابع: فتوح العراق والشام في عصر خليفة رسول الله أبي بكر الصديق

رضي الله عنه.

المبحث الأول: فتوح العراق في عصر خليفة رسول الله أبي بكر الصديق رضي الله عنه
المبحث الثاني: فتوح الشام في عصر خليفة رسول الله أبي بكر الصديق رضي الله عنه.
المبحث الثالث: عهد الصديق إلى الفاروق بالخلافة، ووفاة خليفة رسول الله الصديق
رضي الله عنه.

الخاتمة.

قائمة المراجع والمصادر.

وفي نهاية هذه المقدمة فإنّ هذا جهد المقل وعطاء الفقير وموقف الغريب، أسأل الله تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم ويسخ عليه القبول عنده وعند أمة المسلمين، وينصر به السنّة وأهلها المخلصين، وينور به قلبي وقبري ويثقل به ميزاني يوم لا ينفع مال ولا بنون، ويحشرني ووالدي وذريتهما، وجميع المحبين لأبي بكر الصديق رضي الله عنه وكل من أعانني بكلمة طيبة أو دعوة صالحة وقراء هذا الكتاب المؤمنين، مع رسول الله ﷺ وخليفته الصديق رضي الله عنه والصحابة الأكرمين رضي الله عنهم آمنين من أهوال يوم الفرع الأكبر، إنه وحده ولي ذلك والقادر عليه. ﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي بُنَيْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾^(١). وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

د. محمد عبد العزيز

١ صفر ١٤٢٨هـ - ١٩ فبراير ٢٠٠٧م

(١) سورة الأحقاف، الآية: ١٥.

الفصل الأول

خليفة رسول الله
أبو بكر الصديق رضي الله عنه
شخصيته وإسلامه

اسمه ونسبه وألقابه وأسرته وإسلامه وصفاته وعلمه

المبحث الأول: اسمه ونسبه وألقابه.

المبحث الثاني: أسرة خليفة رسول الله أبي بكر الصديق رضي الله عنه
ومواليه.

المبحث الثالث: إسلام أبي بكر الصديق رضي الله عنه وصفاته.

المبحث الأول اسمه ونسبه وألقابه

اسمه ونسبه:

هو خليفة رسول الله ﷺ ومؤنسه في الغار، وصديقه الأكبر، وصديقه الأشفق، ووزيره الأحزم، أفضل الأمة وسيد المهاجرين وخيرهم، وسابق الصحابة وشيخهم، إمام الأمة وقائدها بعد نبينا ﷺ أبو بكر الصديق رضي الله عنه؛ عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر. القرشي التيمي يلتقي نسبه مع النبي ﷺ في الجد السادس. يكنى بأبي بكر رضي الله عنه والبكر هو الفتى من الإبل وقد كانت العرب تُسمي بهذا الاسم وتُكني به، تفاؤلاً بالقوة والحيوية والنباهة وسرعة الحركة والصبر والألفة والوداعة وقوة الولاء والوفاء وسعة التحمل والكرم والإيثار، وما إلى ذلك من صفات كريمة نبيلة؛ وكان اسم ابنه الأكبر هو عبد الله أصابه سهم في حصار الطائف فعوفي منه ثم انتقض عليه فيما بعد فتوفي شهيداً رضي الله عنه^(١).

مولده وسنه:

ولد خليفة رسول الله بمكة عام «٥٧٣م» بعد عام الفيل بستين وستة أشهر، بمنى^(٢) ومن

(١) الزبيرى، نسب قریش، ٢٧٥. ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ١٤٤/٤. المعجم الكبير

ج ١/٥١. الطنطاوي، أبو بكر الصديق، ٤٦. الصلابي، أبو بكر الصديق، ١٧.

(٢) ابن العجوزي: المتظم، ٥٣/٤.

المعلوم أن منى تقع في أطراف مكة وهي من أرض الحرم أي لا خلاف في ذلك، فمن قال ولد في مكة لم يخصص في أي مكان منها؛ ومن قال ولد في منى فقد خصص المكان، وهو معلوم أنه في مكة زادها الله تشريقاً وتعظيماً. وقيل: سميت منى لما يمنى ويراق من دماء الهدي الذي ينحر فيها، وهي تمتد من مهبط العقبة إلى وادي محسر^(١).

وعن أم المؤمنين الطاهرة الصديقة عائشة رضي الله عنها قالت: تذاكر رسول الله ﷺ وأبو بكر ميلادهما عندي فكان رسول الله ﷺ أكبر من أبي بكر، فتوفي رسول الله ﷺ وهو ابن ثلاث وستين سنة، وتوفي أبو بكر رضي الله عنه وهو ابن ثلاث وستين للستين ونصف التي عاشهما بعد رسول الله ﷺ^(٢) وكان خليفة رسول الله من أسن الصحابة رضي الله عنهم، وهذا ما يؤكد حديث أنس بن مالك قال: قدم علينا رسول الله ﷺ فكان أسن أصحابه أبو بكر رضي الله عنه^(٣).

أشهر ألقابه:

امتاز خليفة رسول الله بالعديد من المزايا التي انفرد بها من بين جميع الصحابة الكرام ومن بين خلفاء الأنبياء وجميع أبناء الأمة، وبشكل لا يمكن مقارنته مع أحد ممن سبق ذكره، ونظراً لكثرة هذه المزايا وما اشتملت عليه مواقفه وسيرته من مناقب، وما زينه به رسول الله ﷺ من فضائل تُمثل شهادات عز وفخار يتيه بها على الورى مدى الزمان، وحق لمن كان رسول الله ﷺ يغضب لغضبه ويرضى لرضاه أن يكون كذلك، أليس هو ثاني رجل في الأمة ليس قبله سوى رسول الله ﷺ بشهادة كتاب الله في قوله تعالى: ﴿ تَأْتِيَن آتَيْنِ ﴾^(٤) أليس هو الأول في كل موقف عز وشرف وبطولة وعلم ونبل وتضحية؟ ألم

(١) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ٨ / ٣٢١.

(٢) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٣٠ / ٢٦.

(٣) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٣٠ / ٢٤.

(٤) سورة التوبة، الآية: ٤٠.

يُطَرِّز سيرته بأنوار مواقفه التي لا زالت شمسها ساطعة تتوقد نورًا يسرج طرق المخلصين والغيارى على العقيدة والأمة؟ إن من لم يدرك مقام خليفة رسول الله وهو يعنى عقله في قوله تعالى: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ وفي قوله ﷺ: «يأبى الله ورسوله والمؤمنون إلا أبا بكر» فإنما يخشى عليه سلامة النظر وسوء الفهم ولوثة في الولاء لله ولرسوله ﷺ هذا إن لم يكن فيه وباء الرفض وداء الردة وجرثومة بغض الصحابة وخزايا ونقائص المنافقين التي ورثها عنهم من لا زال يدين بالطعن على رسول الله ﷺ وأصحابه الأكرمين، ولما سمت شمائل خليفة رسول الله وكثرت فضائله رضي الله عنه تعددت خصائصه وتنوعت مفاخره وتعطرت صفاته بطيب ذكره المقرون بألقابه التي منها:

١- الصديق:

لا شك أن أشهر أسماء وألقاب خليفة رسول الله التي لا زالت تلازمه ولم تنفك عنه في موقف يذكر فيه؛ هو الصديق رضي الله عنه؛ لأنه مرتبة شرف تُظهر سبقه وسمو مكانته وإخلاصه لله ولرسوله ﷺ، ولأنها تسمية إيمانية ومكرمة ربانية، كان علي بن أبي طالب رضي الله عنه يحلف بالله بأن الله تعالى أنزل اسم أبي بكر الصديق من السماء صديقاً^(١).

وعن أم هانئ بنت أبي طالب رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ لما أسري به إنني أريد أن أخرج إلى قريش فأخبرهم فكذبوه وصدقه أبو بكر رضي الله عنه فسمي يومئذ الصديق^(٢).

وورد هذا الاسم في بعض الأحاديث النبوية في باب المدح وبيان سمو المكانة والمنزلة في مثل ما رواه أنس بن مالك: أن النبي ﷺ صعد أحداً ومعه أبو بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم فرجف بهم الجبل. فقال ﷺ: «أَبُتُّ أَحَدُ؛ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ نَبِيٌّ وَصَدِيقٌ وَشَهِيدَانِ»^(٣).

(١) ابن الجوزي: الصفوة ١/ ١٢٣.

(٢) الطبراني: المعجم الكبير: ١/ ٦٠.

(٣) البخاري، صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب «لو كنت متخذاً خليلاً»، ح (٣٣٩٩).

وقوله: «يكون بعدي اثنا عشر خليفة أبو بكر الصديق لا يلبث إلا قليلاً»^(١). وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال ليلة أسرى به لجبريل: «إن قومي لا يصدقوني». فقال له جبريل: يصدقك أبو بكر وهو الصديق^(٢)، وهذا الحديث له شاهد من حديث التزأل بن سبرة عن علي رضي الله عنه قال: وافقنا علياً رضي الله عنه يوماً طيب النفس وهو يمزح فقلنا: حدثنا عن أصحابك. قال: كل أصحاب رسول الله ﷺ أصحابي. فقلنا: حدثنا عن أبي بكر رضي الله عنه فقال: ذاك امرؤ سماه الله صديقاً على لسان جبريل ومحمد ﷺ^(٣).

وعن الطاهرة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: لما أسري بالنبي ﷺ إلى المسجد الأقصى تحدث الناس بذلك، فارتد ناس ممن كانوا آمنوا به وصدقوه وسعوا بذلك إلى أبي بكر رضي الله عنه فقالوا: هل لك إلى صاحبك يزعم أنه أسري به الليلة إلى بيت المقدس؟ قال: أوقال ذلك؟ قالوا: نعم، قال: لئن كان قال ذلك لقد صدق. قالوا: أوتصدقه أنه ذهب الليلة إلى بيت المقدس، وجاء قبل أن يصبح؟ قال: نعم؛ إني لأصدقه فيما هو أبعد من ذلك، أصدقه بخبر السماء في غدوة أو روحة. فلذلك سمي أبو بكر الصديق^(٤) وقيل له: «الصديق» أيضاً، لما روي عن الطاهرة عائشة رضي الله عنها. قالت: لما أسري بالنبي ﷺ إلى المسجد الأقصى، أصبح يُحدِّث بذلك الناس، فارتد ناس مِمَّنْ كان آمن وصدق به وفتنوا، فقال أبو بكر: إني لأصدقه فيما هو أبعد من ذلك، أصدقه بخبر السماء غَدَوَةً أو رَوْحَةً^(٥) فلذلك

(١) ابن عساکر: تاریخ دمشق، ٣٠/٢٢٩.

(٢) ابن الجوزي: المنتظم، ٤/٥٤. الطبراني، المعجم الأوسط، باب من اسمه محمد، ح (٧١٧٣).

ابن سعد: الطبقات الكبرى، ١/٢١٥.

(٣) الحاكم: المستدرک، ك: معرفة الصحابة باب: أبو بكر الصديق. ح ١/٤٤٠٤، ٤٤٠٥. ابن الجوزي: الصفوة، ١/١٢٣. أبو نعيم: معرفة الصحابة، ح (٦٢).

(٤) الحاكم: المستدرک، كتاب: معرفة الصحابة. باب: أبو بكر الصديق. ح (٤٤٠٧) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٥) الحاكم: المستدرک، ك: معرفة الصحابة، باب: أبو بكر، ح (٤٤٠٧) الصنعاني: ك. المغازي، باب في حفر زمزم، ح (٩٧١٩).

سمي أبو بكر الصديق رضي الله عنه وذكر أبو محجن الثقفي فيما بعد ذلك بين اعتراف المسلمين لخليفة رسول الله بهذه المنقبة التي تفرد بها عن باقي الصحابة. فقال:

وَسُمِّيَتْ صِدِّيقًا وَكُلُّ مُهَاجِرٍ سِوَاكَ يُسَمَّى بِاسْمِهِ غَيْرَ مُنْكَرٍ
وَسَبَقْتَ إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ شَاهِدٌ وَكُنْتَ جَلِيسًا فِي الْعَرِيشِ الْمُشْهَرِ^(١)

ولم تقع من أبي بكر رضي الله عنه هناة في الإسلام منذ أن أسلم؛ فاتصف بهذا الاسم من بين الصحابة أجمعين ومدحه الشعراء به، قال عبد الملك بن قريش الباهلي راوية العرب المشهور بالأصمعي:

ولكنني أحب بكل قلبي وأعلم أن ذاك من الصواب
رسول الله والصديق حبا به أرجو غدا حسن الثواب^(٢)

وقد اختلفت الروايات عن تاريخ جذور مناداة قريش لأبي بكر رضي الله عنه بمعاني هذا اللقب. فقيل: إنه عرف بهذا منذ أيام الجاهلية لأنه كان وجيها ورئيسا من رؤساء قريش، ومعروفا بينهم بالصدق حتى كانت قريش لا تتردد في تصديقه ومساندته في كل ما يتحمله من الديات والمغارم التي كان يقوم بها لإطفاء الحروب وإصلاح ذات البين بين القبائل، والإسهام في تأمين السلم الذي كان يخدم سياسات قريش لقيادة العرب وسلامة تجارتها، وأداء القبائل العربية لمناسك الحج وزيارة البيت الحرام وهم آمنون.

ولكن ومع أن أبا بكر رضي الله عنه عرف بالصدق منذ الجاهلية لكن الصدق شيء والتصديق شيء آخر، وقد عرف بهما جميعا، لكن الصديق صفة إسلامية ورتبة ربانية اكتسبها من إيمانه بالغيب الذي جاء به رسول الله ﷺ، وقد امتدح الله تعالى المؤمنين بالغيب الذي يأتي به الأنبياء. قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْحَقُّ وَالْحَقُّ أَجْمَلٌ﴾ (١) ﴿ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾﴾ (٣).

(١) ابن الأثير، أسد الغابة، ٣/٣١٠.

(٢) الطنطاوي، أبو بكر الصديق، ٤٩.

(٣) سورة البقرة، الآيات: ١-٣.

وقيل سمي صديقاً لبداره ومسارعته إلى تصديق رسول الله ﷺ في كل ما جاء به من وحي وسنة ووعد ووعيد وبعث ونشور وجنة ونار ونصر وتمكين للإسلام والمسلمين؛ وبإقبال وحماس شديدين دون أي تردد أو تساؤل أو موازنة وتفكير؛ لما وافق ذلك فيه من فطرة سليمة وطوية ناضجة وقلب عقول؛ علم أن كل ما جاء به رسول الله ﷺ إنما هو حق ويقين يجب أن يدين به جميع الناس لما فيه من الهدى والخير والنور.

وعن أم هانئ رضي الله عنها قالت: إن النبي ﷺ قال لأبي بكر رضي الله عنه: «إن الله عز وجل سمّاك الصديق»^(١)؛ وعن علي رضي الله عنه قال: إن الله عز وجل هو الذي سمي أبا بكر على لسان رسول الله ﷺ صديقاً^(٢)، والصديق هو الاسم الذي لازم سيرة خليفة رسول الله في كل مفرداتها في مكة وفي المدينة وفي حياة النبي ﷺ وبعد وفاته، وفي السلم والحرب، والحاجة والغنى، والشدة والرخاء، فلم يتغير أو يتأفف في موقف أو معضل أو أي مشهد سياسي أو عسكري أو اجتماعي أو مالي أو غير ذلك، بل كان إيماناً وتصديقاً ويقيناً كاملاً لكل ما جاء به رسول الله ﷺ لهذا كانت هذه الكرامة ملازمة لخليفة رسول الله في كل أحواله، لم يتردد أحد من المسلمين في التلذذ بالنطق بها والاعتزاز بتاريخها والإيمان بمنهجها الذي يغيب المشركين ويُبلس عند سماعه الراضية المرتدون، الذين قهر خليفة رسول الله مكرهم وكذابهم المتنبي، بتصديقه وإيمانه وعزمه وجهاده في كل المواقف التي رفضوا فيها الانقياد والتسليم لما جاء به رسول الله ﷺ ولا سيما ما قاموا به من تأمر على الإسلام والمسلمين تمثل في حركة رفض الإسلام أو رفض الزكاة أو اغتيال المؤمنين.

وعن أبي وهب مولى أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال ليلة أسري به قلت لجبريل: «إن قومي لا يصدقوني». فقال له جبريل: يصدقك أبو بكر وهو الصديق. وروى عبد الله بن عمرو بن العاص. قال: أبو بكر رضي الله عنه: سميتوه الصديق وأصبتم اسمه. وقال بعضهم:

(١) أبو نعيم: معرفة الصحابة، ح (٦٠).

(٢) أبو نعيم: معرفة الصحابة، ح (٥٨).

أنتى نعاتب لا أبا لك عصبه علقوا الفرى وبروا من الصديق
وبروا سفاها من وزير نبينهم تبا لمن يبرا من الفاروق^(١)

أولئك الذين يدينون بالافتراء على الصحابة ويبرؤون من دينهم وقرآنهم ويتظاهرون بالإسلام زورًا وتضليلًا، فلا شك أن الصحابة وقرآنهم ودينهم ومحبيهم يبرؤون منهم، وهنا يقال: فليتبرأ من شاء ممن شاء. قال تعالى: ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾^(٢). ولكن التساؤل هو كيف يتسمى من كفر بقرآن الصحابة وسنة نبينهم ﷺ باسم الإسلام الذي حملوه وجاهدوا من أجله ودفعوا أموالهم ووقتهم ودماءهم حتى أقر به القريب والبعيد؟! ومن أي باب يجد من يدينون بعداء الصحابة منفذًا يدخلون به إلى ربوع الإسلام والمسلمين، وكيف يزعمون أنهم مسلمون وهم في عدائهم للصحابة وللمساجد وللقرآن شرّ من المشركين، بل شرّ من اليهود والنصارى فما هم اليهود مع كل قبحهم وحقدهم وجرائمهم يغتصبون فلسطين منذ عقود ويقومون بكل ما يقوم به الكفرة المعتدون، ولكنهم لم يدمروا «٢٠٠ مائتي مسجد في يومين» بتدبير مسبق وإصرار متعمد مع ما رافق ذلك من حرق وتدنيس للمصاحف واغتيال للأئمة والمؤذنين وكتابة الشعارات الكافرة بالسنة والشائمة للصحابة على جدران المساجد في مشاهد لم يحم بها حلفاؤهم التتار الهمج ولا غيرهم من المجرمين، وقد شاهد ما قامت به الرفضة في العراق العالم أجمع على شاشات الفضائيات في «صفر ١٤٢٧ هـ مارس آذار ٢٠٠٦» وعلى هذا وغيره فإنه لا يوجد طائفة تحقد على السنة النبوية المطهرة وأهلها كما يحقد عليها أعداء الصحابة الرفضة، وكل من يزمزم أو يتمتم من السحرة والمشعوذين ممن يحسبون على السنة بأن هناك وجهًا للتقريب أو التفاهم والاحتواء مع الحاقدين على الصحابة والقرآن والسنة والمساجد؛ فإنما هم مخادعون للأمة ومحاربون للسنة، ومن يفترى على خليفة رسول الله أو على أي من الصحابة ويناصبهم العداوة ويرفض السنة النبوية فهو

(١) ابن عساکر: تاريخ دمشق، ٣٠/٤٠٨. اللالكائي: اعتقاد أهل السنة، ٧/١٣٢٩. ابن أبي عاصم، السنة، ٢/٤٨٥.

(٢) سورة الكهف، الآية: ٢٩.

قاطع لكل حبال الوصل مع الإسلام وإن تسمى بأسماء المسلمين، وإنما يفعل ذلك نفاقاً ومكرًا وتقية يتحین من خلالها الفرصة للانقضاض على الإسلام والسنة والإيقاع بأهلها بأي وسيلة أو بالتحالف مع أي عدو كان، ﴿وَمَنْ لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُّورٍ﴾^(١). ومن يصدّق الباطل ويكذب ما ترى عيناه مما حل بالسنة وأهلها ومساجدها ومصاحفها ويزعم أنه من أهل السنة النبوية فلا قيمة لقوله ولا يعتد بأي من مواقفه؛ بل قد يكون ببلاهته هذه شرًا على السنة من أعدائها، وكيف يكون من أهل السنة من يوالي أعداء السنة ولا يغار على دين ودماء وأعراض أبنائها؟ والعاقبة للمتقين المتبصرين بدينهم، الذين يقرؤون الواقع من حولهم، ولا تقوى بدون بصيرة، ولا بصيرة بدون السنة التي تميز بين سلف هذه الأمة الذي قاده الصديق رضي الله عنه؛ وبين أعدائها المتربصين بها المفترين على نبيها ﷺ بأنه أشرك إمامهم ومرجعهم مسيلمة الكذاب في الأمر من بعده؛ ولكن بعد أن هلك مسيلمة على أيدي جند الصديق رضي الله عنه ادعوا تلك الشراكة لآخرين تحت فرية وكذبة الوصية التي دّبح أصولها عبد الله بن سبأ الهمداني اليهودي؛ مؤسس حركة الرفض وواضع مبدأ الرجعة وبغض الصحابة وكراهية العرب، في تركيبة عجيبة تغذي الحقد الطائفي الذي يرتكز عليه دين الرافضة ضد السنة وأهلها^(٢).

(١) سورة النور، الآية: ٤٠.

(٢) ابن سبأ هو أول من وضع مبدأ الرجعة الذي تدين به الرافضة - أي الحياة بعد الموت - وهو أول من قال كاذبًا بالوصية، وأن عليًا وصي محمد ﷺ، ثم قال: محمد خاتم الأنبياء وعلي خاتم الأوصياء، وأن الصحابة لم يجزوا وصية رسول الله ﷺ لعلي رضي الله عنه؛ فهم بدلوا الدين، وأن هذا الدين وهذا القرآن الذي يدين به أهل السنة إنما هو دين مكذوب لا أصل له، وأن الدين هو دين الأئمة المعصومين القادرين أن يحيوا الناس ويميتوهم وهم فوق الأنبياء في العلم والقداسة. انظر: الطبري، تاريخ، ٤/ ٢٤٠؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ٧/ ٢٣٦، وقال ابن كثير يرحمه الله: إنما هذا مما يقتريه الرافضة والقصاص الأغبياء ومن أنه ﷺ أوصى إلى علي رضي الله عنه فكذب وبهتان واقتراء عظيم، يلزم منه خطأ كبير من تخوين الصحابة وممالاتهم على ترك إنفاذ وصية رسول الله ﷺ، وكل من يؤمن بالله ورسوله يعلم أن هذا باطل لا أصل له، وإنما هو من الهذيان التي تفتريها مراجعهم لزيادة بعدهم عن الدين ولتبغيض الصحابة إليهم لكي يشكوا بالقرآن والسنة للذين =

٢- عتيق:

ومن أشهر ألقاب خليفة رسول الله لقب عتيق، وقد أورد المؤلفون تسويغات متعددة لأسباب إظهار حقيقة هذا الاسم وبيان معانيه والصفات الدالة عليه، لعل أهمها وأشهرها:

- جماله:

وهذا ما روي عن الليث بن سعد قال: إنما سمي عتيقًا لعتاقة وجهه. أما اسمه فعبد الله بن عثمان^(١) وقوله أيضًا: إنما سمي أبو بكر عتيقًا لجمال وجهه^(٢)، وفي رواية ابن قتيبة لقبه رسول الله ﷺ بذلك لجمال وجهه^(٣) وقيل غير ذلك.

قال ابن هشام: اسم أبي بكر عبد الله، وعتيق: لقب له لحسن وجهه وعتقه^(٤) وأخرج ابن سعد وابن أبي الدنيا عن طريق ابن أبي مليكة قال: كان اسم أبي بكر عبد الله، وإنما كان عتيق لقبًا، وقال الفلاس: سمي عتيقًا لعتاقة وجهه^(٥) أي لجماله وحسنه وكمال أوصافه. وعن يحيى بن معين أن اسم أبي بكر رضي الله عنه (عبد الله بن عثمان، وعثمان هو أبو قحافة، ولقبه عتيق؛ لأن وجهه كان جميلًا فسمي عتيقًا)^(٦).

- عتيقًا من النار:

وقد روي أن رسول الله ﷺ سماه عتيقًا من النار^(٧) عن أم المؤمنين عائشة أنها سألت

= حملهما أصحاب رسول الله وأوصلوهما إلى العالمين بعد صبر وجهاد طويلين. وكل هذا من الباطل الذي لا يغتر به أو يصدقه إلا غبي عمي رافضي كافر بسنة رسول الله ﷺ.

- (١) الطبراني: المعجم الكبير: ١ / ٥٣. (٢) ابن عساکر: تاريخ دمشق، ١٢ / ٣٠.
- (٣) الطبراني، المعجم الكبير، ١ / ٥٢، ٥٣. ابن حجر، الإصابة، ١ / ١٤٦. ابن الجوزي: الصفوة ١ / ١٢٣.
- (٤) ابن هشام: السيرة النبوية، ١ / ٢٨٦.
- (٥) ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، ٤ / ١٤٦.
- (٦) ابن عساکر، تاريخ دمشق، ١٤ / ٣٠.
- (٧) الطبراني، المعجم الكبير: ١ / ٥٣.

لم سمي أبو بكر رضي الله عنه عتيقاً؟ فقالت: نظر إليه رسول الله ﷺ فقال: «هذا عتيق الله من النار»^(١) وقالت: إنني لفي بيتي ورسول الله ﷺ وأصحابه في الفناء وبينهم الستر، إذ أقبل أبو بكر رضي الله عنه فقال رسول الله ﷺ: «من سره أن ينظر إلى عتيق من النار فلينظر إلى هذا». وقالت رضي الله عنها: إن اسمه الذي سمّاه به أهله عبد الله، ولكن غلب عليه عتيق^(٢). وروي: العتيق لقب لقّبه به النبي ﷺ حين قال له: «أنت عتيق الله من النار»^(٣) وقالت: إنه دخل على النبي ﷺ يوماً فقال له: «أنت عتيق من النار». ومنذ ذلك اليوم سمي بهذا الاسم^(٤).

- صفاء نسبه:

وقال مصعب الزبيري: سمي أبو بكر عتيقاً لأنه لم يكن في نسبه شيء يعاب به^(٥) فكما هي سيرته صفاء ونقاء وسمو وعلو فإن نسبه كذلك أصالة ووجاهة وسيادة، وكذلك أصحابه وجلساؤه وأحبابه السائرون على منهجه وطريقه، ومع أن حقد الرافضة عليه شديد، لكن لم يجدوا مجالاً لانتقاصه.

- قديم في الخير:

وقال أحمد بن الهيثم: وإنما سمي عتيقاً لأنه عتيق في الخير أي قديم في الخير^(٦)، وكذلك جاء في تاريخ الفضل بن دكين إنما سمي عتيقاً «لأنه قديم في الخير»^(٧) أي أنه كان من أهل

- (١) ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ٤ / ١٤٦.
- (٢) الحاكم، المستدرک، ك. معرفة الصحابة رضي الله عنهم، حديث: (٤٤٠٤)، (٣ / ٦٤)، وقال: هذا صحيح الإسناد ولم يخرجاه.
- (٣) صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، ١٥ / ٢٨٠. سنن الترمذي، كتاب المناقب، باب مناقب أبي بكر الصديق، ح (٣٦٧٩) الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، ح (١٥٧٤).
- (٤) الطبراني: المعجم الكبير، ١ / ٦٠ (٥) ابن عساکر: تاريخ دمشق، ٣٠ / ٢٢.
- (٦) ابن عساکر: ٣٠ / ١٢.
- (٧) ابن حجر: الإصابة، ٤ / ١٤٦.

الفضل والجدود وفعل الخيرات والمعروف قبل الإسلام وبعده، وأن ذلك جِبَلَةٌ فِيهِ فَطَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

- أحد ثلاثة إخوة:

ومما روي من إجابات أخرى عن سبب تسمية أبي بكر رضي الله عنه بهذا الاسم أيضًا أن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها سئلت عن اسم أبي بكر رضي الله عنه، فقالت: عبد الله. فقيل: إنهم يقولون عتيق. فقالت: إن أبا قحافة كان له ثلاثة أولاد فسمى واحدًا عَتِيقًا ومعتقًا وعَتِيقًا بالتصغير^(١). وعن عمارة بن غزوية قال: سألت عبد الرحمن بن القاسم عن اسم أبي بكر الصديق رضي الله عنه فقال: عتيق، وكانوا إخوة ثلاثة بني أبي قحافة عتيق ومعتق ومعيتق. ويقال: كان له أخوان يقال لأحدهما عتيق، وللآخر معيتق فسمي بأحدهما^(٢) لكن هذين الأخوين لا ذكر لهما في الجاهلية ولا في أخبار الإسلام، إلا إذا كانا توفيا في فترة الصغر والرضاعة.

- لعنته من الموت:

وعن موسى بن طلحة قال: قلت لأبي طلحة، لم سُمي أبو بكر رضي الله عنه عتيقًا؟ قال: كانت أمه لا يعيش لها ولد، فلما ولدته استقبلت به البيت ثم قالت: اللهم إن هذا عتيق من الموت فهبه لي^(٣). وقيل: كانت أم أبي بكر لا يعيش لها ولد فلما ولدته استقبلت به البيت فقالت: اللهم إن هذا عتيقك من الموت فهبه لي^(٤). وقال موسى بن طلحة: قيل إنه اسم سمته به أمه^(٥).

وأما ابن إسحاق فقال: أبو قحافة أي والد خليفة رسول الله كان اسمه عتيقًا لكن ابن

(١) الطبراني: المعجم الكبير، ١ / ٥٣. ابن حجر: الإصابة، ٤ / ١٤٦. وفي سننه ابن لهيعة.

(٢) ابن عساکر: تاريخ دمشق، ٣٠ / ٢٢.

(٣) ابن عساکر: تاريخ دمشق، ٣٠ / ٢١.

(٤) ابن الجوزي: صفة الصفوة، ١ / ١٢٣.

(٥) ينظر ابن حجر: الإصابة، ٤ / ١٤٥.

إسحاق ينفرد بهذه الرواية ولم يذكر ذلك غيره، ولا يوجد في سيرة أبي بكر رضي الله عنه ما يؤيد هذه الرواية. وعن مغيرة بن زياد قال: أرسلت إلى ابن أبي مليكة أسأله عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه ما كان اسمه؟ قال فأتيته فسألته. فقال: كان اسمه عبد الله بن عثمان، وإنما كان عتيق كذا وكذا يعني لقباً.

- لإعتاقه المستضعفين:

وروي: إنما سمي بعتيق لعتقه للرقيق، ولا سيما المستضعفين في عصر كان الرق خُلِقاً من أخلاقه والطبقية صفة من صفاته يتباهى بها الناس ويتفاخرون، عن علي بن محمد قال: إنهم أجمعوا على أن اسم أبي بكر رضي الله عنه عبد الله وأنه إنما قيل له عتيق عن عتقه رضي الله عنه ^(١) وهذا يقود إلى الحديث عما قام به خليفة رسول الله من دور رائد وسابق في هذا الباب الإيماني الإنساني الحضاري العظيم، والذي يجب أن يُسمى من اتصف به المعتك لما فيه من الشمائل والسجايا التي توافق هذا الخلق السامي والمعدن النبيل الذي يواجه العبودية ويرفض الرق وذل الإنسان لأخيه الإنسان.

٣- المعتق:

ويسمى المعتق أيضاً وهي صفة له انفرد بها من بين الصحابة في أيام الإسلام الأولى، أيام المحن والابتلاء التي كان الثابت فيها على دينه كالقابض على الجمر، لما يعانیه المسلمون من طغيان المشركين وعدوانيتهم في ذلك الوقت العصيب الذي قل فيه النصير والمعين، حُبب الله تعالى إلى خليفة رسوله ﷺ القيام بإنقاذ المستضعفين من مخالب الجاهلية وجبروتها ممن لا ناصر لهم ولا معين ولا أهل ولا عشيرة، وممن لا يُرتجى منهم نصر ولا مؤنة ولا مكافأة دنيوية، لما كانوا عليه من الضعف والفقر والهوان الذي أنزلته بهم جاهلية المشركين، لذلك كانت أعماله هذه مثار استغراب وسخرية جبايرة المال والسلطان والجاهلية والترف، بقدر ما كانت محل قبول ورضاً عند الله تعالى ومحل إعجاب وقبول

(١) الطبري: تاريخ، ٢/٣٥٠.

عند رسول الله ﷺ، ومحل سرور وفخار وشفاء عند المؤمنين رضي الله عنهم الذين كانت حالهم حال الجسد الواحد في آلامهم وآمالهم.

وقد أعتق خليفة رسول الله سبعة ممن كان يعذب في الله، منهم: بلال مؤذن رسول الله ﷺ^(١). وهذا ما لم يفعله غيره وليكون موقفاً آخر مما تفرد به خليفة رسول الله في أيام كان المؤمنون يستترون فيها بإيمانهم ويلوذون بعشائرتهم أو ببعض أهل الرأفة والرحمة من رجالات قريش، بينما كان خليفة رسول الله يصول ويجول في مواقف الإيمان ونصرة رسول الله ﷺ ونصرة أتباعه المؤمنين، تسيل من أجل ذلك أمواله ودماؤه وأوقاته وقوته وأحياناً كرامته ومكانته رضي الله عنه وهو راض سعيد باسم الثغر وضاح الوجه مستبشر متفائل مطمئن.

وتقديرًا لهذا الدور الذي كان يقوم به خليفة رسول الله، ولما فيه من مفاخر للمؤمنين وإرغام لأعداء الدين، ولا سيما إعتاقه لبلال رضي الله عنه بعد الذي تعرض له من الأذى والقهر والإذلال، وبعدهما أبدى من البطولة والصبر والقدرة على التحمل ما أذهل المشركين وأثلج صدور المؤمنين وأقر عيون الصالحين لكل ذلك كان عمر الفاروق رضي الله عنه يعترف بذلك الفضل والإقدام الذي كان يتسم به خليفة رسول الله والاستبسال الذي كان يبدیه مولاہ بلال رضي الله عنه فيردد في مجالس المهاجرين والأنصار: أبو بكر سيدنا وأعتق سيدنا^(٢). وسيأتي الحديث عن عتق أبي بكر رضي الله عنه للمؤمنين المستضعفين مفصلاً في موضعه من هذا البحث.

٤- السَّبَاق:

وكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول - إذا ذكر عنده خليفة رسول الله أبو بكر

(١) ابن عساکر: ٣٠ / ١٤.

(٢) ابن أبي شيبه: المصنف، ما ذكر في فضل عمر بن الخطاب، ح (٣١٩٦٦)، البخاري: ك. فضائل الصحابة، مناقب بلال (٣٥٤٤).

رضي الله عنه: والذي نفسي بيده، ما استبقنا إلى خير قط، إلا سبقنا إليه أبو بكر رضي الله عنه. وذكر النووي في التهذيب أن الثعلبي أكد الإجماع على أن أبا بكر أول الناس إسلاماً^(١).

وهذا الذي شهد به علي شهد به سبأقو الصحابة إلى الخير من أمثال عمر وعثمان وإخوانهم رضي الله عنهم؛ ولا شك أن هؤلاء إذا قالوا قولاً فلا قيمة لأي قول يخالف قولهم، وهم رضي الله عنهم السبأقون إلى كل خير وفضل؛ شهدوا لخليفة رسول الله بالسبق إلى الفضائل والمكارم وفعال الخير والدين والجهاد^(٢). فما يضير بعد ذلك قول الأفاكين أو تشكيك الرافضين بتكذيبهم شهادات المؤمنين الصادقين.

وجاء رجل إلى علي بن أبي طالب، فقال: يا أمير المؤمنين، كيف سبق المهاجرون والأنصار إلى بيعة أبي بكر رضي الله عنه وأنت أسبق منه سابقة؟ قال علي: سبقني أبو بكر إلى أربع لم أوتهن، ولم أعتض منهن بشيء: سبقني إلى إفشاء الإسلام، وقدم الهجرة، ومصاحبته النبي ﷺ في الغار، وإقام الصلاة وأنا يومئذ بالشعب، أظهر الإسلام وأخفيه، وتستحقني قريش وتستوفيه. والله لو أن أبا بكر رضي الله عنه زال عن مزيله، ما بلغ الدين العيرين - جبلين - ولكان الناس كركة كركة طالوت. ويلك، إن الله ذم الناس ومدح أبا بكر. فقال تعالى: ﴿إِلَّا نَضُوبُهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَائِبَةً اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾^(٣) فرحمة الله على أبي بكر^(٤).

وكل هذا الذي ذكره علي رضي الله عنه كان معلوماً عند السابقين من الصحابة جميعاً؛ لا يخالف فيه مؤمن من المؤمنين. عن الشعبي. قال: قال رجل لبلال رضي الله عنه من سبق؟ قال: محمد ﷺ، قال: من صَلَّى؟ قال: أبو بكر. قال الرجل: إنما أعني في الخيل. قال

(١) الطنطاوي: أبو بكر الصديق، ٧٦.

(٢) ابن عساکر: تاريخ دمشق، ٣٠ / ٧٦.

(٣) سورة التوبة، الآية: ٤٠.

(٤) ابن عساکر: تاريخ دمشق، ٣٠ / ٧٧.

بلال: وأنا إنما أعني في الخير^(١).

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: أمرنا رسول الله ﷺ يوماً أن نتصدق فوافق ذلك ما لا أعندي فقلت: اليوم أسبق أبا بكر إن سبقته يوماً فجئت بنصف مالي فقال رسول الله ﷺ: «ما أبقيت لأهلك؟» فقلت: مثله. قال: وأتى أبو بكر بكل ما عنده فقال له رسول الله ﷺ: «ما أبقيت لأهلك؟» قال: أبقيت لهم الله ورسوله. قلت: لا أسابقك إلى شيء أبداً^(٢). فكان عمر رضي الله عنه يعلن على المنبر أمام جماهير الصحابة أن الصدِّيق كان «سابقاً مبرزاً»^(٣).

وأخرج ابن عساكر عن أنيسة الأنصارية. قالت: نزل فينا أبو بكر رضي الله عنه ثلاث سنين قبل أن يستخلف وسنة بعدما استخلف، فكان جوارِي الحي يأتينه بغنمهن فيحلبهن لهن^(٤).

ومثلما سبق بالإسلام والكرم والشجاعة والعلم والدعوة والجهاد كذلك سبق بالتواضع والزهد وخدمة الضعفاء والمساكين وما إلى ذلك من أخلاق الصالحين، فقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يتعهد عجزاً كبيرة عمياء في بعض حواشي المدينة من الليل فيسقي لها، ويقوم بأمرها، فكان إذا جاءها وجد غيره قد سبقه إليها فأصلح ما أرادت، فجاءها غير مرة كي لا يسبق إليها ولكنه في كل مرة يجد أن هناك من قام على شأنها، فرصده عمر رضي الله عنه فإذا هو بأبي بكر رضي الله عنه هو الذي يأتيها، وهو يومئذ خليفة، فقال عمر: أنت هو لعمرى^(٥).

(١) ابن سعد: الطبقات، ٣/ ١٧٢. البلاذري: الشيخان، ٣٠.

(٢) أبو داود: السنن، ك. الزكاة، باب الرجل يخرج من ماله ح (١٦٧٨) الترمذي: السنن، ك. المناقب، باب في مناقب أبي بكر (٣٧٧٥)

(٣) عمر الشيباني: كتاب الزهد، ١/ ١١٠.

(٤) تاريخ الخلفاء: ١/ ٧٤.

(٥) تاريخ الخلفاء: ١/ ٧٤. ابن عساكر: تاريخ دمشق ٣٠/ ٣٢٢.

وعن سبقه بالكرم والإنفاق في سبيل الله فقد أسلم يوم أسلم رضي الله عنه وله أربعون ألف درهم. فكان يعتق منها ويقوي المسلمين حتى قدم المدينة بخمسة آلاف درهم ثم كان يفعل فيها ما كان يفعل بمكة. وكان عمار يقول: رأيت رسول الله ﷺ وما معه إلا خمسة أعبد وامرأتان وأبو بكر^(١). فيظهر في هذا النص شهادة عمار بن ياسر رضي الله عنه أن الصديق رضي الله عنه كان الرجل الحر الوحيد مع الرسول ﷺ الذي أسلم في أول الإسلام، أما علي بن أبي طالب فقد كان غلامًا صغيرًا في ذلك الوقت بحاجة إلى من يرعاه.

٥ - الأواه:

عن إبراهيم النخعي قال: كان أبو بكر رضي الله عنه يسمى الأواه لرأفته ورحمته. وعن أبي سريحة قال: سمعت عليًا رضي الله عنه يقول على المنبر: ألا إن أبا بكر أواه منيب القلب ألا إن عمر ناصح الله فنصحه^(٢). وقال إبراهيم النخعي: كان أبو بكر يسمى الأواه لرأفته^(٣) وعن كثير النواء عن أبي سريحة قال: سمعت عليًا رضي الله عنه يقول على المنبر: ألا إن أبا بكر أواه منيب القلب. وعن الحسن بن عبد الله قال: حدثنا إبراهيم النخعي قال: كان أبو بكر يسمى الأواه لرأفته ورحمته^(٤).

وقال قيس: رأيت أبا بكر آخذًا بطرف لسانه، وهو يقول: هذا أوردني الموارد، وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: يا ليتني كنت شجرة تقطع ثم تؤكل. وقال عمران الجوني: قال أبو بكر رضي الله عنه: لوددت أني شجرة في جنب عبد مؤمن^(٥).

وعن ابن أبي مليكة قال: كان ربما سقط الخطام من يد أبي بكر الصديق رضي الله

(١) البخاري: ك. فضائل الصحابة، باب إسلام أبي بكر رضي الله عنه ح (٣٦٤٤).

(٢) ابن سعد: الطبقات، ٣/ ١٧٠. ابن عساکر: تاريخ دمشق، ٣٠/ ٣٧٩.

(٣) ابن الجوزي: المنتظم، ٤/ ٦٢.

(٤) ابن سعد: الطبقات، ٤/ ٣٧٩.

(٥) الصالحى: سبل الهدى والرشاد، ١١/ ٢٥٨.

عنه قال: فيضرب بذراع ناقته فينيخها فيأخذه، قال: فقالوا له: أفلا أمرتنا نناولكه؟! فقال رضي الله عنه: إن حبيبي رسول الله ﷺ أمرني ألا أسأل الناس شيئاً^(١).

٦ - الثاني:

وهذا اللقب شهد به كتاب الله تعالى كما هو معلوم، فهو الرجل الثاني في أمة الإسلام بعد رسول الله ﷺ، والثاني بعده في الجهاد والكرم وفي العلم والشجاعة والصبر والتحمل والسياسة والغيرة على الدين ومواساة المسلمين والحنو عليهم، وهو الثاني في قيادة الأمة ونشر الإسلام وطمس معالم الجاهلية التي ظهرت علاماتها في حركة الردة العمياء ومحاولات التمرد الشرسة على خلافة رسول الله ﷺ، وهو الثاني في فتح صفحة الفتوح والجرأة على الدول الكبرى المتجبرة في الأرض التي كانت تنشر الفساد والظلم بين الناس، والثاني في توجيه العرب المسلمين إلى الانطلاق الحضاري لقيادة البشرية نحو الأفضل والأعدل والأكرم، وهو الثاني في توجيه جيوش المسلمين الوجهة الربانية الصحيحة التي أثمرت العدل والاستقرار والعزة والألفة والتعاون بين القبائل العربية التي حملت على أكتافها عقيدة الإسلام، وبدماء أكارم أبنائها نشرتها في العالمين. وخليفة رسول الله هو الثاني في كل مكرمة وفي كل طريق سلكه رسول الله ﷺ أو كان ينوي سلوكه والخوض فيه، ويكفي لتأكيد مكانته وخلافته قول النبي: «يأبى الله ورسوله والمؤمنون إلا أبا بكر» وبقي على العهد نفسه والعنفوان واليقين والسداد الذي كان عليه في حياة رسول الله ﷺ مصدقاً قوله عز وجل: ﴿ثَانِيًا أَتَيْنَ﴾.

٧ - صاحب:

وردت إشارات واضحة في كتاب الله تشيد بخصائص خليفة رسول الله ﷺ وتشير إلى دوره المشرف وآثار مكارمه التي لا تمحوها السنون والأيام. وقد شهد القرآن الكريم للصدِّيق

(١) ابن حنبل: المسند: ك. مسند أبي بكر الصديق وبابه، ح ٦٦.

رضي الله عنه أنه كان الصاحب الوحيد والناصر المخلص لرسول الله بعد الله سبحانه وتعالى، عندما أراد الكفار قتله أو حبسه أو طرده ونفيه، ثم إجماعهم على قتله واختيارهم لذلك أخيراً، فأنجاه الله وأخرجه من بين جموعهم آمنًا سالمًا. قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ﴾ (١).

فكان من مكره سبحانه وتعالى بالمشركين أن أخرج النبي ﷺ مهاجرًا من مكة إلى المدينة وهم يحيطون به من كل جانب، ولا ناصر له من الأصحاب والمسلمين إلا رجل واحد فقط لم يتركه في يوم من الأيام، لا في هذا الموقف العصيب ولا في غيره. قال تعالى حاضًا المؤمنين على نصر رسوله ﷺ: ﴿إِلَّا نَنْصُرْهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ (٢) فأثبت الله هنا كرامة الصديق رضي الله عنه وأنه كان الناصر الوحيد والصاحب الأمين لرسول الله ﷺ يوم عزّ الناصر، وقل النصير، وفي هذه الآية رد كاسح ماحق على زنادقة الرفض الذين يهمسون في آذان الغوغاء بكراهية خليفة رسول الله بالإفك والبهتان المناقض لصريح القرآن، في جرأة قبيحة على الله ورسوله ﷺ وكان أبو بكر رضي الله عنه حزينًا في تلك الساعة خوفًا من أن يبصر الكفار موقع رسول الله ﷺ فيضيع الدين، فبشره النبي ﷺ بما أثلج صدره وأزال حزنه وأقر عينه وأخزى أعداء الصحابة إلى يوم الدين. حين قال له بأن الله معهما يراعاهما ويكلؤهما وينصرهما على رغم أنوف أعدائهما من المشركين والمنحرفين ومجوس هذه الأمة. ومعية الله هنا ثابتة للرسول ﷺ وخليفته الصديق. وهي شهادة من رسول الله ﷺ للصديق أقرها الله وأثبتها في كتابه الكريم، لتبقى وسامًا تشرق به وجوه المؤمنين، وتسود به وجوه مبغضي الصديق رضي الله عنه ورافضي خلافته إلى يوم القيامة. ناهيك أن أسرة الصاحب الأمين كلها كانت في ذلك اليوم العصيب مستنفرة ومجندة للقيام بحق الصحبة وخدمة الرسول ﷺ ونصرتة، فأسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما

(١) سورة الأنفال، الآية: ٣٠.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٤٠.

هي التي توصل الطعام لهما في الغار، وعائشة ببراءتها وطفولتها ونقائها وصفائها وطهرها وذكائها ورعاية الله تعالى لها؛ هي التي تعينها في البيت على تهيئة ذلك وإنجازه، وعبد الله ابن الصديق شهيد الطائف هو الذي يتسمع لهما الأخبار وما يتأمر به المشركون، وعامر بن فهيرة مولى الصاحب الأمين هو الذي يغدو بسرحة إليهم ليحلبوا ويستقوا ويُعمِّي بآثار غنمه على آثار عبد الله بن أبي بكر رضي الله عنه عين رسول الله ﷺ وصاحبه الأكبر رضي الله عنه في أيام الغار الخالدة، ومال الصاحب كله مسخر لرعايته، ورحائه هي التي حملت رسول الله ﷺ إلى المدينة، والصاحب هو المؤنس الوحيد بعد الله سبحانه وتعالى، وهذه منقبة ليست بعدها منقبة وكرامة أثبتها الله تعالى في كتابه العزيز وجعلها قرآناً خالداً يتلى إلى آخر الدهر - تؤكد الدور الرائد الذي قام به الصاحب الصديق رضي الله عنه وأسرته الكريمة من نصرة ومؤازرة لرسول الله ﷺ قال تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَخْرُجْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا﴾^(١) وفي هذه الآية من الخصائص والفضائل والمزايا التي اختص بها خليفة رسول الله ﷺ ما لا يحصى . منها:

- تفرد بلقب صاحبه:

في الآية الكريمة يتفرد الصديق رضي الله عنه بلقب الصاحب المضاف إلى أشرف مصحوب، وهو رسول الله ﷺ إذ جاء اللفظ هكذا: «صاحبه» ومعلوم أنه كان لرسول الله ﷺ عشرات الألف من الأصحاب لو أقسم أحدهم على الله تعالى لأبره، فلم يختر الله عز وجل أحداً منهم يشرفه في القرآن كله بإضافته إلى نبيه ﷺ بهذه التسمية غير أبي بكر رضي الله عنه فإيا لها من مزية تفرد بها ومكرمة سما إليها! ويا له من شرف تناهى إليه وما انتهى! إن كل فضيلة تعلق بالصحبة فأبو بكر رضي الله عنه أولى بها وله منها السهم الأوفر؛ لأنه الفائز بلقب الصاحب في القرآن دون بقية الأصحاب الكرام رضي الله عنهم.

قال بعض العلماء: من أنكر أن يكون عمر وعثمان أو أحد من الصحابة الآخرين صاحباً

(١) سورة التوبة، الآية: ٤٠.

لرسول الله ﷺ فهو كذاب مبتدع، ومن أنكر أن يكون أبو بكر صاحب رسول الله ﷺ فهو كافر؛ لأنه أنكر نص القرآن الكريم^(١). ولعل هذا النص القرآني كافٍ لكل من له بصيرة أن يعرف أن كل من يطعن في خليفة رسول الله أي مطعن إنما يطعن في القرآن، ومعلوم أن من يطعن في القرآن فلا حظ له في الإسلام، فلينظر كل مسلم إلى هذه المسألة بكل تفكير وإمعان، وليفقه بعقله وقلبه أن محبة رسول الله هي محبة لخليفته، وبغض رسول الله ﷺ هو بغض لخليفته رضي الله عنه، ومن شك في هذه القاعدة فهو شاك في القرآن والنبوة مهما انتحل من الأعدار والحيل؛ إذ من المستحيل أن يحب رسول الله ﷺ من يبغض خليفته وسمعه وبصره، وقد قال ﷺ: «أبو بكر وعمر بمنزلة السمع والبصر من الرأس»^(٢) وقال في حقه رضي الله عنه: «ما لأحد عندنا يد إلا وقد كافأناه ما خلا أبا بكر، فإن له عندنا يدًا يكافئه الله عز وجل بها يوم القيامة، وما نفعني مال أحد قط ما نفعني مال أبي بكر»^(٣) ومن هنا جاءت أفضلية وتقديم الصديق رضي الله عنه على بقية الصحابة الكرام بما فيهم عمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم، ولأنه هو المختص من بينهم في القرآن بلقب صاحب النبي ﷺ والثاني من بعده، فمن أولى منه بصحبة النبي ﷺ وخلافته وطاعة الأمة له؟! ومن أولى منه بإمامة المسلمين وقيادتهم بعد أن أهلته مكارمه إلى خصوصية الصحبة، وخصوصية الخلافة، ليتفرد بلقب صاحب رسول الله ﷺ وخليفة رسول الله ﷺ ويمتاز بهذه الرتبة الربانية من بين المؤمنين جميعًا، فلا تطلق إلا وأشارت عليه وإليه دون سواه!! واستمر يرفل بهذه المكرمة في حياته وبعد مماته وسيبقى إلى يوم القيامة، لا يجحد ذلك إلا أعداء الصحابة الذين ناصبوا القرآن والسنة وأهلها التشكيك والتهميش والإقصاء من خلال اعتمادهم مرجعيات سياسية باطنية حاقدة تمكر بالمسلمين وتنشر ثقافة الكراهية ضد الصحابة والسنة المطهرة وتحالف مع المعتدين والظالمين من المشركين واليهود والصليبيين.

(١) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٤/٣٥٤.

(٢) الهيثمي: مجمع الزوائد، باب فضائل أبي بكر وعمر، ٥/٥٢. ابن عساکر: تاريخ دمشق، ٢٤/٦٧.

(٣) الترمذي: سنن الترمذي، فضائل أبي بكر رضي الله عنه، ح (٣٦٦١) المحب الطبري: الرياض

النضرة، ١/١١٣.

- صاحبه قبل الإسلام وبعده وفي حياته ومماته ﷺ:

تفرد أبو بكر الصديق رضي الله عنه بصحبة النبي ﷺ قبل الإسلام حتى صارت قريش تطلق عليه وعلى محمد لقب (صاحبك)، فإذا خاطبوا أحدهما وذكروا له الآخر فإنهم لا يسمونه باسمه وإنما يقولون: إن صاحبك قال أو فعل كذا وكذا، ولا ينصرف الذهن إلا إلى الآخر! وجاء القرآن شاهدًا على ذلك ومؤكدًا له، فإذا أطلق لفظ (صاحبه) مضافًا إلى النبي ﷺ دون تصريح باسم الصاحب أو قرينة لفظية تميزه أو تخصصه، فإنما المعروف بذلك هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه فقط، ولم يقل قائل إن هناك من يفهم أو يزعم أن المقصود به أحد غيره! وما ذلك إلا لأن لقب أو لفظ (صاحبه) رتبة ربانية ومكافأة دنيوية خالدة لخليفة رسول الله صارت علمًا عليه وحده تشريفًا وتكريمًا، فلا يحتاج معها إلى اسمه الصريح أو قرينة أخرى تدل عليه فأوضحت هي اسمه ونسبه وقبيلته، وأنعم بذلك النسب وبتلك الرتبة.

ولم تكن صحبة الصديق لرسول الله ﷺ عارضة، وإنما كان أبو بكر رضي الله عنه قبل الإسلام صفيًا لرسول الله ﷺ يصحبه في حله وترحاله لا يفرق بينهما إلا الليل يأوي فيه كل منهما إلى بيته. والمتأمل ماذا قالت قريش لأبي بكر رضي الله عنه يوم صدع النبي ﷺ بدعوتهم إلى الإسلام قالت قريش: لقد جنَّ (صاحبك) وصبيحة الإسراء قالوا له: اسمع إلى ما يقول «صاحبك». ولما عزم على الهجرة قال له النبي ﷺ: «على رسلك يا أبا بكر لعل الله يجعل لك (صاحبًا)». حتى إذا جاءه ليخبره أن الله قد أذن له في الهجرة قال أبو بكر رضي الله عنه: الصحبة يا رسول الله! قال ﷺ: «الصحبة»، وعن الطاهرة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: ما شعرت قبل ذلك أن أحدًا يبكي من الفرح حتى رأيت أبا بكر رضي الله عنه يبكي حين أذن له رسول الله ﷺ في صحبته. ألا ما أعظم منزلة هذه «الصحبة» منزلة تبكي لها الرجال دموعًا وتصبر من أجلها على الأذى والعدوان وتنفق من أجلها الدماء والأموال! إنها شرف لم يؤثر به رسول الله ﷺ أحدًا سوى صاحبه الذي اختار «صحبته»^(١) على

(١) ينظر: الدليمي، المنهج القرآني، ٢٣٢.

ما سواها لأنها صحبة المصير الواحد في أخطر رحلة وأحرج موقف وأعظم يوم يخلده الله تعالى قرآناً يتلى وأنساً ومعية أبدية سرمدية: ﴿إِذْ يَكْفُلُ لِكَنَحِيهِ لَآ تَحْزَنَ إِنْكَ اللَّهُ مَعَنَا﴾^(١) ودامت تلك الصحبة إلى يوم وفاة النبي ﷺ ثم استمرا صاحبين متجاورين بعد وفاة أبي بكر رضي الله عنه وسيقيان كذلك بإذن الله إلى يوم البعث والنشور ووفودهم إلى الرحمن عز وجل!

وهي صحبة لازمة مستمرة لاستنادها إلى سبب دائم لا يزول وهو الاجتباء والاختيار والتعاقد على الإيمان ونصرة الدين كصحبة رسول الله ﷺ لأبي بكر الصديق رضي الله عنه، ولو كانت كصحبة الرجلين في سورة الكهف كما يقول المتهوكون الرافضة ومن يردد أباطيلهم لانقطعت وما دامت إلى الأبد. ونظرًا لهذه الصحبة الدائمة والمعية الأبدية لم يعد لأعداء الصحابة منفذ للنيل من أبي بكر رضي الله عنه إلا إذا كذبوا القرآن واتهموا النبي ﷺ وأسأوا الظن فيه، ولما كان حقدهم على الصحابة بمكان الدين والهدف الأول لهم فإنهم لم يتورعوا عن نبذ الربوبية والقرآن والنبوة حتى قال قائلهم: إن أهل السنة يقولون: إن ربهم هو الذي كان محمد ﷺ نبيه وخليفته أبا بكر ونحن لا نقول بهذا الرب ولا بذلك النبي^(٢). ولعل هذا النص هو خير معبر عن الواقع والوجه الإيماني المزيف الذي يستترون به للوصول إلى أهدافهم المتمثلة في العمل على إطفاء نور الإسلام باغتيال أعلامه وعلمائه وطمس الأعمار التي تضيء دنياه بنور السنة في كل عصر ومصر يتمكنون منهم فيه^(٣).

(١) سورة التوبة، الآية: ٤٠.

(٢) نعمة الجزائري: الأنوار النعمانية، ٢/٢٧٨.

(٣) كما هو حاصل في العراق في هذا اليوم، الخميس ٢٤ محرم ١٤٢٧هـ، ٢٣/٢/٢٠٠٦م حيث تم الإعلان الرسمي عن قتل الرافضة لأكثر من (٢٥) إمام وخطيب مسجد من أهل السنة، وقتل حوالي (٣٠٠) من أعلام الدين والعشائر وإحراق وتدمير واغتصاب أكثر من (١٧٠) مسجدًا جامعًا، كل ذلك خلال يومين فقط، وهذا ما أحصي وتم إعلانه في الفضائيات وأعلنته هيئة علماء المسلمين في قناة الجزيرة وغيرها، وغير ذلك مما يقوم به أراذل الناس إذا سلطوا على أهل الشرف والدين وما خفي أعظم، مما ينبي بوضوح لا يقبل لبسًا أن الأمور مدبرة ومخطط لها وافتعلت بعض =

.....وإلا كيف يساء الظن

= الأحداث كعلامة للبدء بالتنفيذ ومباشرة القتل والحرق والنهب والسلب وقطع الطرق وإرهاب الأمنيين وتهجير أهل السنة من بيوتهم، ولا سيما من منطقة المدائن ومناطق البصرة وجنوب العراق، ومن جوار الصحابة حذيفة بن اليمان وسلمان الفارسي وأنس بن مالك رضي الله عنه الذي نبشوا قبره قاتلهم الله ومن جوار الأسدين الشهيدين طلحة والزبير رضي الله عنهما وإخوانهم رضي الله عنهم وبعض مناطق بغداد وغيرها، وتمزيق المصاحف فيها وإحراقها وتدنيسها بمساندة وتوجيه وحماية ورعاية من الحكومة الرفضية المتحالفة مع الصليبيين، ومباركة من القوى الرفضية المجاورة وسرور من قوات الاحتلال الصليبي. وعامة أهل السنة - للأسف إلا من رحم الله في العراق وفي البلاد المجاورة - في شغل عما يجري للسنة في العالم ويتحدثون عما يجري لهم من قتل وإبادة واغتيالات وانتهاكات لمجرد أنهم يحملون في بطاقتهم اسم صحابي ولا سيما من اسمه عمر أو عثمان، بل أي اسم منبثق معناه من السنة النبوية، وكل ذلك يتناوله أهل السنة في الحديث باستحياء وتمويه ودون أي تشخيص وتسمية لعدوهم المجاور لهم في ديارهم الذي يزرع ثقافة الحقد في صدور أتباعه على أهل السنة على شكل أوراد وعبادات وهبات يتقربون بها إلى آلهتهم وسدنتهم، في ثقافة يومية تغص بمفردات التحريض المباشر والكراهية والاستفزاز وشم الصحابة وأمهات المؤمنين وتزييف ظاهر للأحداث، مما ينبئ عن مستقبل مهين لأهل الإسلام إذا بقي أهل السنة على هذا الفهم القاصر والعاجز والبليد والمجرد من روح الولاء والبراء إلا عند مجاميع محدودة من أبناء الأمة، مما يؤكد على علماء السنة وجوب تكوين ثقافة موحدة وصلبة وواضحة تلتف حول الصحابة ولا سيما الخلفاء الراشدين وتغرس في عقول وقلوب أبنائها محبتهم والغيرة عليهم وعلى ما جاؤوا به، وتطمس كل ما زرعه الرفضية من روايات مكذوبة عليهم تثير في النفوس الأحقاد والضغائن ضد السنة وأهلها، وأنه لا ينال من الصحابة مسلم ولا يطعن فيهم مؤمن وأن كل من يتناول على أي منهم إنما هو عدو للإسلام والمسلمين وزنديق منافق يعمل على تدمير السنة وقتل أهلها.

ودون وجود هذه الثقافة والتمترس حولها فإن الأخطار الداخلية التي استتبت في دمن أعداء الصحابة بين ظهرائي أهل السنة وفي عامة بلدانهم، ستكون شرًا مستطيرًا على القرآن والسنة وأهلها ومستقبلهم وأمنهم ووحدتهم واستغلال بعضهم لضرب البعض الآخر وإشعال فتن يستعر لهيبتها ولا ينطفئ جمرها. وإلى هذا اليوم لا زال الفرق شاسعًا بين ثقافة الرفضية الواضحة في تحديد هدفها المتمثل في إعلان الحرب على أهل السنة بالقتل والسجن والتشريد والتشويه والعدوان =

برسول الله ﷺ! ويطعن بأفعاله وخياراته المعصومة؟ أيتخذ النبي ﷺ له صاحبًا ثم لا يكون هو خير الأصحاب؟! ألا يحسن الاختيار ﷺ؟! وكيف دامت صحبتها طيلة هذه المدة وهو لا ينصحه ولا يرشده؟! أهكذا الظن بصفوة الرسل وخيرة الخلق وهو القائل: «لا تصاحب إلا مؤمنًا ولا يأكل طعامك إلا تقي»^(١)؟ أم المقصود من كل هذا هو الطعن برسول الله ﷺ وليس المقصود بالنهي الصحبة العارضة، ولما كان طعنهم المباشر برسول الله ﷺ يكشف أستارهم طعنوا بخير أصحابه وأقربهم إلى نفسه للوصول إلى الهدف ذاته بطريقة أخرى.

لقد كانت صحبة النبي ﷺ «لصاحبه» وخليفته صحبة الدين والغايات العظيمة السامية، ولذلك قال ﷺ: «لو كنت متخذًا من أهل الأرض خليلًا لاتخذت أبا بكر خليلًا، ولكن صاحبكم خليل الرحمن»^(٢). وكذلك هي صحبة المشابهة والمشاكلية النفسية والأخلاقية والفكرية. قال ﷺ: «الأرواح جنود مجندة، فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف»^(٣) ولذلك اختاره رفيقًا له في الهجرة و«صاحبًا» يؤنس وحدته ويبدد وحشته، ولولا هذه المشابهة والمشاكلية، والراحة والميول النفسية المتبادلة لما اختار صحبته في تلك الرحلة الخطرة الموحشة.

إن المسافر سفرًا عاديًا لا يطيق أن يصحب في سفره القصير هذا إلا من ترتاح إليه نفسه ويطمئن إليه فؤاده، فكيف برحلة شاقة عصبية تحيط بها الأخطار ويحرق بها الموت، منها ثلاثة أيام في غار موحش وجبل منقطع عن العمران! إنها صحبة رجل الملمات والمهمات

= بكل أصنافه، وبين ثقافة أهل السنة المبهمة التي يدعو عامة الناطقين بها إلى التفاهم والاحتواء والتعاون مع من يدين بكراهيتهم وقتلهم واستباحتهم؛ دون استنكار أو تصحيح أو توضيح أو إرشاد، وهذا وربك في القياس عجيب.

(١) ابن حبان: صحيح ابن حبان، باب: المجالسة، الصحبة، (٥٥٤) أبو داود: سنن أبي داود، باب من يؤمر أن يجالس، ح (٣٨٣٢).

(٢) الترمذي، سنن الترمذي، ح (٣٦٦١).

(٣) البخاري: صحيح البخاري، ك. الأنبياء، باب الأرواح جنود مجندة، ح (٣١٥٨).

الصعبة، كما هي الثقة والتفاني والإخلاص المطلق للأهداف النبيلة التي تبني الأمم وتبني
الظلم، إنها الصحبة التي تراح إليها النفس وتتوق إليها أمنة مطمئنة^(١).

ولو لم يكن أبو بكر رضي الله عنه بطبعه وفطرته وسمو معدنه وسماحته وقوة نفسه مؤهلاً
لصحبة النبي ﷺ لما كانت صحبتها صحبة أبدية استفرغت الحياة بأجمعها، ثم اتصلت بعد
الممات وستبقى بعد البعث والنشور وبعد دخولهم جنات عرضها السماوات والأرض!
وبقي من بركات تلك الصحبة أنها لا زالت تشرق شمساً يتكشف على أنوارها مكر أعداء
القرآن والسنة، فكل من ينكر تلك الصحبة إنما ينكر المعلوم من نصوص القرآن، وكل من
يتأفف من تلك الصحبة فإنما يتأفف مما يحبه الله ورسوله والمؤمنون، وكل من يحاول أن
يفرق هذه الصحبة ويرفضها أو يشوهها أو يشكك بها فإنما يكشف عن أوراق النفاق وأقنعة
الزندقة المتسترة تحت ظلال حب آل البيت أو حب زيد أو عمرو من الناس، والسؤال الذي
يطرح نفسه: ما دام مقام خليفة رسول الله ﷺ عند آل بيت النبوة معلوماً ومعروفاً بأسمى
درجات الحب والتقريب والتبجيل، فيا ليت شعري أي بيت هذا الذي يستظل تحت ظلاله
أعداء الصحابة ومبغضو إمام الصحابة وقائد الأمة بعد رسول الله ﷺ؟! ويا ليت أهل السنة
يعلمون!

آثار الصحبة:

للصحبة آثارها في أخلاق الأصحاب وسلوكهم نتيجة لتفاعلات تجاربهم وتمازج
خواطرهم وآمالهم وآلامهم، وهذا ما حصل لخليفة رسول الله وتأثره بأخلاق النبي ﷺ
ومواقفه وأفعاله ووسائل معالجته للأحداث وتبليغ الرسالة ومواجهة المعضلات. وكلما
كانت الصحبة أصدق ومدتها أطول، كانت فرصة التمازج والتعلم أكبر وأكثر، مما يؤدي إلى
رقي النفوس وتفاهمها وتلاقي المشاعر وتمازجها وتهيئ المجال للصفاء والارتقاء وتخلق
الصاحب بأخلاق صاحبه أكثر وأكثر، حتى يمكن أن يكون صورة أخرى له تعكس ما في

(١) ينظر: الدليمي، المنهج القرآني الفاصل، ٢٣٤.

صورة الأصل من قيم ومواقف وقسمات وملامح؛ لأن الأثر يعتمد على قوة المؤثر وعلى مدى صلاحية المحل للتأثر. قال النبي ﷺ: «المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل»^(١). وقد يما قال القائل: قل لي من تصاحب أقل لك من أنت؟ وقال الشاعر:

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدي

وأثار صحبة الصديق رضي الله عنه لرسول الله ﷺ ووضحة المعالم في أخلاقه وعلمه وكرمه وبقينه وجهاده وشجاعته وفي سلوكه وأخلاقه وتواضعه وحبه وبغضه وولائه وبرائه، وورعه وزهده وسياسته ومكانته، وكانت معالم هذه الآثار من الظهور والبروز والوضوح ما يشكل دليلاً قاطعاً على صدق هذه الصحبة وقوة عراها وسمو مقاصدها وعلو منزلتها وعميق آثارها.

٨- الأتقى:

وأما الوسام الذي يزين سيرة خليفة رسول الله ويعد من أعظم خصائصه التي حصدها بمشابرته وصبره وإخلاصه فهو الشهادة الثابتة في قوله تعالى: ﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتَقَى ﴾^(١٧) الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى^(١٨) وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى^(١٩) إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى^(٢٠) وَلَسَوْفَ يَرْضَى^(٢١) تلك القيم الخالدة والطباع السامية والسجايا النبيلة التي تشرف بها خليفة رسول الله دون منازع وبكل جدارة لتكون له ولآله ولمحببيه شرفاً وفخاراً ومكرمة من الله تعالى اختصهم بها من دون العالمين، ولتكون شاهداً على فجور مبغضي خليفة رسول الله أعداء الصحابة ورافضي السنة المطهرة ومعاندتهم للحق وبعدهم عن الصواب وتمكن الأحقاد في قلوبهم عندما ينساقون وراء أوهامهم وأحقادهم فيكذبون القرآن والسنة الصحيحة، كل ذلك حسداً لما شرف الله تعالى به خليفة نبيه من الاختصاص والاجتباء، وأن يكون هو وحده المتقى

(١) الحاكم: المستدرک علی الصحیحین، ك. البر والصلوة، ح (٧٣١٩)، ابن حنبل: المسند، مسند

أبي هريرة، ح (٨٠١٥).

(٢) سورة الليل، الآيات: ١٧-٢١.

المؤمن والمؤهل من بين جموع المؤمنين لشرف الانفراد في الصحبة والقيام بحقوقها في أخرج أيام النبوة وأخطرها.

قال ابن كثير: وقوله تعالى: ﴿ وَسَيَجْزِيهَا الْآتِقَى ﴾^(١) أي سيزحزح عن النار التقي النقي الأتقى ثم فسره بقوله: ﴿ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ، يَتَزَكَّى ﴾^(٢) أي ينفق ماله في طاعة ربه ليزكي نفسه وماله وما وهبه الله من دين ودنيا ﴿ وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ، مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى ﴾^(٣) أي ليس بذله ماله في مكافأة من أسدى إليه معروفًا، فهو يعطي في مقابلة ذلك ولكن ما دفعه إلى ذلك ﴿ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى ﴾ أي طمعًا في أن يحصل له رؤيته في الدار الآخرة في روضات الجنات قال الله تعالى: ﴿ وَسَوْفَ يُرْضَى ﴾^(٤) أي ولسوف يرضى من اتصف بهذه الصفات، وهذه الآيات نزلت في خليفة رسول الله أبي بكر رضي الله عنه وذلك الوعد الحق الذي ادخره الحق عز وجل لصاحب نبيه هو الوعد بالمكافأة الكبرى والجائزة العظمى، وكأن الله تعالى لم يرض له الدنيا وزينتها بكل ما فيها ليكافئ بها عبده الأتقى فادخر له كل ذلك تكرمه وتشريفًا فبقي في الدنيا على حاله من التقشف والزهد حتى رحل إلى مولاه دون أن يأخذ مكافأة على ما قدم وأعطى في سبيل الله تعالى. ﴿ وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ، مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى ﴾^(٥) فكم من أموال بذلها بنفس راضية ابتغاء وجه ربه الكريم ولم يكن لأحد من الناس عنده منة يحتاج إلى أن يكافئه بها، ولكن كان فضله وإحسانه حتى على السادات والرؤساء من القبائل؛ ولهذا قال له عروة بن مسعود الثقفي وهو سيد ثقيف يوم صلح الحديبية: أما والله لولا يد لك عندي لم أجرك بها لأجبتك. وكان الصدّيق الأتقى قد أغلظ له في المقال لما تلفظ به من كلام ينال من المسلمين بين يدي رسول الله ﷺ^(٦) فإذا كان هذا حاله مع سادات العرب ورؤساء الناس

(١) سورة الليل، الآية: ١٧. (٢) سورة الليل، الآية: ١٨.

(٣) سورة الليل، الآية: ١٩.

(٤) سورة الليل، الآيتان: ٢٠، ٢١.

(٥) سورة الليل، الآية: ١٩.

(٦) ينظر: ابن القيم: زاد المعاد، ٣/ ٢٩٤. الغزالي: فقه السيرة، ٣٢٦.

وزعماء القبائل، فكيف بمن عداهم؟ لا شك أنه سيكون أكثر إحاطة ورعاية كما اتضح ذلك مع من أعتقهم من خالص ماله ابتغاء لمرضاة ربه عز وجل، ليتأكد أنه كان يقوم بكل ذلك سجية وعلى الفطرة التي فطره الله عليها، وهي فطرة التقوى وعمل المعروف وحب الخير للناس أجمعين، قال تعالى: ﴿إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى﴾ (٢٠) ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾ (٢١)

وإن من المكافأة التي ادخرها الله تعالى لعبده الأتقى رضي الله عنه أن تتنافس عليه يوم القيامة كل أبواب الجنة أن هلم أيها الصديق، ادخل الجنة ليتشرف الباب الذي تدخل منه بذلك الدخول، وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «من أنفق زوجين في سبيل الله دعت خزنة الجنة يا عبد الله هذا خير». فقال أبو بكر رضي الله عنه: يا رسول الله، ما على من يدعى منها ضرورة، فهل يدعى منها كلها أحد؟ قال: «نعم، وأرجو أن تكون منهم» (٢٢). وذلك أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه أعتق سبعة كلهم يعذب في الله: بلال وعامر بن فهيرة، والنهدية وابتتها، وزنيرة، وأم عبيس، وأمة بني المؤمل، وفيه نزلت الآية من قوله تعالى: ﴿وَسَيَجَنَّبُهَا الْأَتَقَى﴾ (٢٣) إلى آخر السورة.

وعن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَسَيَجَنَّبُهَا الْأَتَقَى﴾. قال: هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه (٢٤) وحسبك بهذه شهادة من العلي الأعلى سبحانه وتعالى لخليفة رسول الله ﷺ الذي بذل ماله كله في سبيل نصرته الإسلام والمسلمين لا يبتغي بذلك إلا وجه الله سبحانه وتعالى. والمتتبع لمواقف خليفة رسول الله يجد عقب عبيرها قد عمّ كل نواحي الحياة فلا يوجد باب خير إلا وله فيه مكرمة سبق فيها الآخرين. ولعله من أعظم الخصائص والمناقب أن يصف الله تعالى عبداً من عباده بـ (الأتقى)، فالأتقى هو الأفضل والأكرم. قال تعالى: ﴿إِنَّ

(١) سورة الليل، الآيتان: ٢٠، ٢١.

(٢) البخاري: صحيح البخاري، ك. الصلاة، باب الريان للصائمين، ح (١٧٩٨). ابن كثير: البداية والنهاية، ٤/٥٢١.

(٣) سورة الليل، الآية: ١٧.

(٤) ينظر: فتح القدير: ٥/٤٥٥. ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، تفسير سورة الليل.

أَكْرَمَكَ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفَعَكُمْ ﴿١﴾ فهو أفضل الأمة بعد النبي ﷺ وأكرمها عند الله. وسورة الليل مكية ومن أول ما نزل من القرآن يأتي ترتيبها في المصحف قبل سورة الضحى وجميع ما فيها من فضائل نزلت بحق خليفة رسول الله. قال أبو قحافة لأبي بكر رضي الله عنه: أراك تعتق رقاباً ضعافاً، فلو أنك أعتقت رجالاً جلدًا يمنعونك ويقومون دونك يا بني. فقال: يا أبت إنما أريد ما عند الله. فنزلت هذه الآيات فيه: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَانْفَكَّ﴾ (٢).

والأحداث جميعها تؤكد أن المعني في هذه السورة هو خليفة رسول الله وأن فضائلها لا تنطبق تمام الانطباق إلا على خليفة رسول الله رضي الله عنه! فلو قارنا مقاصد هذه السورة بحال أعظم الصحابة مكانة وهم الخلفاء الثلاثة رضي الله عنهم لتبين أن عمر رضي الله عنه تأخر إسلامه قليلاً، وهذه السورة من أوائل ما أنزل من القرآن الكريم، وعمر رضي الله عنه هو القائل: ما سابت أبا بكر إلى خير إلا سبقني (٣). أي أن هذه الفضيلة انفرد بها الصديق وأصبحت إحدى خصائصه لا يشركه حتى عمر رضي الله عنه الذي هو مظنة سبق مع الصديق رضي الله عنه في مواطن الكرم والتضحية والنصرة، وعثمان الكريم السخي رضي الله عنه كافأه رسول الله ﷺ إذ زوجه بابنته رقية ثم أم كلثوم رضي الله عنهما، وهذا من أعظم النعم الدنيوية والأخروية. فضلاً عن أن إنفاقه رضي الله عنه لم يشتهر إلا في المدينة ولم يذكر أيام نزول هذه السورة كشرائه بئر رومة وتجهيزه جيش العسرة، وغير ذلك من مكارم جسيمة عظيمة أثرت عنه. والسورة توضح أن من صفات المعني فيها أنه: ﴿يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى﴾ (١٨) وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى ﴿١٩﴾ أي ليس لأحد عليه سابق نعمة يردها بهذا الإنفاق ردًا للجميل. ورسول الله ﷺ قال: «ما نفعني مال كما نفعني مال أبي بكر».

أما علي رضي الله عنه فكان حين نزول هذه السورة صبيًا في كفالة النبي ﷺ لا يملك مالا ينفقه على نفسه ولا على غيره، بل كان النبي ﷺ هو الذي ينفق عليه ويكفله ويحوطه

(١) سورة الحجرات، الآية: ١٣.

(٢) الحاكم: المستدرک، تفسير سورة الليل، ح (٣٤٩٢) ابن عساکر: تاریخ دمشق، ٦٩/٣٠.

(٣) الطبراني: المعجم الكبير، ك: من مناقب ابن مسعود، ح (٨٤٢٢).

ويؤويه، ثم زوجه ابنته السيدة فاطمة رضي الله عنها خيرة نساء العالمين ليطوفه بهذه النعمة ويجزيه بها بخير ما يجزي الأخيار الأخيار، فضلاً عما كان يقوم به ﷺ من رعاية له في مراحل طفولته. والآيات تصف المذكور بأنه ﴿يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى﴾ ولم يكن عند علي رضي الله عنه من مال عند نزلها. و﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى﴾ وكانت نعم رسول الله ﷺ المذكورة آنفاً تطوق علياً رضي الله عنه في كل جوانب الحياة؛ فليس هو المقصود قطعاً في هذه الآية؛ وبالتالي فإن كل ما يردده أعداء الصحابة في هذا الموضع للتشويش على مكارم الصديق رضي الله عنه وخصائصه ما هو إلا محض هراء وهذيان لا قيمة له.

أما أبو بكر رضي الله عنه فلم يكن لرسول الله ﷺ ولا لغيره عنده من سابق نعمة لكي يرد جميلها بإنفاقه على الدعوة أو العتق أو في حوائج رسول الله ﷺ، وقد زوج أبو بكر رضي الله عنه رسول الله ﷺ ابنته عائشة رضي الله عنها أحب الناس إليه. لذلك نوه النبي ﷺ بهذه الفضيلة التي تفرد بها خليفته رضي الله عنه فقال ﷺ: «ما لأحد عندنا يد إلا وقد كافيناه بها ما خلا أبا بكر؛ فإن له يداً يكافئه الله بها يوم القيامة؛ واساني بنفسه وماله وأنكحني ابنته»^(١). إلا نعمة النبوة والهداية إلى الحق وهي غير مقصودة في هذه السورة؛ لأنها لا تجزى، والآية في ذكر النعم التي تجزى، وهي عامة في أعناق الجميع وليست خاصة بأبي بكر وحده.

وفي السورة وعد لأبي بكر رضي الله عنه بقوله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾ وهو شبه الوعد الذي وعد الله به نبيه ﷺ في سورة الضحى بقوله: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾^(٢).

وهذه خصيصة أخرى خصص الله تعالى بها أبا بكر رضي الله عنه كذلك، وفيها قوله تعالى: ﴿فَسَنِّيئِرُهُ لِلْيُسْرَى﴾^(٣) وهو ما قاله الله تعالى عن رسول الله ﷺ في سورة الأعلى: ﴿وَنَسِئْرِكَ لِلْيُسْرَى﴾^(٤) وذلك خاص بأبي بكر أيضاً.

(١) الطبراني: المعجم الكبير، فضائل أبي بكر رضي الله عنه، ح (١١٤٦١).

(٢) سورة الضحى، الآية: ٥.

(٣) سورة الليل، الآية: ٧.

(٤) سورة الليل، الآية: ٨.

فأبو بكر رضي الله عنه هو الأتقى، والأتقى هو الأكرم، وأعداء الصحابة مبغضو رسول الله ﷺ الذين يجاهرون بشتم وانتقاص أحبِّ النَّاسِ إليه الطاهرة عائشة رضي الله عنها، ولعن أصحابه والنيل من سنته وأهلها هم الأشقى والأذل والأخزى، وإن استمسكوا بحبل من الناس بخياناتهم وغدرهم فإن حبل الناس مقطوع وحبل الله باق، والفرق بين المنزلتين واضح جلي كما بين دور رسول الله ﷺ وأثره بين الصحابة وأهل سنته؛ وبين دور ابن سبأ وأهل شيعته أعداء الصحابة؛ ذلك الزنديق الذي أسس حركات رفض الإسلام وتكفير الصحابة، وشرع اغتيال علماء السنّة وقادتها، وتشويه سيرهم بالإفك والبهتان. ولو كان هذا الرافضي في زمن قائد الأمة وإمامها رضي الله عنه لما أفلت من قبضته لما أعطاه الله تعالى من الحزم الذي سحق فيه حركة الردة الرافضية التي قادها مسيلمة الكذاب وإخوانه المتنّبشون ضد خلافة النبوة، ففضل أبي بكر رضي الله عنه يأتي من هذه الروح المستشرفة لمستقبل الإسلام والممهدة لكل طرق تمدده وانسياحه في الأرض، ومن هذه الزاوية دان أعداء الصحابة ببغضه وكرهيته، ودان أهل التوحيد والسنة بحبه ومتابعته، فتميزه كتميز النهار عن الليل. قال تعالى: ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ۖ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۖ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ۚ ﴾ (٣) إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴿٤﴾ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنِيَرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾.

وما كان يقدمه أبو بكر رضي الله عنه لنصرة رسول الله ﷺ نوهت به الآية الكريمة من قوله تعالى في سورة الضحى: ﴿ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿١﴾ وَمَنْ مَعَانِيَ ذَلِكَ وَمَقاصده قوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿٢﴾ فيتضح من ذلك أن لخليفة رسول الله أيادي بيضاء قدمها لنصرة الإسلام كانت محل قبول ورضا من الله تعالى ورسوله ﷺ ومحل شكر وتقدير واعتراف بالفضل عند جميع المؤمنين يندرج ذلك في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَسْأُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ﴾ (٣) وأبو بكر رضي الله عنه له النصيب الأكبر في الفضل الذي أشارت إليه الآية الكريمة بقوله تعالى: ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي

(١) سورة الليل، الآيات: ١-٧.

(٢) سورة الضحى، الآية: ٨.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٣٧.

سَبِيلِ اللَّهِ ﴿١﴾. وهو ما نوه به النبي ﷺ وحدث عنه كما أمره الله تعالى فقال كما سبق في أبي بكر رضي الله عنه: «فإن له يداً يكافئهما الله بها يوم القيامة، واساني بنفسه وماله وأنكحني ابنته» ﴿٢﴾. إن إنفاق المال في سبيل الله هو الفارق بين المؤمنين والمنافقين. قال تعالى: ﴿الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِّنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنْفِقِينَ هُمُ الْفٰسِقُونَ﴾ ﴿٣﴾. وقال تعالى في المنافقين أيضاً: ﴿وَلَا يَأْتُونَ الصَّلٰوةَ إِلَّا وَهُمْ كُسٰلَىٰ وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كٰرِهُونَ﴾ ﴿٤﴾ وأبو بكر رضي الله عنه بلغ قمة السخاء في الإنفاق في سبيل الله حتى صار ذلك علامة عليه مثبتة في القرآن كالنقطة الدالة ترشد إليه فهو: ﴿مَنْ أَعْطَىٰ وَالْفَقْرَ ۖ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ﴾ وهو ﴿الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ﴾ وهو الإمام والخليفة بعد رسول الله ﷺ في كل فضيلة، فمن والاه فقد والى الله ورسوله ﷺ ومن أبغضه فقد أبغضهما.

٩- الأشجع:

إن كل ما في خليفة رسول الله يدل على أن قلبه ودمه أُشرب حباً لدينه ونيبه ﷺ حتى إنه لم يعد يرى ولا يسمع إلا من خلال أبواب العقيدة ونوافذها، فهو على استعداد دائم للفداء والتضحية؛ لا يمنعه من ذلك قوة سلطان أو قهر جبار أو تجمع أحزاب أو دول كبرى أو صغرى، شعاره دائماً روعي ومالي وما أملك فداء للإسلام أينقص الدين وأنا حي؟ ﴿٥﴾ لهذا تصدى لجبروت قريش حمايةً لرسول الله ﷺ وتصدى لرؤساء القبائل عندما كان رسول الله ﷺ يعرض نفسه على الناس ليلبغ رسالة ربه، وتصدى لمن تطاول ببعض

(١) سورة النور، الآية: ٢٢.

(٢) مشكاة المصابيح، ٣/ ١٧٠٠.

(٣) سورة التوبة، الآية: ٦٧.

(٤) سورة التوبة، الآية: ٥٤.

(٥) ينظر: سمط النجوم العوالي: الأحاديث في شأن أبي بكر الصديق رضي الله عنه ٢/ ٤٥٨. مشكاة

المصابيح، ٣/ ١٧٠٠.

الألفاظ النابية من المفاوضين السياسيين بين يدي رسول الله ﷺ كما فعل مع عروة بن مسعود الثقفي مبعوث قريش يوم الحديبية، وكان أشبه بظل رسول الله ﷺ في كل مشاهدته وكان معه في العريش يوم بدر في أول وأعظم مشهد جهادي يسطره المهاجرون والأنصار، وكانت راية رسول الله ﷺ معه يوم تبوك، راية أكبر جيش يجيشه ويقوده رسول الله ﷺ بنفسه الشريفة المباركة ليواجه أكبر دولة على وجه الأرض دولة الروم بعملائها وأذئابها، ويوم وفاته ﷺ كان خليفة رسول الله ﷺ وحيداً يدفع الخور والحزن والأسى والاضطراب عن النفوس التي اعتادت على العمل بين يدي رسول الله ﷺ ولم تعهد عملاً لخدمة وحماية الدين ونصرته بعد وفاته ﷺ فهي في حيرة ووجل وذ هول وألم أمام ذلك المصاب الجلل.

وكان وحيداً في صف وبقية الصحابة في صف آخر في إعلان الحرب على من يريد أن يرفض ركن الزكاة أو يخرم الطاعة الكاملة لخلافة النبوة ويتمرد على عاصمة رسول رب العالمين ﷺ من المرتدين والمنافقين، ومن يتعاون معهم من أعداء الدين المتربصين بالصحابة الأكرمين، ولم يهن ولم يضعف في كل ذلك.

وكذلك كان جيشاً وحده في مواجهة المترددين من الصحابة رضي الله عنهم في إرسال جيش أسامة، كما أمر بذلك رسول الله ﷺ قبيل وفاته. وكان خليفة رسول الله ﷺ وحده في إعلان الحرب الشاملة على القوى الكبرى التي كانت تنشر الكفر والجاهلية والظلم والفساد في الأرض متترسة وراء ما تملكه من القوى المادية والعسكرية وما يمد بها الجواسيس والمنافقون الرافضون لخلافة النبوة من معلومات عن تحركات المسلمين لتحقيق مآربها ونشر أباطيلها في العالمين، وفي مقدمة تلك الدول دولتا فارس المجوسية والروم الصليبية ومن يدور في فلكهما من الأتباع بائعي الأمة وفاقدي الهوية.

وفي كل ذلك كان خليفة رسول الله ﷺ يقف طويلاً شامخاً أمام كل الأعذار التي سمعها والحجج التي واجهها؛ حتى انقاد له الصحابة الأكرمون سامعين مطيعين مقرين بفضلته وصدقه وسداده وشجاعته وعظيم جرأته، فشهد له الجميع بالفضل وعميق الفقه والفهم وبالرؤية النقية الصافية التي ترى الأحداث وكل ما يدور حول جماعة المسلمين بعيني

رسول الله ﷺ ومنهجه وتدييره ورعايته وحزمه، وأنه بحق هو ثاني اثنين في الأمة كما وصفه ربه جلّ في علاه؛ فمن يملك ما يمتلكه خليفة رسول الله من الشجاعة والعلم والفقہ ورباطة الجأش؟ ومن مثله في الثبات والفهم وقوة الحجّة والتمسك بالسنة والسير على هدي النبي ﷺ دون أيّ تبديل أو تغيير حتى وصل بالأمة إلى شاطئ الأمان وبر اليقين والإيمان؟

فأنلج صدور المؤمنين بثباته وشجاعته وأقر عيون الصالحين، وأشعل حقد الرافضة المفترين وحسدهم له فملئوا كتب التاريخ والأدب بالباطل والأكاذيب والبهتان والزيف، لتشويه إنجازاته وطمس أنوار حسناته؛ بشموسها التي لا تنطفئ أنوارها؛ وربيعها الذي لا تذبل أزهاره، وعبيرها الذي لا يُحجب أريجها مع نتن وكيد مبغضيه ومكرهم وتآمرهم على السنة التي سار عليها طوال حياته رضي الله عنه دون تبديل أو تغيير أو محاباة لأحد من الناس.

وهذه أفعاله ومواقفه تتحدث عنه وعن عظمتها المتمركزة في تواضعه بلسان النتائج والانتصارات وتفتيت المعضلات التي تزول من هولها الجبال الراسيات، فتجاوزها خليفة رسول الله بمهارة وجدارة لا تتوافران عند غيره رضي الله عنه؛ فقد تجاوز بالأمة الفتنة الكبرى التي امتحن به إيمانها ووحدتها ونظامها يوم وفاة رسول الله ﷺ، تلك المحنة الرهيبة التي حذر منها عليه الصلاة والسلام بقوله: «من نجا من ثلاث فقد نجا»، قالوا: ماذا يا رسول الله؟ قال: «موتي، وقتل خليفة مصطبر على الحق يعطيه، والدجال»^(١). لكنّ أبا بكر رضي الله عنه حسم الأمر يوم وفاة رسول الله ﷺ على أتم وجه وأكمله وبشجاعة وإقدام وفقه وعلم لم يدع قولاً لقائل ولم يملك الجميع إلاّ الانقياد التام لحججه وبيناته التي لا تقبل التأويل، وذلك ما اتضح لأمة الصحابة يوم السقيفة ويوم ردة الرافضة ولولا فقه الصديق وسابقته ومكانته وهيبته وحكمته لما استقر حال الأمة، ولكنه العلم والتوفيق وبركات الاتباع والاقْتداء والتمسك بالسنة، قال للأَنْصار يوم السقيفة: لقد سماكم الله في

(١) الحاكم: المستدرک، ٣/١٠١. ابن حنبل: المسند، (٢١٩٨٢). الخليفة: الإنصاف فيما وقع في العصر الراشدي من الخلاف، ٩٠.

كتابه بالمفلحين. قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَحْحَ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾^(١)

وسمانا بالصادقين والله يقول: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾^(٢) فانقاد الجميع لما يقرره وعادات الأمور إلى نصابها، وأقرت الخلافة في المهاجرين. ولولا ذلك لما وصلت الخلافة إلى عمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم، ولما كان علي رضي الله عنه في يوم من الأيام خليفة على المسلمين! ولكنها نتائج جهاد الصديق وجهوده التي أثمرت كل هذه الثمار الياقة، فلا نامت أعين الأفاكين أعداء سنة رسول الله ﷺ وأصحابه الأكرمين.

فاتضح أن الرجال بالفعال والمواقف لا بالزعم والعواطف، ولولا موقف أبي بكر وشجاعته عند وفاة النبي ﷺ لما أثمر حزن الأمة على رسول الله ﷺ خلافة ولا وحدة ولا نصرًا على المرتدين، وإقامة الشرع كاملاً كما كان على عهد رسول الله ﷺ ولا اضطربت الأمور واختلف الناس! ولا سيما أن أكثر القبائل أعلنت التمرد على السنة النبوية، ووقع عامتها في آثام الردة وتبعاتها المخزية، وتململ الروم واستغل الفرس الفرصة فعبروا الخليج ودخلت جيوشهم البحرين وانضمت إلى حشود الرافضة المرتدين هناك، ولعل في هذا إشارة إلى توجهات ورثتهم في هذا العصر، وكيف يحالفون أعداء الأمة والعقيدة مقابل بعض المنافع الزائلة وتنفيس الأحقاد على سنة النبي ﷺ، ولهذا كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه كلما تذكر ذلك يقول: لولا أبو بكر لهلكنا. أي لولا موقفه الحاسم والواضح ضد الرافضة المرتدين ورأسهم مسيلمة الكذاب ومن والاهم من المنافقين لاستبيحت مدينة الرسول ﷺ وطمس نور الإسلام.

(١) سورة الحشر، الآية: ٩.

(٢) سورة التوبة، الآية: ١١٩.

ولعل في هذه الشجاعة الباهرة مصداقاً لقول رسول الله ﷺ في خليفته: «لو وضع إيمان أبي بكر على إيمان هذه الأمة لرجح بها»^(١). نعم! لقد كانت الأمة يومها أبا بكر رضي الله عنه وكان أبو بكر هو الأمة، فلو ضعف أو تردد أو التبست عليه الأمور لانهارت دولة الرسول ﷺ وتفتت وضاع جهد رسول الله ﷺ، ولكن الله تعالى أبى أن ينقص الدين وفي الأمة خليفة رسول الله ومن يسير على منهجه في كل عصر وحين.

والموقف المشكل فقهياً والعصيب عملياً وعسكرياً، الذي تجلى فيه علم أبي بكر رضي الله عنه وقيادته وإيمانه الراسخ الذي لا تهزه الأعاصير هو يوم أن عارضه الصحابة في قتال مانعي الزكاة! ممن لا يعترض سوى على الزكاة، وأخذ يسميها الإتاوة أو الضريبة، فكان لتمويههم بلا إله إلا الله رهبة في صدور الصحابة بما فيهم الشجاع الأغر عمر الفاروق رضي الله عنه الذي أفسح عن ذلك متسائلاً بقوله: كيف تقاتل قومًا يقولون لا إله إلا الله؟ وقد قال رسول الله ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فمن قالها فقد عصم دمه وماله إلا بحقه»^(٢) فقال أبو بكر: الزكاة حق المال. والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة حتى لو منعوني عقلاً كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم عليه حتى يؤدوه، ثم تلا قوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾^(٣). لقد استند أبو بكر الصديق إلى النصوص القرآنية، وفهم من الحديث النبوي ما لم يفهمه من وقف عند ظاهره، فغاص فيه واستخرج من جواهره ما رصع به تاج الانتصارات العلمية والعسكرية التي سحقت ردة رافضية عاتية قادها المنتبئون والكذابون والمتفعون والجواسيس ومحبو الهيمنة والظهور، فمد من على ظهورهم المثقلة بأوزار الزيف والفتن جسوراً زحف من فوقها المؤمنون ليزهقوا

(١) الزمخشري: تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف، سورة آل عمران، ١ / ٢٤٩.

ح(٢٦٢). الخطيب البغدادي: موضح أوهام الجمع والتفريق، ٢ / ٩٠.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٥. قال تعالى: ﴿فَإِذَا أَنْزَلْنَا الْحُرْمَ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَحْضُرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ إِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ٥]. وينظر الدليمي: المنهج القرآني الفاصل، ٢٤٠.

بأنوار عقيدتهم ظلم وظلام الفرس المعجوس والروم الصليبيين، ولتبقى انتصاراتهم شواهد شامخة على عطاء أصحاب وجند محمد ﷺ للبشرية وللحضارة الإنسانية.

إن الشجاعة المطلقة التي تمتع بها خليفة رسول الله كانت فوق الطاقة والتدبير، لذلك طالما أثارت التساؤلات عن مصادرها تلك التي هزمت كل خور وتردد ووجل وخوف تعرض له الناس بعد فقدهم لرسول الله ﷺ فاهتزت لها عروش الأكاسرة والقيصرة الذين كانت تدين لهم الدنيا، ولكن الغرابة سرعان ما تزول إذا تدبر المتابع لسيرة خليفة رسول الله وطريقة تفكيره ومعالجته للأحداث واستمداده الأدلة من الكتاب والسنة ومن عميق فهمه الذي غذاه به رسول الله ﷺ فيما أعطاه من خصوصيات الصحبة وأسرارها وتجاربها، ويبدو أن شجاعة خليفة رسول الله ﷺ الخارقة قد أثارت معاصريه حتى قال له قائل: ما أراك تخشى لما قد بلغ من الناس من إغارة العدو؟ فقال: ما دخلني إشفاق من شيء ولا دخلني في الدين وحشة إلى أحد بعد ليلة الغار، فإن رسول الله ﷺ حين رأى إشفاقي عليه وعلى الدين. قال لي: «هون عليك، فإن الله قد قضى لهذا الأمر بالنصر والتمام»^(١). ومنذ تلك الساعة التي بدأت مع أول خطوات الهجرة نحو المدينة لإنشاء دولة الإسلام التي وضع أسسها رسول الله ﷺ لم يعد في قواميس خليفة رسول الله سوى الانطلاق إلى الأمام؛ فلم تعد قوة على وجه الأرض بإمكانها أن تعيق مسيرته إلى أعلى آفاق الإيمان واليقين، وهو في كل ذلك راضٍ بكل ما يصيبه من أجل عقيدته شاكر لله تعالى حتى سمي إمام الشاكرين كما سماه بذلك زيد بن علي حين قال: أبو بكر الصديق رضي الله عنه إمام الشاكرين^(٢). والله تعالى قال: ﴿وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾^(٣) فكان تمسكه بسنة رسول الله ﷺ وشكره لله تعالى على نعمة الإيمان قد صنعت في حناياه تلك القوة التي لا تقهر. قال القرطبي: أدل دليل على شجاعته وجرأته ثباته يوم وفاة رسول الله ﷺ وقال: فإن الشجاعة والجرأة حدهما

(١) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٣٠/٣١٧.

(٢) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٣٠/٣١٨.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٤٤.

ثبوت القلب عند حلول المصائب، ولا مصيبة أعظم من موت النبي ﷺ، فظهرت عنده شجاعته وعلمه رضي الله عنه. وقد قال ﷺ: «إذا أصاب أحدكم مصيبة فليذكر مصابه بي؛ فإنها من أعظم المصائب»^(١).

وقد ظهرت شجاعته كما بانته كفاءته وصدقه ووفائه بوعده منذ اليوم الأول الذي نطق فيه بشهادة الحق فضلاً عما كان يتمتع به من شجاعة فطرية جبل عليها رضي الله عنه سواء، منها شجاعة الرأي أو شجاعة القتال، فلما أسلم لم يبال أن يعلن إسلامه وأن يجهر بصلاته ودعائه، يصيبه في ذلك ما يصيبه، ولما وجب القتال على المسلمين كان هو الأقرب من مآزق الجلاد، وانهزم كثير من الشجعان في بعض الملاحم الحازبة، ولم تذكر له قط كبوة في ساعة من ساعات الشدة التي عاشها في مسيرة حياته. ولم تكن وقعة عسكرية أشد على المسلمين من وقعتي أحد وحنين وما حصل فيهما من مفاجآت، أرتج فيها من أرتج واستشهد من استشهد، وفي أحد أشيع مقتل رسول الله ﷺ وتردد ذلك في صفوف العسكرين. فذهل من ذهل وثبت من ثبت من الذين كان الصديق رضي الله عنه في مقدمتهم حتى قال قائلهم: ما تصنعون بالحياة بعده؟ فموتوا على ما مات عليه رسول الله ﷺ^(٢). ذلك هو الشجاع الذي يقول عنه علي رضي الله عنه: خليفة رسول الله أبو بكر رضي الله عنه هو السباق، والذي نفسي بيده ما استبقنا إلى خير قط إلا سبقنا إليه أبو بكر رضي الله عنه^(٣). وزاد من مكانته رضي الله عنه بين المسلمين موقفه من بعث جيش أسامة رضي الله عنه وموقفه من حروب الرافضة المرتدين، وموقفه من بعث الجيوش إلى العراق وإلى الشام، فقام رضي الله عنه على هذه المآثر الثلاث راعياً ومخططاً ومنفذاً لكي يسجل له التاريخ أنه كان أمة وحده في هذه المواقف التي امتاز بها عن بقية الصحابة لتكون شاهداً على حسن قيادته وعميق

(١) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ٤/٢٢٢، ٢/١٧٦. الدارمي: سنن الدارمي، باب في وفاة النبي ﷺ، ح (٨٤).

(٢) البلاذري: الشيخان أبو بكر وعمر وولدهما: ٣٧.

(٣) البلاذري: الشيخان: ٤١، ٩٨.

سياسته ولتجلى للجميع أنه كان ينظر في كل ذلك إلى الأحداث بعين النبوة وآفاقها، وأنه ثاني اثنين في كل تدبير أو تخطيط حصدت الأمة ثماره اليانعة وحدة وقوة وتفوقاً. وليثبت أنه هو الأشجع والأقدر على القيادة بعد رسول الله ﷺ لم يتردد في موقف ولم يضطرب أو يفر في معمرة، بل كان حيث يكون الخطر أقرب الناس إليه، كل ذلك أهله ليصطفيه رسول الله ﷺ ويتخذه صاحباً ومستشاراً ومؤانساً ومعيناً ونصيراً بعد الله تعالى في أخرج المواقف وأصعب الظروف، فكان في الغار ثاني اثنين، وفي عريش بدر كذلك، وثبت معه في أحد وحنين إذ قتل حامل لواء المشركين، وثبت في جميع المشاهد ومن قبل دافع عن رسول الله ﷺ في مكة وضرب من أجله، حتى كاد يدفع حياته ثمناً لصدق محبته وافتدائه لرسول الله ﷺ بروحه ودمه وماله وكل ما يملك.

أما موقفه من المرتدين ومانعي الزكاة فإنما غرابته أنه وجد نفسه وحيداً بعد وفاة صاحبه ﷺ الذي اهتزت واضطربت لوفاته جزيرة العرب، وأعلنت تمردها وصارت بعض قبائلها تغزو المدينة نفسها في موقف عصيب تميد له الشُّم الراسيات، ولا سيما بعدما التبس الأمر على الصحابة في مسألة قتال من ترمد على الخلافة وهو لا زال يقول بلسانه لا إله إلا الله، وكان أبو بكر رضي الله عنه الوحيد الذي ظل راسياً ولم تهزه زلازل وعواصف المرتدين بعد هول فاجعة المسلمين بفقد نبهم ﷺ، لقد قرر مواجهة الدنيا مجتمعة لكي تبقى رايات رسول الله ﷺ خفاقة في العالمين مهما كانت الظروف وبلغت التضحيات والتناجح! ولا سيما بعد أن تردد عمر المساند الأول له من بين الصحابة في كل مواقفه، فقد جاءه عمر رضي الله عنه يقول له: يا خليفة رسول الله، تألف الناس وارفق بهم. فصرخ في وجهه بحزم ويقين: أجبار في الجاهلية خوار في الإسلام! رجوت نصرك فجتنتني بخذلانك! وأقسم بالله ليقاتلنهم حتى يؤدوا الخيط والمخييط ثم قال: إنه قد انقطع الوحي وتم الدين، أو ينقص الدين وأنا حي؟!^(١). فياله من موقف أثمر نجاح أمة قادت الدنيا قرونًا، موقف يدهش من يمعن النظر في ظروفه وأبعاده، حيث يقف المتابع مذهولاً أمام صلابته ورباطة

(١) مشكاة المصابيح، ٣/ ١٧٠٠.

جأشه وثبات قلبه، وقد اجتمع حوله الصحابة رضي الله عنهم يرجونه أن يلين ويوافقهم على إرجاع جيش أسامة ليستعينوا به في قتال المرتدين وحماية المدينة، وهم يشرحون له حرجة الموقف وتغير الظرف فما يزيدونه إلا عزمًا ومضاء! ويقسم أنه لن يرد لواء رفعه رسول الله ﷺ وألا يحل عقدة عقدها رسول الله ﷺ بيده، وأنه لن يرجع جيش أسامة ولو رأى الكلاب تجر بأرجل أمهات المؤمنين في سكك المدينة!^(١)

وقد أكد شجاعة الصديق رضي الله عنه المطلقة المتخصصة الميداني الذي أثارته هذه المسألة علي بن أبي طالب رضي الله عنه حينما قال: أخبروني من أشجع الناس؟ قالوا: أنت. قال: أما إني ما بارزت أحدًا إلا انتصفت منه، ولكن أخبروني بأشجع الناس؟ قالوا: لا نعلم، فمن؟! قال: أبو بكر، إنه لما كان يوم بدر فجعلنا لرسول الله ﷺ عريشًا فقلنا: من يكون مع رسول الله لثلا يهوي إليه أحد من المشركين؟ فوالله ما دنا منا أحد إلا أبا بكر شاهرًا بالسيف على رأس رسول الله ﷺ لا يهوي إليه أحد إلا هوى إليه فهو أشجع الناس. ولقد رأيت رسول الله ﷺ وأخذته قريش في مكة فهذا يجؤه وهذا يتلته وهم يقولون: أنت الذي جعلت الآلهة إلهاً واحداً؟ فوالله ما دنا منا أحد إلا أبو بكر يضرب هذا ويجأ هذا ويتلثل هذا وهو يقول: ويلكم أقتلون رجلاً أن يقول ربي الله؟! ثم رفع علي رضي الله عنه بردة كانت عليه ثم بكى حتى اخضلت لحيته ثم قال: أنشدكم الله. أمؤمن آل فرعون خير أم أبو بكر؟ فسكت القوم فقال: ألا تجيبوني؟ فوالله لساعة من أبي بكر خير من ألف ساعة من مثل مؤمن آل فرعون! ذاك رجل يكتم إيمانه، وهذا رجل أعلن إيمانه.^(٢)

نعم حُقَّ لعلي رضي الله عنه أن يبكي أخاه الأكبر خليفة رسول الله رضي الله عنه لأن الشيء بالشيء يذكر، ولأن المحن التي عاناها أمير المؤمنين علي رضي الله عنه وهو يجد

(١) ينظر الدليمي: المنهج القرآني الفاصل، ٢٩١.

(٢) البزار: مسند البزار، مسند علي بن أبي طالب: باب ومما رواه عقيل عن علي رضي الله عنه ح (٧٦١). العظم: أشهر مشاهير الإسلام في الحرب والسياسة، ١٥.

نفسه فيها وحيداً بين مكر أهل الكوفة وخذلانهم وأنانيتهم وزيف مودتهم له وسوء نواياهم، وبين همجية الرافضة الخوارج وغلظتهم وتحجر عقولهم، فكأن روحه أخذت تسبح في آفاق تجاربه ليوازن بين ما كان يعانيه وبين ما عاناه خليفة رسول الله من غدر المرتدين وزيف المتنبيين الكذابين، وغلظة الأعراب المتمردين على منهاج النبوة، فيدرك أن هناك نقاطاً كثيرة تربط بين تلك المحن وبين ما ألم بخليفة رسول الله وبين ما يعانيه هو، ولكن كم هو عظيم خليفة رسول الله إذن عندما تجاوز كل ذلك؟! ولم يفرط أو يتردد أو يضعف، حتى لو كان وحيداً في مواجهة الكثير مما دهم الأمة من محن وفتن بعد مصابها بوفاة رسول الله ﷺ، وظل متمسكاً بهدي ورؤية وفهم وآمال وآلام رسول الله حتى توفي وهو على ذلك لم يغير ولم يبدل رضي الله عنه وكان أمير المؤمنين علياً رضي الله عنه يريد أن يجعل من دموعه تلك بحراً يسبح فيه إلى الينابيع التي كان يستقي منها خليفة رسول الله في مواجهة ظمأ قلة النصير المخلص الأمين الذي يعطي كل شيء في سبيل الله ولا يرجو إلا من الله تعالى، ولكن هيهات فشتان بين الثرى والثريا، وشتان بين عصر قائد يمسك بزمام ناقته علي بن أبي طالب رضي الله عنه وبين عصر يمسك بزمام ناقة قائده الأشتر ومن حوله الغادر الرافضي ابن ملجم ومرجع الرفض ابن سبأ إمام أعداء الصحابة وملهمهم الذي ملأ عقولهم بزيف أساطيره ووهم أباطيله وإسرائيلياته التي صنعت أجيال الزنادقة الرافضيين لمنهج أبي بكر وعلي رضي الله عنهما، منهج رسول الله ﷺ، السالكين مناهج السقوط في الأحقاد والإفك والبهتان على أصحاب رسول الله ﷺ ومن سار على نهجهم انتصاراً للمجوسية التي سحق طغيانها أصحاب رسول الله ﷺ وأزالوا بغيها وظلمها بكريم تضحياتهم وجهادهم وواسع عدلهم وعلمهم رضي الله عنهم، فحق لعلي رضي الله عنه أن يبكي الصديق رضي الله عنه بعد أن استوحش من صحبة أهل الغدر والنفاق أعداء أصحاب محمد ﷺ ورافضي عقيدتهم الذين اغتالوه في مسجده رضي الله عنه كما اغتالوا الفاروق رضي الله عنه في محرابه، وحق لنا أن نبكيهما في عصر بغي فيه التحالف الرافضي المجوسي الصليبي اليهودي بغيه من جديد، وخارت فيه الأمة خورها، فأصبح الصليبيون يشتمون محمداً ﷺ ويفترون عليه في الغرب

وتحرق مساجده القائمة على سنته في الشرق، ويغتال أئمتها وخطباؤها ومؤذنها في بلاد قتلة علي والحسين رضي الله عنهما وعلى أيديهما الأئمة، ولا خليفة رسول الله ولا الفاروق ولا عثمان ولا علياً رضي الله عنهم، ولم يبق سوى مبشرات رسول الله ﷺ لأئمة التي تنظر إلى إرهابات تلك المبشرات تتجلى تارة وتخفى تارة أخرى، تعلل بها النفوس وتستشير الثبات وترقب الضياء القادم من وراء الأفق ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

١٠- الأول:

وخليفة رسول الله هو أول من أسلم إسلامًا عمليًا تامًا متحملًا تبعات إسلامه وخياره وكل ما وراء ذلك من عنت قريش وصلفها، وأول من تحمل مسؤولياته تجاه رسول الله ﷺ كاملة في الدفاع والنصرة والإنفاق والهجرة والدعوة، معلنًا بكل ذلك إسلامه معتزًا به منفقًا في سبيله دمه وماله، فإذا أسلمت في تلك الفترة أمّ كريمة أو طفل نجيب أو مولى وفي، وكان يخفي إسلامه أو لا يمثل إسلامه خطرًا على قريش فلم تبال بإسلامه، فلا ينبغي أن يجعل من ذلك باب للتشويش على إسلام خليفة رسول الله والتشويش على أسبقيته في كل شيء؛ لأن ذلك قد يحمله أعداء الصحابة لمآرب التشكيك والشغب والظعن، ومن ثم إحداث اللغط حول انقياد الأمة لنبينا ﷺ وخليفته ومن بعده بقية الخلفاء الراشدين، وعلى الترتيب الذي أجمع عليه المهاجرون والأنصار، لهذا فأبي كلام يثار حول هذه المسألة ما هو إلا من باب اللغو والشغب ووضع العقبات أمام الرؤية الموحدة لقيادة الأمة وإمامتها التي قادها خليفة رسول الله بجدارة وأمانة ونجاح مستمر، لا تشبهه قيادة أخرى سوى قيادة رسول الله ﷺ، وأول من صدق النبي في كل ما جاء به عن ربه بتسليم كامل لا تشوبه أي شائبة من تردد أو تساؤل، وأول من أسلم والداه أبوه وأمه، وأول من أنفق ماله كله في سبيل الله ونصرة رسوله ﷺ، وأول من شهد المشاهد كلها مع رسول الله، وأول من دعا الناس لمتابعة رسول الله ﷺ، والأول في الدعوة من بين الصحابة؛ حيث أسلم على يديه الكثير من الناس، ومنهم نصف العشرة المبشرين بالجنة، وأول من أعتق المستضعفين من

المسلمين في سبيل الله، وأول من صاهر رسول الله ﷺ من أصحابه الكرام، وأول من جند أسرته رجالاً ونساءً لنصرة رسول الله ﷺ، وأول من بنى مسجدًا في بيته ليعبد الله ويعلم عن دعوته، وأول من رضي بجوار الله ورد جوار الجاهلية، وأول من واسى رسول الله بنفسه وماله، وأول من دعا رسول الله ﷺ لإعلان الإسلام في مكة، وأول خطيب خطب في المسلمين بحضور رسول الله ﷺ، ودعا إلى الله جهازًا على الملأ بحضور المسلمين والمشركين، وأول من استشهد بالقرآن دفاعًا عن رسول الله ﷺ، وأول من حج بالمسلمين في حياة رسول الله ﷺ، وأول من خلف النبي ﷺ وعلم المسلمين كيف يكون الثبات والاتباع والافتداء بسيد الأنبياء ﷺ، وأول من قاتل من فرق بين الصلاة والزكاة، وأول من قاتل الفرس بجيوش نظامية من المسلمين، وأول من زحف إلى الروم بجيوش الإسلام بنية إدخالهم في الدين أو إخضاعهم لعدل الإسلام أو طردهم من بلاد العرب والمسلمين، بل هو أول قائد واجه الروم والفرس أي الغرب والشرق في وقت واحد وانتصر عليهما في جهاده معهما، وهو أول: من جمع القرآن، وتنزه عن شرب المسكر في الجاهلية والإسلام، ولم يسجد لصنم قط، وهو أول: من قاء تحرجًا من الشبهات وأن يدخل جسده لقمة من الحرام، وأول خليفة لم يغيره السلطة عمدًا كان عليه قبل توليها، وهو الأول في المكانة عند رسول الله ﷺ، وهو الأول في الشورى عند رسول الله ﷺ، والأول في فقه وعلم مرامي كلام رسول الله ﷺ وفحواه؛ فقد كان وحده الذي فهم ما يرمي إليه رسول الله ﷺ بقوله: «إن عبدًا خيره الله بين أن يؤتبه من زهرة الدنيا ما شاء وبين ما عنده». وهو الأول في الزهد، والأول في الورع، والأول في الكرم والجود، وهو الأول في المكانة والوجاهة والسيادة عند رسول الله ﷺ وعند أصحابه وعند الأمة إلى هذا اليوم، وأول خليفة في الإسلام لم يورث درهمًا ولا دينارًا، والأول في الإخلاص لله تعالى في كل ما قام به، إذ لم يأخذ مكافأة دنيوية على كل ما قدم من مواقف عظيمة في سبيل الله بين يدي رسوله ﷺ، وأول من شهد له رسول الله بالصدقية، وأول من شهد له بالإيمان وهو غائب ليس موجودًا ومعه عمر رضي الله عنهما، وأول من لحق برسول الله ﷺ من الخلفاء الصحابة رضي الله عنهم،

وأول من صلى بالمسلمين بأمر رسول الله ﷺ وصلى خلفه رسول الله مؤتمماً به، وأول من أبى رسول الله ﷺ أن يؤم المسلمين غيره، وهو أول من يدخل الجنة من أمة النبي ﷺ^(١)، والأول من بين الصحابة في موافقة رسول الله ﷺ في إقامته وسفره ورضاه وغضبه وقبوله ورفضه وعطائه ومنعه وسلمه وحربه، وهو الأول في كل موقف محمود ومشهد مرموق في حياة رسول الله ﷺ وبعد وفاته؛ فجزاه الله عن دينه ونبيه ﷺ وأمته خير ما جزى الصديقين عن أنبيائهم ودينهم وأمهم.

١١- أحب رجال هذه الأمة إلى رسول الله ﷺ:

يتجلى ذلك في حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه حين بعثه النبي ﷺ على جيش ذات السلاسل، قال: فأتيته فقلت: أي الناس أحب إليك؟ قال: «عائشة». قلت: من الرجال؟ قال: «أبوها». قلت: ثم من؟ قال: «عمر». فعد رجالاً، فسكت مخافة أن يجعلني في آخرهم^(٢). وهذه شهادة من رسول الله ﷺ أن أحب الرجال إليه من هذه الأمة هو الصديق، وقلب رسول الله ﷺ قلب طاهر نقي معصوم والمحبة من الإيمان، بل الإيمان هو الحب في الله والبغض في الله، ومحبة رسول الله ﷺ لأبي بكر رضي الله عنه من الإيمان، وإيمان رسول الله ﷺ معصوم وهو إيمان القدوة والاتباع، وهذه شهادة عظيمة توجب على كل مسلم أن يحب ما يحب رسول الله ﷺ وتؤكد أن كل من لا يحب ويوالي خليفة رسول الله فهو بالضرورة لا يحب رسول الله ﷺ ولا يواليه، وليس من الأمة، بل هو من ألد أعدائها وأكثرهم حقداً عليها وعلى ثوابتها وعلى خيارات نبيها ﷺ. ومناقضته لشهادة رسول الله ﷺ لخليفته بالإيمان وهو غائب غير موجود ورسول الله ﷺ يشهد له بالإيمان أمام جماهير الصحابة رضي الله عنهم قال ﷺ: قال أبو هريرة رضي الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «بينما راع في غنمه، عدا عليه الذئب فأخذ منها شاة، فطلبه الراعي فالتفت إليه الذئب فقال: من لها يوم السبع، يوم ليس لها راعٍ غيري. وبينما رجل يسوق بقرة قد حمل عليها،

(١) أبو داود: السنن، أول كتاب السنة. باب في الخلفاء، ح (٤٦٥٢).

(٢) البخاري: صحيح البخاري، كتاب المغازي. باب: غزوة ذات السلاسل. ح (٤٣٥٨).

فالتفتت إليه فكلمته، فقالت: إني لم أُخلق لهذا، ولكني خلقت للحرث». قال الناس: سبحان الله، فقال النبي ﷺ: «فإني أومن بذلك وأبو بكر وعمر بن الخطاب»^(١). رضي الله عنهما ولم يكونا في المجلس.

فأبو بكر رضي الله عنه أعظم الناس إيماناً يتضح ذلك من شهادة النبي ﷺ له بذلك، ويتأكد بهذه المنقبة العظيمة التي لا يشركه فيها سوى عمر الفاروق رضي الله عنه. ويستنبط من هذا الحديث فوائد جلية منها: أن استخدام الحيوان في غير ما خلقه الله له إهدار لنعم الله ووضع لها في غير ما خلقت له. وأن آيات الله تعالى تظهر بأشكال متنوعة بحضور الأنبياء على شكل معجزات، أو على أيدي بعض الصالحين على شكل كرامات، كما هو ظاهر في كلام البقرة لصاحبها وكلام الذئب للراعي. إن أبا بكر وعمر رضي الله عنهما هما خيار أصحاب رسول الله ﷺ وأعظمهم فهماً لمقاصد شواهد ﷺ في أحاديثه وأوامره ونواهيته؛ لأن الذين كانوا حول النبي ﷺ حين حدثهم بهذه الأحاديث العجيبة من كلام البقرة وكلام الذئب سبحوا الله تعجباً واستغرباً أن يقع مثل ذلك. فبين لهم رسول الله ﷺ أنه يتكلم بما يتكلم ويقول ما يقول مؤمناً به واثقاً من خبر الله سبحانه وتعالى، وأن أبا بكر وعمر يؤمنان معه ﷺ بذلك وهما غائبان عن ذلك المشهد، وهذه شهادة لهما على عظيم الإيمان وعميق التصديق الذي يمتازان به عن جميع البشر بعد الأنبياء؛ يصرح بها رسول الله ﷺ على الملأ، وأنهما لا يترددان قط في قبول خبر النبي الصادق الأمين ﷺ الذي لا يقول إلا حقاً، ولا ينطق عن الهوى ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾^(٢) فأى شهادة أعظم من هذه الشهادة وأي منزلة أعظم من أن يشهد لهما رسول الله ﷺ وليسا حاضرين، وأنهما يؤمنان بما قال، ويصدقان ما يقول، لا شك أن هذه شهادة عظيمة من رسول الله ﷺ لصاحبيه المؤمنين المخلصين رضي الله عنهما وأرضاهما يعتز بها كل مؤمن ويزداد ثقة وتعلقاً واتباعاً لوزير محمد ﷺ بقدر ما يسفه المشككون بمنزلتهما

(١) البخاري: صحيح البخاري، ك. فضائل الصحابة، ح (٣٦٦٣).

(٢) سورة النجم، الآية: ٤.

في الإسلام ويزداد حذرًا ويقظة لما يمكرون به، يستمد ذلك من هذه الشهادة النبوية التي تنكس رؤوس أعداء الصحابة ومبغضي السنة وتركسهم في غيهم ونفاقهم وزندقتهم، حينما يردون الأحاديث الصحيحة ويصنعون الأساطير والأوهام ليطفئوا بها نور أحاديث رسول الله ﷺ.

- شهادة رسول الله ﷺ لخليفته بالمنزلة العليا في الجنة:

جاء ذلك في حديث أبي هريرة رضي الله عنه الذي سبق ذكره بغير هذه الصيغة، والذي فيه أن رسول الله ﷺ قال: «من أنفق زوجين في سبيل الله، نودي من أبواب الجنة: يا عبد الله هذا خير، فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان، ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة». فقال أبو بكر رضي الله عنه: بأبي وأمي يا رسول الله، ما على من دعي من تلك الأبواب من ضرورة، فهل يدعى أحد من تلك الأبواب كلها؟ قال: «نعم، وأرجو أن تكون منهم»^(١).

وفي هذا الحديث من الفوائد: رجاء رسول الله ﷺ أن يكون الصديق رضي الله عنه هو الذي تنادي به الملائكة من أبواب الجنة جميعًا، كل منها يرجو أن يدخل من الباب القائم عليه، وهذا تشريف عظيم لخليفة رسول الله وأن أبواب الجنة الثمانية كلها مشرعة لدخوله والملائكة تتنافس وتتسابق في تشريف الصديق وتكريمه بدعوة كل منهم إياه أن يدخل من الباب القائم عليه.

وما ذلك إلا لأن خليفة رسول الله كان مبررًا في كل أبواب الخير؛ في الجهاد والكرم والصيام والصلاة بما لم يشبهه فيها غيره. وهذه شهادة من رسول الله ﷺ على عظيم كرم خليفة رسول الله، وأنه أنفق من كل ما يملك زوجين في سبيل الله، وأن ذلك كله كان خالصًا لوجه الله تعالى بدليل رجاء النبي ﷺ أنه سينادي من كل أبواب الجنة.

(١) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الصوم. باب: الريان للصائمين، ح (١٨٩٧).

- شهادة علي رضي الله عنه أن خليفة رسول الله هو خير الناس بعد النبي ﷺ:

وبناء على علم أمير المؤمنين علي رضي الله عنه بمقام خليفة رسول الله في الأمة أجاب ابنه محمد ابن الحنفية بما لا يدع مجالاً للتردد على معرفة الأمة بذلك المقام الكريم، قال محمد: قلت لأبي: أي الناس خير بعد رسول الله ﷺ؟ قال: أبو بكر، قلت: ثم من؟ قال: ثم عمر، وخشيت أن يقول عثمان، قلت: ثم أنت؟ قال: ما أنا إلا رجل من المسلمين^(١)، وهذه شهادة من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن أبا بكر رضي الله عنه هو خير الناس بعد رسول الله ﷺ وأن عمر رضي الله عنه هو خير الناس بعد رسول الله والصدِّيق رضي الله عنه، فبماذا يعتذر المبطلون وبأي ضلال يتيهون عندما يردون خيار رسول الله وشهادة علي رضي الله عنه وما قامت عليه الأحداث في واقع الأمة إلى هذا الحين؟ فتباً لمن يروج الأكاذيب لتضليل الناس عن مناهج الصالحين وأخلاق المتقين، ولم يكن هذا الموقف عارضاً في حياة أمير المؤمنين في مودته وتبجيله لشيخي الأمة ووزير محمد ﷺ، بل كان هذا هو خلقه واعتقاده الذي سار عليه إلى أن لحق بهم، قال ابن عباس رضي الله عنهما: إني لواقف يوم وفاة أمير المؤمنين عمر الفاروق في قومٍ، فدعوا الله تعالى له، وقد وضع على سريره إذا رجل من خلفي قد وضع مرفقه على منكبي، يقول: رحمك الله إن كنت لأرجو أن يجعلك الله مع صاحبيك لأنني كثيراً ما كنت أسمع رسول الله ﷺ يقول: «كنت وأبو بكر وعمر، وفعلت وأبو بكر وعمر، وانطلقت وأبو بكر وعمر». فإن كنت لأرجو أن يجعلك الله معهما، فالتفتُ فإذا هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه^(٢). وفي رواية أخرى عن ابن عباس أيضاً قال: وضع عمر على سريره، فتكفنه الناس يدعون ويصلون قبل أن يرفع، وأنا فيهم، فلم يرعني إلا رجل أخذ بمنكبي، فإذا علي بن أبي طالب رضي الله عنه فترحم على عمر رضي الله عنه، وقال: ما خلفت أحداً أحب إليّ أن ألقى الله بمثل عمله منك، وإيم الله، إن كنت لأظن أن يجعلك الله مع صاحبيك، وحسبت أنني كنت كثيراً أسمع النبي ﷺ يقول:

(١) البخاري: ك: فضائل الصحابة، ح (٣٦٧١).

(٢) البخاري: ك: فضائل الصحابة. ح (٣٦٧٧).

«ذهبت أنا وأبو بكر وعمر، ودخلت أنا وأبو بكر وعمر، وخرجت أنا وأبو بكر وعمر»^(١).

وفي هذا الحديث كثير من الفوائد منها: شهود ابن عباس وعلي رضي الله عنهما جنازة أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه وأن علياً رضي الله عنه كان يرجو أن يدفن عمر بجوار النبي ﷺ وأبي بكر رضي الله عنه؛ لأنه كان كثيراً ما يسمع النبي ﷺ يذكر نفسه ثم أبا بكر رضي الله عنه ثم عمر رضي الله عنه فيقول خرجت أنا وأبو بكر وعمر، ودخلت أنا وأبو بكر وعمر. فاستنبط علي رضي الله عنه من ذلك أنهما لا بد وأن يكونا أصحاباً لرسول الله ﷺ في الآخرة كما جعلهم الله أصحاباً للرسول ﷺ في الدنيا، وهذا من فقه علي بن أبي طالب رضي الله عنه وعميق محبته للشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وهذا ما صدقه واقع الحياة الذي صارت عليه الأمور ولا زالت، وتلقته الأمة بالرضا والقبول والمتابعة والافتداء.

١٢- الإمام:

إن إمام الأمة بعد نبينا هو قائدها المؤهل ليسد مسد صاحبه رسول الله ﷺ في حال غيابه، حيث أعدّه النبي ﷺ لتلك المهمة التي تنوء بها الجبال، إذ كيف يمكن لرجل لا يملك إلا إيمانه و يقينه وتوكله أن يسد ثغرة تركها أعظم نبي أرسله الله تعالى إلى البشر ليؤدي أعظم وأوسع رسالة يراها ويوجهها الوحي في اتصال دائم ما بين السماء والأرض؟ لهذا كان التكليف مضمناً ولولا إعداد رسول الله ﷺ لصاحبه وتزويده بتجاربه وحرصه ألا يغيب عن واحدة منها، حيث احتفظ به ﷺ صاحباً في كل أحواله في السفر والإقامة والسلام والحرب. ليؤكد للأمة في كل ذلك أنه قد هياً أبا بكر من خلال تمسكه به وملازمته له ومشاورته وتقديم رأيه على غيره، والتأكيد على تقريبه في كل موقف مرّ به رسول الله ﷺ، وحرص أبي بكر رضي الله عنه على ذلك بكل حواسه، مما أشهر مكانته للقاصي والداني، حتى علم المشركون تلك المنزلة؛ يؤكد ذلك نداء أبي سفيان بن حرب يوم أحد بعد أن أشيع أن النبي ﷺ قد قتل فقال: أفي القوم محمد؟ أفي القوم ابن أبي قحافة أبو بكر؟ ولم يكتف رسول الله ﷺ بكل هذه

(١) البخاري: كتاب فضائل الصحابة. باب: مناقب عمر بن الخطاب، ح (٣٦٨٥).

التأكيدات التي تؤكد منزلة أبي بكر في الأمة حتى أعلن ﷺ أنه قد خلفه فيهم إمامًا يقوم مقامه ويقف موقفه ﷺ؛ فعندما سمع تكبير غير أبي بكر في إمامة الصلاة خرج مغضبًا وهو يقول: «لا، لا، لا. ليصل بالناس ابن أبي قحافة»، وقوله ﷺ: «يأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر». فلما سمع النبي ﷺ صوته وكان عمر رجلًا مجهرًا. قال: «فأين أبو بكر؟ يأبى الله ذلك والمسلمون، يأبى الله ذلك والمسلمون، يأبى الله ذلك والمسلمون»^(١). فبعث إلى أبي بكر، فجاء بعد أن صلى عمر رضي الله عنه تلك الصلاة فصلى بالناس. وغير ذلك من المواقف التي جاءت في كتب الصحاح والسنن التي ستوضح في مبحث صلاة أبي بكر رضي الله عنه في المسلمين.

وزاد ذلك الموقف تأكيدًا عندما اعتذرت أم المؤمنين الطاهرة لأبي بكر رضي الله عنه عن الإمامة بأنه بكاء لا يُسمع الناس؛ فأبى ذلك رسول الله ﷺ ولا م من ردد عليه ذلك لومًا شديدًا ليؤكد في كل ذلك أنه لا إمام للأمة بعد نبيها ﷺ إلا خليفته وصاحبه الصدِّيق رضي الله عنه. قالت أم المؤمنين الطاهرة عائشة رضي الله عنها: إن رسول الله ﷺ قال في مرضه: «مروا أبا بكر يصلي بالناس». قالت: قلت: إن أبا بكر إذا قام مقامك لم يُسمع الناس من البكاء، فمر عمر فليصل، فقال ﷺ: «مروا أبا بكر فليصل بالناس». قالت عائشة: فقلت لحفصة قولي له: إن أبا بكر إذا قام مقامك لم يسمع الناس من البكاء، فمر عمر فليصل بالناس، ففعلت حفصة، فقال رسول الله: «إنكن لأنتن صواحب يوسف، مروا أبا بكر فليصل بالناس». فقالت حفصة لعائشة: ما كنت لأصيب منك خيرًا^(٢).

وسبب مراجعة أم المؤمنين لرسول الله ﷺ في الاعتذار عن أبي بكر رضي الله عنه يوضحه قولها رضي الله عنها: لقد راجعت رسول الله ﷺ في ذلك، وما حملني على كثرة مراجعته إلا أنه لم يقع في قلبي أن يحب الناس بعده ﷺ رجلاً قام مقامه أبدًا، وإني كنت

(١) يقول ذلك مغضبًا. أبو داود: السنن، كتاب السنة، باب استخلاف أبي بكر رضي الله عنه ح (٤٦٦٠)، وهو حديث حسن.

(٢) البخاري: ك. الجماعة والإمامة، باب أهل العلم والفضل أحق بالإمامة، ح (٦٧٩).

أرى أنه لن يقوم مقامه أحد إلا تشاءم الناس به، فأردت أن يعدل ذلك رسول الله ﷺ عن أبي بكر^(١). لكنه ﷺ لم يقبل هذه المراجعة وأصر على إمامة أبي بكر للأمة بكل قوته ﷺ، فعندما مرض النبي ﷺ فاشتد مرضه. قال: «مروا أبا بكر فليصل بالناس». قالت أم المؤمنين عائشة: يا رسول الله، إنه رجل رقيق، إذا قام مقامك لم يستطع أن يصلي بالناس، فقال: «مروا أبا بكر فليصل بالناس». فعادت فقال: «مروا أبا بكر فليصل بالناس، فإنكن صواحب يوسف»^(٢).

فأتى أبا بكر رضي الله عنه الرسول فأخبره بأمر النبي ﷺ فجاء فصلى بالناس في حياة رسول الله ﷺ.

فكل هذه الأحاديث وغيرها كثير تؤكد أن رسول الله ﷺ لم يقبل أن يؤم المسلمين أحد من الناس غير صاحبه وخليفته رضي الله عنه، ومن هنا يتضح بهتان الرافضة على رسول الله ﷺ عندما ينسبون الإمامة لعلي رضي الله عنه ويفترون على رسول الله ﷺ ما يسمى بالوصية، وتوابع ذلك من البهتان أن الصحابة اختلفوا على الإمامة وما إلى ذلك من أمور لا أساس لشيء منها من الصحة أو الحقيقة في واقع الأمة وكل مسلم عاقل يعلم أن ذلك بهتان عظيم، والذي يجب أن يعلمه كل مسلم أيضًا أن هذه الفرية الرافضية ليس هدفها إمامة علي رضي الله عنه أو غيره من آل بيت نبينا الأبرار الأطهار رضي الله عنهم الذين هم أكثر الناس حبًا وطاعة ونصرة لخليفة رسول الله أبي بكر رضي الله عنه وحرابًا على أعدائه؛ ولكن مقاصد أولئك الأشرار هو شق عصا المسلمين وتمزيق صفهم وحرهم عن سنة نبهم ﷺ وتشكيكهم بعقيدتهم ونزع محبة إمام الأمة وقائدها وإخوانه الصحابة من صدور المسلمين؛ لتبقى الأمة في صراع ونزاع وفتن تأتي على كيانها ووحدتها وقوتها، لكي يعمل أعداء الصحابة بعد ذلك على بعث نار المجوس من جديد ونشر دين الزندقة الذي يدعو إلى

(١) البخاري: صحيح البخاري، ك: المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته ح (٤١٨٠) مسلم: صحيح

مسلم، ك: الصلاة، باب استخلاف الإمام إذا عرض له عذر من مرض، ح (٤١٨).

(٢) البخاري: ك: الجماعة والإمامة. باب: إذا بكى الإمام في الصلاة، ح (٧١٦).

عبادة القبور وإشاعة الأعراض والأموال واختلاط الأنساب وانتشار الرذيلة وطمس سلطان السنة المطهرة وهبتها في القلوب؛ وقهر أنصارها ولا سيما العرب منهم.

ومما يرد باطلهم وفحيحهم على الطاهرة العالمة الفقيهة أم المؤمنين رضي الله عنها بأنها كان لها دور في إقناع رسول الله ﷺ باختيار أبي بكر رضي الله عنه إماماً للأمة؛ هو خوفها رضي الله عنها على أبيها الصديق رضي الله عنه أن يتشاءم الناس من مقامه إذا وقف في مقام رسول الله ﷺ مما يدل على نزاهتها وبراءتها رضي الله عنها مما ينسب إليها كذباً أعداء الصحابة الرافضون لأمر رسول الله ﷺ وأنها لم تكن لا هي ولا أبوها رضي الله عنهما طامعين في إمارة أو خلافة أو إمامة، ولكنه أمر رسول الله ﷺ وإصراره اللامتناهي على تولية أبي بكر رضي الله عنه وإمامته؛ مما أكد أن رسول الله ﷺ لم يكن ليدع أهم أمر في حياة الأمة وهو الإمامة دون أن يرشد إليها ويبينها ويؤكد لها علناً لأبي بكر رضي الله عنه على رؤوس الأشهاد، ويبين إمامة الصديق أتم البيان ليتضح لكل مؤمن برسول الله ﷺ أن ما يهذي به الرافضة لا قيمة له في دنيا الحقيقة، وأنه لا خيار أمامهم في الإمامة إلا باتباع السنة في إمامة أبي بكر رضي الله عنه أو ردها، ورفض أمر رسول الله ﷺ ومن ثم الدخول في دهاليز الباطنية والتقية والشعوذة المؤدية إلى الردة وصناعة الدين البديل المخالف لما جاء به محمد ﷺ فإمامة خليفة رسول الله أبي بكر رضي الله عنه هي فيصل بين السنة والردة، وسحقاً لمن يرد أمر الله ورسول الله ﷺ ولا يرضى بإمامة قائد الأمة وخليفة نبيها ﷺ الذي ارتضاه لها وأكدت سيرته وأيامه ومواقفه أنه هو الإمام والخليفة الذي لم يخرم مما كان عليه رسول الله ﷺ شيئاً.

وعن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال: أتت امرأة إلى النبي ﷺ فأمرها أن ترجع إليه، قالت: أرأيت إن جئت ولم أجدك، كأنها تقول الموت، قال ﷺ: «إن لم تجدني فأتني أبا بكر»^(١). وهذه شهادة بينة جلية من رسول الله ﷺ وخبر صحيح منه، ودلالة من دلائل نبوته وصدقه ﷺ وأن الإمام الذي سيرجع إليه الناس بعد وفاته ﷺ إنما هو الصديق

(١) مسلم: صحيح مسلم، فضائل أبي بكر، ح (٦١٧٩).

رضي الله عنه؛ فأى شهادة أبلغ من هذه وأصرح للدلالة على أن المرجع بعد رسول الله ﷺ إنما هو خليفته أبو بكر رضي الله عنه، وأي معنى يعود لما يلوكة الرافضة ومن يردد عنهم من الجهلة والمستشرقين أباطيل الإمامة لغير خليفة رسول الله ﷺ.

وبهذا يثبت يقيناً أن اختيار رسول الله ﷺ لأبي بكر رضي الله عنه بحضور جميع الصحابة وفي مقدمتهم علي رضي الله عنه في ذلك الوقت وفي مثل تلك الحال وبذلك الحسم والوضوح والصراحة ليصلي بالناس؛ أعظم دليل على تقديمه وتركيته لإمامة المسلمين والقيام بالأمر من بعده. كما استدل بذلك الصحابة. وقالوا: رضيه رسول الله لدينا، أفلا نرضاه لدينا؟ وذلك أن الصلاة هي عمود الدين وأعظم أعمال الإسلام وشعائره، وهي أعظم أعمال الخلفاء والأمراء والولاة.

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ غَلِيبٌ﴾^(١) فبدأ بالصلاة أولاً حتى يشعر الأمة أنها أعظم أعمال الدين وأعظم أفعال ولاة الأمور، واختيار رسول الله ﷺ لأبي بكر رضي الله عنه ليؤم الناس في مرض موته ﷺ أصرح الدلالات على أن رسول الله ﷺ اختار الصديق لإمامة المسلمين وخلافة النبوة. فهل يكف الغوغاء الذين يرددون الباطل والزيغ ويكذبون الحق والواقع عن هذا الهديان ويرددون بدلاً من ذلك قوله ﷺ: «يا أيُّ الله والمؤمنون إلا أبا بكر» ليكون ذلك من أعظم البركات والخيرات على الأمة الإسلامية، إذ قام بخلافة رسول الله ﷺ وقيادة الأمة وإمامتها خير ما يقوم به ورثة الأنبياء وخلفاؤهم، على طريق الرشد والسداد، وحفظ أعلام السنة كما أرادها رسول الله ﷺ خفاقة حية قائمة على الأرض وفي القلوب والأقوال والأفعال.

١٣- سيد الصحابة:

لعل من أوضح الأدلة على أن خليفة رسول الله سيد الصحابة رضي الله عنه ما جاء في

(١) سورة الحج، الآية: ٤١.

الأحاديث التي تظهر مكانته رضي الله عنه بين الصحابة، في مثل قوله ﷺ: «مروا أبا بكر يصلي بالناس». وقوله ﷺ: «يأبى الله ورسوله والمؤمنون إلا أبا بكر»، وقوله ﷺ: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي»^(١)، وقوله ﷺ: «اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر»^(٢). وقول أمير المؤمنين عمر الفاروق رضي الله عنه معترفًا بذلك الفضل وتلك السيادة ومؤكِّدًا لها: أبو بكر سيدنا وأعتق سيدنا^(٣).

وما ورد في الصحيح من قول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه في حديثه عن يوم السقيفة الذي منه قوله لأبي بكر رضي الله عنه أمام جمهور الصحابة رضي الله عنهم: نبأيعك أنت خيرنا وسيدنا وأحبنا إلى رسول الله ﷺ^(٤). وقوله رضي الله عنه: والله لأن تضرب عنقي من غير أن يقربني ذلك إلى إثم أحب إلي من أن أتقدم على قوم فيهم أبو بكر. وما ورد من أقوال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه فيما يؤكد مكانة خليفة رسول الله في قلبه ووجدانه في مثل قوله: والذي نفسي بيده؛ ما استبقنا إلى خير قط؛ إلا سبقنا إليه أبو بكر^(٥). وقوله رضي الله عنه المتواتر من على أعواد منبر الكوفة: لا يفضلني أحد على أبي بكر وعمر إلا جلده حد المفتري^(٦). وقوله رضي الله عنه: سبق رسول الله ﷺ وثنى أبو بكر وثلث

- (١) أبو داود: كتاب السنة، باب لزوم السنة، ١٣/٥ - ١٧. الترمذي: كتاب العلم، باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتتاب البدع، ٤٤/٥، ٤٥. وقال: صحيح حسن. ابن أبي شيبة: المصنف، ٣٠٦/٢.
- (٢) الخليفة: الإنصاف فيما وقع في تاريخ العصر الراشدي من الخلاف، ٩٦.
- (٣) الألباني: سلسلة الأحاديث الصحيحة، ٢٣٣/٣ - ٢٣٦. ابن حنبل: المسند، (٢٢٧٣٤). الخليفة: الإنصاف، ٩٦.
- (٤) الحاكم: المستدرک. ك. معرفة الصحابة. باب: أبو بكر الصديق. ح: ٤٤٢١. صحيح على شرطهما ولم يخرجاه.
- (٥) صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب حد المريض أن يشهد الجماعة، ح (٦٦٤) و(٣٦٦٨). صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب استخلاف الإمام إذا عرض عذر (٦٣٣)، (٦٣٤) سنن النسائي: كتاب الإمامة، باب: الائتمام بالإمام يصلي قاعدًا (٨٢٤).
- (٦) الطبراني: المعجم الأوسط، ح (٧١٦٨) الطنطاوي: أبو بكر الصديق، ٧٦.
- (٦) ابن أحمد: كتاب السنة، ٢٢٩. ابن عبد البر: الاستيعاب، ٣/٩٧٣.

عمر^(١). وقوله حين قيل له يوم استشهاده: ألا تستخلف؟ فقال: أترككم فإن يرد الله بكم خيراً يجمعكم على خيركم كما جمعنا بعد رسول الله على خيرنا - أبي بكر -^(٢). وقوله: «لا ينبغي لقوم فيهم أبو بكر أن يؤمهم غيره». وقوله ﷺ في حق أبي بكر وعمر رضي الله عنهما: «لو اجتمعما في مشورة ما خالفتكما»^(٣).

وبهذه النصوص تتبين سيادة أبي بكر رضي الله عنه على لسان سيد ولد آدم ﷺ وعلى لسان سادة العرب وأئمة المسلمين أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه وأمير المؤمنين علي رضي الله عنه كما يظهر فيهما أدب عمر رضي الله عنه وعلي رضي الله عنه بين يدي إمامهما أبي بكر رضي الله عنه حياً وميتاً وأمَام رعيتهما وهما أمراء الناس لا يوجد فوقهما سلطان لأحد من البشر؛ كل ذلك يدل على ما لأبي بكر رضي الله عنه من إمامة في الدين ينقاد لها الأكابر من أصحاب رسول الله ﷺ فضلاً عن عامتهم وعامة المؤمنين؛ فهذا رسول الله ﷺ يأبى أن يتقدم على أبي بكر أحد من الناس، وذاك الفاروق ينادي بأن أبا بكر سيد المؤمنين، وعلي يعلن للأمة وهو ينازع الموت بأن أبا بكر هو خيرهم رضي الله عنه؛ فبأي لسان يتكلم أعداء الصحابة الحاقدون؟ وأي منهج من مناهج البحث يجيز النظر في إفكهم بعد كل هذه الحقائق؟! وهنا يظهر زيف الحاقدين الرافضين لإمامة أبي بكر رضي الله عنه حسداً وبغضاً ورداً لما أمر به رسول الله ﷺ وأوصى به وأقره الوحي وتلقته الأمة بالقبول والفخار والاعتزاز؛ فأبي قيمة لما تلوكه السنة أعداء الصحابة ومن يردد بهتانهم عندما يرفع أبطال الإسلام وسادة الناس سيوفهم وسياطهم بوجه من يفضلهم على أبي بكر رضي الله عنه تفضيلاً فقط دون أي انتقاص من مقام خليفة رسول الله؟! وكم هي سامية تلك السيادة التي لو كذب بها أحد من الناس لحاسبه أئمة الشرع والدين وقادة السياسة، وفي مقدمتهم عمر رضي الله عنه وعلي

(١) ابن أحمد: السنة، ص ٢٢٩. حديث: (١٢٤١)، (١٢٤٩).

(٢) ابن عبد البر: الاستيعاب، ٣/٩٧٣. المحب الطبري: الرياض النضرة، ١/٢١٩. الإنصاف: ١٢٨.

(٣) ابن حنبل: المسند، كتاب و باب حديث عبد الرحمن بن غنم الأشعري، ح (١٧٥٣٣).

رضي الله عنه؛ وعلى هذا كم هم مفرطون من يسمعون انتقاص أبي بكر رضي الله عنه من سفهاء ورافضة ومستشرقين ثم يتشكك البعض منهم لعل في بعض ما يسمعه من أولئك الأفاكين شيئاً من الحقيقة أو يقع في نفوسهم أن ذلك وجه من وجوه البحث وحرية النقد، وما يتلبس به بعض الأغبياء ممن اتخذوا تلك الشعارات للطعن بخيارات رسول الله ﷺ ووحدة أمتة والعبث بهويتها ومستقبلها، والخلاصة أن الشك في سيادة أبي بكر رضي الله عنه وتقدمه على كافة الناس بعد الأنبياء وعلى كافة المؤمنين بعد رسول الله ﷺ إنما هو رد لأمر رسول الله ﷺ وهزيمة روحية وإدبار سياسي وخزي فكري وتلاعب غير شرعي بالنصوص الصحيحة؛ وما يترتب على ذلك من فوضى ثقافية، وتقاطع فكري، وإسقاط للثوابت، وانحناء لغير الله أمام إفك أعداء الصحابة ومن يحاول أن يتسلل معهم من أعداء السنة إلى بساط الأمة؛ لنقض غزل المؤمنين وتخريق ما أحكم نسجه المتقون المجاهدون.

١٤- جامع خصال الخير:

إن كل مسلم حريص على أن يجمع أطراف الفضل وخصال الخير وأعمال المعروف لكن كثيراً من العوائق والحوائل تقف بين الناس وبين ذلك، ولا يوجد من بين المسلمين من هو أحرص على إنجاز تلك الصفات والتخلق بها من أصحاب رسول الله ﷺ مقتدين بذلك بنبيهم ﷺ الذي اجتمعت فيه كل صفات الفضل والهدى والخير والتقوى، ولا يوجد فضل يتصف به أحد من الناس إلا ورسول الله ﷺ يأتي قبله بمسافات واسعة وخطوات شاسعة، وبسمات فطرية وموارد ومصادر على السجية. ويأتي بعده في كل ذلك صاحبه الأمين الذي تشرب أخلاق نبيه ﷺ ورؤيته للحياة ومواجهته للمصاعب والمتاعب، وعفوه وصفحه وثباته وكرمه وغير ذلك مما اكتسبه واستقاه من الشمائل النبوية؛ أعانه على تحقيق ذلك أنه شهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ في مكة وفي المدينة، وهو الذي أنفق ماله كله في سبيل الله وهو الذي سخر أهله لخدمة رسول الله ﷺ ونصرته، وهو المجاهد المنفق الباذل المعتق المتواضع الصادق المصلح بين الناس، المؤلف المحبوب الرضي

الهنّي السخّي الزاهد الورع الذي جمع خصال الخير التي أمر بها الله ورسوله ﷺ، فإذا أمعن الباحث النظر فيما وُصِف به أصحاب النبي ﷺ يجد أن خليفة رسول الله ﷺ يأتي في مقدمتهم في كل ذلك على سجية وسليقة يسير فيها على أذيال رسول الله ﷺ وعلى خطاه؛ فهو «ثاني اثنين» كما أثبت ذلك كتاب الله تعالى وهو ما شهد له به الحديث الصحيح أيضًا. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من أصبح منكم اليوم صائمًا؟». قال أبو بكر: أنا. قال: «فمن تبع منكم اليوم جنازة؟». قال أبو بكر: أنا. قال ﷺ: «فمن عاد منكم اليوم مريضًا؟». قال أبو بكر: أنا. فقال رسول الله ﷺ: «ما اجتمعن في امرئ إلا دخل الجنة»^(١).

ولو كان متابعة ألقاب خليفة رسول الله من مقاصد هذا الكتاب لاستطاع الباحث التدليل على أن خليفة رسول الله ﷺ قد قرن اسمه مع كل موقف نبيل ومع كل موقف شرف وعلم وذكاء وكرم وشجاعة وإيثار ونزاهة وصدق وإخلاص وعفاف وورع وزهد ورحمة ولين وشدة وقوة ورزانة وأريحية وصبر وعفو واحتساب وإدارة وقيادة واعتبار بالماضي واستشراف للمستقبل، بل مع كل فضيلة وخلق سامٍ عظيم، ويأتي في كل ذلك في المقدمة بعد رسول الله ﷺ على ذات السنة ومعالم النهج وبذات المقاصد الربانية التي لا حظ فيها للنفس أو الجماعة أو القبيلة عطاؤه لله ومنعه لله، وكذلك رضاه وغضبه وولاؤه وبرأؤه؛ القوي عنده ضعيف حتى يأخذ الحق منه، والضعيف قوي حتى يأخذ له الحق، وأشرع للأمة كل سبيل المراقبة والمحاسبة والنقد وعلى أي أمر يخالف سنة رسول الله ﷺ أو منهجه الذي عايشوه معه، لكنهم لم يجدوا إلا الإحسان والاتباع السامي الرشيد؛ فلم يجدوا أمام ذلك إلا الانقياد والسمع والطاعة مع المحبة والهيبة، فلا حاجب له يحول بينه وبين المسلمين؛ وهو كأحدكم لا حق له يمتاز به عنهم يشاركونهم في آمالهم وآلامهم، يتأخر حين العطاء ويتقدم حين التضحية والفداء، رسم دروبًا معبدة وآمنة لمن يريد الاتباع والاقتران والعدل والإصلاح، بعيدًا عن الرياء والعصية والإقليمية التي وقع فيها كثير من

(١) مسلم: صحيح مسلم، ك. الزكاة، باب من جمع الصدقة وأعمال البر، ح (١٠٢٨).

الأدعياء في هذا العصر؛ فأفشلوا الإصلاح وأعاقوا المسير ببعدهم عن الجوهر وتمسكهم بالمظهر؛ فالمسميات جميلة والفعال قبيحة، ضنَّ غنيهم بدرهمه وفقيرهم بوقته، فجمعوا الوهن والفشل ببرود قواهم وعجز نواياهم وتبلد لائهم وموت انتمائهم، حتى أصبحت الأمة في ظلال اجتهاداتهم وسياساتهم في حال لا تحسد عليه بعد أن سلط عليها أخس الخلق وأذل الفرق والطوائف، فأصبحوا يتجرعون الذل والهوان بين رايات انبطاحهم لليهود ومداهنتهم لأعداء الصحابة، فعميت عليهم بذنوبهم طريق السنة ونهج السلف وسيرة خليفة رسول الله، بما فيها من التمسك بالهوية والولاء للسنة والعداء عليها، وبذل الغالي والرخيص لنصرتها ومواجهة من ينتقصها، كما تجلى ذلك واضحاً في كل ما قام به خليفة رسول الله الذي لا زالت راياته شامخة تنادي الصادقين أن تجردوا من عبادة الذات والولاء للإقليميات لتسمو بكم الصفات فترفع الرايات، فتجمعوا خصال الخير كما جمعها سلفكم في سيرهم الطيبة المباركة المطهرة من شوائب التحزب والتعصب أو التعالي والاعتزاز ببريق الدرهم والدينار الذي ركع له كثير من الغافلين عما يراد بهم ويجري حولهم ممن يعتقدون ويظنون في هذا العصر الذي اقتلعت فيه الثوابت وهبت في كل أحواله الزوابع والأعاصير؛ أن هناك من يحميهم من البشر ويسبغ عليهم نعمة الأمن من دون الله تعالى.

ولعل فيما سبق تناوله من ألقاب خليفة رسول الله ما يكفي لبيان مقاماته السامية الرفيعة وصفاته الشريفة الحميدة، ومقاصده النبيلة وإنجازاته العظيمة؛ التي أثبتت جميعها أنه لا يوجد بديل عن طريق السنة الهادية التي سلكها رضي الله عنه بالفهم المتحرر من النزعات والنزعات؛ مع براءة النوايا وخلوص الأهداف، وفيما بان من خصائص ومزايا أنتجت سيادة التوحيد وعز الوحدة وهبوب رياح النصر والتقدم في كل صفحات الحياة التي عاشتها الأمة في عصر خليفة رسول الله، حتى أصبح رضي الله عنه نوراً كاشفاً يبارك المؤمنين ويفضح المرتدين المخادعين المحاربين لكتاب الله وسنة رسوله الأمين؛ من المبغضين للصحابة الأكرمين بناة الأمة وصانعي الحضارة وحُماة الدين رضي الله عنهم أجمعين.

١٥- خليفة رسول الله:

إذا كان من المعلوم أن اسم الخليفة يطلق عموماً على كل من قاد الأمة بعد أبي بكر رضي الله عنه فإنه من المؤكد أيضاً أن اللقب الحقيقي لهم الذي تداولته الأمة والرعية في حياتهم؛ هو أمراء المؤمنين؛ فأمير المؤمنين عمر وأمير المؤمنين عثمان وأمير المؤمنين علي رضي الله عنهم أجمعين وهكذا، بينما إذا ذكر أبو بكر رضي الله عنه فإنه لا يقال له أمير المؤمنين وإنما يقال: خليفة رسول الله، وهذا تصديق لقوله تعالى: ﴿لَا تَخْرَنَ إِبْرَئِيلَ اللَّهُ مَعَنَا﴾^(١). هذه المعية التي بقيت له في حياته ولم تفارقه بعد مماته ولن تفارقه إلى قيام الساعة؛ تأكيداً لمعية الله تعالى مع النبي ﷺ وخليفته رضي الله عنه، فلا يذكر أبو بكر رضي الله عنه حتى يذكر الله والرسول ﷺ، وذلك في قولنا: خليفة رسول الله.

وقد كان لقب خليفة رسول الله الذي اختص به الصديق رضي الله عنه تشريعاً من الله تعالى له أولاً، وإجماعاً من الأمة ثانياً على أنه هو الذي سد مسد رسول الله بعد وفاته ﷺ، وهو الذي حمل الأمة على السير في طريقه دون أي التفات أو تردد، وقد زاد تمسك الصديق بمنهج رسول الله ﷺ الأمة تعلقاً به وأنساً بوجوده حتى خفف عليهم وحشة فقد وجه رسول الله ﷺ؛ وثقة بتدبيره وتخطيطه واجتهاده وعلى الصعد كافة؛ لذلك أجمع الصحابة على مخاطبته بخليفة رسول الله في كل الأحوال وفي جميع المناسبات، وكأنهم عندما يرونه يحسون بقرب رسول الله ﷺ بينهم أكثر وأكثر مما يبعث في نفوسهم وقلوبهم ومشاعرهم الاندفاع الكامل لتنفيذ توجيهاته وتحقيق وصاياه وتعليماته؛ دون أن يستخدم أي سلطة للإكراه أو الضغط مكتفياً بسلطة الثقة والمحبة والود والألفة التي تجسدت له في قلوب المؤمنين، ولولا هذا السلطان الذي لا يقاوم؛ لما استطاعت أي سلطة عنى رجه الأرض أن تقود المهاجرين والأنصار تحت رايات الشاب أسامة بن زيد رضي الله عنه في مثل تلك الظروف التي قادهم فيها بعد وفاة النبي ﷺ، ولولا سلطات الحب القاهرة التي

(١) سورة التوبة، الآية: ٤٠.

ترتبع لأبي بكر رضي الله عنه في قلوب المؤمنين لما استطاعت سلطة على وجه الأرض أن تجيش المسلمين لمحاربة الرافضة المرتدين الذين كانوا من القبائل العربية التي ترتبط أنسابهم وأحلافهم مع المسلمين بأكثر من رابط وثيق، ولكن محبة خليفة رسول الله والثقة بإمامته كانت أعلى وأعلى وأقوى من أي رابطة أخرى مع كثرة عدد الرافضة المرتدين وشدة بأسهم وقرب معاقلهم وحصونهم وتموينهم وأنصارهم؛ وقلّة المسلمين ووهنهم بعد وفاة نبيهم ﷺ وبعدهم عن معاقلهم ومصادر تموينهم، ولكن ما يفعله الحب يعجز عن فعله السيف، وهذا ما تحقق لخليفة رسول الله أبي بكر الصديق رضي الله عنه على أتم وجه وأكمله، فكان الكل يخاطبه بـ (يا خليفة رسول الله) في الشدة والرخاء وفي الليل والنهار وفي المسجد والبيت والسوق والعسكر والمتجر والمزرعة، وفي كل مكان وزمان مع الهيئة التامة المقرونة بالمحبة والطاعة الكاملة له طوال حياته وبعده مماته رضي الله عنه.

وهكذا نرى إجماع الصحابة والتابعين ومن بعدهم الأمة على مخاطبة أبي بكر رضي الله عنه بـ (يا خليفة رسول الله) في كل شؤونهم.

ومع معرفة أعداء الصحابة بأن خليفة رسول الله هو الأول بعد رسول الله ﷺ بدلالة قوله تعالى: ﴿ثَاقِبَ أَتَيْنَ﴾ وأنه إذا ذهب الأول تولى الثاني الأمر من بعده تلقائياً؛ ومع علمهم بأن الصحابة ومن بعدهم الأمة لا يرضون سواه خليفة لرسول الله ﷺ فإنهم يصرون بدوافع حقدهم وكرهيتهم للمؤمنين ومضاهاتهم لله ولرسوله الأمين على تسميته بغير ما سماه الله تعالى ورسوله ﷺ والمؤمنون؛ ليقيموا بذلك الحجة على أنفسهم وعلى من يواليهم أو يصدقهم بأنهم هم الرافضون لأمر الله، المرتدون عما جاء به رسول الله ﷺ، وأن المؤمنين هم المكرمون بالطاعة والقبول والرضا بما يأمر به الله ورسوله ﷺ يتجلى ذلك في انقيادهم لخليفة رسول الله في كل شؤون حياتهم.

١- في السياسة وشؤون الحكم:

عن أبي برزة الأسلمي أنه قال: كنا عند أبي بكر الصديق رضي الله عنه في عمله فغضب

على رجل من المسلمين، فاشتد غضبه عليه جداً، فلما رأيت ذلك قلت: يا خليفة رسول الله أضرب عنقه؟ فلما ذكرت القتل صرف عن ذلك الحديث أجمع إلى غير ذلك من النحو، فلما تفرقنا أرسل إلي بعد ذلك أبو بكر الصديق رضي الله عنه. فقال: يا أبا برزة ما قلت؟ قال: ونسيْتُ الذي قلتُ، قلت: ذكرنيه. قال: أما تذكر ما قلت؟ قال: قلت: لا والله. قال: رأيت حين رأيتني غضبت على الرجل فقلت: أضرب عنقه يا خليفة رسول الله، أما تذكرت ذلك؟ أو كنت فاعلاً ذاك؟ قال: قلت: نعم، والله والآن إن أمرتني فعلت. قال: ويحك - أو ويلك - إن تلك والله ما هي لأحد بعد محمد ﷺ^(١).

وعن أبي نصر عن أبي برزة الأسلمي أيضاً. قال: غضب أبو بكر على رجل غضباً شديداً لم يُر أشد غضباً منه يومئذ، فقال له أبو برزة: يا خليفة رسول الله، مرني فأضرب عنقه. قال: فكأنها نار طفت، قال: وخرج أبو برزة، ثم أرسل إليه، فقال: ثكلتك أمك! ما قلت؟ قال: قلت: والله لئن أمرتني بقتله لأقتلنه. قال: ثكلتك أمك أبا برزة، إنها لم تكن لأحد بعد رسول الله ﷺ^(٢) وفي هذا تأكيد بأن أي عمل لا يقره الشرع لا يجوز العمل به.

٢- مع الجيوش وقيادتها:

عن عبد الله بن عبيدة أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه لما أمر على الأجناد يزيد بن أبي سفيان رضي الله عنه على جند، وعمرو بن العاص رضي الله عنه على جند، وشرحبيل ابن حسنة رضي الله عنه على جند، وأمر خالد بن الوليد رضي الله عنه على جند، ثم جعل يزيد رضي الله عنه على الجماعة، وخرج معه يشيعه ويوصيه، ويزيد راكب وأبو بكر رضي الله عنه يمشي إلى جنبه. فقال يزيد: يا خليفة رسول الله! إما أن تتركب وإما أن أنزل وأمشي معك. فقال: إني لست براكب ولست بتاركك أن تنزل، إني أحسب هذا الخطو في سبيل الله. يا يزيد، إنكم ستقدمون أرضاً يُقدم إليكم فيها ألوان الأطعمة، فسموا الله

(١) ابن حنبل: المسند، مسند أبي بكر الصديق، ح ٦٢، ح ٧٩.

(٢) أحمد: المسند، مسند أبي بكر الصديق، ح ٨٠.

إذا أكلتم، واحمدوه إذا فرغتم. يا يزيد، إنكم ستلقون قومًا قد فحصوا أوساط رؤوسهم فهي كالعصائب فافلقوا هامهم بالسيوف، وستمرون على قوم في صوامع لهم، احتبسوا أنفسهم فيها، فدعهم حتى يميتهم الله فيها على ضلالتهم. يا يزيد، لا تقتل صبيًا، ولا امرأة، ولا صغيرًا، ولا تخربن عامرًا. ولا تعقرن شجرًا مثمرًا ولا دابة عجماء، ولا بقرة ولا شاة إلا لمأكلة، ولا تحرقن نخلاً، ولا تغرقنه ولا تغلل ولا تجبن^(١).

٣- في وصاياه لقادة الجيوش:

عن سعيد بن المسيب أن أبا بكر رضي الله عنه لما بعث الجنود نحو الشام؛ يزيد بن أبي سفيان وعمرو بن العاص وشرحبيل ابن حسنة رضي الله عنهم. قال: لما ركبوا مشى أبو بكر رضي الله عنه مع أمراء جنوده يودعهم حتى بلغ ثنية الوداع، فقالوا: يا خليفة رسول الله، أتمشي ونحن ركبان؟ فقال: إني أحتسب خطاي هذه في سبيل الله، ثم جعل يوصيهم فقال: أوصيكم بتقوى الله، اغزوا في سبيل الله، فقاتلوا من كفر بالله، فإن الله ناصر دينه، ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تجبنوا ولا تفسدوا في الأرض ولا تعصوا ما تؤمرون، فإذا لقيتم العدو من المشركين إن شاء الله فادعوهم إلى ثلاث خصال، فإن هم أجابوكم فاقبلوا منهم وكفوا عنهم، وادعوهم إلى الإسلام، فإن هم أجابوكم فاقبلوا منهم وكفوا عنهم، ثم ادعوهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين، فإن هم فعلوا فأخبروهم أن لهم مثل ما للمهاجرين وعليهم ما على المهاجرين، وإن هم دخلوا في الإسلام واختاروا دارهم على دار المهاجرين فأخبروهم أنهم كأعراب المسلمين يجري عليهم حكم الله الذي فرض على المؤمنين، وليس لهم في الفياء والغنائم شيء حتى يجاهدوا مع المسلمين، فإن هم أبوا أن يدخلوا في الإسلام فادعوهم إلى الجزية، فإن هم فعلوا فاقبلوا منهم وكفوا عنهم، وإن هم أبوا فاستعينوا بالله عليهم فقاتلوهم إن شاء الله، ولا تغرقن نخلاً ولا تحرقنها ولا تعقروا بهيمة ولا شجرة ثمر، ولا تهدموا بيعة ولا تقتلوا الولدان ولا الشيوخ ولا النساء، وستجدون أقوامًا حبسوا

(١) سعيد بن منصور: السنن، ك: ما يؤمر به الجيوش إذا خرجوا، ح ٢٣٨٣.

أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما حبسوا أنفسهم له، وستجدون آخرين اتخذ الشيطان في رؤوسهم أفحاصًا، فإذا وجدتم أولئك فاضربوا أعناقهم إن شاء الله^(١).

٤- في رعاية أبناء الشهداء:

لقد كان لشهداء أحد موقع خاص في قلب رسول الله ﷺ جعله دائمًا يذكرهم ويدعو لهم ويستغفر لهم، وقد قام رسول الله ﷺ يوم أحد فقال: «ألا رجل يأتيني بخبر سعد بن الربيع الأنصاري، فإن آخر عهدي به أني رأيته بملاذ الجبل وقد شرعت إليه الرماح»، فقام فتى من الأنصار، فقال: أنا يا رسول الله، فانطلق فوجده تحت شجرة، فأخبره الخبر، فقال: اقرأ على رسول الله السلام، وأخبره أني طعنت اثنتي عشرة طعنة، وقد أنفذت مقاتلي كلها، وقرأ على قومك السلام، وقل لهم: إن سعد بن الربيع يقول لكم: إنه لا عذر لكم إن قتل رسول الله ﷺ حتى لا يبقى منكم أحد. وأصيب سعد رضي الله عنه في ذلك اليوم فأوصى إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه فدخل رجل على أبي بكر رضي الله عنه أيام خلافته، و بنت سعد بن الربيع صغيرة عنده وهو محتفٍ بها. فقال: يا خليفة رسول الله، ابتك هذه؟ قال: لا، بل ابنة رجل هو خير مني. قال الرجل: من هذا الذي هو خير منك بعد رسول الله ﷺ؟ قال: سعد بن الربيع، كان من النقباء يوم العقبة، وشهد بدرًا وقتل يوم أحد شهيدًا رضي الله عنه^(٢). وهذا من تواضع خليفة رسول الله ووفائه وحسن ظنه بسلف هذه الأمة واعتزازه بالمجاهدين الذين ضحوا بأنفسهم من أجل نصره الدين وقيام دولته.

وعن أم سعد بنت سعد بن الربيع أنها دخلت على أبي بكر الصديق رضي الله عنه فألقى لها ثوبه حتى جلست عليه، فدخل عليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: يا خليفة

(١) البيهقي: السنن الكبرى، ك: السير، باب من اختار الكف عن القطع والتحريق إذا كان الأغلب أنها تصوير دار إسلام أو دار عهد، ح ١٨٦٣٥. ابن أبي شيبة: المصنف، ك: ما ذكر في فضل الجهاد والحث عليه، ح ٢١٨.

(٢) سعيد بن منصور: السنن. كتاب: الوصايا، باب ما جاء في حمل الرؤوس، ح ٢٨٤٢.

رسول الله ﷺ، من هذه؟ قال: هذه بنت من هو خير مني ومنك. قال: ومن خير مني ومنك إلا رسول الله ﷺ؟ قال أبو بكر رضي الله عنه: رجل قبض على عهد رسول الله ﷺ تبوأ مقعده في الجنة وبقيت أنا وأنت^(١). وواضح أن هذا الموقف قد تكرر مرتين في المرة الأولى كانت ابنة سعد بن الربيع رضي الله عنه التي يداعبها خليفة رسول الله طفلة؛ وفي المرة الثانية كانت إحدى بناته الكبريات، وفي كل تلك الأحوال كان الصحابة يخاطبونه بـ (يا خليفة رسول الله).

٥- في الاتباع والافتداء ورفض تقليد الفرس والروم:

عن عقبة بن عامر أنه قدم على أبي بكر الصديق رضي الله عنه برأس «يناق البطريق» فأنكر ذلك. فقال: يا خليفة رسول الله، فإنهم يفعلون ذلك بنا. قال: فاستنان بفراس والروم؟! لا تحمل إليّ رأساً، وإنما يكفي الكتاب والخبر^(٢).

ولعل في هذا درساً في القيم والأخلاق يلقنه خليفة رسول الله لأعداء الإسلام الذين لا يباليون بأحياء المسلمين ولا أمواتهم حين تسلطهم عليهم أو تمكنهم منهم، وهذا ما تشهد به سجون اليهود في فلسطين، وسجون حلفائهم في غوانتنمو، وسجون قوات التحالف الصليبي ومطايهاهم الراضية الذين أسقطوا كل القيم في تعاملهم مع المسلمين في سجون أبي غريب وغيرها سجون ميليشيات الغدر وبيع الدين والبلاد، ومن الحسينيات التي يزعمون أنها للعبادة لكنهم حولوها سجوناً لأبرياء السنة العُزّل من السلاح في العراق كما حصل في حسينية حي أور في بغداد وغيرها في شهر ٣/٢٠٠٦م، ومن هجومهم على حي الأعظمية حي المؤمنین السنة في بغداد في شهر ٤/٢٠٠٦م، واستهدافهم مسجد الإمام أبي حنيفة النعمان ما يؤكد أحقادهم المتوارثة على أعلام المسلمين من أيام الشاه الحاقد على سنة رسول الله ﷺ عباس الصفوي الذي حول مسجد الإمام أبي حنيفة أيام احتلاله بغداد إلى

(١) الحاكم: المستدرک، ح (٦٥٥٣)، ٣/٧٠٢. هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٢) سعيد بن منصور: السنن. كتاب: باب ما جاء في حمل الرؤوس، ح ٢٦٤٩.

مكان للقمامة وقضاء الحاجة، وقد سبقه إلى ذلك جده إسماعيل الصفوي الحاقدا على السنة المطهرة وأهلها بما هو أقبح وأشنع وأقذر من ذلك^(١) وما يشهد عليهم من الصور الموثقة فيما نشرته الفضائيات العالمية التي تؤكد توارثهم لتلك العقيدة، وأنهم يتشربون ذلك الحقد الأسود على السنة النبوية وأهلها المؤمنين في طقوسهم اليومية، ما يظهر الثمار المرة لثقافة الكراهية التي يدين بها هؤلاء الرافضة ضد المسلمين وعميق الأحقاد التي يحملونها في نصوصهم وقلوبهم المنزوعة الرحمة والإنسانية، فضلاً عن الأخلاق والقيم وثقافة الإخاء والتسامح وقبول الآخر وإن كان الأمر من كل ذلك هو ما يجده المراقب من غياب دولة أهل السنة من على وجه الأرض؛ وموت مشاعر الغيرة والحمية على السنة ودماء أهلها وبلادهم عند عامة أهل السنة وما يعانيه أبناؤها من قتل وسجن وأسر وتشريد دون أن يجدوا من يرشدهم أو يراهم أو يداوي جراحهم أو يواسي مصابهم أو يؤانس وحشتهم، حتى صدق عليهم قول الشاعر:

أتى اتجهت إلى الإسلام في بلد تجده كالطير مقصوفاً جناحاه

في وقت تجد فيه أن الدول الصليبية والعلمانية والوثنية ترعى أبناءها، ودولة اليهود ترعى أهلها، ودولة الرافضة تغزو أتباعها وتمدهم بما يحتاجونه من مال وسلاح وإعلام ودعم سياسي واجتماعي وغيره، في الوقت الذي يضيق فيه المتسلطون على رقاب وبلاد أهل السنة الخناق على أبناء ملتهم بما يزيد على ما يقترفه أعداؤهم على الرغم من كل ما أمدهم الله به من الثروات والمساحات الشاسعة والحاجة الظاهرة إليهم وإلى كل طاقاتهم، فتذهب حقوقهم بين المسرفين والمرتشين والمغفلين والمتأمرين، وهكذا يعاني أهل السنة في هذا العصر من الغربة والشعور بالظلم والهضم والإقصاء والحرمان ما لم يمر عليهم في عصر من العصور، وعيونهم تنظر إلى من ينهب الثروات ويستبيح المحرمات وهو يزعم أنه منهم ولسان حال المحرومين وأنين المظلومين يردد قول القائل:

(١) محمد مال الله: موقف الخميني من أهل السنة، ٣٢، ٣٣.

إلى ديّان يوم الدين نمضي وعند الله تجتمع الخصوم

ولكل ما سبق ولغيره كثير؛ يزداد حنين أهل السنة إلى أيام خليفة رسول الله حنين الطيور إلى أعشاشها والأسود إلى عرينها، ذلك الطود الشامخ الذي كان يرعى السنّة وأهلها رعاية الأم لوحيدها، وقد كانت أيامه مصداقاً لذلك، فكم صغرت في عينه قوى العتاة الذين تجرّؤوا على السنّة ورفضوا الزكاة، وكم صغر في عينه الطغاة في فارس والروم الذين أرادوا أن يحولوا بين الناس وعقيدة الكتاب والسنة؟! ومن هنا يتضح الطريق ويتبلور منهج الخلاص المنبعث من بين صفحات الكتاب والسنة الذي لا منهج سواه تصلح عليه حال المسلمين.

٦- في الإفتاء:

معلوم أن خليفة رسول الله كان يفتي بين يدي رسول الله فلم يرد له فتوى كما حدث في حنين وغيرها كما سيظهر في مبحث علم أبي بكر رضي الله عنه، وكما كانوا يخاطبونه يوم وفاة رسول الله ﷺ في شأن تغسيل رسول الله ﷺ ودفنه والصلاة عليه، وكذلك كانوا يخاطبونه بـ (يا خليفة رسول الله) في خصوصاتهم ولجوئهم إلى القضاء والفتيا.

عن محمد بن كعب: أن امرأة من أهل البادية كانت عند رجل من بني عمها فمات عنها فتزوجها رجل من الأنصار فجاء بنو عم الجارية فقالوا: نأخذ ابنتنا. قالت: إني أنشدكم الله أن تفرقوا بيني وبين ابنتي فأنا الحامل وأنا المرضع وليس أحد أقرب لابنتي مني، فقال -زوجها-: موعدكم رسول الله ﷺ، ثم قال: إذا خيرك رسول الله ﷺ فقولني: أختار الله والإيمان ودار المهاجرين والأنصار، فقال النبي ﷺ: «والذي نفسي بيده! لا تذهبون بها ما بقيت عنقي في مكانها». وجاءوا إلى أبي بكر فقضى لهم بها. فقال بلال: يا خليفة رسول الله، شهدت هؤلاء نفر وهذه المرأة عند رسول الله ﷺ اختصموا فقضى بها لأمها، فقال أبو بكر رضي الله عنه: وأنا والذي نفسي بيده لا تذهبون بها ما دامت عنقي في مكانها فدفعها إلى أمها^(١).

(١) ابن أبي شيبة: المصنف، ك: الطلاق. باب: ما قالوا في الأولياء والأعمام أيهم أحق بالولد؟ ح ١.

عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: كنا مع أبي بكر رضي الله عنه فدعا بشراب فأتي بماء وعسل فلما أدناه من فيه بكى وبكى حتى بكى أصحابه فسكتوا وما سكت ثم عاد فبكى حتى ظنوا أنهم لن يقدرُوا على مسألته قال: ثم مسح عينيه فقالوا: يا خليفة رسول الله ما أبكاك؟ قال: كنت مع رسول الله ﷺ فرأيتَه يدفع عن نفسه شيئاً ولم أرَ معه أحداً فقلت: يا رسول الله، ما الذي تدفع عن نفسك قال: «هذه الدنيا مثلت لي فقلت لها: إليك عني ثم رجعت فقالت: إن أفلت مني فلن يفلت مني من بعدك»^(١).

وعن ابن عباس قال: كنا جلوساً مع أبي بكر الصديق رضي الله عنه فمرت جنازة، فقام فقمنا، ثم صلينا، فخلع نعليه، فقلنا: يا خليفة رسول الله، خلعت نعليك حين يلبس الناس نعالهم؟ فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من مشى حافياً في طاعة الله، لم يسأله الله عز وجل يوم القيامة عما افترض عليه»^(٢)، وقد يكون المقصود في تلك الساعة التي سار فيها حافياً والله أعلم؛ وإلا فالفرائض لا يسقط السؤال عنها إلا واسع رحمة الله وعفوه وكرمه؛ ولا يخلو هذا من توجيه ودعوة إلى التواضع والبساطة والخشونة وما إلى ذلك من أخلاق الصالحين.

٧- الاتباع والاقتداء في الميراث:

عن أبي الطفيل قال: أرسلت فاطمة رضي الله عنها إلى أبي بكر رضي الله عنه فقالت: ما لك يا خليفة رسول الله، أنت ورثت رسول الله ﷺ أم أهله؟ قال: لا بل أهله. قالت: فما بال سهم رسول الله ﷺ؟ قال: إني سمعته يقول: «إن الله إذا أطعم نبياً طعاماً، ثم قبضه إليه جعله للذي يقوم بعده». فرأيت أنا بعده أن أردّه على المسلمين. قالت: أنت وما سمعته من رسول الله ﷺ^(٣).

(١) البيهقي: شعب الإيمان. باب: في الزهد وقصر الأمل، ح ١٠٥١٨.

(٢) الطبراني: المعجم الأوسط، باب: محمد بن حنيفة الواسطي ح ٦١٨٧. (لا يروى هذا الحديث عن

أبي بكر إلا بهذا الإسناد، تفرد به محمد بن عبد الله بن معاوية الحذاء الواسطي).

(٣) أبو يعلى: باب: مسند أبي بكر الصديق، ح ٣٧.

وعن أبي الطفيل. قال: جاءت فاطمة رضي الله عنها إلى أبي بكر رضي الله عنه فقالت: يا خليفة رسول الله، أنت ورثت رسول الله ﷺ أم أهله؟ قال: بل أهله. قالت: فما بال سهم رسول الله ﷺ؟ قال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا أطعم الله نبيّاً طعمة ثم قبضه جعله للذي يقوم بعده». فرأيت أن أردّه على المسلمين. فقالت: أنت ورسول الله أعلم^(١).

وعن أبي الطفيل أيضاً قال: جاءت فاطمة رضي الله عنها إلى أبي بكر رضي الله عنه فقالت: يا خليفة رسول الله، أنت ورثت رسول الله ﷺ أم أهله؟ قال: لا، بل أهله، قالت: فما بال - سهمه من - الخمس؟ فقال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا أطعم الله نبيّاً طعمة ثم قبضه كانت للذي يلي بعده»، فلما وليت رأيت أن أردّه على المسلمين، قالت: أنت ورسول الله ﷺ أعلم، ثم رجعت^(٢).

٨- في المشاورة وقبول الرأي الصواب:

عن القاسم بن محمد أن جدتين أتتا أبا بكر الصديق رضي الله عنه أم الأم وأم الأب يحتكمان في الميراث فأعطى الميراث أم الأم دون أم الأب، فقال له عبد الرحمن بن سهل أخو بني حارثة: يا خليفة رسول الله قد أعطيت التي لو أنها ماتت لم يرثها، فجعله أبو بكر رضي الله عنه بينهما، يعني السدس. وقد روي هذا عن النبي ﷺ في إسناد مرسل^(٣).

٩- في العطاء وقسمة الأموال:

عن زيد بن أسلم عن أبيه وعن عمر بن عبد الله مولى غفرة قالوا: قدم على أبي بكر رضي الله عنه مال من البحرين فقال: من كان له على رسول الله ﷺ عِدَةٌ فليأخذها، قال:

- (١) أبو يعلى: باب: مسند فاطمة بنت رسول الله ﷺ، ح ٦٧٥٢.
- (٢) البيهقي: السنن الكبرى، ك: قسم الفيء والغنيمة، باب: بيان مصرف خمس الخمس وأنه بعد رسول الله ﷺ إلى الذي يلي أمر المسلمين يصرفه في مصالحهم، ح ١٣٠١٦.
- (٣) البيهقي: السنن الكبرى، ك: الفرائض. باب: فرض الجدة والجدتين، ح ١٢٥٩٩. عبد الرزاق: المصنف، ك: كتاب الفرائض، باب: فرض الجدات، ح: ١٩٠٨٤.

فجاء جابر بن عبد الله رضي الله عنه فقال: قد وعدني رسول الله ﷺ فقال: إذا جاءني من البحرين مال أعطيتك هكذا وهكذا وهكذا ثلاث مرات ملء كفيه. قال: خذ بيديك فأخذ بيديه فوجده خمسمائة. قال: عد إليها ثم أعطاه مثلها ثم قسم بين الناس ما بقي، فأصاب عشرة الدراهم يعني لكل واحد، فلما كان العام المقبل جاءه مال أكثر من ذلك فقسم بينهم فأصاب كل إنسان عشرين درهماً وفضل من المال فضل فقال للناس: أيها الناس قد فضل من هذا المال فضل ولكم خدم يعالجون لكم ويعملون لكم إن شئتم رضخنا لهم، فرضخ لهم خمسة الدراهم خمسة الدراهم، فقالوا: يا خليفة رسول الله، لو فضلت المهاجرين؟ قال: أجز أولئك على الله إنما هذه معاش، الأسوة فيها خير من الأثرة^(١).

وعن زيد بن أسلم عن أبيه قال: ولي أبو بكر رضي الله عنه فقسم بين الناس بالسوية، فقيل لأبي بكر: يا خليفة رسول الله، لو فضلت المهاجرين والأنصار، فقال: اشترى منهم شري، فأما هذا المعاش فالأسوة خير من الأثرة^(٢).

عن ابن سيرين عن عبيدة قال: جاء عيينة بن حصن والأقرع بن حابس إلى أبي بكر رضي الله عنه فقالا: يا خليفة رسول الله، إن عندنا أرضاً سبخة ليس فيها كلاً ولا منفعة، فإن رأيت أن تقطعناها لعلنا نزرعها ونحراثها، فذكر الحديث في الإقطاع وإشهاد عمر رضي الله عنه ومحوه إياه، قال: فقال عمر رضي الله عنه: إن رسول الله ﷺ كان يتألفكما والإسلام يومئذ ذليل، وإن الله أعز الإسلام، فاذهبا فاجهدا جهدكما، لا أرى الله عليكما إن رعيتما^(٣).

عن قيس بن أبي حازم قال: حضرت أبا بكر الصديق رضي الله عنه فقال له رجل: يا خليفة رسول الله، هذا يريد أن يأخذ مالي كله ويجتاحه، فقال أبو بكر رضي الله عنه: إنما لك من

- (١) البزار: المسند البحر الزخار، ك: مسند عمر بن الخطاب، باب: أسلم مولى عمر عن عمر، ح ٢٨٦.
- (٢) البيهقي: السنن الكبرى، ك: قسم الفياء والغنيمة، باب: التسوية بين الناس في القسمة ح ١٣٢٦٤.
- (٣) البيهقي: السنن الكبرى، ك: قسم الصدقات. باب: سقوط سهم المؤلفة قلوبهم وترك إعطائهم عند ظهور الإسلام والاستغناء عن التألف عليه، ح ١٣٤٦٤.

ماله ما يكفيك، فقال: يا خليفة رسول الله، أليس قال رسول الله ﷺ: «أنت ومالك لأبيك»، فقال أبو بكر رضي الله عنه: ارض بما رضي الله به. وروي عن المنذر بن زياد وقال فيه: إنما يعني بذلك النفقة، والمنذر بن زياد ضعيف^(١).

١٠- في محاسبة النفس:

عن زيد بن أسلم عن أبيه، أن عمر رضي الله عنه اطلع على أبي بكر رضي الله عنه وهو يمد لسانه، فقال: ما تصنع يا خليفة رسول الله؟ فقال: إن هذا أوردني الموارد، إن رسول الله ﷺ قال: «ليس شيء من الجسد، إلا وهو يشكو ذرب اللسان»^(٢).

عن زيد بن أسلم عن أبيه. قال: دخل عمر رضي الله عنه على أبي بكر رضي الله عنه وهو أخذ بلسانه ينفضه، فقال له عمر رضي الله عنه: الله الله يا خليفة رسول الله! وهو يقول: هاه، إن هذا أوردني الموارد^(٣).

١١- في السقيفة والبيعة.

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: لما توفي رسول الله ﷺ قام خطباء الأنصار، فجعل الرجل منهم يقول: يا معشر المهاجرين، إن رسول الله ﷺ كان إذا استعمل رجلاً منكم قرن معه رجلاً منا، فنرى أن يلي هذا الأمر رجلان، أحدهما منكم والآخر منا، قال: فتتابعت خطباء الأنصار على ذلك، فقام زيد بن ثابت رضي الله عنه فقال: إن رسول الله ﷺ كان من المهاجرين وإن الإمام يكون من المهاجرين، ونحن أنصاره كما كنا أنصار رسول الله ﷺ فقام أبو بكر رضي الله عنه فقال: جزاكم الله خيراً يا معشر الأنصار وثبت قائلكم، ثم قال: أما لو فعلتم غير ذلك لما صالحناكم، ثم أخذ زيد بن ثابت رضي الله عنه بيد أبي بكر رضي الله عنه فقال: هذا صاحبكم فبايعوه، ثم انطلقوا، فلما قعد أبو بكر رضي الله عنه على المنبر نظر في

(١) البيهقي: السنن الكبرى، ك: النفقات. باب نفقة الأبوين، ح ١٦١٨٢.

(٢) أبو يعلى: المسند، ك: مسند أبي بكر الصديق، باب: مسند أبي بكر الصديق، ح ٥.

(٣) ابن أبي شيبة: المصنف، ك: المغازي، باب: ما جاء في خلافة أبي بكر وسيرته في الردة، ح ٦.

وجوه القوم فلم ير علياً رضي الله عنه فسأل عنه، فقام ناس من الأنصار فأتوا به، فقال أبو بكر رضي الله عنه: ابن عم رسول الله ﷺ وختنه، أردت أن تشق عصا المسلمين؟ فقال: لا تثريب يا خليفة رسول الله، فبايعه، ثم لم ير الزبير بن العوام رضي الله عنه فسأل عنه حتى جاؤوا به، فقال: ابن عمه رسول الله وحواريه، أردت أن تشق عصا المسلمين؟ فقال مثل قوله: لا تثريب يا خليفة رسول الله، فبايعاه... قال أبو علي الحافظ: سمعت محمد بن إسحاق بن خزيمة يقول: جاءني مسلم بن الحجاج - صاحب الصحيح - فسألني عن هذا الحديث فكتبته له في رقعة وقرأت عليه، فقال: هذا حديث يسوى بدنة، فقلت: يسوى بدنة؟! بل هو يسوى بدرة^(١).

١٢- في الاعتذار عن الخلافة وبيان سياسته:

عن عيسى بن عطية. قال: قام أبو بكر رضي الله عنه الغد حين بويع، فخطب الناس فقال: يا أيها الناس، إني قد أفلتكم رأيكم إني لست بخيركم فبايعوا خيركم، فقاموا إليه، فقالوا: يا خليفة رسول الله، أنت والله خيرنا، فقال: يا أيها الناس إن الناس دخلوا في الإسلام طوعاً وكرهاً، فهم عواد الله وجيران الله، فإن استطعتم ألا يطلبكم الله بشيء من ذمته فافعلوا، إن لي شيطاناً يحضرنى، فإذا رأيتموني قد غضبت فاجتنبوني، لا أمثل بأشعاركم وأبشاركم، يا أيها الناس تفقدوا ضرائب غلمانكم، إنه لا ينبغي للحم نبت من سحت أن يدخل الجنة، ألا وراعوني بأبصاركم، فإن استقمتم فاتبعوني، وإن زغت فقوموني، وإن أطعت الله فأطيعوني، وإن عصيت فاعصوني^(٢).

فيا لله من هذه المدرسة النبوية المباركة، كم أنتجت من الرجال الذين لم يأت مثلهم بعدهم أبداً؟ فهذا التواضع يجعل صاحبه دائماً يؤخر نفسه عن مكانها الحق ليتيح الفرصة لمن يريد

(١) البيهقي: السنن الكبرى، ك: قتال أهل البغي. باب: الأئمة من قريش، ح ١٧٠٠٦. الحاكم: المستدرک على الصحيحين ٨٠/٣. وقال: هذا حديث صحيح الإسناد على شرط الشيخين ولم يخرجاه. البدرة: الصرة من الدراهم.

(٢) الطبراني: المعجم الأوسط، باب: من اسمه منتصر، ح ٨٥٩٧.

خدمة الأمة، ولكن الأمة الطاهرة الأمة السوية لا تقبل أن يكون على رأس أمرها سوى أفضلها، وأمة الصحابة والتابعين تشهد بأجمعها أن أبا بكر رضي الله عنه هو خيرها وأفضلها، وأمة الرفض لما جاء به محمد ﷺ تأبى إلا أن تُكذب الواقع وترد الحق، ولا غرابة فكل إناء بالذي فيه ينضح، ولكن الغرابة ممن يزعم أنه من أهل السنة ولا زالت رؤيته لرجال صدر الإسلام غير واضحة؛ لما يشوبها من اللوثات ويتخللها من الأهواء، فمع كل ما يسمعون خليفة رسول الله ينادي به مما يشهد له على أنه ينظر لهم بعين النبوة، وهو حريص ألا يأكلوا إلا الحلال، وألا يظلموا أحدًا من المسلمين لخطورة ذلك وما يترتب عليه من غيرة الله على عباده المؤمنين، وتلك سياسة الثقة المطلقة بانتهاج الحق؛ فهو يطلب من الأمة المراقبة الدائمة لسياسته؛ إذ إن حدود طاعته بحدود طاعة الله تعالى، ويحرضهم ألا يطيعوه إن لم يكن على منهج طاعة الله، ولكن لم يقرأ أحد من الناس أن فردًا من أبناء الأمة رفض أمرًا لأبي بكر رضي الله عنه، مما يشير إلى أن كل من يشوش على تلك المرحلة النورانية الربانية بأنه ليس من أبناء الأمة، بل هو من خصومها وأعدائها، وذلك هو المقياس الحق، ومن خلط الحق بالباطل فقد زاع عن الحق وهلك.

١٣- في تمسكه بمن كان يعمل لرسول الله ﷺ:

فقد جاء بلال رضي الله عنه إلى أبي بكر رضي الله عنه فقال: يا خليفة رسول الله إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أفضل عمل المؤمن الجهاد في سبيل الله» وقد أردت أن أربط نفسي في سبيل الله حتى أموت، فقال أبو بكر رضي الله عنه: أنا أنشدك بالله يا بلال وحرمتي وحقني لقد كبرت سني وضعفت قوتي واقترب أجلي، فأقام بلال رضي الله عنه معه، فلما توفي أبو بكر رضي الله عنه جاء عمر رضي الله عنه فقال له مثل ما قال أبو بكر، فأبى بلال عليه، فقال عمر رضي الله عنه: فمن يا بلال؟ فقال: إلى سعد، فإنه قد أذن بقباء على عهد رسول الله ﷺ فجعل عمر رضي الله عنه الأذان إلى سعد وعقبه^(١).

(١) الطبراني: المعجم الكبير، ك: باب الباء، بلال بن رباح مؤذن رسول الله ﷺ شهد بدرًا يكنى أبا عبد الله، ح ١٠١٣.

١٤- في استخلاف عمر:

عن ابن أبي مليكة قال: قالت الطاهرة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها: لما ثقل أبي دخل عليه فلان وفلان فقالوا: يا خليفة رسول الله، ماذا تقول لربك غدًا إذا قدمت عليه، وقد استخلفت علينا ابن الخطاب؟ قالت: فأجلسناه. فقال: أبالله ترهبوني؟ أقول: استخلفت عليهم خيرهم^(١). إنها الثقة المطلقة التي يواجه بها الناس، واليقين الكامل بأنه لا يعمل لذاته وإنما يعمل لأمة صاحبه الذي خلفه في الأمة ليعمل فيها بما كان يعمل رسول الله ﷺ.

وعن أنس رضي الله عنه قال: طفنا بغرفة فيها أبو بكر رضي الله عنه حين أصابه وجعه الذي قبض فيه فاطلع علينا اطلاعة، فقال: أليس ترضون بما أصنع؟ قلنا: بلى يا خليفة رسول الله ﷺ^(٢).

١٥- وفي عهده إلى عمر:

عن أنس رضي الله عنه قال: مررنا بغرفة فيها أبو بكر رضي الله عنه حين أصابه وجعه الذي قبض فيه فاطلع علينا اطلاعة فقال أليس ترضون بما أصنع؟ قلنا: بلى يا خليفة رسول الله ﷺ. فهذا الرضا الذي تُحس به الأمة في كل ما يقوم به خليفة رسول الله حتى في مثل هذا الأمر الخطير من تولية أمورهم لخليفة لا يعرفونه ولم يسبق الإعلان عنه، فلما أراد بعض من عرف اسم مرشح الخلافة أن يستفسر عن بعض وجوه هذه المسألة وجد الرد الحاسم من خليفة رسول الله الذي لا يدع مجالاً للتردد في كل ما يقوم به ولا يمكن لمن يحاوره إلا أن يسلم له تسليم الرضا والاتباع حتى في مثل الحال التي كان يعاني فيها الصديق رضي الله عنه من مرض الموت، مما ينبئ بأن كل ذلك ليس له إلا دلالة واحدة هي الثقة المطلقة والشعور الأبوي تجاه كل ما يقوم به رضي الله عنه في شأن الأمة، وكأن

(١) البيهقي: السنن الكبرى، ك: قتال أهل البغي، باب: الاستخلاف، ح ١٧٠٤٢.

(٢) الحاكم: المستدرک على الصحيحين، ح ٤٤٦٩، ٨٥/٣. وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

لسان حالهم يقول إن ما يجتهد به خليفة رسول الله للأمة خير مما تجتهد به الأمة لنفسها، وهذا ما كان وما هو قائم في الأمة إلى هذا اليوم، لا يشذ عن الرضا بما اجتهد به خليفة رسول الله إلا من غلبت عليه النزعة المجوسية وأركس في حمأة النفاق والزندقة التي لا زالت تقذف الأمة بتن تأمرها وأحقاها ورفضها لسنة رسول الله ﷺ وسيرة أصحابه رضي الله عنهم.

١٦- في دعوته إلى الطعام:

عن سالم مولى أبي حذيفة رضي الله عنه أنه كان مع أبي بكر رضي الله عنه على سطح في رمضان وهو يصلي، فأتاه، فقال: ألا تطعم يا خليفة رسول الله؟ فأشار بيده حتى فعل ذلك مرتين، فلما كان في الثالثة قال: اتنتي بطعامك. فطعم وصى ركعتين، ثم دخل المسجد وأقيمت الصلاة^(١).

١٧- في شدته على المرتدين وقبول الرأي المصيب:

عن طارق بن شهاب. قال: جاء أهل الردة من أسد وغطفان إلى أبي بكر رضي الله عنه بعد رسول الله ﷺ يسألونه الصلح، فقال: على أن نزع منكم الحلقة والكراع - السلاح والخيل - وتتركون تتبعون أذنان البقر حتى يُري الله عز وجل خليفة نبيه ﷺ والمؤمنين رأياً يعذرونكم به، وتشهدون أن قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار، وتدون قتلانا، ولا ندي قتلاكم. فقال عمر: يا خليفة رسول الله ﷺ، القول كما قلت، غير أن قتلانا قتلوا في سبيل الله، لا دية لهم. فقبل خليفة رسول الله مشورته لما فيها من تخفيف عن الناس وتشجيع لهم على مراجعة دينهم والتبرؤ من أعداء السنة المفرطين بالدين والعقيدة^(٢).

(١) الطبراني: المعجم الكبير، كتاب: باب السين، باب: سالم مولى أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة شهد بدرًا واستشهد يوم اليمامة رحمه الله، ح (٦٣٧٨).

(٢) الطبراني: المعجم الأوسط، ك: من اسمه أحمد. باب: أحمد بن عمرو القطراني، ح ١٩٧٤.

١٨- في مواجهة الردة:

ولما كان من المرتدين ما كان من رفض طاعة خلافة النبوة ومنع من منع منهم الصدقة. جد بأبي بكر رضي الله عنه الجد في قتالهم. وأراه الله رشداه فيهم، وعزم على الخروج بنفسه. فخرج في مائة من المهاجرين والأنصار، وخالد رضي الله عنه يحمل اللواء، حتى نزل بقاء^(١) يريد أن يتلاحق الناس، ويكون أسرع لخروجهم، ووكل بالناس محمد بن مسلمة الأنصاري رضي الله عنه يستحثهم. وأقام بقاء أيامًا ينتظر الناس. ولم يبق أحد من المهاجرين والأنصار إلا خرج مجاهدًا لمن يرفض طاعة خليفة رسول الله أبي بكر رضي الله عنه - وهذا حال الأمة الإسلامية منذ ذلك العصر؛ فإن الإجماع قائم على قتال من يرفض خلافة النبوة ويدين ببغض الصحابة رضي الله عنهم لما في ذلك من صد شرور أعداء الصحابة؛ الذين يدعون الدين إلى بلاد المسلمين ويتحالفون معهم ويدلونهم على عورات المسلمين ويرصدون حركاتهم ويغتالون أشرف الأمة وأئمة الإسلام - فقال عمر رضي الله عنه: ارجع يا خليفة رسول الله تكن للمسلمين فئة، فإنك إن تقتل يرتد الناس ويعلو الباطل الحق، فدعا زيد بن الخطاب رضي الله عنه ليستخلفه، فقال: قد كنت أرجو أن أرزق الشهادة مع رسول الله ﷺ فلم أرزقها. وأنا أرجو أن أرزقها في هذا الوجه. وإن أمير الجيش لا ينبغي أن يباشر القتال بنفسه.

فدعا أبا حذيفة بن عتبة رضي الله عنه فعرض عليه ذلك، فقال مثلما قال زيد، فدعا سالمًا مولى أبي حذيفة، فأبى عليه. فدعا خالدًا فأمره على الناس، وكتب معه هذا الكتاب: بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما عهد أبو بكر خليفة رسول الله ﷺ إلى خالد بن الوليد

(١) بقاء: اسم قرية من قرى اليمامة، وقيل ماء مر لبني عبس، وقيل مياه لبني سليط، وبقعاء الموضع الذي خرج إليه أبو بكر رضي الله عنه لتجهيز المسلمين لقتال أهل الردة، وهو تلقاء نجد على أربعة وعشرين ميلًا من المدينة، قال الواقدي: وبقعاء هو ذو القصة، وبقعاء مواضع متعددة. قال الشاعر:
وقد كان في بقاء ري لثانكم وتلعة والجوفاء يجري غدورها
ياقوت: معجم البلدان، ٢/ ٣٧١.

رضي الله عنه حين بعثه لقتال من رجع عن الإسلام إلى ضلالة الجاهلية، وأماني الشيطان، وأمره أن يبين لهم الذي لهم في الإسلام، والذي عليهم، ويحرص على هداهم. فمن أجابه قبل منه، وإنما يقاتل من كفر بالله على الإيمان بالله. فإذا أجاب إلى الإيمان، وصدق إيمانه لم يكن له عليه سبيل. وكان الله حسيبه بعد في عمله. ولا يقبل من أحد شيئاً أعطاه إياه إلا الإسلام، والدخول فيه، والصبر به وعليه، ولا يدخل في أصحابه حشواً من الناس، حتى يعرف علام اتبعوه، وقاتلوا معه؟ فإنني أخشى أن يكون معكم ناس يتعوذون بكم، ليسوا بكم، ولا على دينكم، فيكونون عوناً عليكم. وارق بالمسلمين في مسيرهم ومنازلهم، وتفقدهم، ولا تعجل بعض الناس عن بعض في المسير، ولا في الارتحال. واستوص بمن معك من الأنصار رضي الله عنهم خيراً، فإن لهم حقاً وفضيلة وسابقة ووصية من رسول الله ﷺ فاقبل من محسنهم، وتجاوز عن مسيئهم. ويروى أن أبا بكر رضي الله عنه كتب مع هذا كتاباً آخر، وأمر خالدًا رضي الله عنه أن يقرأه في كل مجمع^(١).

١٩- في شدته على المرتدين:

ولما أوقع الله بني أسد وفزارة ما أوقع بيزاخة^(٢) بث خالد رضي الله عنه السرايا، ليصيبوا من قدروا عليه ممن هو على رده، وجعلت العرب تسير إلى خالد رضي الله عنه رغبة في الإسلام، وخوفاً من السيف، فمنهم من أصابته السرية، فيقول: جئت راغباً في الإسلام، وقد رجعت إلى ما خرجت منه. ومنهم من يقول: ما رجعنا، ولكن منعنا أموالنا، فقد سلمناها، فليأخذ منها حقه. ومنهم من مضى إلى أبي بكر رضي الله عنه ولم يقرب خالدًا رضي الله عنه. ثم عمد خالد رضي الله عنه إلى جبلي طيب أجأ وسلمى، فأتته عامر وغطفان يدخلون الإسلام، ويسألونه الأمان على مياهم وبلادهم. وأظهروا التوبة، وأقاموا الصلاة، وأقروا

(١) ابن عبد الوهاب: مختصر سيرة الرسول ﷺ، قتال أهل الردة، ١/١٩٩.

(٢) بزاخة: ماء لطيب بأرض نجد، وقيل ماء لبني أسد كانت فيه وقعة عظيمة أيام أبي بكر رضي الله عنه مع طليحة بن خويلد وبني أسد وغطفان. قال الشاعر:

ويومًا على ماء البزاخة خالدٌ أثار بها في هبوة الموت عثيرًا

بالزكاة. فأمنهم خالد رضي الله عنه وأخذ عليهم العهود والمواثيق: لتبايعن على ذلك أبناءكم ونساءكم آناء الليل وآناء النهار. فقالوا: نعم، نعم. وبعث بعينته بن حصن الفزاري إلى أبي بكر رضي الله عنه مجموعة يدها في وثاقه، فجعل غلمان المدينة ينخسونه بالجريد، ويضربونه. ويقولون: أي عدو الله، أكفرت بالله بعد إيمانك؟ فيقول: والله ما كنت آمنت بالله قط.

وأخذ خالد رضي الله عنه من بني عامر وغيرهم من أهل الردة ممن بايعه على الإسلام كل ما ظهر من سلاحهم، واستحلفهم على ما غيَّبوا منه، فإذا حلفوا تركهم، وإن أبوا شدَّهم أسرى حتى أتوا بما عندهم. فأخذ منهم سلاحًا كثيرًا، فأعطاه أقوامًا يحتاجون إليه في قتال عدوهم، وكتبه عليهم ثم ردَّوه بعد.

وحدث يزيد بن أبي شريك الفزاري عن أبيه، قال: قدمت مع أسد وغطفان على أبي بكر رضي الله عنه وافدًا، حين فرغ خالد رضي الله عنه منهم. فقال أبو بكر رضي الله عنه: اختاروا بين خصلتين؛ حرب مجلية، أو سلم مخزية. فقال خارجة بن حصن: هذه الحرب المجلية قد عرفناها، فما السلم المخزية؟ قال: تشهدون أن قتلانا في الجنة، وقتلاكم في النار. وأن تردوا علينا ما أخذتم منا، ولا نرد عليكم ما أخذنا منكم. وأن تدوا قتلانا، كل قتيل مائة بعير، منها أربعون في بطونها أولادها، ولا ندي قتلاكم. ونأخذ منكم الحلقة والكرع وتلحقون بأذنان الإبل حتى يري الله خليفة نبيه والمؤمنين ما شاء فيكم، أو يرى منكم إقبالًا لما خرجتم منه. فقال خارجة: نعم يا خليفة رسول الله. فقال أبو بكر رضي الله عنه: عليكم عهد الله وميثاقه أن تقوموا بالقرآن آناء الليل وآناء النهار، وتعلمون أولادكم ونساءكم، ولا تمنعوا فرائض الله في أموالكم. قالوا: نعم. قال عمر: يا خليفة رسول الله، كل ما قلت كما قلت، إلا أن يدوا من قُتل منا، فإنهم قوم قتلوا في سبيل الله فتتابع الناس على قول عمر رضي الله عنه فقبض أبو بكر رضي الله عنه كل ما قدر عليه من الحلقة والكرع، فلما توفي رضي الله عنه رأى عمر رضي الله عنه أن الإسلام قد ضرب بجرائنه، فدفعه إلى أهله وإلى ورثة من مات منهم^(١).

(١) ابن عبد الوهاب: مختصر سيرة الرسول ﷺ، ذكر رجوع بني عامر وغيرهم إلى الإسلام، ٢٠٥/١.

٢٠- شدته على المرتدين وقبول الرأي السديد:

ولما ظهر العلاء على أهل الردة والمجوس بعث رجالاً من عبد القيس إلى أبي بكر رضي الله عنه فنزلوا على طلحة والزبير رضي الله عنهما، وأخبروهما بقيامهم في أهل الردة. ثم دخلوا على أبي بكر رضي الله عنه وحضر طلحة والزبير، فقالوا: يا خليفة رسول الله، إنا قوم أهل إسلام، وليس شيء أحب إلينا من رضاك، ونحن نحب أن تعطينا أرضاً من البحر وطواحين. وكلمه في ذلك طلحة والزبير رضي الله عنهما. فأجاب، وقالوا: اكتب لنا كتاباً، فكتب. فانطلقوا بالكتاب إلى عمر رضي الله عنه. فلما قرأه، تفل في الكتاب ومحاها. ودخل طلحة والزبير رضي الله عنهما، فقالا: والله ما ندري، أنت الخليفة أم عمر رضي الله عنه؟ فقال أبو بكر رضي الله عنه: وما ذاك؟ فأخبروه، فقال أبو بكر رضي الله عنه: لئن كان عمر كره شيئاً من ذلك، فإني لا أفعله. فبينما هم على ذلك إذ جاء عمر، فقال له أبو بكر: ما كرهت من هذا؟ قال: كرهت أن تعطي الخاصة دون العامة، وأنت تقسم على الناس، فتأبى أن تفضل أهل السابقة، وتعطي هؤلاء قيمة عشرين ألفاً دون الناس. فقال أبو بكر: وفقك الله، وجزاك خيراً. هذا هو الحق^(١).

٢١- في حمل المسلمين على مواجهة المرتدين:

أخرج الإسماعيلي عن عمر رضي الله عنه قال: لما قبض رسول الله ﷺ ارتد من ارتد من العرب وقالوا: نصلي ولا نزكي فقبلوا الصلاة ورفضوا الزكاة، فأتيت أبا بكر رضي الله عنه فقلت: يا خليفة رسول الله، تألف الناس وارفق بهم فإنهم بمنزلة الوحش. فقال: رجوت نصرتك وجئتني بخذلانك، جباراً في الجاهلية خواراً في الإسلام؟ بماذا عسيت أن أتألفهم؟ بشعر مفتعل أو بسحر مفترى؟ هيهات هيهات، مضى النبي ﷺ وانقطع الوحي والله لأجاهدكم ما استمسك السيف في يدي وإن منعوني عقلاً، قال عمر رضي الله عنه: فوجدته في ذلك أمضى مني وأحزم؛ وأدب الناس على أمور، هانت عليّ كثير من مؤونتهم حين وليتهم^(٢).

(١) ابن عبد الوهاب: مختصر سيرة الرسول ﷺ: ٢١٩/١.

(٢) تاريخ الخلفاء: ٦٧.

وأخرج الدارقطني عن ابن عمر رضي الله عنه قال: لما برز أبو بكر رضي الله عنه واستوى على راحلته لمواجهته رافضي خلافته المرتدين بعد وفاة رسول الله ﷺ أخذ علي بن أبي طالب رضي الله عنه بزمامها وقال: إلى أين يا خليفة رسول الله؟ أقول لك ما قال لك رسول الله ﷺ يوم أحد: «شم سيفك، ولا تفجعنا بنفسك، وارجع إلى المدينة، فوالله لئن فجعنا بك لا يكون للإسلام نظام أبداً»^(١).

ولما بعث خليفة رسول الله خالداً رضي الله عنه أمره أن يقاتل الناس على خمس من ترك واحدة منهن قاتله كما يقاتل من ترك الخمس جميعاً: على شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت، وسار خالد ومن معه في جمادى الآخرة، فقاتل بني أسد، وغطفان، وقتل من قتل وأسر من أسر، ورجع الباقون إلى الإسلام. ولعله من هذا الوضوح وهذه الشدة على المبغضين لما جاء به رسول الله ﷺ تنادت الرافضة في الماضي والحاضر على تشويه سيرة خليفة رسول الله؛ لأنه سد عليهم كل منافذ التدليس والتلبيس التي ينفذون منها إلى ثقافة الأمة، ورسم سياسة من تمسك بها يكون بإمكانه أن يمحق الرفض والردة، وكل ألوان الحروب التي يشنها أعداء القرآن ورافضو السنة في كل عصر وفي كل مصر فجزى الله خليفة رسول الله خير ما جزى به إماماً جاهد الرافضة المارقين على ما جاء به رسول رب العالمين ﷺ.

٢٢- في إطالته الصلاة:

قرأ أبو بكر رضي الله عنه يوماً في صلاة الفجر بسورة «البقرة» حتى سلم منها قريباً من طلوع الشمس، فقالوا: يا خليفة رسول الله ﷺ، كادت الشمس تطلع، فقال: لو طلعت لم تجدنا غافلين^(٢). ولعل في هذا الموقف ما يشير إلى مرتبة خليفة رسول الله ﷺ العالية بين أصحاب رسول الله ﷺ، فمع ما قام به من إطالة في الصلاة إلى الحد الذي لا يخلو من

(١) تاريخ الخلفاء: ٦٧.

(٢) ابن القيم: زاد المعاد، فصل في إطالة الركعة الأولى من صلاة الظهر، ٢٠٣/١.

وجود نصوص نبوية تحذر منه في مثل قوله ﷺ لمعاذ رضي الله عنه: «أفتان أنت يا معاذ؟» وذلك حينما اشتكى إطالته في الصلاة أحد الأنصار رضي الله عنهم لكن اللافت هنا أن أحدًا من الصحابة لم يراجع الخليفة رضي الله عنه في شيء، واكتفى الجميع بالتسليم كتسليم التلميذ لشيخه وأستاذه؛ إذ لا يوجد من بين الصحابة من لديه علم يضيفه إلى علم خليفة رسول الله ﷺ، فيما لو كان غيره لواجه الكثير من التساؤلات والنصائح، وفي هذا خليفة دلالة عظيمة على سمو المكانة التي كان يتمتع بها خليفة رسول الله بين أصحاب النبي ﷺ.

٢٣- في مرضه الذي مات فيه رضي الله عنه:

عن مالك عن أبي السفر قال: دخل على أبي بكر رضي الله عنه ناس من إخوانه يعودونه في مرضه فقالوا: يا خليفة رسول الله، ألا ندعو لك طبيبًا ينظر إليك؟ قال: قد نظر إلي. قالوا: فماذا قال لك؟ قال: قال: إني فعال لما أريد^(١). فهذا الصديق يقين وقوة ووضوح في الرؤية ومعرفة تامة بالحدث وتصويب مسدد نحو الهدف لا شك ولا تردد ولا غموض وتلك والله صفات القادة الذين لا يهزمون والربانيين الذين لا يتيهون عن نهج النبوة ومسار الكتاب والسنة.

٢٤- استمرار السلام عليه بـ (خليفة رسول الله) بعد وفاته:

ومما يشير إلى كرامة الصديق رضي الله عنه تعلقه في معية الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ وقربه من رسول الله ﷺ في كل أحواله في صحته ومرضه وصحبته وخلافته وفي حياته وبعد موته، فمن آداب السلام عليه بعد السلام على رسول الله ﷺ أن يتحول الزائر من أمام رسول الله ﷺ بقدر ذراع، حتى يحاذي رأس خليفة رسول الله، ويقول: السلام عليك يا خليفة رسول الله، السلام عليك يا صاحب رسول الله، وأنيسه في الغار، ورفيقه في الأسفار، وأمينه في الأسرار، جزاك الله عنا أفضل ما جزى إمامًا عن أمة نبيه؛ فقد خلفته بأحسن خلف، وسلكت طريقه ومنهاجه خير مسلك، وقاتلت أهل الردة والبدع، ومهدت

(١) ابن أبي شيبه: المصنف، ك: الزهد، ح ١٠.

الإسلام، وشيدت أركانه فكانت خير إمام، ووصلت الأرحام، ولم تزل قائمًا بالحق ناصرًا للدين ولأهله حتى أتاك اليقين، أسأل الله سبحانه لنا دوام حبك، والحشر مع حزبك. أو بعض هذا أو مثله فيما يُشعر بالأدب بين يدي رسول الله وخليفته رضي الله عنه والعرفان بكل الأدوار التي عاشها صابرين محتسبين مخلصين حتى أقر الله عيونهما بنصر الدين وعزة المؤمنين^(١).

٢٥- استمرار ذكره بـ (خليفة رسول الله) بعد وفاته.

وذكر أبو بكر رضي الله عنه بعد وفاته عند عمر رضي الله عنه فبكى وقال: وَدِدْتُ أَنْ عملي كلّه مثل عمله يومًا واحدًا من أيامه وليلةً واحدة من ليلاته، أما ليلته فليلة سار مع رسول الله ﷺ إلى الغار فلما انتهى إليه قال: والله لا تدخله حتى أدخل قبلك فإن كان فيه شيءٌ أصابني دونك. فدخل فكسحه ووجد في جانبه ثقبًا فشقّ إزاره وسدّها به، وبقي منها اثنانِ فألقمهما رجله، ثمّ قال لرسول الله ﷺ: ادخل. فدخل رسولُ الله ﷺ ووضع رأسه في حجره ونام فلُدغَ أبو بكر رضي الله عنه في رجله من الجحر، ولم يتحرك مخافة أن ينتبه رسولُ الله ﷺ فسَقَطَتْ دموعُهُ على وجهِ رسولِ الله ﷺ، فقال: «ما لك يا أبا بكر؟» قال: لُدغْتُ، فذاك أبي وأمي. فتقلّ رسولُ الله ﷺ فذهبَ ما يجدُهُ ثم انتقضَ عليه وكان سببَ موته، وأما يومه فلَمَّا قُبِضَ رسولُ الله ﷺ ارتدَّت العربُ، وقالوا: لا نُؤدي زكاةً. فقال: لو منعوني عقلاً لجاهدْتهم عليه. فقلت: يا خليفة رسولِ الله، تألّفِ الناسَ وارفُقْ بهم. فقال لي: أجبّارٌ في الجاهلية خوّارٌ في الإسلام؟ إنّه قد انقطعَ الوحيُ وتمّ الدينُ؛ أينقصُ وأنا حي؟! رضي الله عنه^(٢).

(١) مراقي الفلاح شرح نور الإيضاح (فقه حنفي) ١/٧٤٥. فصل في السلام على النبي ﷺ.

(٢) مشكاة المصابيح، ٣/١٧٠٠.

المبحث الثاني

أسرة خليفة رسول الله أبي بكر الصديق رضي الله عنه ومواليه

أبواه:

والده هو عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب، يكنى أبا قحافة أسلم يوم فتح مكة^(١)، وكان بصره مكفوفاً فقال لابنة له من أصغر ولده والمسلمون يوم الفتح بذي طوى^(٢): أي بنية، اظهري بي على جبل أبي قبيس. قالت: فأشرفت به عليه. فقال: أي بنية ماذا ترين؟ قالت: أرى سواداً مجتمعاً. قال: تلك الخيل. قالت: وأرى رجلاً يسعى بين يدي ذلك السواد مقبلاً ومدبراً. قال: أي بنية، ذلك الوازع الذي يأمر الخيل ويتقدم إليها، ثم قالت: قد والله انتشر السواد. قالت: فقال: قد والله إذن دفعت الخيل، فأسرعي بي إلى بيتي. فانحطت به، وتلقاه الخيل قبل أن يصل إلى بيته. وكان في عنق الجارية طوق من ورق الفضة، فتلقاها رجل، فيقتطعه من عنقها ويأخذه.

فلما دخل رسول الله ﷺ مكة، ودخل المسجد، أتى أبو بكر بأبيه يقوده، فلما رآه رسول الله ﷺ قال: «هلا تركت الشيخ في بيته حتى آتبه فيه؟» قال أبو بكر، يا رسول الله، هو أحق أن يمشي إليك من أن تمشي إليه أنت. قال: فأجلسه بين يديه، ثم مسح صدره ثم قال له:

(١) ابن عبد البر، الاستيعاب، ٣/ ١٠٣٦. ابن الجوزي: المنتظم، ٤/ ٧٧.

(٢) (ذو طوى): وإدبمكة. ياقوت: ٦/ ٢٦٩.

«أسلم»، فأسلم. ودخل به أبو بكر، وكان رأسه ثغامة^(١) فقال رسول الله ﷺ: «غيروا هذا من شعره». وروي أن أبا بكر قال: أما والذي بعثك بالحق لأننا كنت أشد فرحًا بإسلام أبي طالب مني بإسلامه أبتغي بذلك قرة عينك. قال: «صدقت». ثم قام أبو بكر رضي الله عنه فأخذ بيد أخته، وقال: أنشد الله والإسلام طوق أختي. فلم يجبه أحد، قالت: فقال: أي أختية، احتسبي طوقك، فوالله إن الأمانة في الناس اليوم لقليل^(٢).

وكان أبو قحافة شفيقًا على ولده أبي بكر رضي الله عنه. قال له حين أعتق من أعتق: يا بني، أراك تعتق رقابًا ضعافًا فلو أنك إذ فعلت ما فعلت أعتقت رجالًا جلدًا يمنعونك ويقومون دونك، فقال أبو بكر: يا أبت إنني أريد ما عند الله؛ فأنزل الله عز وجل فيه قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ﴿٦﴾ فَسَنِيَرَهُ لِلْيُسْرَى ﴿٣﴾﴾^(٤).

وفاة أبي قحافة:

مات أبو قحافة بمكة سنة أربع عشرة، قال علماء السير: توفي أبو قحافة بمكة في محرم سنة أربع عشرة، وهو ابن سبع وتسعين سنة بعد موت أبي بكر رضي الله عنه بستة أشهر وأيام^(٥).

والدته:

هي أم الخير سلمى بنت صخر بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك، وهي من السابقات إلى الإسلام عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أسلمت أم أبي بكر وأم عثمان وأم طلحة وأم الزبير وأم عبد الرحمن بن عوف

(١) الثغامة: نبت واحدها ثغامة، لونه أبيض مثل الثلج، يشبه به الشيب لشدة بياضه.

(٢) ابن هشام. السيرة النبوية، ٤ / ٥٣. الطنطاوي: أبو بكر الصديق، ٥٥.

(٣) سورة الليل، الآيات: ٥-٧.

(٤) ابن الجوزي: المنتظم، ٤ / ٧٧. البلاذري: الشيخان: ص ٨٨.

(٥) ابن عبد البر، الاستيعاب، ٤ / ١٩٣٤.

وأم عمار بن ياسر رضي الله عنهم، وأم أبي بكر رضي الله عنه أم الخير سلمى بنت صخر بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك. ولما توفي أبو بكر ورثه أبواه جميعًا، وكانا قد أسلما وماتت أم أبي بكر قبل أبيه أبي قحافة^(١).

وجدة أم الخير أم أمها: دلاف وهي أميمة بنت عبيد بن الناقذ الخزاعي من قبيلة خزاعة^(٢).
وجدة أبي بكر رضي الله عنه أم أبي قحافة: أمينة بنت عبد العزى بن حرثان بن عوف بن عبيد بن عويج بن عدي بن كعب^(٣). عن عائشة قالت: ما أسلم أبوا أحد من المهاجرين إلا أبوا أبي بكر رضي الله عنه^(٤) وإسلام أم الخير لا يمكن المرور عليه هكذا وبسرعة دون الوقوف على تفاصيل أحداث ذلك اليوم الذي جلب لها الإسلام أو جلبها إلى الإسلام، أما تفاصيله فقد جاءت وافية في الفصل الثاني من هذا البحث في مواقفه رضي الله عنه قبل الهجرة وأحداث أول مواجهة مع المشركين.

إسلام أم الخير والدة خليفة رسول الله:

أسلمت أم الخير سلمى بنت صخر رضي الله عنها قديمًا في دار الأرقم بن أبي الأرقم بن عبد مناف بن أسد المخزومي، حينما ألح أبو بكر على رسول الله بالظهور، وكان المسلمون تسعة وثلاثين رجلًا فقام أبو بكر رضي الله عنه أول خطيب يدعو إلى الله وإلى رسوله، فثار المشركون على المسلمين فضربوهم في نواحي المسجد... وفي ذلك اليوم دعا لها رسول الله ﷺ استجابة لرغبة صاحبه أبي بكر رضي الله عنه فأسلمت^(٥).

- (١) المعجم الكبير: ١/ ٥١. ابن عساکر: تاريخ دمشق، ٣٠/ ١٧. ابن الجوزي: الصفوة، ١/ ١٢٣. ووهم من قال: إنها أسلمت مع أبي قحافة يوم إسلامه. البلاذري: الشيطان: ٨٩.
- (٢) ابن عساکر: تاريخ دمشق، ٣٠/ ٢٣.
- (٣) الطبراني: المعجم الكبير، ١/ ٥٢.
- (٤) تاريخ الإسلام، عهد الخلفاء الراشدين، ١٠٦.
- (٥) ينظر: ابن هشام: السيرة النبوية، ١/ ٤٣٩ الطنطاوي: أبو بكر، ٥٩.

إن ذلك اليوم الذي استطاع فيه أبو بكر رضي الله عنه بواسع رؤيته وحسن تدابيره وعميق خبرته في الحياة الاجتماعية أن يحشد الإيمان كله لمواجهة الشرك كله، في أعظم بقعة وأقدس مكان على وجه الأرض حول الكعبة المشرفة، لا يمكن تجاوزه دون استقاء الدروس والعبر، وإن كان ذلك موضعه في مواقف الصديق قبل الهجرة التي ستتضح في الفصل الثاني من هذا البحث، ولكن سنقتطف هنا بعض العبر بإيجاز لأهمية الموقف وتشابه الأحداث، فأبو بكر رضي الله عنه جمع في ذلك اليوم شرف المكان وشرف الدعوة والداعية رسول الله ﷺ لعلهم يعودون إلى رشدهم ويثيرون إلى عقولهم، ولكن هيهات للشرك أن يتنازل عن كبره وريائه وعنجهيته وبهتانه، وكيف يقبل بذلك وهو لا يفكر بغير لغة المكاسب وتلبية الأهواء، فمع تخلق المؤمنين بالحكمة والعقل والحلم والعفو وسعة الصدر، ولجوئهم إلى أظهر البقاع وأقدسها على وجه الأرض تأكيداً على منهج السلم والحوار في تعريف الناس بدينهم؛ لكن الجاهلية وكما هي في كل عصورها لا تتعامل مع الضعيف إلا بلغة الظلم والبغي والتعدي على الحريات والخيارات الراشدة، فهذه الحال ذاتها تتكرر فكما صادرت جاهلية المشركين خيارات الناس، كذلك الجاهلية المعاصرة صادرت حريات المسلمين وحاربتهم وأقصت عقيدتهم، رافضين الدعوة المسالمة والكلمة الطيبة؛ داعين المؤمنين إلى ترك دين الطهر والعفاف والعدل والأخوة الإنسانية، إلى اعتناق دين الانحلال الأخلاقي والإباحية والظلم والاحتكار والربا والقمار والخمرة والمخدرات والتزوير وهضم حقوق الضعفاء، وإن لم يفعلوا أقامت عليهم الحصار وسلطت عليهم الإعلام الهابط في قيمه وأهدافه، وأطلقت عليهم أيدي الطغاة، وأمدت من يناصب السنة المطهرة العدا والبغض بأدوات الإغراء والبطش والتزوير.

فالجاهلية لم تواجه حملة الكتاب والسنة في يوم سلاح الحوار والكلمة والحجة بالحجة، وإنما دائماً تواجههم سلاح البطش والأذى والتسفيه، وأمام ذلك الفارق الشاسع في المواجهة والأدوات، تمكن المؤمنون من تسجيل أول انتصار أخلاقي جماعي لجماعة المؤمنين على المشركين، حيث ظهرت هزيمة الشرك الذي لجأ أتباعه إلى العنف عندما

عجزوا عن مواجهة ما جاء به رسول الله ﷺ وأعلنه أبو بكر رضي الله عنه في تلك الخطبة، وهذا هو حال أعداء الإسلام في كل العصور فلا يعرفون سوى السجون والتعذيب والأذى والتزييف والبهتان لمواجهة دعوة الطهر والعفاف والعدل والحرية.

وكما هو حال من يواجه الجبابة والطغاة من التعظيم والتبجيل في نظر مجتمعاتهم، فقد عظم أبو بكر رضي الله عنه في نفوس وقلوب المؤمنين، لما قام به من دور رائد، حيث كسر أطواق الرهبة من الجاهلية وفتح أبواب الدعوة العلنية وأثبت أن المسلمين كيان لا يقهر وسيعلو على جميع العقبات التي يضعها المشركون في طريقه، ومع ما نال المسلمين من أذى جسدي في تلك الملحمة الدعوية العقديّة فإنهم أرغموا أنوف المشركين بما أظهره من تلاحم وأخوة وعلم وصبر وانضباط.

ومع كل الذي حصل لأبي بكر من أذى جسدي ونفسي في تلك المواجهة فإنه لم ينس مهمته التي كان يعمل من أجلها في كل أوقاته ألا وهي الدعوة إلى توحيد الله تعالى، وقد اغتنم تلك اللحظة التي جاشت فيها مشاعر المؤمنين بعميق المودة والتراحم والتعاون ليستعين برسول الله ﷺ على دعوة والدته إلى الإسلام والطلب من رسول الله ﷺ الدعاء لها، فاستطاع آنذاك أن يحقق رغبته بإسلام والدته حينما قال: يا رسول الله إنك رجل مبارك، وهذه والدتي بارة بولدها فادع الله لها أن يهديها للإسلام، ففعل النبي ﷺ ما يقر عين صاحبه ليفوز بإيمان والدته، وتقديم أروع ما يمكن أن يقدمه الأبرار لأهلهم ألا وهو الإيمان. وما هذه إلا صورة لأول ما حصل في مكة بين المسلمين والمشركين ليمرّ المؤمنون بعد ذلك بأطوار أخرى من المواجهات مع عتاة الباطل تلونت فيها الأعباء والامتحانات؛ حيث واجهوا مكر اليهود وفتنهم وتشويشهم وإجلابهم الدائم على المسلمين، وكذلك تلبس المنافقين وشائعاتهم وأباطيلهم إضافة إلى الجوع وضيق ذات اليد، فكانت تلك المواجهة الأولى بين المؤمنين المسالمين والمشركين المتجبرين دورة تدريبية لتعلم فنون الصبر والعطاء والتضحية، ومعالجة آثار بغي الطغاة وتجاوز العوائق والعقبات مع التمسك

الدائم بالهدف الأسمى الذي شرعت من أجله التضحية في الإسلام ألا وهو الدعوة إلى الله ورسوله لإخراج الناس من ضيق الجاهلية وظلمها إلى سعة الإسلام وعدله.

زوجاته:

تزوج أبو بكر رضي الله عنه في حياته من أربع نسوة أنجبن له ثلاثة ذكور وثلاث إناث، اثنتان من زوجاته في الجاهلية وهما:

قتيلة: بنت عبد العزى بن أسعد بن جابر بن مالك من بني عامر بن لؤي^(١) وهي والدة عبد الله وأسماء ذات النطاقين رضي الله عنهما.

وأم رومان: بنت عامر بن عويمر من بني كنانة بن خزيمة^(٢): أسلمت قديمًا وبايعت وهاجرت وهي أم عبد الرحمن وعائشة رضي الله عنهما. واسم أم رومان (دعد) وأبوها عامر بن عويمر بن عبد شمس من بني كنانة بن خزيمة، ويقال: عمير بن عامر ولما أسلم سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أتى أبا بكر رضي الله عنه فأخبره بما لقيه به رسول الله ﷺ فسمعت أم رومان امرأة أبي بكر وهو يفاوضه في أمر الإسلام. فلما خرج سعد قالت لأبي بكر رضي الله عنه: ما الذي كنتما فيه؟ فأخبرها، ودعاها إلى شهادة الحق ورفض الأوثان فأسلمت. وقالت: لقد كنت أعلم أن محمدًا ﷺ خليق لكل خير^(٣).

وقيل اسمها زينب، وكانت تحت عبد الله بن حارث بن سخبرة بن جرثومة الأزدي، وكان قد أقام بها في مكة فحالف أبا بكر رضي الله عنه قبل الإسلام وتوفي عن أم رومان بعد أن ولدت له الطفيل ثم خلف عليها أبو بكر رضي الله عنه فأسلمت قديمًا وبايعت وهاجرت بعدما استقر المقام بأبي بكر في المدينة. والصحيح أنها توفيت في خلافة عثمان كما ذكر ذلك البخاري في التاريخ الأوسط والتاريخ الصغير. وفي المتظم ذكر ابن الجوزي أنها

(١)، (٢) الزبيرى، نسب قريش، ٢٧٦. ابن سعد، الطبقات، ٣/١٦٩، ٨/٢٤٩. الصلابي، أبو بكر الصديق، ٢٣.

(٣) البلاذري: الشيخان، ٩٠.

توفيت في ذي الحجة من السنة السادسة للهجرة، إلا أن هذا بعيد لأنها ذكرت في أحداث بعد هذه السنة^(١).

وتزوج في الإسلام امرأتين هما:

أسماء بنت عميس بن معبد بن الحارث^(٢) الخثعمية وهي أخت ميمونة بنت الحارث أم المؤمنين لأمها. وهي من المهاجرات أسلمت قديمًا قبل دخول دار الأرقم، ثم بايعت وهاجرت إلى الحبشة مع زوجها جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه فولدت له هناك محمدًا وعبد الله وعونًا؛ ثم هاجرت معه إلى المدينة فاستشهد في معركة مؤتة، فتزوجها أبو بكر رضي الله عنه فولدت له محمد بن أبي بكر. وتزوجها بعد أبي بكر عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه فذكر أنها ولدت منه ولدًا اسمه محمد فكان يقال لها: أم المحدثين^(٣). وروي أن النبي ﷺ زوجها لأبي بكر رضي الله عنه يوم حنين فولدت له محمدًا، ثم مات عنها فتزوجها علي رضي الله عنه فولدت له يحيى لا خلاف في ذلك، ولما مات أبو بكر رضي الله عنه أوصى أن تغسله. وكان عمر رضي الله عنه يسألها عن تفسير المنام ونقل عنها أشياء من ذلك ومن غيره^(٤).

حبيبة ويقال: مليكة بنت خارجة بن زيد بن أبي زهير الخزرجية الأنصارية، وكانت قد أسلمت وبايعت وتوفي عنها أبو بكر رضي الله عنه وهي حامل فولدت له بعد وفاته أم كلثوم بنت خليفة رسول الله أبي بكر رضي الله عنه ثم خلف على حبيبة بعد أبي بكر رضي الله عنه خبيب بن إساف رضي الله عنه^(٥).

(١) ابن الجوزي: المنتظم: ٣/ ٢٩١. الطنطاوي: أبو بكر الصديق، ٢٥٣.

(٢) ابن عبد البر: الاستيعاب، ٤/ ١٧٨٤. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ٢/ ٢٨٢.

(٣) المسعودي: مروج الذهب، ٢/ ٢٣٢. وقال: ولدت لعلي أولادًا كلهم درجوا ولا عقب لعلي رضي الله عنه منها.

(٤)، (٥) الطبري: تاريخ، ٢/ ٣٥١-٣٥٦.

أولاد أبي بكر رضي الله عنه:

كان لأبي بكر رضي الله عنه من الولد ستة: ثلاثة بنين، وثلاث بنات وهم:

- عائشة وعبد الرحمن: وأمهما أم رومان دعد بنت عامر الكنانية رضي الله عنها.

الطاهرة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها:

وتكنى أم عبد الله وأمها أم رومان ولدت بعد بعثة رسول الله ﷺ بأربع سنين أو خمس، وروي أنها كانت مسماة لجبير بن مطعم فخطبها النبي ﷺ، وذلك أنه بعدما توفيت أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها جاءت خولة بنت حكيم^(١) رضي الله عنها زوجة عثمان بن مظعون رضي الله عنه فقالت: يا رسول الله، ألا تتزوج؟ قال: «مَنْ؟» قالت: ابنة أحب الخلق إليك عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنه^(٢). وعن الطاهرة عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ خطبها وهي ابنة ست سنين وهو في مكة، قالت: فقدمنا المدينة فنزلنا في بني الحارث بن الخزرج من الأنصار رضي الله عنهم، قالت: وبنى بها رسول الله وهي يومئذ بنت تسع سنين^(٣). وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: فضلت على نساء النبي ﷺ بعشر:

- لم ينكح بكرًا قط غيري.

- ولا امرأة أبواها مهاجران غيري.

(١) خولة بنت حكيم بن أمية بن حارثة بن الأوقص السلمية زوجة عثمان بن مظعون رضي الله عنه.

ابن حجر: الإصابة، ٨ / ١١٦.

(٢) الطنطاوي: أبو بكر الصديق، ٢٦٢.

(٣) ابن حجر: الإصابة، ٨ / ٢٣٤. الطنطاوي: أبو بكر الصديق، ٢٦٤. قال: وقد استشكل هذا الحديث

أناس فتكلموا بغير علم، ولقد رأيت أثناء اشتغالي بالقضاء من هي بنت تسع سنين وهي أكمل جسدًا وهيئة من ابنة ستة عشر عامًا. أقول: وقد كانت أم المؤمنين كذلك، ولا أدل على ذلك من ذكر خولة بنت حكيم لها وهي ابنة ست سنين، مما يعني أنها كانت على هيئة وبنية جسدية وعقلية مميزة وخاصة بها منذ تلك السن رضي الله عنها وأرضاها.

- وأنزل الله براءتي من السماء قرآنًا يتلى إلى يوم القيامة. لا ينكره إلا كافر أو منافق رافض لكتاب الله عز وجل.
- وجاء جبريل بصورتني من السماء في حريرة.
- وكنت أغتسل أنا ورسول الله ﷺ في إناء واحد، ولم يكن يصنع ذلك بأحد من نسائه غيري.
- وكان ﷺ يصلي وأنا معترضة بين يديه دون غيري.
- وكان ﷺ ينزل عليه الوحي وهو معي في فراشي؛ ولم ينزل عليه وهو مع غيري.
- وقبض ﷺ وهو بين سحري ونحري. السحر الرثة والنحر الصدر والمراد بين ذراعها رضي الله عنها وأرضاها وأخزى مبغضها وأعداءها.
- وقبض في الليلة التي كان يدور عليّ فيها.
- ودفن في بيتي ﷺ. وكل هذا من المتفق عليه بين المسلمين، ومما هو معلوم لديهم لا يماري فيه إلا من رفضوا القرآن والسنة وناصروا أهل بيت رسول الله العدا والبغض والكرهية ممن يزعمون أنهم يحبونهم، وهم يبغضون الطاهرة عائشة أحب نساء رسول الله ﷺ إليه وزوجه في الدنيا والآخرة.
- وكانت مدة مقام رسول الله ﷺ مع الطاهرة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها تسع سنين، وتوفي ﷺ عنها ولها من السنين ثماني عشرة سنة.
- وكانت فقيهة النساء حتى قيل بأن ربع الأحكام الشرعية منقول عنها. وكانت عالمة بأكثر العلوم. قال أبو موسى الأشعري: ما أشكل علينا - أصحاب رسول الله ﷺ - حديث قط فسألنا عنه عائشة رضي الله عنها إلا وجدنا عندها منه علمًا. وقال عروة بن الزبير: ما رأيت أعلم بفقهِه ولا طب ولا شعر من عائشة رضي الله عنها. وعن مسروق قال: رأيت مشيخة

أصحاب رسول الله ﷺ الأكاابر يسألونها عن الفرائض^(١). وقال ﷺ: «عائشة زوجتي في الجنة»^(٢). وفي هذا إرغام للأفاكين ومن يتلقى عنهم من السفهاء.

وكانت رضي الله عنها كريمة على منهج زوجها ﷺ وأبيها رضي الله عنه في الكرم. قالت أم ذرّة جاريتها: أُتيت بمائة ألف ففرقتها وهي يومئذ صائمة فقلت لها: أما استطعت فيما أنفقت أن تشتري بدرهم لحمًا تفطرين عليه، فقالت رضي الله عنها: لو كنت أذكرتني لفعلت^(٣). وفي هذا الموقف ما فيه من العبر التي منها أن كرم أم المؤمنين ابنة بيت الكرم ومعدن الجود إنما هو خلق أصيل في بيتهم لا يتكلفون التخلق به وأن الكرم والإنفاق عندهم أحب إليهم من التلذذ حتى من لقمة الإفطار التي يتلقاها الصائم على حاجة وشهية، مما يؤكد أن كرم آل الصديق كرم فطري جبلوا عليه جبلة، وأن تحول عائشة رضي الله عنها إلى بيت رسول الله ﷺ لتكون من أحب آله وأهل بيته وسكنه ومستراحه ﷺ ما زادها إلا كرمًا على كرم؛ إذ إن رسول الله ﷺ كان في الكرم كالريح المرسلّة، فليس مستغربًا على من هذه نشأتها أن تكون قدوة لنساء الأمة من بعدها؛ ولا سيما في هذا العصر لِيَتَعَلَّمَنَّ منها كيف يكون الكرم والسيادة والزهّد، وكيف تكون خدمة القيم والمبادئ وأين تصرف الأموال، ويتعلمن منها أن الفعال هي التي تزين نساء هذه الأمة وليس محلات التجميل التي تديرها كثير من الكافرات اللواتي يأتين بالأخلاق الغريبة على مجتمعاتنا وقيمنا النبيلة، وقد تكون المشينة على بناتنا ونسائنا لكي يحلن بينهن وبين التجميل بما كانت تتجمل به أم المؤمنين من الفعال الحميدة والمواقف النبيلة.

وقد أصبحت أم المؤمنين عائشة ولا زالت بتلك القيم والأخلاق السامية؛ مثال

(١) ابن حجر: الإصابة، ٢٣٣. ومعلوم أن علم الفرائض من أصعب علوم الفقه لما فيه من المسائل والمواريث التي يصعب فهمها.

(٢) مسلم، الصحيح، ك: فضائل الصحابة، باب: فضل عائشة رضي الله عنها. ١٨٩٤/٤. ابن حجر: الإصابة، ١٩/٨.

(٣) ابن حجر: الإصابة، ٨/٢٣٤، ١/١٢٥.

المرأة المسلمة لما حباها الله تعالى من صفات الكمال والتمام والهيئة والمكانة والعلم والفصاحة والفقه والفتانة والطهر والطاعة لله ولرسوله ﷺ. فهي مثال الزوجة التي وصفها رسول الله ﷺ التي إذا نظر إليها زوجها سرته، وإذا أمرها أطاعته، وإذا غاب عنها حفظته^(١) فكانت حب رسول الله ﷺ وراحته وهناءته وسروره الذي لا يتحقق عند أهله تامة إلا عندها ليكون بذلك الدليل القاطع على نجاحها في كل شؤون حياتها الزوجية والعلمية والاجتماعية وغيرها، والشاهد على ما كانت تتمتع به من صفات نالت إعجاب ومحبة سيد البشر مع ما يتمتع به من الذوق الرفيع والخلق الرباني العظيم. وهي المشاركة لأبناء الأمة في همومهم وتطلعاتهم وآلامهم. قال عطاء بن أبي رباح: كانت عائشة رضي الله عنها أرقه الناس وأعلم الناس وأحسن الناس رأياً في العامة^(٢). ونظراً لهذه المكانة السامية والمرتبة العالية فإن أعداء رسول الله ﷺ وأعداء أصحابه أغاظهم ذلك فنظروا في أي باب من أبواب النقص لكي ينسبوه إلى أم المؤمنين الطاهرة فلم يجدوا مدخلاً يوصلهم إلى ما يفرغ غيظهم وبغضهم، مما دعاهم إلى شن حرب شعواء؛ أسلحتها الإفك والبهتان وصریح الكذب مع الجهالة والغباوة؛ حتى أصبح ذلك هو الخلق الذي يعرف به أعداء أم المؤمنين رضي الله عنها؛ فهم أكذب الخلق وأخس بني البشر فلا يثق بهم إلا مغفل بليد، ولا يعاملهم إلا تافه رعديد؛ كيف لا وهم لا زالوا يدينون ويشيعون الكذب على أهل رسول الله ﷺ بالتعبد بجريمة الإفك^(٣) التي برأها الله تعالى منه؟! كيف وهم الذين لا زالوا يرددون البهتان مضاهاة للقرآن.....

(١) الحاكم: المستدرک، کتاب الزکاة، ح (١٤٨٧) أبو داود کتاب الزکاة، باب حق السائل، ح(١٦٦٤).

(٢) ابن حجر: الإصابة، ٨/ ٢٣٢.

(٣) ينظر: صحیح البخاری، کتاب الشهادات، باب تعديل النساء بعضهن بعضاً، (٢٦٦١) ونصه: أن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يخرج سفراً أقرع بين أزواجه فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه، فأقرع بيننا في غزاة غزاها فخرج سهمي فخرجت معه بعدما أنزل الحجاب فأنأ حمل في هودج وأنزل فيه فسرنا حتى إذا فرغ رسول الله ﷺ من غزوته تلك وقفل ودنونا من المدينة آذن ليلة بالرحيل فقمنا حين آذنوا بالرحيل فمشيت حتى جاوزت الجيش فلما قضيت شأني أقبلت =

= إلى الرحل فلمست صدري فإذا عقد لي من جزع أظفار قد انقطع فرجعت فالتمست عقدي فحبسني ابتغاؤه فأقبل الذين يرحلون لي فاحتملوا هودجي فرحلوه على بعيري الذي كنت أركب وهم يحسبون أنني فيه وكان النساء إذ ذاك خفافاً لم يثقلن ولم يغشهن اللحم، وإنما يأكلن العلقمة من الطعام، فلم يستنكر القوم حين رفعوه ثقل الهودج فاحتملوه، وكنت جاريةً حديثة السن فبعثوا الجمل وساروا فوجدت عقدي بعدما استمر الجيش فجئت منزلهم وليس فيه أحد فأمرت منزلي الذي كنت به فظننت أنهم سيققدوني فيرجعون إلي، فبينما أنا جالسة غلبتني عيناى فنمت وكان صفوان بن المعطل السلمي ثم الذكواني من وراء الجيش فأصبح عند منزلي فرأى سواد إنسان نائم فأتاني وكان يراني قبل الحجاب فاستيقظت باسترجاعه حين أناخ راحلته فوطئ يدها فركبتها فانطلق يقود بي الراحلة حتى أتينا الجيش بعدما نزلوا معرسين في نحر الظهيرة فهلك من هلك وكان الذي تولى الإفك عبد الله بن أبي ابن سلول فقدمنا المدينة فاشتكت بها شهرًا والناس يفيضون من قول أصحاب الإفك ويريبني في وجعي أنني لا أرى من النبي ﷺ اللطف الذي كنت أرى منه حين أمرض إنما يدخل فيسلم ثم يقول: «كيف تيكم؟» لا أشعر بشيء من ذلك حتى نقيت فخرجت أنا وأم مسطح قبل المناصع متبرزنا لا نخرج إلا ليلاً إلى ليل، وذلك قبل أن نتخذ الكنف قريباً من بيوتنا وأمرنا أمر العرب الأول في البرية أو في التنزه فأقبلت أنا وأم مسطح بنت أبي رهم نمشي فعثرت في مرطها فقالت: تعس مسطح. فقلت لها: بس ما قلت أتسين رجلاً شهد بدرًا؟ فقالت: يا هنتاه ألم تسمعي ما قالوا فأخبرتني بقول أهل الإفك فازددت مرضاً على مرضي، فلما رجعت إلى بيتي دخل علي رسول الله ﷺ فسلم فقال: «كيف تيكم؟» فقلت: ائذن لي إلى أبوي قالت: وأنا حينئذ أريد أن أستيقن الخبر من قبلهما فأذن لي رسول الله ﷺ فأتيت أبوي فقلت لأمي: ما يتحدث به الناس فقالت: يا بنية هوني على نفسك الشأن فوالله لقلما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها ولها ضرائر إلا أكثرن عليها. فقلت: سبحان الله ولقد يتحدث الناس بهذا؟ قالت: فبت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لي دمع، ولا أكتحل بنوم ثم أصبحت فدعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد حين استلبت الوحي يستشيرهما في فراق أهله، فأما أسامة فأشار عليه بالذي يعلم في نفسه من الود لهم فقال أسامة: أهلك يا رسول الله ولا تعلم والله إلا خيراً، وأما علي ابن أبي طالب فقال: يا رسول الله، لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثير، وسل الجارية تصدقك فدعا رسول الله ﷺ بريرة فقال: «يا بريرة، هل رأيت فيها شيئاً يريبك؟» فقالت بريرة: لا والذي بعثك بالحق؛ إن رأيت منها أمراً أغمصه عليها قط أكثر من أنها جارية حديثة السن تنام عن العجين فتأتي الداجن فتأكله. فقام رسول الله ﷺ من يومه فاستعذر من عبد الله بن أبي ابن سلول =

= فقال رسول الله ﷺ: «من يعذرني من رجل بلغني أذاه في أهلي فوالله ما علمت على أهلي إلا خيراً، وقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلا خيراً وما كان يدخل على أهلي إلا معي»، فقام سعد بن معاذ فقال: يا رسول الله، أنا والله أعذرُك منه إن كان من الأوس ضربنا عنقه، وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا فيه أمرُك، فقام سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج وكان قبل ذلك رجلاً صالحاً ولكن احتملته الحمية فقال: كذبت لعمر الله لا تقتله ولا تقدر على ذلك. فقام أسيد بن حضير فقال: كذبت لعمر الله والله لنتقلته؛ فإنك منافق تجادل عن المنافقين؛ فثار الحيان الأوس والخزرج حتى هموا ورسول الله ﷺ على المنبر فنزل فخفضهم حتى سكتوا، وسكت وبكيت يومي لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم، فأصبح عندي أبواي، وقد بكيت ليلتين ويوماً حتى أظن أن البكاء فالتق كبدي قالت: فيينا هما جالسان عندي وأنا أبكي إذ استأذنت امرأة من الأنصار فأذنت لها فجلست تبكي معي، فيينا نحن كذلك إذ دخل رسول الله ﷺ وسلم فجلس ولم يجلس عندي من يوم قيل في ما قيل قبلها، وقد مكث شهراً لا يوحى إليه في شأني شيء قالت: فتشهد ثم قال: «يا عائشة فإنه بلغني عنك كذا وكذا فإن كنت بريئة فسيبرئك الله، وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه؛ فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب تاب الله عليه»، فلما قضى رسول الله ﷺ مقالته قلص دمعي حتى ما أحس منه قطرة، وقلت لأبي: أجب عني رسول الله ﷺ. قال: والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ! فقلت لأمي: أجيبني عني رسول الله ﷺ فيما قال. قالت: والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ. قالت: وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ كثيراً من القرآن فقلت: إني والله لقد علمت أنكم سمعتم ما يتحدث به الناس ووقر في أنفسكم وصدقتم به ولئن قلت لكم إني بريئة والله يعلم إني لبريئة لا تصدقوني بذلك، ولئن اعترفت لكم بأمر والله يعلم أنني بريئة لتصدقني، والله ما أجد لي ولكم مثلاً إلا أبا يوسف إذ قال: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾. ثم تحولت على فراشي وأنا أرجو أن يبرئني الله ولكن والله ما ظننت أن ينزل في شأني وحياً ولأنا أحقر في نفسي من أن يتكلم بالقرآن في أمري، ولكنني كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ في النوم رؤيا يبرئني الله، فوالله ما رام مجلسه ولا خرج أحد من أهل البيت حتى أنزل عليه الوحي فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء حتى إنه ليتحدر منه مثل العجمان من العرق في يوم شات، فلما سري عن رسول الله ﷺ وهو يضحك فكان أول كلمة تكلم بها أن قال لي: «يا عائشة احمدي الله، فقد برأك الله». فقالت لي أُمِّي: قومي إلى رسول الله ﷺ. فقلت: لا والله لا أقوم إليه ولا أحمد إلا الله فأنزل الله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ﴾ الآيات، فلما أنزل الله هذا في براءتي قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه وكان ينفق على مسطح بن أثاثة لقرابته منه: والله لا أنفق على مسطح شيئاً أبداً بعدما قال لعائشة =

وتكديباً لقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾^(١) ولكي يثبتوا خروجهم على أمر الله تعالى وإصرارهم على تكذيب القرآن وأنهم ليسوا من المؤمنين؛ فإنهم لا يقيمون وزناً لقوله تعالى: ﴿يَعْظُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾^(٢) فكل من يتحدث بالإفك ليس من المؤمنين بهذا النص القرآني المبارك، والرافضة الذين ينالون من الطاهرة أم المؤمنين هم الذين يكذبون القرآن والسنة وهم إخوة الذين قال الله فيهم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٣) ومن يدعو في هذا العصر إلى مودة من ينال من أم المؤمنين الطاهرة عائشة فهو يدعو إلى مودة من يكذب القرآن، وبالتالي من أحبّ قوماً فهو منهم.

والطاهرة أم المؤمنين فقيهة النساء أجمعين، وهي التي فاقت أخبارها جميع أخبار نساء هذه الأمة لما لها من مكانة في قلب رسول الله ﷺ، ولما حصل لها من مكروه مكر المنافقين وكيدهم ومن بعدهم إخوانهم الرافضة الأفاكون وما يلوكونه بألسنتهم وكتبهم وخطبهم من البهتان الراد لما أنزل الله عز وجل من القرآن الكريم في سورة النور من تكذيب هؤلاء وقمعهم ونهيهم عن التللف بأي حرف من ذلك الزور؛ وأن كل من يتلفظ بالإفك والكذب ليشيع الفاحشة في صفوف المؤمنين إنما هو منافق سلولي رافضي عدو لله ورسوله ﷺ؛ لأنه كافر بقوله تعالى: ﴿يَعْظُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ فالقرآن يؤكد أن المؤمنين لا يتحدثون بما يشيعه الكذابون وأعداء الصحابة يدينون بهذا الإفك والكذب والبهتان.

= فأنزل الله تعالى ﴿وَلَا يَأْتِلْ أَوْلُوا الْفَضْلَ مِنْكُمْ وَالسَّعَةَ أَنْ يُؤْتُوا﴾ إلى قوله ﴿عَفْوَرٌ رَجِيمٌ﴾ فقال أبو بكر: بلى والله إني لأحب أن يغفر الله لي فرجع إلى مسطح الذي كان يجري عليه، وكان رسول الله ﷺ يسأل زينب بنت جحش عن أمري فقال: «يا زينب ما علمت؟ ما رأيت؟». فقالت: يا رسول الله أحمي سمعي وبصري والله ما علمت عليها إلا خيراً. قالت: وهي التي كانت تساميني فعصمها الله بالورع. ورواها في كتاب التفسير، سورة النور، باب: ﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ﴾ ح (٤٧٥٤) صحيح مسلم، كتاب التوبة، باب في حديث الإفك، ح (٤٩٧٤).

(١) سورة النور، الآية: ١٦. (٢) سورة النور، الآية: ١٧.

(٣) سورة النور، الآية: ١٩.

والحديث عنها رضي الله عنها إنما هو حديث عن أهل رسول الله ﷺ وأسرته وخصوصياته في بيته وعمّا حبا الله تعالى به أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها من العقل والنباهة والفظنة والذكاء والعلم والفقہ والكرم والفصاحة فضلاً عن رواية الحديث والإجابة عن عامة المسائل الفقهية والاجتماعية العائلية والأسرية، حيث لا زالت هي المرجع في هذا لكبار علماء هذه الأمة، فضلاً عن عامتهم، وما إلى ذلك من شؤون تفردت بها مفخرة الأمة وجوهرة السنة وعلوم الحديث رضي الله عنها وأرضاها وأخزى الله خصومها ومبغضيهها ومن لا يذكرها بالحسنى وعاطر الذكر وطيب القول كما هي أهل لذلك وأكثر.

ولا يسع هذا الموضع الحديث عنها وعن إنجازاتها للأمة وحميتها على الدين وغيرها على رسول الله ﷺ وعلى أصحابه الأكرمين وإفحامها بالحجة والبرهان لكل من سولت له نفسه أن ينال منهم أو يذكرهم بغير ما ذكرهم الله تعالى به؛ حتى أصبحت العلم الأشم والنور الذي يزيل الظلمة في ذلك، وهي التي تقحمت المخاطر ولم يرهبها مكر الرافضة أئمة الفتنة وغدرهم، وعرضت نفسها الشريفة النبيلة لكل هول؛ غيرة على الأمة وحرصاً على وحدتها وإصلاح ذات البين بين أبنائها ونقاء سنة نبينا ﷺ وموروثه المقدس في العلم والحديث وفي الأمر والنهي، فلم يهدأ لها بال ولم تستقر لها نفس بعد أن غدر الغادرون بعثمان الشهيد أمير المؤمنين رضي الله عنه وفعلوا فعلتهم الآثمة، حتى أقرت اجتماع الأمة على تنفيذ حكم الله فيهم، فكان من فضلها وبركة وجودها معهم وبطلب وإلحاح منهم انقياد القبائل لأمر الله في القتل المجرمين الذين تخلت عنهم قبائلهم وتبرأت منهم ومن سوء فعالهم؛ حتى جيء بهم كالكلاب يجرون جرّاً في البصرة لكي يقام عليهم حدّ القصاص بين يدي القائدين الأميرين الأسدين المجاهدين المبجلين المبشرين بالجنة طلحة والزبير رضي الله عنهما^(١) وليكون أولئك القتل المجترئون على الشهيد عثمان رضي الله عنه في البلد الحرام والشهر الحرام والمسجد الحرام؛ عبرة لكل من يرفض السنة أو ينال من أئمتها، إذ إن الرافضين للسنة المجترئين على دماء أهلها؛

(١) الطبري: تاريخ، ٥/ ٢٣٥. ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٣/ ١١٢. الخليفة: الإنصاف، ٣٣٠.

هذا هو حكم الله فيهم الذي نُفِّذَ بهم بين يدي طلحة والزبير صاحبي رسول الله ﷺ وأسديه العاديين بين يديه ﷺ وليتعلم أهل السنة في كل عصر ومصر من كل ذلك الغيرة على سنة نبيهم ﷺ وعلى دينه ودماء أمته؛ ومن هنا أصبحت أم المؤمنين بسيرتها الطاهرة العطرة السامية رضي الله عنها وأرضاها؛ فيصلاً بين أهل الإيمان الموالين لها ولما سارت عليه من سنة رسول الله ﷺ وبين مبغضيه من الزنادقة الرافضين للسنة المخالفين لمراد رسول الله ﷺ وحبه ورضاه ومستراحه ومبتغاه من دنياه، وبذلك أصبح بغض أهل بيت رسول الله ﷺ الطاهرة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها حرباً على الكتاب والسنة وأهلها ورفضاً صريحاً قبيحاً لهما. لا يجهل هذا الجرم إلا غافل أبله لا يميز بين الحق والباطل ولا بين السنة والردة. وأما مسير أم المؤمنين للإصلاح بين المؤمنين وجمع كلمتهم بعد استشهاد أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه الذي سارت من أجله وأجابتهم إليه إذ لم تخرج إلا للإصلاح بين المسلمين حين قالوا لها «تقدّمين فيراك المسلمون فيصلح الله عز وجل ذات بينهم»^(١).

وقد جعل الله في خروجها خيراً كثيراً؛ فكم من سيوف أغمدت ومن السنة كفت عن الفتنة ببركة وجودها، وهي إن لم تتمكن من تحقيق كل أهدافها في وأد الفتنة؛ فكيفها فخاراً ما تحقق من ذلك ويكفيها أجراً ما تجشمت من صعاب السفر والمخاطرة الهائلة، حينما لم يخف الله تعالى فيها من اجترؤوا على الشهيد عثمان رضي الله عنه، وهي تعلم أن من فعل ذلك لن يقيم وزناً لأحد في الأمة بعده؛ وكل ذلك جاء مفصلاً في كتاب الإنصاف فيما وقع في تاريخ العصر الراشدي من الخلاف فلا حاجة لتكراره مرة أخرى فليراجع هناك، وجزى الله أم المؤمنين على جهودها الميمونة في حماية السنة وأهلها ووأد الفتنة وأهلها خيراً ما جزى به المؤمنين المصلحين.

(١) ابن حنبل: المسند: ٦/ ٥٢. الخليفة: الإنصاف فيما وقع في تاريخ العصر الراشدي من الخلاف، ٣٢٥.

وتعلمت أم المؤمنين عائشة عن رسول الله ﷺ الكثير الطيب من العادات والأخلاق والأعمال والقيم وفي كل مجالات الحياة، وحفظ عنها الرواة عشرة ومائتين وألفين (٢٢١٠) حديثاً من بحر علمها الذي روته عن رسول الله ﷺ، فهي من كبار حماة ورواة السنة النبوية المطهرة، وهذه الميزة من الأسباب التي ضاعفت عليها أحقاد الرافضة وبهتانهم؛ للتشكيك بما روته من السنة المطهرة كما هو حالهم مع جميع الرواة إذ يشنون عليهم حملات الدس والتزيف؛ للحيلولة بين رواياتهم وبين إيمان الناس برسول الله ﷺ واتباعه والعمل بسنته. وهي التي قال عنها رسول الله ﷺ مادحاً ومنوهاً بمكانتها في الأمة: «فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام»^(١). ومعلوم أن الثريد هو أفضل طعام العرب وأكثره عافية وصحة وهناءة، وهو الذي يقدمونه في أكرم المناسبات والأعياد والأفراح.

ولما مرضت رضي الله عنها دخل عليها عبد الله بن العباس رضي الله عنهما يعودها قبيل وفاتها. فقال: أنت بخير إن شاء الله زوجة رسول الله ﷺ، ولم ينكح بكراً غيرك، ونزل عذرك من السماء^(٢). وتوفيت ليلة الثلاثاء لسبع عشرة خلون من رمضان سنة ٥٨ للهجرة، وقيل سنة ٥٧، وقيل ٥٩. ودفنت بالبقيع مع أمهات المؤمنين رضي الله عنهن، بعد أن آثرت بمكانها الذي كانت تدخره لنفسها من حجرتها التي دفن فيها زوجها ﷺ وأبوها رضي الله عنه آثرت فيه عمر رضي الله عنه بعد أن استأذنها في ذلك ليدفن مع صاحبيه قرير العين هانيها، فرضي الله عن أم المؤمنين التي أبت إلا أن تكون كريمة في كل شيء وأرضاها وجزاها عن الإسلام والمسلمين خير ما جرى الأنصار والمهاجرين والمجاهدين المصلحين وأشرف الناس والعلماء العاملين، وصلى عليها بعد وفاتها صاحب رسول الله أبو هريرة عبد الرحمن بن صخر الدوسي رضي الله عنه^(٣).

(١) البخاري: صحيح البخاري، ٤/٢٠٠. ٣٦/٥. مسلم: صحيح مسلم، ك. فضائل الصحابة، ١٨٩٥/٤.

(٢) البخاري: صحيح البخاري، ك: تفسير القرآن، باب: ولولا إذ سمعتموه...، ح ٤٧٥٣.

(٣) ينظر: ابن الجوزي: الصفوة، ١/١٢٥.

عبد الرحمن بن أبي بكر:

ويكنى أبا عبد الله، وقيل أبا محمد، أمه أم رومان، وهو شقيق عائشة رضي الله عنهما، شهد بدرًا وأحدًا مع المشركين، فكان إذا أقبل على المسلمين دعا عليه أبو بكر رضي الله عنه بالهلاك، وإذا أدبر دعا له بالتوبة، وكان شهيمًا شجاعًا فطنًا فصيحًا، وكان رامياً حسن الرمي، له مواقف في الجاهلية والإسلام مشهورة، دعا إلى البراز في يوم بدر، فقام إليه أبو بكر رضي الله عنه ليارزوه. فقال له رسول الله ﷺ: «متعنا بنفسك» ثم من الله على عبد الرحمن فأسلم في هدنة الحديبية، وكان اسمه عبد الكعبة فسماه رسول الله ﷺ عبد الرحمن. وشهد اليمامة مع خالد بن الوليد رضي الله عنه، فقتل سبعة من أكابر المرتدين وهو الذي قتل محكم اليمامة ابن طفيل^(١) رماه بسهم في نحره فقتله. وشهد يوم البصرة أو ما يسمى بيوم الجمل مع طلحة والزبير رضي الله عنهما مع شقيقته أم المؤمنين الطاهرة المصلحة عائشة رضي الله عنها، وكانت تدعو الناس إلى الصلح فاستهدف هودجها الرافضة السبئية يريدون قتلها حتى أصبح هودجها كالقنفذ من كثرة السهام التي رموها عليه^(٢) قاتلهم الله تعالى، وكان أخوها محمد بن أبي بكر مع علي رضي الله عنه، وهو الذي تولى صحبتها في ذلك اليوم ومن ثم عادت إلى مكة وأقامت بها حتى أدت فريضة الحج ثم عادت إلى المدينة^(٣).

وعاش عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما حتى فاض معاوية الناس على بيعة ابنه يزيد خشية على الأمة من الفتنة وانفراط الصف، فكان عبد الرحمن من أكبر أربعة معارضين لتلك البيعة، فعاملهم معاوية رضي الله عنه بلطفه وحلمه المعهود، ولم يجبر أحدًا من الناس على بيعة يزيد من بعده، ولم يعش عبد الرحمن حتى يشهد تلك البيعة التي كان يعارضها وكان يقول: لا أبيع ديني بدنياي. وكان رجلًا صالحًا لم يجرب عليه كذب قط، وكانت فيه

(١) هو محكم بن الطفيل وزير مسيلمة الكذاب، قتله عبد الرحمن بن أبي بكر يوم اليمامة، ينظر: ابن كثير: البداية والنهاية، ٦/٣٤١.

(٢) الطبري: تاريخ، ٥/٢٦٧. ابن كثير: البداية والنهاية، ٣/١٣٠. الخليفة: الإنصاف، ٣٩٦.

(٣) الطبري: ٥/٢٨١. ابن كثير: البداية والنهاية، ٧/٢٥٨. الخليفة: الإنصاف، ٤٠٤.

دعابة^(١) ولطف وأدب جم، وخرج إلى مكة قبل أن تتم البيعة ليزيد، فتوفي فجأة سنة (٥٣) بموضع على عشرة أميال من مكة، ويقال إنه مات في نومة نامها رضي الله عنه.

وولد عبد الرحمن محمدًا، وعبد الله، وحفصة. فأما محمد بن عبد الرحمن فولد عبد الله بن محمد وله عقب يقال لهم: آل أبي عتيق من بين ولد أبي بكر، وذلك أن عدة من ولد أبي بكر تفاضلوا، فقال أحدهم: أنا ابن الصديق، وقال الآخر: أنا ابن ثاني اثنين، وقال محمد: أنا ابن عتيق، فنسب إلى ذلك هو وولده إلى اليوم^(٢).

عبد الله وأسماء ذات النطاقين:

وأمهما قتيلة بنت عبد العزى من بني عامر بن لؤي.

عبد الله هو أكبر أولاد خليفة رسول الله الذكور. وهو صاحب الدور الرائد في يوم الهجرة عندما كان رسول الله ﷺ وخليفته متواريين في الغار^(٣). وكان غلامًا شابًا فطنًا، وكان يأتيهما بأخبار قريش وما يأترون به ضد رسول الله ﷺ وخليفته رضي الله عنه، وكان يبيت عندهما ويخرج من السَّحَر فيصبح مع قريش، ولما رجع الدليل عبد الله بن أريقط الدثلي من المدينة بعد أن أوصل رسول الله ﷺ وصاحبه رضي الله عنه أخبر عبد الله بوصولهما إلى المدينة سالمين، فخرج بعيال أبي بكر وبصحبتهم طلحة بن عبيد الله حتى قدموا المدينة، وشهد فتح مكة وحنينًا والطائف مع النبي ﷺ وجرح بالطائف، رماه أبو محجن الثقفي بسهم فاندمل جرحه ثم انتقض عليه فمات في خلافة خليفة رسول الله ﷺ في شوال سنة (١١) للهجرة ودفن بعد الظهر وصلى عليه أبوه رضي الله عنه ونزل في قبره أخوه عبد الرحمن وعمر بن الخطاب وطلحة بن عبيد الله رضي الله عنهم، ويعد من شهداء الطائف، وترك سبعة دنانير فاستكثرها أبو بكر!! وكانت وفاته بعد وفاة رسول الله ﷺ بأربعين ليلة، وترك زوجته عاتكة

(١) الطنطاوي: أبو بكر الصديق، ٢٥٧.

(٢) البلاذري: الشيخان، ٩١. ابن كثير: البداية والنهاية، ٦/٣٤٦. الطنطاوي: ٢٥٨، ٢٥٩.

(٣) البلاذري، الشيخان: ١٠٢.

بنت زيد بن عمرو العدوية أخت سعيد بن زيد أحد العشرة المبشرين بالجنة، وكانت امرأة لها هيئة وجمال وتمام وكمال وجزالة في عقلها ومنظرها ورأيها. وكان عبد الله بها معجباً فشغلته عن أموره، فأمره أبوه أن يطلقها فطلقها ثم ندم على ذلك فقال رضي الله عنه:

ولم أر مثلي طلق اليوم مثلها ولا مثلها في غير شيء تطلق
فرق له أبوه رضي الله عنه وأمره أن يراجعها فراجعها ومات وهي عنده رضي الله
عنهما^(١).

أسماء ذات النطاقين بنت أبي بكر:

أسماء بنت عبد الله بن عثمان أبي قحافة التيمية، أمها قتيلة، وهي شقيقة عبد الله بن أبي بكر، وهي أكبر بنات خليفة رسول الله كما أن عبد الله أكبر أولاده، ولدت قبل الهجرة بسبع وعشرين سنة، وتزوجها الزبير بن العوام رضي الله عنه ابن عمه النبي ﷺ صفية بنت عبد المطلب رضي الله عنها.

أكبر أبنائها هو أمير المؤمنين الشجاع العالم الفصيح الزاهد العابد عبد الله بن الزبير رضي الله عنه، أسلمت قديماً؛ قيل بعد سبعة عشر نفساً، سماها رسول الله بذات النطاقين لأنها هيأت له ومعها أختها الصغيرة الطاهرة أم المؤمنين عائشة لما أراد الهجرة سفرة فاحتاجت إلى ما تشدها به فلم تجد شيئاً، فشقت خمارها نصفين فشدت بنصفه السفرة واتخذت النصف الآخر منطلقاً تمنطقت به. وروي أنه قال لها ﷺ: «أبدلك الله بنطاقك هذا نطاقين في الجنة»^(٢). ومنذ ذلك اليوم وهي تلقب بذات النطاقين لما في هذا اللقب من علامات الإصرار على النجاح واختراق كل أشكال الحصار والمكر والتربص الذي كان يقوده المشركون ضد رسول الله ﷺ وصاحبه رضي الله عنه، هاجرت رضي الله عنها وهي

(١) ابن حجر: الإصابة، ٢٥/٤. الطنطاوي: أبو بكر الصديق، ٢٥٥.

(٢) ابن عساکر: تاريخ دمشق، ٢٣٩/٤٠. المزي: تهذيب الكمال، كتاب النساء، باب الألف، ١٢٤/٥.

حامل بعبد الله بن الزبير الذي كان أول مولود للمهاجرين في المدينة وولده رضي الله عنه بقباء. قالت: ثم أتيت به النبي ﷺ فوضعت في حجره، ثم دعا بتمره فمضغها، ثم تغل في فيه، فكان أول ما دخل في جوفه ريق رسول الله ﷺ ثم حنكه بتمره، ثم دعا له وبرك عليه. وولدت أسماء للزبير رضي الله عنه: عبد الله، وعروة، والمنذر. وعاشت ذات النطاقين رضي الله عنها كل ما عاشه المسلمون في المدينة من الشدة والرخاء، وامتد بها العمر رضي الله عنها حتى بلغت مائة عام ولم يسقط لها سن ولم ينكر لها عقل، وكان رأسها يصدع فتضع يدها عليه وتقول: بذنبي وما يغفر الله أكثر. وعاشت بعد استشهاد ابنها عبد الله بن الزبير رضي الله عنه عشرين يوماً، ثم توفيت أوائل سنة أربع وسبعين رضي الله عنها وأرضاها^(١).

ومحمد بن أبي بكر:

وأمة أسماء بنت عميس بن معبد الخثعمية، وكان يكنى أبا القاسم، وكان من فتيان قريش، وكان ممن لبست عليه حركة الزنادقة السبئية الراضية بعض الأمور التي حبكتها ضد صفاء الإسلام ووحدة المسلمين التي كان يقودها الخليفة الراشدي العادل الحازم الكريم الحليم عثمان رضي الله عنه بكل أمانة وجدارة واقتدار، إلا أن ابن أبي بكر تدارك نفسه بالتوبة قبيل إجهاز الزنادقة على الشهيد عثمان رضي الله عنه فلم تتهم يده بشيء من دماء عثمان رضي الله عنه وإن كان تحرك معهم بعد أن غرروا به بإفكهم وبهتانهم وأباطيلهم في بداية مؤامرتهم الراضية القذرة، وكان علي رضي الله عنه يثني عليه ويفضله وكانت له عبادة واجتهاد. ثم ولد لمحمد بن أبي بكر القاسم بن محمد لأم ولد وكان من أئمة أهل عصره ومن أفضل أهل زمانه، ولا سيما أنه تربى في بيت النبوة في حجر الطاهرة الصديقة العالمة الفقيهة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وأرضاها^(٢). وقتل محمد في مصر فلما بلغ أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها مقتله حزنت عليه جداً، وتولت تربية ولده القاسم فشأ في حجرها،

(١) ابن حجر: الإصابة، ١٣/٤. الطنطاوي: أبو بكر الصديق، ٢٦١.

(٢) البلاذري: الشيطان، ١٠٤.

فكان من أنبل أهل عصره وأعلمهم وكان فاضلاً فقيهاً. وتوفي بقديد^(١) سنة ١٠٨ هـ.

أم كلثوم:

أمها حبيبة بنت خارجة بن زيد بن أبي زهير بن مالك بن امرئ القيس الخزرجية الأنصارية، وهذا البطن من الخزرج يعرفون ببني الأغر^(٢). وأم كلثوم تابعة مات أبوها خليفة رسول الله وهي حمل في بطن أمها فولدت بعد وفاة أبيها رضي الله عنه ثم خطبها أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه إلى الطاهرة أم المؤمنين عائشة فأنعمت ورحبت به؛ وكرهت أم كلثوم ذلك لخشونة عيش عمر رضي الله عنه وزهده وشدّة ورعه وعبادته، فتزوج عمر أم كلثوم بنت علي بنت فاطمة رضي الله عنهم. ولما أمسك عمر عن ابنة أبي بكر رضي الله عنه تزوجها أبو محمد طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه فولدت له زكريا وعائشة ثم قتل عنها رضي الله عنه غدراً على أيدي الرافضة السبئية في فتنتهم يوم البصرة أو ما يسمونه بيوم الجمل، فتزوجها عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي أخو عمر بن أبي ربيعة الشاعر^(٣).

إخوان خليفة رسول الله:

ولد لأبي قحافة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب رضي الله عنه: أبو بكر وأم فروة، وقريبة رضي الله عنهم.

أم فروة: أما أم فروة فتزوجها رجل من الأزدي فولدت له جارية. ثم تزوجها تميم الداري رضي الله عنه ثم تزوجها الأشعث بن قيس الكندي بعد أن أسره المسلمون في حروب الردة، فعفا عنه خليفة رسول الله وزوجه أم فروة بعد أن تاب وحسن إسلامه.

(١) قديد: اسم موضع قرب مكة ينسب إليه بعض الأعلام بنسبة القديدي. ياقوت: معجم

البلدان، ٢٣/٧.

(٢) البلاذري: الشيخان، ٨٨.

(٣) الطنطاوي: أبو بكر الصديق، ٢٦٤.

قريبة: وأما قريبة فكانت عند قيس بن سعد بن عبادة الساعدي الخزرجي الأنصاري رضي الله عنه ^(١) الأمير الأريب اللبيب الحبيب كان بمنزلة صاحب الشرطة من الأمير عند رسول الله ﷺ ^(٢) ثم كان أميراً على مصر لأمر المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه فأظهر من البراعة والحكمة وحسن السياسة ما جعل البعض يقرن سياسته بسياسة أمير المؤمنين معاوية الحلبي رضي الله عنه ^(٣).

ولم تلد له شيئاً وهي شقيقة أم فروة ^(٤) ومر فيما سبق من ألقاب الصديق أنه كان يدعى عتيقاً وأنه كان له أخوان آخران يحملان أسماء قريبة من هذا اللقب، وهما معتق ومعيتيق، ولكن من خلال البحث في أسرة خليفة رسول الله لم يظهر ما يؤكد أي دور لهذين الأخوين في الحياة، مما يوضح أنهما - إن صحت الرواية في ذلك - يكونان ماتا صغيرين قبل عتيق، وقد يكون دعاء والدته أن يعتقه الله لها من أسباب معرفته بهذا اللقب إضافة إلى الأسباب الأخرى.

موالي خليفة رسول الله

١- بلال بن رباح رضي الله عنه:

المؤذن، يكنى أبا عبد الله وقيل: أبا عبد الكريم، وقيل: أبا عبد الرحمن؛ وقال بعضهم يكنى: أبا عمرو، وهو مولى أبي بكر الصديق اشتراه بخمس أواق؛ وقيل: بسبع أواق، وقيل: بتسع أواق، ثم أعتقه وكان خازناً ومؤذناً لرسول الله ﷺ شهد بدرًا وأحدًا وسائر المشاهد مع رسول الله ﷺ وأخى رسول الله ﷺ بينه وبين عبيدة بن الحارث بن المطلب؛ وقيل: بل أخى بينه وبين أبي رويحة الخثعمي. وقيل: بينه وبين أبي عبيدة بن الجراح.

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ٣/ ١٠٢.

(٢) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ٣/ ١٠٢. الهندي: كنز العمال، ح (٣٨٤٧٨). الخليفة: الإنصاف، ٤٢١.

(٣) الخليفة: الإنصاف، ٤٢١.

(٤) الطنطاوي: أبو بكر الصديق، ٢٥١.

وكان بلال رضي الله عنه لبعض بني جمح مولدًا من مولديهم، قيل: من مولدي مكة، وقيل: من مولدي السراة، واسم أبيه رباح واسم أمه حمامة، وكان صادق الإسلام طاهر القلب. وكان ديوانه في خثعم وليس بالشام حبشي إلا وديوانه في خثعم. وقال المدائني: كان بلال من مولدي السراة، مات بدمشق، ودفن عند الباب الصغير بمقبرتها سنة عشرين وهو ابن ثلاث وستين سنة، وقيل: توفي سنة إحدى وعشرين، وقيل: توفي وهو ابن سبعين سنة، ويقال: كان ترب أبي بكر رضي الله عنهما وله أخ يسمّى خالدًا وأخت تسمّى غفرة. ولم يعقب بلال رضي الله عنه. ويقال: إنه أذن لعمر رضي الله عنه حين دخل الشام مرة فبكى عمر رضي الله عنه وغيره من المسلمين، وكان أمية بن خلف الجمحي ممّن يوالي عليه العذاب والمكروه، فكان من قدر الله أن قتله بلال يوم بدر، فردد أبو بكر الصديق أبياتًا تنسب إليه رضي الله عنه حيث لم يثبت أنه قال شعراً قط. منها قوله:

هنيئًا زادك الرحمن خيرًا فقد أدركت ثأرك يا بلال^(١)

٢- عامر بن فهيرة:

مولى أبي بكر الصديق، أبو عمرو رضي الله عنه كان مولدًا من مولدي الأزدي أسود اللون مملوكًا للطفيل بن عبد الله بن سخبرة أخي أم المؤمنين الطاهرة عائشة رضي الله عنها لأمها أم رومان رضي الله عنها. فأسلم وهو مملوك فاشتراه أبو بكر رضي الله عنه من الطفيل، فأعتقه وأسلم قبل أن يدخل رسول الله ﷺ دار الأرقم، وقبل أن يدعو فيها إلى الإسلام وكان حسن الإسلام وكان يرعى الغنم في جبل ثور ثم يروح بها على رسول الله ﷺ وأبي بكر رضي الله عنه في الغار، ذكر ذلك كله موسى بن عقبة، وابن إسحاق، وكان رفيق رسول الله ﷺ وأبي بكر رضي الله عنه في هجرتهم إلى المدينة، وشهد بدرًا، وأحدًا، ثم

(١) ابن عبد البر: الاستيعاب. ٥٥/١. ابن الأثير: أسد الغابة: ٢٣٦/١. الطنطاوي: أبو بكر الصديق، ٢٦٧.

قتل يوم بئر معونة^(١) وهو ابن أربعين سنة، قتله عامر بن الطفيل، ويروى عنه أنه قال: رأيت أول طعنة طعنتها عامر بن فهيرة نورًا خرج منها، وذكر ابن إسحاق، قال: لما قدم عامر بن الطفيل على رسول الله ﷺ قال له: «من الرجل الذي لما قتل رأته رُفع بين السماء والأرض حتى رأيت السماء دونه ثم وضع؟» فقال له: هو عامر بن فهيرة، هكذا رواية يونس بن بكير، عن ابن إسحاق، ورواية غيره، عن ابن إسحاق، قال: إن عامر بن الطفيل كان يقول: من رجل منهم لما قتل رأته رُفع بين السماء والأرض حتى رأيت السماء دونه؟ قالوا: عامر بن فهيرة، وذكر ابن المبارك، وعبد الرزاق، عن عروة. قال: طلب عامر بن فهيرة يومئذ في القتلى فلم يوجد. قال عروة: فيرون أن الملائكة دفنته أو رفعته، وروى ابن المبارك، عن يونس، عن الزهري قال: زعم عروة بن الزبير أن عامر بن فهيرة قتل يومئذ فلم يوجد جسده حين دفنوا فيرون أن الملائكة دفنته، وكانت بئر معونة سنة أربع من الهجرة، ودعا رسول الله ﷺ على الذين قتلوا أصحابه غدراً في بئر معونة^(٢) أربعين صباحاً، حتى نزلت: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾^(٣) وقيل: نزلت في غير هذا^(٤).

٣- أبو نافع:

وهو مولى عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما، وكان مكثراً من المال وكان ينزل البصرة وله بها دار مشهورة، وفيه يقول ابن مفرغ الحميري يزيد بن زياد بن ربيعة:

سقى الله أرضاً لي وداراً تركتها إلى جنب دارني معقل بن يسار
أبو نافع جار لها وابن برثن فيالك جارني ذلة وصغار

(١) بئر معونة: بين أرض بني عامر وبني سليم، وقيل ماء لبني عامر بن صعصعة، وقيل غير هذا. ياقوت: ٢/٢٤٢.

(٢) ابن عبد البر: الاستيعاب، ٣/٧. ابن حجر: الإصابة، ٣/٤٨٢. الطنطاوي: أبو بكر الصديق، ٢٦٨.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٢٨.

(٤) ابن الأثير: أسد الغابة، ٢/٥٢٤. ابن حجر: الإصابة، ٣/٤٤١.

ف قيل لأبي نافع: إنه هجاك، قال: فإذا هجاني أموت أو يموت ابني طلحة؟ قالوا: لا. قال: فلا أبالي^(١). مما يدل على صحة الرواية على حلمه وسعة عقله وترفعه عن السفاسف، وهذا يمثل حالة من الثقة بالنفس وبيانا لأثر الأخلاق الإسلامية في المجتمع آنذاك، فبينما كان أهل الجاهلية يقاتلون من يُعرض بهم في الشعر أصبح المسلم أعرف بنفسه ولم يعد يبالي بأقوال الكثير من الناس، وإن كان القضاء الإسلامي يحاسب على الهجاء ويزدري من يتفوه به.

٤- موسى بن دينار:

ذكر مع موالى أبي بكر رضي الله عنه روى ما قاله النبي ﷺ وأصحابه عن الشيب روى عنه مجاهد^(٢).

٥- مرة بن أبي عثمان:

مولى عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما أيضًا، كتبت له أم المؤمنين الطاهرة عائشة رضي الله عنها كتابًا إلى زياد بن أبي سفيان (زياد ابن أبيه) والي البصرة فأكرمه وألطفه ثم أقطعه مائة جريب على نهر الأبله بالبصرة وحفر له نهرًا فنسب إليه^(٣).

٦- سعد بن عائد:

هو سعد القرظ المؤذن المذكور في الوسيط في الأذان للصبح، هو مولى عمار بن ياسر رضي الله عنه هو بإضافة سعد إلى القرظ بفتح القاف، وهذا لا خلاف فيه عند أهل العلم بهذا الفن ويقع في بعض نسخ الوسيط: القرظي وهو خطأ فاحش بلا شك، وإنما هو سعد القرظ كما سبق؛ قال العلماء: أضيف إلى القرظ الذي يدبغ به لأنه كان كلما اتجر في شيء خسر فيه فأتجر في القرظ فربح فيه فلزم التجارة فيه فأضيف إليه، جعله النبي ﷺ مؤذنًا بقباء، فلما

(١) الطنطاوي: أبو بكر الصديق، ٢٦٧.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ١ / ٤٤١.

(٣) الطنطاوي: أبو بكر الصديق، ٢٦٨.

ولي أبو بكر رضي الله عنه الخلافة وترك بلال الأذان نقله أبو بكر رضي الله عنه إلى مسجد رسول الله ﷺ ليؤذن فيه، فلم يزل يؤذن فيه حتى مات في أيام الحجاج بن يوسف الثقفي فتوارث بنوه الأذان، وقيل الذي نقله أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه^(١).

٧- شديد:

حاجبه ومولاه أدرك النبي ﷺ وكان هو الذي أحضر عهد عمر بعد أبي بكر رضي الله عنهما فروى أحمد من طريق قيس بن أبي حازم قال: رأيت عمر بيده عسيب نخل يجلس الناس يقول: اسمعوا وصية خليفة رسول الله، فجاء مولى لأبي بكر يقال له شديد بصحيفة فقرأها على الناس. يقول أبو بكر رضي الله عنه: اسمعوا وأطيعوا لمن في هذه الصحيفة، فوالله ما آلوكم. قال قيس: ثم رأيت عمر رضي الله عنه بعد ذلك قد صعد المنبر^(٢).

٨- سعد المدني:

مولى آل أبي بكر رضي الله عنه وهو غير الذي قبله. حكى عن ابن عمر وابن الزبير والقاسم بن محمد وعنه ابنه موسى وكلاهما مجهول^(٣).

٩- أبو القاسم:

مولى أبي بكر الصديق، له صحبة، شهد فتح خيبر وروى عنه أبو الجهم الكوفي أنه قال: لما فتحت خيبر أكل الناس الثوم. فقال رسول الله: «من أكل من هذه البقلة فلا يقربنَّ مسجدنا حتى يذهب ريحها من فيه» ذكره البغوي في الصحابة وأخرج له حديثين ثم قال: لا أعرف للقاسم غير هذا^(٤).

(١) النووي: تهذيب الأسماء واللغات، باب سعد (٢٠٣)

(٢) الطنطاوي: أبو بكر الصديق، ٢٦٩.

(٣) الطنطاوي: أبو بكر الصديق: ٢٧٠.

(٤) ابن الأثير: أسد الغابة: ٦٨/٥. ابن عبد البر: الاستيعاب: كتاب الكنى، ٤/ ٩٨.

١٠- سعد مولى أبي بكر الصديق رضي الله عنه:

ويقال سعيد والأول أشهر وأصح. أخرج عنه ابن ماجه وروى عنه الحسن البصري، وأشار إليه الترمذي وكان يخدم النبي ﷺ^(١) وسكن البصرة. عن الحسن، عن سعد مولى أبي بكر الصديق، عن رسول الله ﷺ أنه قال لأبي بكر رضي الله عنه وكان سعد مملوكًا له، وكان رسول الله ﷺ يعجبه خدمته، قال رسول الله ﷺ: «أعتق سعدًا». فقال أبو بكر رضي الله عنه: ما لنا ههنا غيره، فقال رسول الله ﷺ: «أعتق سعدًا، أعتق الرجال، أعتق الرجال». وروى عنه الحسن أنه قال: شكا رجل صفوان بن المَعَطَّل إلى رسول الله ﷺ فقال: هجاني صفوان، وكان صفوان يقول الشعر، فقال النبي ﷺ: «دعوا صفوان فإنه طيب القلب خبيث اللسان». أخرجه الثلاثة^(٢).

١١- صفيية:

وهي أم محمد بن سيرين طيبتها ثلاث من أزواج النبي ﷺ ودعون لها، وحضر إملأها ثمانية عشر بدرية، فيهم أبي بن كعب يدعو وهم يؤمنون^(٣).

١٢- كثير بن عبيد التيمي:

ذكره ابن حبان في الثقات وله عنده حديث أنس: «يا بن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك»^(٤). روى عن عائشة وأبي هريرة وغيرهما، ذكره البخاري وابن حبان وغيرهما في التابعين، واستدركه ابن فتحون ظنًا منه أنه الموصوف بكونه رضيع عائشة وليس كما ظن، وإنما الموصوف بذلك والده عبيد وقد مضى ذكره. وعنه: ابنه أبو العنيس سعيد، وابن ابنه

(١) الطنطاوي: أبو بكر الصديق، ٢٦٩.

(٢) ابن حجر: الإصابة، ٤/ ٤٤١. ابن الأثير: أسد الغابة، ٢/ ٢٨٦.

(٣) ابن حجر: الإصابة، ترجمة، (٧٥١٥). ابن حجر: تهذيب التهذيب، ٥/ ٥٧.

(٤) الترمذي: كتاب الدعوات، باب التوبة، ح (٣٥٤٠). الطبراني: المعجم الأوسط، باب: من اسمه محمد (٥٤٨٣).

عنيسة بن سعيد، وابن عوف، وشعيب بن الحبحاب، وعبد الله بن دكين، ومجالد، وغيرهم. ذكره ابن حبان في الثقات^(١).

١٣- سَعِيدُ بنِ عُبَيْدِ بنِ كَثِيرٍ:

حدث عنه أبو النَّضْر، وهو مجهول، قال أبو حَاتِمٍ: هو من موالِي أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وهو ابن أخي أبي العنيس^(٢).

١٤- عمرو مولى أبي بكر^(٣):

وقد ذكر شاهدًا في أحد كتب خليفة رسول الله أيام الردة.

(١) ابن حجر: الإصابة، ترجمة، (٧٥١٥). (٦٥٦٠). ابن حجر: تهذيب التهذيب، ٥/ ٥٧.

(٢) ابن حجر: لسان الميزان: ٣/ ١٣٧. (٣٧٥٢). (٣٢٣٩).

(٣) الطنطاوي: أبو بكر الصديق، ٢٧٠. عن ابن حجر في لسان الميزان. وابن حبان في الثقات.

المبحث الثالث

إسلام أبي بكر الصديق رضي الله عنه وصفاته

سبب إسلامه:

من تتبع سيرة خليفة رسول الله يجد أن اهتماماته ومطالعاته وسماعاته عن الدين والأنبياء وعبادة الله الواحد وعن حال المشركين بالله، وكذلك لقاءاته في أسفاره التجارية مع من يتحدث عن الأديان والنبوة مع بعض الرهبان والقساوسة وغيرهم من أصحاب هذا الشأن، فضلاً عن صحبته لرسول الله ﷺ وقربه من نفسه واطلاع كل منهما على توجهات الآخر واهتماماته وتوافقهما التام في كل ذلك، وأيضاً فطرة خليفة رسول الله السليمة التي جعلت منه مسلماً فطرياً دون أن يدري، فهو لم يشرب الخمرة قط ولم يسجد لصنم قط، ويعمل على نصره الضعفاء والمظلومين، ويصلح بين الناس ويطعم الجياع، ويعين على النوائب إلى غير ذلك من أخلاق وقيم كان يتصف بها رسول الله ﷺ، مما جعل منه نسخة ثانية عن صاحبه قبل أن ينزل إليه الوحي، ونظراً لهذه الأسباب الفطرية، والروابط الأخوية والألفة الروحية والصحبة والتوافق في السن وصلات القربى والجوار ورابطة البيت الحرام والكعبة المشرفة التي يجاورانها؛ كل ذلك وغيره يؤكد أن أبا بكر رضي الله عنه كان المطلع الحقيقي الأول على كل ما يحصل لرسول الله ﷺ، وأنه كان مؤهلاً لأن يصدق كل ما يسمعه من رسول الله ﷺ وكل ما يتحدث به عن الوحي وأحواله وعن القرآن وأقواله، وعن كل ما جاء به من أمر أو نهى، أو الإعلام بالغيب والحديث عن الساعة وعن الجنة والنار وما إلى ذلك، وهذا ما صدقه الواقع في إسلام أبي بكر رضي الله عنه الذي لم يتلعثم ولم يتردد، وإنما الأمر

عنده معلوم في عامة خطوطه العريضة، لأن كل ما جاء به الإسلام من المكارم كانت متمثلة في أخلاق رسول الله ﷺ وهو لا يعلم الوقت الذي يوحى فيه إلى رسول الله ﷺ، فما إن حصل ذلك حتى أسرع إلى تصديق صفيه وخليله ﷺ والتلاحم الكامل معه لمشاركته في تحمل كل أعباء المرحلة، ولهذا كان خليفة رسول الله مميّزاً في خصائصه ومواقفه وفي كل ما يفعله أو يقوله. وقد ذكر في سبب إسلامه عوامل متعددة. منها:

ما قصه رسول الله ﷺ على أم المؤمنين خديجة بقوله: «إني إذا خلوت وحدي أرى ضوءاً وأسمع نداء: يا محمد أنا جبريل. وقد والله خشيت أن يكون هذا أمراً». فقالت: معاذ الله ما كان الله ليفعل ذلك بك، إنك لتؤدي الأمانة وتصل الرحم وتصدق الحديث. فلما دخل أبو بكر ذكرت خديجة حديثه له وقالت: اذهب مع محمد ﷺ إلى ورقة بن نوفل؛ فإنه رجل يقرأ الكتب فيذكر له ما يسمع. فانطلقا إليه فقصّ عليه فقال: «إذا خلوت وحدي سمعت نداء خلفي: يا محمد، أنا جبريل». فانطلق هارباً.

فقال ورقة: سبوح سبوح! وما لجبريل يذكر في هذه الأرض التي يعبد فيها الأوثان، جبريل أمين الله تعالى على وحيه بينه وبين رسله، لا تفعل إذا أتاك فائت حتى تسمع ما يقول ثم اتّني فأخبرني. قال ﷺ: «ما دعوت أحداً إلى الإسلام إلا كانت عنده كبوة وتردد ونظر إلا أبا بكر ما عكم عنه حين ذكرته له ولا تردد»^(١).

وقوله: الكبوة، أي التأخر وقلة الإجابة من قولهم كبا الزند: إذا لم يور ناراً. ما عكم: أي ما تلبث بل أجاب بسرعة. قال البيهقي: وذلك لما كان يرى من دلائل نبوته ويسمع بشأنه قبل دعوته، فلما دعاه وقد سبق فيه تفكره ونظره أسلم على الفور. وقال السهيلي: وكان من أسباب ذلك توفيق الله تعالى إياه فيما ذكروا أنه رأى رؤيا قبل ذلك، وأنه رأى القمر نزل إلى مكة ثم رآه قد تفرق على جميع منازل مكة وبيوتها فدخل في كل بيت شعبة، ثم كان جميعه في حجره. فقصها على بعض أهل الكتابين فعبّرها له بأن النبي المنتظر قد أظل زمانه، اتبعه

(١) ابن كثير: البداية والنهاية / ١ / ١٠٨، ٣ / ٢٧. الصالحي: سبل الهدى، ١ / ٢٣٤.

فتكون أسعد الناس به، فلما دعاه رسول الله ﷺ لم يتوقف^(١).

ومن الشواهد في هذه القصة إسلام أبي بكر وسبقه ومعرفته التامة بكل ما يجري لصاحبه ﷺ وأيضًا الصفات المتشابهة بينهما واشتركا في أبي بكر رضي الله عنه مع رسول الله ﷺ في تخلقه بمكارم الأخلاق ومحاسن القيم، وهذا ما قاله ابن الدغنة زعيم الأحابيش الذين كانوا يسكنون قرييًا من مكة حينما رأى أبا بكر رضي الله عنه وقد عزم على الهجرة إلى الحبشة فرأى بدينه. فقال له مثلك لا يخرج يا أبا بكر، ووصفه بصفات، وصفت بها أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها رسول الله ﷺ حينما قالت: كلا والله ما يخزيك الله أبدًا إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق^(٢). وهذا يعني لكل عاقل أن خليفة رسول الله تعرفه العرب بما تعرف به رسول الله ﷺ وأن صفاتهم ورغباتهم وآمالهم وآلامهم واحدة، والناس ينظرون إليهم بعين واحدة، وهذا ما أكدته قريش يوم الهجرة حين أعلنت عن جائزتها الكبرى مائة ناقة لمن يمسك بمحمد ﷺ أو بصاحبه أبي بكر رضي الله عنه، فجعلت الجائزة لمن يأتي بأي منهما واحدة، لما يترتب على دور كل منهما في الأمة؛ فرسول الله ﷺ هو الرأس، المطلوب الأول لأهل الشرك والكفر ويأتي بعده رأس صاحبه رضي الله عنه؛ لأنه هو الذي يسد مسده إن غاب، وهذا كله من المتفق عليه المعلوم لدى أعدائهم؛ فكيف لا يكون معلومًا عند أتباعهم ومن يقتدي بهم؟ وهذا ما أدركته الرافضة السبئية في تدابيرها التي لا زالت فاعلة إلى هذا العصر، فلما علمت أنه من المستحيل أمامها إقناع أحد من المسلمين بالطعن برسول الله ﷺ اختارت تلك الحركة الهدامة أكرم أصحابه وأعزهم وأكثرهم علمًا وفقهاً وجهادًا وكرمًا وأولهم في جميع المكارم خليفة رسول الله ﷺ أبا بكر رضي الله عنه؛ فنسجت حول سيرهم الأباطيل والأكاذيب لصرف الناس عنهم، وهي وإن كانت ترغب بكل هذا الإرباك للإسلام والمسلمين؛ ولكن هدفها الأول

(١) ينظر الصالح: سبل الهدى والرشاد، ٢ / ٣٠٣.

(٢) البخاري: كتاب بدء الوحي، ح (٣). ابن حجر: فتح الباري، ١ / ٣٤.

هو الطعن برسول الله ﷺ؛ فلما تعسر عليهم ذلك عملوا على الطعن بأصحابه لتجريدته منهم ومن ثم القول بأن نبي المسلمين ﷺ لو نجح في تبليغ رسالته لنجح في ذلك بين أصحابه الذين من صفاتهم كيت وكيت، ويذكرون ما يذكرونه من الباطل والبهتان عليهم في مجالسهم ومعابدهم ومدارسهم.

وعن الطاهرة عائشة زوج النبي ﷺ قالت: خرج أبو بكر الصديق رضي الله عنه يريد رسول الله ﷺ، وكان له صديقاً في الجاهلية فلقبه فقال: يا أبا القاسم فقدت من مجالس قومك وأتهموك بالغيب لأبائها، فقال رسول الله ﷺ: «إني رسول الله أدعوك إلى الله»، فلما فرغ رسول الله ﷺ أسلم أبو بكر، فانصرف عنه رسول الله ﷺ وما بين الأخشين أحد أكثر منه سروراً بإسلام أبي بكر^(١).

وروى ابن عساكر أن أبا بكر رضي الله عنه كان تاجرًا بالشام فرأى رؤيا فقصها على بحيرى الراهب فقال له: من أين أنت؟ قال: من مكة. قال: من أيها؟ قال: من قريش. قال: فأبي شيء أنت؟ قال: تاجر. قال: صدق الله تعالى رؤياك، فإنه يُبعث نبي من قومك تكون وزيره في حياته وخليفته بعد موته. فأسرها أبو بكر حتى بعث النبي ﷺ فقال: يا محمد، ما الدليل على ما تدعي؟ قال: «الرؤيا التي رأيت بالشام». فعانقه وقبل بين عينيه وقال: أشهد أنك رسول الله.

ومن سرعة أبي بكر هذه في القبول وشدة الحرص على التلقي من رسول الله ﷺ وكأنه كان في انتظار تلك اللحظة ما ينبئ أن لديه علمًا بهذه المعاني، وأنه كان يرقب تلك الساعة المباركة التي يفصح فيها رسول الله ﷺ عن بدئه بمهمته العظمى ليشاركه لذة همومها وتعجبها ونظرًا لهذا التحفز الدائم في أبي بكر رضي الله عنه قال ﷺ: «ما عرضت الإسلام على أحد، إلا كانت له عنده كبوة وتردد غير أبي بكر، فإنه لم يتلعثم». وعن الشعبي قال: قال أبو بكر

(١) ابن كثير: السيرة، ١/٤٣٢. ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٣٠/٢٧. الصالحي: سبل الهدى، ١/١٢٥.

لعلي: أكرهت إمارتي؟ قال: لا. قال أبو بكر: إني كنت في هذا الأمر قبلك^(١).

وقال حسان بن ثابت:

إذا تذكرت شجواً من أخي ثقة فاذكر أخاك أبا بكر بما فعلا

الثاني التالي المحمود مشهده وأول الناس منهم صدق الرسلا^(٢)

ومن مجموع هذه الأسباب التي تروى عن إسلام أبي بكر يتضح من مجموعها أنه لم يكن مجرداً من معرفة إرهابات تلك المرحلة، وأنه لديه علم عن حال رسول الله ﷺ كافٍ أن يجعل منه أول من يجيبه إلى دعوته ويصدقه في كل ما جاء به من الهدى والنور.

أول من أسلم:

هناك العديد من الروايات التي تشير إلى أن خليفة رسول الله كان على علم بكثير من أخبار أهل الكتاب، وما عند بقايا أهل الحنيفة من أخبار عن ظهور نبي من أهل الحرم ومن قريش خاصة، يؤكد ذلك كثرة القصص التي أوردها أهل السير في توضيح كثرة ما سمعه أو رواه عن أخبار النبي المنتظر، ولا سيّما ما سمعه عند بعض الرهبان في الشام، أو عند بعض متقدمي السن في اليمن، هذا فضلاً عن فطرة خليفة رسول الله السليمة وبعده عما كان يعبد قومه من الأصنام والسجود لها أو التقرب إليها بالدعاء والقرايين، وما كان يتمتع به من فكر سديد رشيد وعقل راجح وإحاطة تامة بثقافة عصره، وما امتاز به من مروءة ونبل وأخلاق كريمة ومعدن طيب أصيل؛ جعلته أقرب الناس إلى رسول الله ﷺ قبل البعثة ثم ازداد قرباً ومودة بعد البعثة، فجعلت منه تلك العلوم المثال الحي لأقصى ما يمكن أن يقوم به الإنسان في خدمة المبادئ العظيمة، فهذه العوامل وغيرها جعلت من أبي بكر رضي الله عنه الرجل الثاني في دولة الإسلام بعد رسول الله ﷺ وأوضحت عامة الشواهد استعدادة ليكون

(١) البلاذري: الشيخان، ٢١.

(٢) البلاذري: الشيخان، ٢٥.

أول من يجيب داعي الله على هذه الأرض، ويكون أول من يسلم لله ويصدق رسوله ﷺ، وكثرت الروايات أن رسول الله ﷺ قال: «ما دعوت أحدًا إلى الإسلام إلا كانت له عنده كِبْوةٌ وترُدُّ ونظَرٌ، إلا أبا بكر ما عكم حين ذكرته له، وما تردد فيه». وعن عيسى بن يزيد قال: قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: كنت جالسًا بفناء الكعبة، وكان زيد بن عمرو بن نُفَيْل قاعدًا، فمر به أُمَيَّة بن أبي الصَّلْت فقال: كيف أصبحت يا باغي الخير؟ قال: بخير. قال: هل وجدت؟ قال: لا، ولم أَلْ مِنْ طلب. ثم قال:

كُلُّ دِينٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا مَا قَضَى اللَّهُ وَالْحَنِيفَةُ بُورُ

أما إن هذا النبي الذي ينتظر منّا أو منكم، أو من أهل فلسطين. قال: ولم أكن سمعتُ قبل ذلك بنبي يُنتظر أو يُبعث. قال: فخرجتُ أريد وَرَقَةَ بن نوفل وكان كثير النظر في السماء، كثير همهمة الصدر قال: فاستوقفته ثم اقتصصت عليه الحديث، فقال: نعم يا ابن أخي، أبا أهل الكتاب والعلماء إلا أن هذا النبي الذي ينتظر من أوسط العرب نسبا، ولي علمٌ بالنسب، وقومك أوسط العرب نسبا. قال: قلت: يا عمّ، وما يقول النبي؟ قال: يقول ما قيل له إلا أنه لا ظلم ولا تظالم. فلما بُعث النبي آمنتُ وصدقتُ». وعن عبد الله بن مسعود قال: قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: إنه خرج إلى اليمن قبل أن يبعث النبي، فنزلت على شيخ من الأزد عالمٍ قد قرأ الكتب، وعلم من علم الناس كثيرا، فلما رأيته قال: أحسبك حُرْمِيًّا؟ وقال أبو بكر: قلت: نعم، أنا من أهل الحرم. قال: وأحسبك قرشيًّا؟ قال: قلت: نعم أنا من قريش. قال: وإني متقدم إليك في أمرٍ فاحذره. قال أبو بكر: قلت: وما هو؟ قال: إياك والميل عن الهدى، وتَمَسَّك بالطريقة المثلى الوسطى، وحَف الله فيما حَوَّلَكَ وأعطاك.

قال أبو بكر: ففضيت باليمن أربي ثم أتيت الشيخ لأودّعه، فقال: أحامل عني أبياتا من الشعر قُلتها في ذلك النبي، قلت: نعم، فذكر أبياتا.

قال أبو بكر: فقدمت مكة، وقد بُعث النبي ﷺ فجاءني عقبه بن أبي مُعَيْط، وشَيْبَةَ، ورَبِيعَةَ، وأبو جَهْل، وأبو البخترى، وصناديد قريش، فقلت لهم: هل نابتكم نائبة، أو ظهر فيكم أمرٌ؟

قالوا: يا أبا بكر، أعظم الخطب، يتيم أبي طالب يزعم أنه نبي، ولولا أنت ما انتظرنا به، فإذا قد جئت فأنت الغاية والكفاية. قال أبو بكر: فصرفتهم على أحسن مسّ وسألت عن النبي ﷺ فقيل: في منزل خديجة، فقرعت عليه الباب، فخرج إلي، فقلت: يا محمد، فقدت من منازل أهلك، وتركت دين آبائك وأجدادك؟ قال: «يا أبا بكر، إني رسول الله إليك وإلى الناس كلهم، فأمن بالله» فقلت: ما دليلك على ذلك؟ قال: «الشيخ الذي لقيت باليمن». قلت: وكم من شيخ لقيت باليمن؟ قال: «الشيخ الذي أفادك الأبيات». قلت: ومن خبرك بهذا يا حبيبي؟ قال: «المملك المعظم الذي يأتي الأنبياء قبلي». قلت: مَدَّ يَدَكَ، فأنا أشهد أن لا إله إلا الله، وأنت رسول الله. قال أبو بكر: فانصرفت وما بين لابتئها أشدُّ سرورًا من رسول الله ﷺ بإسلامي^(١).

وعن أبي سَلام الحَبَشِي أنه سمع عمرو بن عَبَسَةَ السُّلَمِي يقول: أُلْقِيَ فِي رَوْعِي أَنْ عِبَادَةَ الْأَوْثَانِ بَاطِلٌ، فَسَمَعَنِي رَجُلٌ وَأَنَا أَتَكَلَّمُ بِذَلِكَ، فَقَالَ: يَا عَمْرُو، بِمَكَّةَ رَجُلٌ يَقُولُ كَمَا تَقُولُ. فَأَقْبَلْتُ إِلَى مَكَّةَ أَسْأَلُ عَنْهُ، فَأُخْبِرْتُ أَنَّهُ مَخْتَفٍ لَا أَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا بِاللَّيْلِ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ، الْكَعْبَةِ وَأَسْتَارَهَا، فَمَا عَلِمْتُ إِلَّا بِصَوْتِهِ يُهَلِّلُ اللَّهَ، فَخَرَجْتُ إِلَيْهِ فَقُلْتُ: مَا أَنْتَ؟ رَسُولَ اللَّهِ، فَقُلْتُ: وَبِمَ أَرْسَلَكُ؟ قَالَ: «أَنْ يُعْبَدَ اللَّهُ وَلَا يُشْرَكَ بِهِ شَيْءٌ وَتُحَقَّنَ الدِّمَاءُ، وَنَوْضَلَ الْأَرْحَامُ». قَالَ قُلْتُ: وَمَنْ مَعَكَ عَلَى هَذَا؟ قَالَ: «حَرٌّ وَعَبْدٌ». فَقُلْتُ: ابْسِطْ يَدَكَ أَبَايَعُكَ. فَبَسَطَ يَدَهُ فَبَايَعْتُهُ، فَلَقَدْ رَأَيْتَنِي وَإِنِّي رُبِعَ الْإِسْلَامِ^(٢).

وعن أبي نضرة عن أبي سعيد قال: قال أبو بكر: أَلَسْتُ أَحَقَّ النَّاسِ بِهَا؟ يَعْنِي الْخِلَافَةَ أَلَسْتُ أَوْلَ مَنْ أَسْلَمَ؟ أَلَسْتُ صَاحِبَ كَذَا؟ أَلَسْتُ صَاحِبَ كَذَا؟ وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ النَّخَعِيُّ: أَوْلَ مَنْ أَسْلَمَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ^(٣).

(١) ينظر: ابن الأثير: أسد الغابة، ٢٠٧/٣.

(٢) مسلم: الصحيح، الأحاد والمثاني، ح (١٣٢٩).

(٣) الترمذي: سنن الترمذي، ك: المناقب، باب: مناقب أبي بكر ح (٧٦٦٧) صحيح ابن حبان، ك: مناقب الصحابة ح (٦٨٦٣).

وأول من أسلم من الرجال الأحرار أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وإسلامه كان نفعًا وعاونًا وأنسًا ونصرًا لرسول الله ﷺ؛ إذ كان أبو بكر رضي الله عنه صدرًا معظمًا، ورئيسًا في قريش مكرمًا، وصاحب مال، وداعية إلى الإسلام، وكان محببًا متألّفًا يبذل المال في طاعة الله ورسوله. ثم إن أبا بكر الصديق رضي الله عنه لقي رسول الله ﷺ فقال: أحق ما تقول قريش يا محمد؟ من تركك آلهتنا، وتسفيهك عقولنا، وتكفيرك آباءنا؟ فقال رسول الله ﷺ: «بلى، إني رسول الله ونبيه، بعثني لأبلغ رسالته وأدعوك إلى الله بالحق، فوالله إنه للحق، أدعوك يا أبا بكر إلى الله وحده لا شريك له، ولا تعبد غيره والموالاتة على طاعته» فأسلم^(١). وسبق قول رسول الله ﷺ: «ما دعوت أحدًا إلى الإسلام إلا كانت منه عنده كبوة ونظر وتردد فيه إلا أبا بكر». وسأل الشعبي ابن عباس: أي الناس كان أول إسلامًا؟ قال أبو بكر رضي الله عنه؛ أما سمعت قول حسان بن ثابت:

إذا تذكرت شجواً من أخي ثقة	فاذكر أخاك أبا بكر بما فعلا
خير البرية أتقاها وأعدلها	بعد النبي وأوفاهها بما حملا
الثاني التالي المحمود مشهده	وأول الناس منهم صدق الرسلا
وثاني اثنين في الغار المنيف وقد	طاف العدو بهم إذ صعدا الجبلا

فلما سمع النبي ﷺ هذه الأبيات ضحك حتى بدت نواجذه، ثم قال: «صدقت يا حسان، هو كما قلت»^(٢). وعن أبي سعيد الخدري، قال: لما بويع أبو بكر رضي الله عنه قال: يا أيها الناس: أأست أحق الناس بها؟ - يعني الخلافة - أأست أول من أسلم؟ وفي صحيح مسلم: أن عمرو بن عبسة أتى النبي ﷺ بمكة. فقال: من معك في هذا الأمر؟ قال: «حر وعبد».

(١) ابن كثير: السيرة، ٤٣٢/١.

(٢) مستدرک الحاكم، کتاب معرفة الصحابة رضي الله تعالى عنهم باب: أبو بكر الصديق ٣/٦٧. حديث: ٤٤١٣.

وليس معه إلا أبو بكر وبلال^(١).

عن طلحة بن عبيد الله قال: حضرت سوق بُصرى فإذا براهب في صومعته يقول: اسألوا أهل الموسم هل فيكم أحد من أهل الحرم؟ قال طلحة رضي الله عنه: فقلت: نعم أنا. قال لي: هل ظهر بمكة بعدُ أحمد؟ قلت: وما أحمد؟ قال: ابن عبد الله بن عبد المطلب، هذا شهره الذي يخرج فيه وهو آخر الأنبياء، ومخرجه من الحرم، ومهاجره إلى نخل وحره وسباخ. قال طلحة رضي الله عنه: فوقع في قلبي ما قال الراهب فخرجت حتى قدمت مكة فقلت: هل كان من حدث؟ قالوا: نعم محمد بن عبد الله الأمين ﷺ تنبأ وتابعه ابن أبي قحافة. فخرجت حتى أتيت أبا بكر رضي الله عنه فأخبرته وقلت له: هل تابعت الرجل؟ قال: نعم، فانطلق فبايعه؛ فإنه يدعو إلى الحق. فذهب أبو بكر رضي الله عنه معه. قال طلحة: فأتيت رسول الله ﷺ فأخبرته خبر الراهب وما قال لي^(٢).

وعن أبي أمامة الباهلي عن عمرو بن عبسة رضي الله عنه قال: أتيت رسول الله ﷺ في أول ما بعث وهو بمكة وهو حينئذ مستخف فقلت: ما أنت؟ قال: «أنا نبي». قلت: وما النبي؟ قال: «رسول الله». قلت: أالله أرسلك؟ قال: «نعم». قلت: فيم أرسلك؟ قال: «أن تعبد الله وتكسر الأصنام وأن تصل الأرحام». قلت: نعم ما أرسلك به، فمن تبعك على هذا؟ قال: «عبد وحر». يعني أبا بكر وبلالاً وكان عمرو يقول: لقد رأيتني وأنا ربيع الإسلام قال: فأسلمت وقلت: اتبعك يا رسول الله؟ قال: «لا، ولكن الحق بقومك، فإذا أخبرت أنني قد خرجت فاتبعني». أما حديث ضمرة وأبي طلحة^(٣) عن حبيب بن أبي حبيب قال: شهدت رسول الله ﷺ قال

(١) ابن سيد الناس: عيون الأثر، ١/١٧٨. مسلم: صحيح مسلم، ك. صلاة المسافرين، باب إسلام عمرو بن عبسة، ح (١٩٢٧).

(٢) ابن سعد: الطبقات، ٣/٩٨. الحاكم: المستدرک، ك. معرفة الصحابة، باب: أبو بكر الصديق. حديث: ٤٤١٨ - ٦٨/٣.

(٣) الحاكم: المستدرک. كتاب معرفة الصحابة رضي الله تعالى عنهم باب: أبو بكر الصديق بن أبي قحافة رضي الله عنهما، حديث: ٤٤١٩ - ٦٩/٣. قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

لحسان بن ثابت: «قلت في أبي بكر شيئاً؟» قال: نعم. قال: «قل حتى أسمع» قال: قلت:

وثاني اثنين في الغار المنيف وقد طاف العدو به إذ صعدا الجبلا
وكان حب رسول الله قد علموا من الخلائق لم يعدل به بدلا
فتبسم رسول الله ﷺ^(١).

عن أم المؤمنين الطاهرة عائشة رضي الله عنها قالت: قال أبو بكر رضي الله عنه: كنت أول من آمن^(٢). وعن وبرة بن عبد الرحمن بن همام قال: سمعت عماراً يقول: رأيت رسول الله ﷺ وما معه إلا خمسة أعبد وامراتان، وأبو بكر^(٣). وعن أبي سعيد. قال: قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: أأست أحق الناس بها؟ أأست أول من أسلم؟ أأست صاحب كذا؟^(٤). وعن زيد بن أرقم قال: أول من صلى مع النبي ﷺ أبو بكر الصديق. وأول من أسلم أبو بكر الصديق^(٥) وعن ابن عباس قال: أبو بكر أول من أسلم. وقال مُحَمَّد بن كعب القرظي: أول من صَلَّى أبو بكر.

وعن فرات بن السائب، قال: قلت لميمون بن مهران: أبو بكر وعمر أفضل أم علي؟ قال: فارتعد حتى سقطت عصاه من يده، ثم قال: ما كنت أرى أن أعيش إلى زمان يُعدّل بينهما، هما رأس الإسلام، ورأس الجماعة، قال: فقلت له: أبو بكر كان أول إيماناً بالنبي ﷺ أو علي؟ قال: والله لقد آمن أبو بكر بالنبي ﷺ زمان بحيرا الراهب، واختلف فيما بينه وبين خديجة حتى أنكحها إياه، وذلك كله قبل أن يولد علي بن أبي طالب. وعن ابن عباس رضي الله

(١) الحاكم: المستدرک، ك. معرفة الصحابة، باب: أبو بكر الصديق، ح: ٤٤١٤، ٣/ ٦٧. ابن الجوزي: الصفوة ١/ ١٢٤.

(٢) ابن عساکر: تاريخ دمشق، ٣٠/ ٣٦.

(٣) صحيح البخاري: ك: فضائل الصحابة، ح (٣٦٦٠).

(٤) ابن كثير: السيرة، ١/ ٤٣٤. مسلم: صحيح مسلم، ك. صلاة المسافرين، باب: إسلام عمرو بن عبسة ح (١٩٢٧).

(٥) ابن كثير: السيرة، ١/ ٤٣٥.

عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «ما كلمتُ في الإسلام أحدًا إلا أبى عليَّ وراجعني الكلام إلا ابن أبي قحافة؛ فإني لم أكلّمه في شيءٍ إلا قبله واستقام عليه»^(١). وعن حبة^(٢) العُرني^(٣) عن علي قال: لما أسلم أبو بكر الصديق أظهر إسلامه، ودعا إلى الله وإلى رسوله^(٤). وقال محمد ابن الحنفية: كان أفضلهم إسلامًا حين أسلم، فلم يزل كذلك حتى قبضه الله^(٥). قال حسان رضي الله عنه:

عاش حميدًا لأمر الله متبعًا بأمر صاحبه الماضي وما انتقلًا^(٦)

وعن يوسف بن الماجشون قال: أدركت مشيختنا منهم محمد بن المنكدر، وربيعة بن أبي عبد الرحمن، وصالح بن كيسان، وعثمان بن محمد، لا يشكون أن أول القوم إسلامًا أبو بكر الصديق رضي الله عنه^(٧) وعن إبراهيم قال: أول من صلى أبو بكر الصديق رضي الله عنه. وعن أسماء ذات النطاقين بنت أبي بكر رضي الله عنه قالت: أسلم أبي أول المسلمين ولا والله ما عقلت أبي إلا وهو يدين الدين. أخبرنا محمد بن عمر قال حدثني معمر ومحمد بن عبد الله عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت: ما عقلت أبوي إلا وهما يدينان الدين وما مرّ علينا يوم قط إلا ورسول الله يأتينا فيه بكرة وعشية^(٨). قال ابن كثير: وقول النخعي هو المشهور عند جمهور أهل السنة.

التوفيق بين الروايات في أول من أسلم:

قال المحب الطبري تبعًا لأبي عمرو بن الصلاح: الأولى التوفيق بين الروايات كلها

(١) ابن عساکر: ٤٤/٣٠. عمرو بن مرة، عن إبراهيم قال: أول من صلى مع النبي ﷺ أبو بكر. البلاذري: الشيخان: ٢٧.

(٢) حبة بفتح أوله ثم موحدة ثقيلة، تقريب التهذيب (١٠٨١).

(٣) انظر ترجمته في تهذيب الكمال ١٠٥/٤ والعُرني بضم المهملة وفتح الراء بعده نون، تقريب التهذيب.

(٤)، (٥) ابن عساکر: تاريخ دمشق، ٤٦/٣٠.

(٦)، (٧) ابن كثير: السيرة، ٤٣٥/١. (٨) ابن سعد: الطبقات، ٩٩/٣.

وتصديقها. فيقال: أول من أسلم مطلقاً: خديجة. وأول صبي أسلم علي بن أبي طالب وهو لم يبلغ، وكان مخفياً إسلامه، وأول رجل عربي أسلم وأظهر إسلامه منذ الساعة التي أسلم فيها أبو بكر بن أبي قحافة، وأول من أسلم من الموالي: زيد بن حارثة رضي الله عنهم. وقال: هذا متفق عليه لا خلاف فيه، وعليه يحمل قول علي وغيره: أول من أسلم من الرجال أبو بكر. أي من الرجال البالغين. ويؤيده ما رواه خيثمة في فضائل الصحابة عن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما. قال: قال علي رضي الله عنه: إن أبا بكر سبقني إلى أربع لم أعتض بشيء منهن: سبقني إلى إفشاء الإسلام، وقدم الهجرة، ومصاحبته في الغار، وأقام الصلاة وأنا يومئذ بالشعب أظهر إسلامي وأخفيه.

ولكن كما سبق فإن هذا التوفيق وإن كان البعض يقوله بنية البحث وإظهار الرأي والاستنباط وتوليد الأفكار، إلا أن الرافضة وتلامذة الاستشراق وكثيراً من العلمانيين يستغلون مثل هذه المداخلات العلمية المجردة التي تُطرح لإغناء البحوث والدراسات وبيان وجهات النظر الأخرى، يستغلونها للتشويش على فكر أهل السنة وعقيدتهم ورواياتهم وأئمتهم، لإيجاد التناحر الفكري والتناطح القيمي وإلحاح الشروخ بين أهل السنة، ولا إسلام بدون السنة النبوية التي سار عليها أبو بكر رضي الله عنه ومن جاء بعده من الخلفاء الراشدين؛ عمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم.

لهذا لا بد من الإقلاع عن هذا التردد وطي صفحات هذا النسيج المتلون، وتوحيد الرؤية والاعتقاد على ما سار عليه المهاجرون والأنصار رضي الله عنهم في منهجهم حينما اختاروا خليفة رسول الله أبو بكر رضي الله عنه (ثاني اثنين) ومن بعده خليفة أبي بكر عمر رضي الله عنه ومن بعده خليفة عمر عثمان رضي الله عنه ومن بعده خليفة عثمان علي رضي الله عنهم وأرضاهم. ولا شك أن كل من يدور حول هذا الحمى الآمن وإنما يبحث عن الثغرات والصدوع وهي معدومة في ذلك الحمى، ومن يتحدث بهذا أو يقبل الحديث به وبأمثاله من مسائل بينة ظاهرة أمامه أحد خيارين إما أن يقلع ويثوب من نوبة التردد إلى الحزم والرشد

ويسير في الطريق المسلوكة المعبدة التي سار عليها السلف الصالح؛ وإما أن يعلن عن هويته المزدوجة المتقاطعة الاتجاهات والولاءات، وعلى أبناء أمة السنة والجماعة معرفة هؤلاء والحذر من فكرهم وتقاطعاتهم العقديّة التي لا تورث سوى الحيرة والتردد والضعف والخور، ولعل هذا النوع الذي يزعم أنه من أهل السنة ويصر على إثارة الفتن وتشكيك الأمة بعقيدتها وقيادتها الراشدة واجترار إفك الرفض والردة، فهؤلاء لا يؤتمنون على موروث أمة السنة، لما فيهم من غفلة عقيدية وتخرق في الهوية وأهواء شخصية، أو لوثات جاهلية ونزعات رافضية معادية للصحابة ولأمة الصحابة، أو لما يحملونه من خصال حزبية تشيعية ذات صبغة مجوسية وثنية أو علمانية.

وأن هذا الصنف لا يوقفه قول الله تعالى عن خليفة رسوله: ﴿ثَاثُ أَثْنَيْنِ﴾ مع يقينهم أن هذا النص لم يستثن أن خليفة رسوله ليس بـ ﴿ثَاثُ أَثْنَيْنِ﴾ في سبقه إلى الإسلام!! أو في أي موقف من المواقف المباركة الأخرى!! فهل تلثم خليفة رسول الله أمام أي معضل ولم يثبت أنه ثاني اثنين طوال سيرته العطرة؟! فمن هذا الذي أجاب رسول الله ﷺ دون تلثم أو تردد، وشهد شهادة الحق معلناً بها أمام جبروت الطاغوت؟ ومعلناً بصلاته وقرآنه واتباع رسوله ﷺ مجاهداً بين يديه لم يفارقه في سفر ولا حضر فمن كان معه في الغار والهجرة؟ ومن حسم السقيفة وأسس وحدة الأمة بعد وفاة نبيها؟ ومن أنفذ جيش أسامة ليزلزل بإيمانه عروش القياصرة ومطاياهم في بلاد العرب؟ ومن سحق الردة المتمردة على الله ورسوله ﷺ وعلى وحدة الأمة ونور عقيدتها بجاهليتها وحماتها؟ ومن على وجه الأرض بجرأة خليفة رسول الله وحسن تدييره عندما واجه طغيان فارس والروم في آن واحد؟ ومن وضع الرجال مواضعهم الصحيحة الحقّة عندما أرسل خالدًا رضي الله عنه يزيل هيبة الفرس المجوس ويمحقها في قلوب حلفائها ممن لا زالت قلوبهم تحن إلى جاهليتها فتبغض سيف الله رضي الله عنه الذي أسهم في إطفاء نارهم التي يعبدونها من دون الله، ثم هتك أستارهم وكشف أسرارهم بنور الإسلام وعدله، وأنهم كانوا يستعبدون العباد ويستبيحون البلاد ببغيهم وطغيانهم؟! ومن فرّ من أمام جنده قيصر الروم لمجرد أن توجهوا

إلى الشام؟! لكي يودع بعدها سوريا وداعًا لا رجعة بعده؟! من فعل كل هذا وغيره الكثير الكثير سوى خليفة رسول الله أبي بكر الصديق رضي الله عنه؟! فكم هي بلهاء وحمقاء وظالمة وزائفة الأقلام التي تتعثر وتتلعثم وتقفز عن الحق أمام عقبات وهمهمات الرافضيين لإنجازاته الشامخة ونجاحاته الباهرة؛ التي مهدت كل الطرق أمام مسيرة أمة محمد ﷺ لكيلا تخمد جذوتها ولا تقف انطلاقها طالما هي تحت ظلال رايات خليفة رسول الله التي غرزها في كل الآفاق التي كان يتطلع إليها رسول الله ﷺ وعلى ذات المنهج وبذات الهوية.

وإذا كان عمر رضي الله عنه يعاقب من يقدمه على خليفة رسول الله؛ وإذا كان علي يجلد من يقدمه على خليفة رسول الله تقديم تفضيل فقط لا يشتمل على أي انتقاص من خليفة رسول الله، فكيف يحكمان علي من ينتقص من خليفة رسول الله بزعم تقديم أي كان من الصحابة رضي الله عنهم، بل من البشر أجمعين بعد الأنبياء على أبي بكر الصديق رضي الله عنه؟! فلا شك أنهما لن يكتفيا بالعقوبة والجلد والتعزير، وأن الأمر سيكون على غير ذلك، وستكشف عنهم الأفتنة لتظهر الرايات الرافضة لدين محمد ﷺ، وكيف أنهم يمسكون بسواربها!

وعلى هدي هذه الحقائق وغيرها فإن صقل ولاء أهل السنة لعقيدتهم يجب أن ينتظم ويني على حقائق لا وهم فيها ولا تلبيس ولا عبث ولا تردد؛ إذ إن ذلك التلبيس والوهم والتردد كلف أهل السنة الثمن الباهظ سابقًا كما هو في هذا العصر، فحتى متى وأهل السنة يدفعون الثمن من كرامتهم ومن دمائهم ومن حريتهم وأمنهم ومن وحدتهم وتلاحم أخوتهم؟! وإلى متى يعبث بهويتهم الرافضون للسنة النبوية وإجماع السلف الصالح والمبغضون لأصحاب النبي ﷺ وورثته وحملته راياته؟! من المسؤول عن تمدد الفكر الرافضي السرطاني الهدام في جسم الأمة بعد أن كان عمدًا؟ أليس من اغتال الفاروق عمر رضي الله عنه في محرابه هو أول من أسس لفكر الرافضة الدموي ضد المسلمين، أليس ابن سبأ اليهودي قاتل ذي النورين عثمان زوج ابنتي النبي ﷺ هو أول من أصّل فكر الرافضة ووضع لهم أباطيل الوصية

والإمامة والتقية ودانوا بها إلى اليوم؟ أليس برود الكثير من أهل السنة في انتمائهم لهويتهم هو المشجع الأكبر لتمدد الرافضة بين ظهراني الأمة يعيشون في عقيدتها ووحدها ودمائها فساداً؟ ألا تجد أهل السنة يبايعونهم ويزاوجونهم وهم يعلمون أنهم يشكون في قرآنهم وفي نبينهم ويكفرون أصحابه ويغضون لغته ويحقدون على كل ما هو عربي؟ ويعملون كل ما في وسعهم لتمزيق الأمة وطمس موروثها ومسح هويتها وإبطال سنة نبينا ﷺ، أولئك الذين تجد أحدهم لا ينسب بشيء أمام فعل أو قول أو فتاوى أي زنديق ينفث أحقادهم على سنة النبي ﷺ وأهلها، بل إن هؤلاء الرعاع أمام كل ما يأتيهم من سدنة آل بيوت المكر والدس والأحقاد والفتن ونشر الكراهية والبغض لأهل السنة؛ إنما هم سمع وطاعة وإيمان ويقين حتى لو كان ما يأتيهم منافياً للعقل وللحق، فضلاً عن الدين والأمانة والصدق والموضوعية، كما فعلوا بتدمير حوالي «مائتي» مسجد للمسلمين في العراق خلال يومين من شهر صفر ١٤٢٧هـ بل يتلقون ذلك ببلاهة عميقة وينفذون ذلك بأحقاد دفينية وتسليم مطلق لا يقبل نقاشاً أو تردداً، بينما يرد أحدهم قول الله وقول رسوله ﷺ وإجماع السلف بصلافة وحماسة تنبئ كل عاقل بأن كل من ينال من أي صحابي، ولا سيما ممن فققوا عيون الردة وسملوا عيون الفتنة الرافضية السبئية وألجموا دعائها بنور الحق وسلطان العدل وقوة السيف أبو موسى الأشعري والمغيرة ومعاوية وعمرو والنعمان وإخوانهم رضي الله عنهم كل من ينال من أي من هؤلاء إنما هو زنديق يظهر الإسلام ويُبطن السبئية وأخواتها ويرفض القرآن والسنة، وأن كل من لا يحذر منهم ويفصح عن موقفه تجاه مكرهم وكيدهم بأهل السنة؛ إنما هو ثغرة وعورة في حصن الأمة وبلاء وشر على أهل السنة، يُلبس عليهم دينهم ويعين عدوهم على هدم عقيدتهم، ولا يعذر أحد بالجهل بهم بعد أن رأى ما يفعلونه وقرأ ما فعلوه بالأمة وتحالفاتهم مع أعدائهم، ولا يعذر أحد بالصمت عنهم، وكل من يعرفهم ويسكت عنهم إنما هو شيطان أخرس، فلا عقل ولا دين ولا حكمة إلا في فضحهم والتحذير من مكرهم وكيدهم وحقدهم واستنفار الأمة لمواجهة بغيهم وغدرهم، وكما قال بعض السلف

العارفين: لا يَجُلُّ وَاللَّهِ أَنْ يُحَسِّنَ الظَّنُّ بِمَنْ تَرَفَّضَ وَلَا بِمَنْ يُخَالِفُ الشَّرْعَ فِي حَالٍ^(١).
وعلى هذا فكل من لا يسهم بمجاهدة باطلهم بما يتاح ويستطاع فإنه فاقد للحكمة أو الغيرة
والحمية، مفرط بالسنة مهادن للردة، والعاقل من اتعظ بغيره ولم يكن عظة للآخرين.

خليفة رسول الله كأنك تراه

صفاته البدنية وخصابه:

وردت نصوص كثيرة وصحيحة توضح صفات خليفة رسول الله ولون شعره وخصابه
وتصور ذلك وكأن القارئ يرى خليفة رسول الله رأي العين، فعن عبد الله بن عمرو
رضي الله عنهما قال: ثلاثة من قريش أصبح قريش وجوهاً وأحسنها أخلاقاً وأثبتها حياءً
إن حدثوك لم يكذبوك، وإن حدثتهم لم يكذبوك، أبو بكر الصديق وأبو عبيدة بن الجراح
وعثمان بن عفان رضي الله عنهم^(٢)

وجاء في وصف خليفة رسول الله أنه كان حسن الجسم معصوب اللحم، مشرباً صفرة
جعداً يضرب شعره شحمة أذنيه مسنون الوجه أكحل العينين سابل اللحية واضح الشنايا
حمش الساقين هيناً ليناً متواضعاً كريماً تعرف فيه الخير حين تراه. وكان يمرّ في الطريق
فيتعلق الصبيان بثوبه يقولون: يا أبانا، يا أبانا^(٣).

وقال علي بن محمد: إنه كان أبيض يخالطه صفرة، حسن القامة نحيفاً أجناً رقيقاً
عتيقاً أقنى معروق الوجه غائر العينين حمش الساقين محصوص الفخذين يخضب بالحناء
والكتم وكان والده أبو قحافة حين توفي رضي الله عنه حياً بمكة، فلما نُعي إليه قال: رزء

(١) قاله ابن هبيرة الوزير الحنبلي: الحكيم العارف. ينظر ابن مفلح المقدسي الحنبلي: الأداب الشرعية

والمناجاة، فصل في حسن الظن بأهل الدين، ١/ ٥٣. دار الوفاء، مصر (ط ١) ١٩٩٩ م.

(٢) الطبراني: المعجم الكبير، ١ / ٥٧.

(٣) البلاذري: الشبان وولدهما: ٢٧.

جليل^(١). وكان يخضب بالحناء والكتم، وكان كريمًا عالمًا بأنساب العرب. وكان نقش خاتم أبي بكر رضي الله عنه «نعم القادر الله»^(٢). وكانت داره في مكة في بني جمح. ولما أقطع رسول الله ﷺ الدور بالمدينة جعل لأبي بكر موضع داره عند المسجد وهي التي صارت لآل معمر. وروي أنه كان بين دار أبي بكر ودار عثمان رضي الله عنهما خمسة أذرع^(٣).

خضاب شعر رأسه وحيته:

عن أنس رضي الله عنه أن أبا بكر رضي الله عنه خضب بالحناء والكتم^(٤). وعن أبي عون عن رجل من بني أسد قال: رأيت أبا بكر رضي الله عنه في غزوة ذات السلاسل وكان لحيته لهب العرفج على ناقة له أدمًا أبيض خفيفًا. عن قيس قال: قال معاوية رضي الله عنه: دخلت مع أبي على أبي بكر رضي الله عنه فرأيت أسماء قائمة على رأسه بيضاء، ورأيت أبا بكر رضي الله عنه أبيض نحيفًا فحملني وأبي على فرسين ثم عرضنا عليه وأجازنا^(٥).

عن أبي سلمة بن عبد الرحمن؛ أن عبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث وكان جليسا لهم كان أبيض الرأس واللحية فغدا عليهم ذات يوم وقد حمرها فقال له القوم: هذا أحسن. فقال: إن أمي عائشة أرسلت إليَّ البارحة جاريتها نخيلة فأقسمت عليَّ لأصبغن وأخبرتني أن أبا بكر كان يصبغ.

وعن القاسم بن محمد بن أبي بكر قال: سمعت الطاهرة عائشة رضي الله عنها وذكر عندها رجل يخضب بالحناء فقالت: إن يخضب فقد خضب أبو بكر رضي الله عنه

(١) الطبري: تاريخ، ٢/ ٣٥٠، ٣٥١.

(٢) الشيخان وولدهما: ٨٣. ينظر: ابن سعد: الطبقات، ٣/ ٢١١. ابن عبد البر: الاستيعاب، ٣/ ٤٢١.

(٣) الشيخان: ٣٥. عن عمدة الأخبار في مدينة المختار: ١١٩. وينظر: ابن سعد: الطبقات، ٣/ ١٧٥.

(٤) الطبراني: المعجم الكبير ١/ ٥٦. وعن أحكام صبغ شعر اللحية والرأس ينظر: ابن القيم، زاد المعاد، ٣/ ٣٧٣.

(٥) ابن الجوزي: الصفوة: ١/ ١٢٣. ابن سعد: الطبقات، ٣/ ١٩١. المتقي الهندي: كنز العمال، ح(١٧٣٢٨).

قبله بالحناء. قال القاسم: لو علمت أن رسول الله ﷺ خضب لبدأت برسول الله ﷺ فذكرته.

وسئل أنس بن مالك رضي الله عنه: أخضب رسول الله ﷺ؟ فقال: لم يشنه الشيب، ولكن خضب أبو بكر رضي الله عنه بالحناء وخضب عمر رضي الله عنه بالحناء. وعنه رضي الله عنه قال: خضب أبو بكر بالحناء والكتم. وعن ابن سيرين قال: سألت أنس بن مالك رضي الله عنه: بأي شيء كان يختضب أبو بكر؟ قال: بالحناء والكتم. قال: قلت: فعمر؟ قال: بالحناء. قال: قلت: فالنبي ﷺ؟ قال: لم يدرك ذلك.

وعن أنس أيضًا رضي الله عنه. قال: قدم رسول الله ﷺ المدينة وليس في أصحابه أشمط أي أشيب غير أبي بكر رضي الله عنه فغلفها بالحناء والكتم. وعن نافع بن جبير بن مطعم قال: قال رسول الله: «غيروا ولا تشبهوا باليهود». قال فصبغ أبو بكر رضي الله عنه بالحناء والكتم؛ وصبغ عمر رضي الله عنه فاشتد صبغه وصفر عثمان بن عفان رضي الله عنه - صبغ شعره بما يجعل لونه أصفر - قال فليل لنافع بن جبير: فالنبي ﷺ؟ قال: كان يمس الصدر. قال ابن جريج وقال عطاء الخراساني: إن النبي ﷺ قال: من أجمل ما تجملون به الحناء والكتم. وسأل ابن سيرين أنس بن مالك هل كان أحد من أصحاب رسول الله ﷺ يخضب؟ قال أبو بكر رضي الله عنه. قال: حسبي^(١).

ومن صفاته الخلقية:

كان خليفة رسول الله أليفاً ودوداً حسن المعاشرة، مطبوعاً على أفضل الأخلاق التي يتحلى بها أنبل البشر، وأجمل الصفات التي تتألف عليها قلوب الناس فيحبونها ويألفونها، من التواضع ولين الجانب وحب الخير للغير وخدمة المسلمين والحرص على مصالحهم وقضاء حوائجهم، مع طيب النفس والتفاؤل الدائم والغيرة اللامتناهية على الدين والأمة والعمل المتواصل على نشر العدل والطهر في ربوعها.

(١) ابن القيم: زاد المعاد، هديه ﷺ في الفطرة وتوابعها ٣/ ١٧٤. وفي إسلام أبي قحافة رضي الله عنه.

فلم يتعال على أحد قط في جاهلية ولا في إسلام، وكان في خلافته أكثر تواضعًا منه قبل ولايته للخلافة. فإذا مدحه مادح قال: اللهم أنت أعلم مني بنفسي، وإذا سقط منه خطام ناقته وهو راكب نزل منها ليأخذه ولم يأمر أحدًا بمناولته إياه.

ولم يكن تألفه بين الناس محض مجاملة باللسان مما يستسهله معظم المشهورين بالتودد والمجاملة، ولكنها كانت ألفة النجدة والكرم والسخاء وأصالة المعدن، وكانت تلك الخصال سجية فيه لا يستطيع الانفكاك منها، فكان كما قال عنه ابن الدغنة لقريش حينما ضيق عليه مشركوها ففكر بالهجرة إلى الحبشة: أخرجون رجلًا يكسب المعدوم ويصل الرحم ويحمل الكلّ ويقري الضيف ويعين على نوائب الحق؟

فهو ودود كريم سخي لا يضمن بماله وجاهه في سبل الخير ونفع الناس. ومع هذه المودة وهذه الألفة كانت فيه حدة يغالبها ولا يستعصي عليه أن يكبح جماحها. ووصف بها نفسه ووصفه بها آخرون. وقال في خطبة من أوائل خطبه بعد مبايعته: ... اعلّموا أن لي شيطانًا يعتريني فإذا رأيتُموني غضبت فاجتنبوني... وسئل عنه ابن عباس فقال: كان خيرًا كله مع حدة كانت فيه.

إلا أنها كانت حدة تنمّ عن صفاء الجبلّة ونقاء الفطرة وعلى سرعة التأثر في أي حدث تتأثر به الأمة سلبيًا أو إيجابيًا؛ فإن كان في الحدث خير للأمة كان في مقدمة المنمين لذلك الحدث والمستثمرين لوجهته لخدمة المسلمين، وإن كان غير ذلك كان أول المتصددين له مهما بلغت شدته وجبروته وفي مقدمة العاملين على افتداء العقيدة بأعز ما يملك؛ وليس هذا بغريب على خليفة رسول الله ﷺ أليس هو القائل: «أينقص الدين وأنا حي؟» فمن مثله سوى الذي علّمه القيادة وفنون الريادة حتى أترع علمًا ونورًا وحكمة واستبصارًا وسدادًا وصوابًا وقدرة على القيادة في كل الظروف والأوقات بسجية وسليقية لا يشوبها غبش ولا تردد، فإذا لم تكن تلك الحدة غضبًا لله ولرسوله ﷺ فإنه غالب لكل هوى وكابح لكل شهوة أو عصبية أو نصرة للذات التي ينوء تحت وطأتها الكثير ممن يزعمون أنهم يتصدون للعمل

الإسلامي، وهم بين موالٍ للفئة أو الحزب أو الجمعية أو الأقلية، أو الحليف لمن أي دين كان دينه أو مذهبه أو هواه ومقصده، أو متمحور حول الإقليم أو الجنس أو الفكرة، أو يدور حول الذات ما بين عابد لها وبين مدعٍ لها العصمة أو الخبرة التي لا تجيز له أن يقبل نصحاء ولا إرشادًا فضلًا عن نقد أو توجيه وتعليم.

فكثير ممن يحسبون على العمل الإسلامي في هذا العصر؛ ممن لم يحققوا ولو مكسبًا واحدًا لأمتهم أو لجماعاتهم أو لدعوتهم من هذا الصنف، وكثير منهم تجده لا يخلو عمله من عيب ظاهر بيّن؛ فالسياسي يريد أن يُسخر الدين بنصوصه إلى ما يميل إليه، فيمضي حياته سائرًا من فراغ إلى فراغ ومن فشل إلى فشل، ومع ذلك تجده لاغيًا لاهيًا وزاعمًا أنه يخدم الدين ويعمل على عز الإسلام والمسلمين، يرد كل نصح أو إرشاد بحدة أو اتهام حتى للنيات، فإذا قيل لهم انظروا إلى حصيد اجتهاداتكم وما جلبت على الأمة وأبنائها البررة من الويلات والنكبات التي أتمت منها في عافية، لبسوا الأمر على الناس وأن الإسلام لا بد له من التضحيات، دون أي تبيين للفرق بين التضحيات التي تخدم الدين وبين التضحيات التي ينعم بثمارها المنتفعون ويعشوا على ضوئها ناصبو الشباك والمحتالون، فشتان بين حدة الصديق رضي الله عنه التي كانت نورًا وعزًّا للأمة؛ وبين حدة الدفاع عن المكاسب الشخصية أو الحزبية أو الإقليمية التي يتلبس بها كثير من الأدعياء والغثاء الذين جلبوا الشر والبلاء على كثير من أبناء الأمة وأقاليمها.

ولا يقتصر هذا الأمر على الجانب السياسي في العمل الإسلامي، بل يشمل أكثر من جانب ويطال أكثر من جناح، ولعل الكثير من القائمين على أوقاف المسلمين أو الزاعمين أنهم على باب تميم أموالهم لخدمة عقيدتهم ينطبق عليهم هذا، فهم بين عامل على تنفيح الأتباع ومستخدم أوقاف المسلمين لنصرة الأهواء أو محاكاة مطالب الأوصياء، فضلًا عن العبت بها في الأسفار والنظر في الأمصار، ثم العودة إلى الديار لمحاكاة الرفاه السياحي الذي عاشوه من أوقاف المسلمين، ومباشرة العمل على دوام ذلك من خلال الشروع في

صرف أموال الأيتام والأرامل والعجزة والأسرى والمرضى وأبناء الشهداء وأبناء السبيل والضعفة وطلبة العلم والغارمين وحقوق الإصلاح بين الناس، أو بناء المشاريع العلمية أو الصحية أو الاستثمارية أو غير ذلك مما كان ينميه العاملون على هذه المؤسسات في عصور المحاسبة على ثوابت الشرع، لتوفير الكرامة والعزة لأبناء الدين وتحقيق توجهات القرآن وتطلعات المؤمنين.

كل ذلك يجري علناً وبمشاركات إعلامية موهمة أو مضللة، تشغل الناس في زخرف من القول وغرور من الآمال، حتى إذا بحث باحث في النتائج لا يجد إلا السراب، والويل لمن يسأل عن النتائج أو يبحث عن الحقائق مما سيعانيه من العنت والتشريب والحصار والتأمر والتشويه والتسفيه، من أصحاب الأمزجة الحادة التي لا تقبل إلا رأيها ولا تسمع إلا مشورة أهوائها، ولا تخضع إلا لذاتها، فلا محاسبة ولا متابعة جادة ومن يحاسب من؟ ومن يتابع من؟! وكل مغلق بابه وقد أكثر من حُجابه وخدامه، وكل ذلك لخدمة المحتاجين من المسلمين بزعمهم!! وغالبًا ما يكون هذا فيما يختص بجوانب العمل الإسلامي وبالمسلمين.

أما إذا كان الأمر متعلقًا بأصحاب السلاطين وأعوانهم وإخوانهم والعلمانيين أو غيرهم فإن أحوالهم تتغير ومواصفاتهم تتبدل وطباعهم وأمزجتهم تتهلل، فتفتتح أسارير وجوههم وقلوبهم فكلهم بشاشة وهشاشة ورقة ومودة وإصغاء، ولم لا والأخوة الإنسانية وإرضاء الآخر ودفع الشبهات يتطلب كل ذلك؟ أما أخوة الدين والمقصد والهدف فلا بد من تعويدهم على مواجهة الوجوه المكفهرة لكيلا يعتادوا الليونة والرقّة!! وبهذه الفلسفة يتحول ذلك الكبر والعجز والهزيمة إلى وعظ يجب سماعه وتنفيذه.

فإذا كانت كل هذه الأدغال والأشواك والظلمة موجودة عند كثير ممن يزعم أنه سياسي مسلم، أو قائم على العمل الخيري الإسلامي، أو واقف على ثغرة الإعلام أو التعليم أو الاقتصاد الإسلامي، أو في غير هذه المواقع من النشاطات الإسلامية المعاصرة، وإذا خوطب في أي موقع من تلك المواقع لإصلاح شيء من ذلك قوبل الناصح بالحدة المحيطة

بالذات والمحمية بقوانين الزملاء والأتباع، أو الذات التي هي فوق كل ذلك لأن كل ما يحيط بها من طاقات أو مصالح أو أتباع فإنما هي مسخرة لها ولما ترى وتريد.

ولكن ومع كل ذلك فإن على المسلم الحق أن يبقى متعلقًا بالأمل متشبثًا بالعمل صابرًا محتسبًا، وألا يعتر بشيء من المزاعم والمظاهر التي تُسخر الأموال والإعلام والأعمال العامة لخدمة الأغراض الخاصة، وأن يحرص على العمل الذي يخدم الدين والأمة، وألا يؤمن ولا يصدق إلا بالنتائج وثمار الأعمال. قال تعالى: ﴿ وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾^(١) إذ إن قطار العمر سريع وهو مسؤول عن ذلك، فلا يصدق إلا ما يرى من جهود ونتائج، فمن زعم أنه يعمل للإسلام يحاسب على نتاجه بعدد السنين التي يزعم أنه عمل فيها، وينظر في ثمار عمله؛ وفي مكاسبه ومشاريعه ومبانيه ومخططاته وغيرها، ويعرض كل ذلك على عامة المسلمين وخاصتهم كما كان يفعل ذلك الراشدون، ومن تناقل واشمأز من ذلك وواجه مراقبيه بالحدة واتهام النوايا، فهذا الصنف هو بيت الداء وموطن البلاء، وهو محل التهمة والريبة وأهلها؛ الذي لا يرتجى منه إصلاح أو نجاح أو فلاح، ومن لا يؤتمن على الدرهم والدينار لا يؤتمن على الدماء والأعراض، ومن يمتنع عن المحاسبة على الزهيد يكن أشد امتناعًا على الثمين.

فستان بين حدة خليفة رسول الله التي يتخلق فيها حينما يرى تهاونًا عن الحق أو مهادنة للباطل أو تقاعسًا عن العمل وأداء الحقوق أو تناقلًا عن نصره الدين وتفريطًا بالهوية وغفلة عن حال المسلمين، أو هضمًا لحقوق الناس واستغلالًا للموقع أو احتكارًا أو انتماء لغير الإسلام.

وفيما سوى ذلك فهو سريع التأثر بالرحمة والرفق والتسامح وكرم النفس وزكاة القلب في جملة أحواله إن لم يعرض للدين عارض، وتلك هي الأخلاق التي تعلمها واكتسبها من رسول الله ﷺ فكان سلمًا للحق وأوليائه، وحرابًا على الباطل وأشياعه، فأنجز في عامين

(١) سورة التوبة، الآية: ١٠٥.

ما لم تنجزه أمم في قرون من الزمان، ومع كل إنجاز ينجزه أو نجاح يحققه يزداد تواضعًا وزهدًا وورعًا وإصرارًا على التمسك بالحق كل الحق، فيخاطب أمته بكل ثقة وصدق بقوله: إن أصبت فأعينوني، وإن أخطأت فقوموني. رضي الله عنه فإذا كان هذا هو منهج الصدِّيق رضي الله عنه فماذا يقول العجزة والمفرطون وعبيد الأهواء وأولياء الأقاليم والأحزاب على حساب الدين والأمة؟

وكان رضي الله عنه يميل إلى الحزن والأسى منذ أن فقد وجه رسول الله ﷺ، وكأنه يستطيل الحياة شوقًا وحنينًا إلى الذي آمن به وأحبه واختاره على ما سواه، وكان شديد الشوق دائم الحضور متفكرًا في أمور الخلق وما يصير إليه ويحاسب عليه، أو كما وصفته أم المؤمنين الطاهرة العالمة الجليلة عائشة رضي الله عنها بقولها: كان غزير الدمعة وقيد الجوانح شجي النشيج. ولعل هذا هو ظاهر وصفها الذي عرفته عنه في حياة رسول الله ﷺ عندما كان آمنًا على الدين والأمة بيدي أمينها وقائدها، عندما اعتذرت عنه لرسول الله ﷺ حينما قدمه للصلاة بالمسلمين فقالت: إنه أسيف متى يقوم مقامك لا يسمع الناس، وذلك لرقه قلبه وكثرة بكائه أثناء التلاوة، ولأنه كان أكثر المسلمين فهمًا للقرآن في أوامره ونواهيه واستغراقًا في التخطيط لتحقيق مراداته، ولأنه كان أكثرهم محاسبة لنفسه وتوجيهًا لخواطره الوجهة المرضية. أو كأنه كان يستجمع أفكاره وقواه لحمل أعباء رسول الله ﷺ في القيادة والتربية والمواجهة ونشر العدل والرحمة والمحافظة على روح الجهاد وحب الاستشهاد وكل ما يحبه ويصبو إليه نبيه وإمامه وقائده بعد رحيله ﷺ، وكل ذلك كان خلقًا ثابتًا في شخصه، وفطرة ربانية استقرت في نفسه، فقد كان وقورًا جميل السميت نقيًا نظيفًا طاهرًا يغار على مروءته لا يغشى موقف ريبة. فلم يشرب الخمر قط لأنها مخلة بوقار مثله وذلك قبل الإسلام. ثم جاء الإسلام فزاده مروءة على مروءة وفضلًا على فضل حتى أصبح فضلًا كله.

قيل لأبي بكر الصدِّيق في مجمع من أصحاب رسول الله ﷺ: هل شربت الخمر في الجاهلية؟ فقال: أعود بالله، فقيل: ولم؟ قال: كنت أصون عرضي، وأحفظ مروءتي، فإن من

شرب الخمر كان مضيئاً في عرضه ومروءته. قال: فبلغ ذلك رسول الله ﷺ. فقال: «صَدَقَ أبو بكر، صَدَقَ أبو بكر» مرتين^(١). وعن أم المؤمنين الطاهرة قالت: والله لقد ترك أبو بكر شرب الخمر في الجاهلية، وما ارتاب أبو بكر في الله منذ أسلم^(٢). وعنهما رضي الله عنها قالت: حرم أبو بكر رضي الله عنه الخمر على نفسه، فلم يشربها في جاهلية ولا إسلام^(٣).

وعن الطاهرة أم المؤمنين عائشة قالت: والله لقد ترك أبو بكر شرب الخمر في الجاهلية، وما ارتاب أبو بكر في الله منذ أسلم. وقالت: والله ما قال أبو بكر شعراً في جاهلية ولا إسلام، لقد ترك هو وعثمان شرب الخمر في الجاهلية^(٤). ومما تفرد به أبو بكر رضي الله عنه من المناقب: أنه أول من جمع القرآن وتنزه عن شرب المسكر في الجاهلية قبل الإسلام، وأول من تقياً تنظفاً وتحرجاً عن المشتبهات^(٥).

فكان من أبرز السمات التي يجدها القارئ في سيرة خليفة رسول الله هو الحرص الكامل على تمام المروءة والبعد عن الريبة والشبهات، والتعامل مع جميع الأحداث والوقائع بمتتهى الصراحة والوضوح ورباطة الجأش والثقة والإقدام، فلا لبس ولا غموض ولا مداراة ولا مدهانة، وإنما هو طريق الحق المتعارف عليه في جميع المسائل ومع جميع الناس.

وفي هذا المعنى روى الزبير بن بكار: أن رجلاً دعا أبا بكر رضي الله عنه في الجاهلية إلى حاجة له فاستصحبه معه، لكنه سلك في طريق غير التي يمر منها. فقال أبو بكر رضي الله عنه: أين تذهب؟ هذه الطريق؟! قال: إن فيها أناساً نستحي منهم أن نمر عليهم. فقال أبو بكر رضي الله عنه: تدعونني إلى طريق تستحي منها؟ ما أنا بالذي أصاحبك^(٦).

(١) أبو نعيم: معرفة الصحابة، ح (١٠٣).

(٢) أبو نعيم: معرفة الصحابة، ح (١٠٠).

(٣) أبو نعيم: معرفة الصحابة، ح (١٠٢).

(٤) ابن عساکر: تاريخ دمشق، ٣٠/٣٣٣، ٣٣٤.

(٥) أبو نعيم: معرفة الصحابة، ح (٩٧).

(٦) الطنطاوي: أبو بكر الصديق، ٦٧.

هذه المروءة التي تدل على كرم معدن خليفة رسول الله وعلى صفاء عقله وسلامة فطرته كانت تقوده دائماً إلى مواطن الشرف ومنايع الخير ومواقف العزة والسؤدد، وفرعته إلى أقصى درجات السداد والنجاح والظهر البشري الذي يصل إليه الصديقون وأصحاب الأنبياء وخلفاؤهم.

وهذا ما يؤكد صفاء طبعه وحدة فؤاده الذي أوصله إلى التوافق مع الشرع وهو في الجاهلية قبل الإسلام ونزول الوحي، وإذا كان هذا ما أدركه خليفة رسول الله بفطرته قبل الإسلام، فكيف بأقوام في هذا العصر يستحلون هذه القذارة بعد أن حرمها الوحي وعاقب عليها الشرع؟! فمن يبيح ما حرم الله سوى سقيمي العقل ناقصي الفهم بهيمي الشهوات.

ومما يؤكد صفاء فطرة خليفة رسول الله ونقاء روحه وطهر أخلاقه رضي الله عنه أنه كان مبغضاً لما ينافي سلامة الفطرة وصحة الاعتقاد، فكان أقرب الناس إلى الإسلام وإلى رسوله ﷺ قبل البعثة وما بعدها، ففضلاً عن أن تحريمه للخمر خلق وسجية، فقد كرم الله وجهه أن يسجد لصنم وهو رجل كبير ليس طفلاً أو صبياً نشأ في الإسلام وفي أحضان المؤمنين، بل كان يؤمر بتقديس الأصنام لكن فطرته ورعاية الله له تأبى عليه ذلك، مع أن أهله وعامة أقرانه يفعلون ذلك ويدعون إليه، قال خليفة رسول الله رضي الله عنه في مجمع من أصحاب النبي ﷺ: ما سجدت لصنم قط، وذلك أني لما ناهزت الحلم أخذني أبو قحافة بيدي فانطلق بي إلى مخدع فيه الأصنام، فقال لي: هذه آلهتك الشّم العوالي، وخلاني وذهب، فدنوت من الصنم وقلت: إنني جائع، فأطعمني، فلم يجبني، فقلت: إنني عارٍ فاكسني، فلم يجبني. فألقيت عليه صخرة فخر لوجهه^(١). لهذا ما إن تشرف رسول الله ﷺ بتلقي الوحي حتى أجاب خليفة رسول الله إلى الإسلام، وكأنه شّم عقب القرآن وطيب ما جاء به فكان أول من لبي وبأحسن تلبية واستجابة لم تتبدل ولم تتغير، وأول من أجاب وأول من أنفق وأول من دافع عنه وأصدق من دخل فيه وعاش من أجله.

(١) الطنطاوي: أبو بكر الصديق، ٦٧. عن نجباء الأبناء، لابن ظفر.

ومن خصائصه الأخرى التي عرف بها بل ولعلها أشهرها، محضه النصح والصدق في كل ما يأتيه أو ينهى عنه، فقد اشتهر بالصدق في الجاهلية وزاده الإسلام تمسكًا وحرصًا على هذه الفضيلة، حتى كان علي رضي الله عنه يحلف أن الله عز وجل أنزل اسم أبي بكر رضي الله عنه من السماء الصديق^(١). فكان ضامن قريش المقبول الضمان. لا يعد أحدًا إلا وفّى له وصدق الدائن والمدين. ووكلت إليه الديات والمغارم فلم يكن يحمل شيئًا منها إلا اطمأن إليه الناس، فإذا احتملها أعانوه وساندوه ثقة به وحبًا له، وإذا قام بها غيره خذلوه ولم يصدقوه^(٢).

وصفاته الخلقية كثيرة زاهرة ومباركة ستتضح أكثرها في طيات هذه الدراسة، فهو في القمة في كل ما يتخلق به الأخيار الأطهار. وهو سائر على خطى نبيه ﷺ وقائده وهاديه، فطريقه هو الطريق، والغايات والآمال هي هي، والجند هم الجند. فمن أحب رسول الله ﷺ أحب خليفته رضي الله عنه، ومن أبغض رسول الله ﷺ، أبغض خليفته رضي الله عنه فهو كاشف الزنادقة والرافضة والمرتدين. وكل من يزعم أنه مسلم ولا يستظل تحت رايات خليفة رسول الله فهو على غير طريق النبوة والقرآن، وأي فئة أو جماعة أو طائفة لا تهتف لخليفة رسول الله بالشكر والعرفان والتبجيل والإجلال على ما قام به من خدمة ونصرة لله عز وجل ولرسوله ﷺ في حياته وبعد وفاته، فهي بلا هوية وضالة عن طريق رسول الله ﷺ وإن رفعت الشعارات وسودت الرايات. إن خليفة رسول الله هو مفتاح الوصول إليه ﷺ وهو باب القبول بين يديه، وهذا ما عرف وعلم في حياة رسول الله ﷺ فكيف يزعم حب الإسلام ورسول الإسلام من يحارب ثاني رجل في أمة الإسلام، ويبغض من قاد الأمة على خطى نبيها ﷺ الذي ارتضاه في حياته إمامًا وقائدًا وخليفة له عليها! فلا نامت أعين المزيفين والمذبذبين والجبنا.

(١) أبو نعيم: معرفة الصحابة: ح (٥٩).

(٢) ينظر: العقاد: عبقرية الصديق. ٣٦.

وويل لمن اعتقد أو يعتقد أن مبغضي خليفة رسول الله يهتم شيء من أمر الإسلام أو المسلمين، أو أنهم سيقفون يوماً واحداً عن مواصلة العمل الآثم الذي باشره أبو لؤلؤة المجوسي لهدم الإسلام؛ ذلك اللعين الذي لا زال يمد أعداء الصحابة بكل ألوان البغض والكراهية، وأولئك هم يقدسونه ويطوفون حوله يستمدون منه الحقد والغدر ونكران الجميل^(١).

ويا خيبة من لم يسلك مسلك خليفة رسول الله في جرأته ووضوحه وتمسكه بالسنة؛ للسير سالمًا آمنًا من مكائد ومكر وبهتان المرتدين وأعداء الصحابة في هذه الحياة الدنيا، وناجحًا فائزًا لاقتدائه بسنة رسول الله ﷺ في الحياة الآخرة، كيف لا وهو بتمسكه بالسنة سيكون على درب خليفة رسول الله وجنده الأكارم الذين كان في مقدمتهم عمر وعثمان وعلي وأبو عبيدة وطلحة والزبير وإخوانهم رضي الله عنهم، بل إن جند أبي بكر رضي الله عنه هم جند رسول الله ﷺ، وأعداؤه هم أعداء رسول الله ﷺ، فسحقًا لأعداء الصحابة والتائهيين وبائعي الهوية ممن يرضون بالحيف والبهتان الذي ينشره أعداء خليفة رسول الله، فلا ينطقون بما يكشف زيفهم ويزيل تلييسهم، بل يموهون على الأمة ويخدعون أبناءها بكم كلمة الحق وعدم الغيرة على السنة النبوية وأهلها أو التحذير من شر أعدائها وأخبث خصومها على مر التاريخ الذين لم تخدم نيران مكرهم وحسدتهم وتأميرهم على أمة السنة النبوية منذ أن أطفأ حملة السنة وحماتها نار المجوس وأزالوا بغيتهم وظلمهم من على وجه الأرض التي أناروها بنور القرآن والسنة.

(١) أبو لؤلؤة المجوسي الغادر الآثم عابد النار قاتل أمير المؤمنين عمر الفاروق رضي الله عنه غدراً، وهو يصلي بالمؤمنين في محراب مسجد رسول الله ﷺ، يقدسه أعداء الصحابة ويزورونه ويتبركون بتنن غدره وعفن جريمته في معبد بني له في مدينة كاشان، ويقدمون له التبرعات ويؤدون عنده الطقوس التي تغذي أحقادهم وكرهيتهم للصحابة والسنة المطهرة، وزيادة في تقديسه وتثمين غدره قاموا بطبع صور المشهد يستخدمونها في رسائلهم لتغذية بغضهم لحملة الكتاب والسنة وأهلها. ينظر: الموسوي: لله ثم للتاريخ، ٩٤.

علم أبي بكر رضي الله عنه وفهمه عن رسول الله ﷺ:

ومما اتسم به خليفة رسول الله من صفات لازمته طوال حياته وأخذت عنه بعد وفاته الفهم العميق لكل ما يجري حوله، والعلم الشامل بتطلعات أبناء عصره، والفقہ التام في كل جوانب العقيدة الإسلامية فضلاً عن فقه القيادة والجهاد والسياسة وفقه الاقتصاد والشؤون المالية والإدارية والاجتماعية وفقه وفن إدارة الأزمات الهائلة بأعلى درجات الإدارة ومخاطبة النفوس وهي في أشد درجات التأزم أو التنافس أو الوجل أو التردد أو الخوف أو انعدام التكافؤ أو غير ذلك، وتحقيق النجاح في كل ذلك تامةً كاملاً غير منقوص. وكان خليفة رسول الله أنسب قريش وأعلمها بها وبكل أسرارها وأعلم قريش بها وبما كان فيها من خير وشر، وذلك منذ ما قبل الإسلام ولا يخفى أن قريشاً كانت هي قدوة العرب، وجاء الإسلام ب قيمه وتقديمه لأهل العلم على من سواهم فكان خليفة رسول الله أول المجيبين لهذا الدين، فازداد علماً على علم وسمواً على سمو حتى بزّ جميع الصحابة في علوم الإسلام، فأصبح أعلم الصحابة بكتاب الله تعالى، وأفقههم في أمور الدين ومرجعهم في كل شؤونه بعد رسول الله ﷺ وتأكّد ذلك لجميع الأمة حينما قدمه رسول الله ﷺ إماماً للصلاة، وأوقفه في الموقف الذي كان يقف فيه هو ﷺ أمام المسلمين وبين يدي الله رب العالمين، وتحقيقاً لقوله ﷺ: «يَوْمَ الْقَوْمِ أَقْرَوْهُمْ» يؤكّد ذلك رؤيا رسول الله ﷺ التي تدل على علم خليفته أبي بكر رضي الله عنه، فعن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «رَأَيْتُ كَأَنِّي أُعْطِيتُ عَسًا مَمْلُوءًا لَبَنًا، فَشَرِبْتُ مِنْهُ حَتَّى تَمَلَأْتُ، فَرَأَيْتُهَا تَجْرِي فِي عُرُوقِي بَيْنَ الْجِلْدِ وَاللَّحْمِ فَفَضَلْتُ مِنْهَا فَضْلَةً، فَأَعْطَيْتُهَا أَبَا بَكْرٍ» قالوا: يا رسول الله؛ هذا علم أعطاكه الله حتى إذا تملأت منه فضلت فضلة، فأعطيتها أبا بكر، فقال رسول الله ﷺ: «قد أصبتم»^(١).

وكان أبو بكر رضي الله عنه يفهم عن رسول الله ﷺ إشارات وتلميحاته التي لا يقرنها بشرح أو تصريح من بين جميع الصحابة، عن ابن أبي المعلى عن أبيه أن رسول الله ﷺ

(١) صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان (٢٦٩/١٥).

خطب يوماً فقال: «إن رجلاً خيره ربه بين أن يعيش في الدنيا ما شاء أن يعيش، ويأكل في الدنيا ما شاء أن يأكل وبين لقاء ربه، فاختر لقاء ربه». قال: فبكى أبو بكر رضي الله عنه فقال أصحاب النبي ﷺ: ألا تعجبون من هذا الشيخ يبكي أن ذكر رسول الله ﷺ رجلاً صالحاً خيره ربه بين الدنيا وبين لقاء ربه فاختر لقاء ربه. قال: فكان أبو بكر رضي الله عنه أعلمهم بما قال رسول الله ﷺ، فقال أبو بكر: بل نفديك بأبائنا وأموالنا، فقال رسول الله ﷺ: «ما من الناس أحد أمنّ إلينا في صحبته وذات يده من ابن أبي قحافة، ولو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت ابن أبي قحافة خليلاً، ولكن ودّ وإخاء إيمان - ودّ وإخاء إيمان - مرتين أو ثلاثاً - وإن صاحبكم خليل الله»^(١).

وعن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ جلس على المنبر قال: «إن عبداً خيره الله بين أن يؤتاه من زهرة الدنيا ما شاء وبين ما عنده، فاختر ما عنده»، فقال أبو بكر: فدينارك يا رسول الله بأبائنا وأمهاتنا. قال: فعجبنا، فقال الناس: انظروا إلى هذا الشيخ يخبر رسول الله عن عبد خيره الله بين أن يؤتاه من زهرة الدنيا ما شاء وبين ما عند الله وهو يقول: فدينارك بأبائنا وأمهاتنا. قال: فكان رسول الله ﷺ هو المخير، وكان أبو بكر رضي الله عنه هو أعلمنا به، فقال النبي ﷺ: «إن من أمنّ الناس عليّ في صحبته وماله أبو بكر، ولو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر ولكن أخوة الإسلام، لا تبقيين في المسجد خوخة إلا خوخة أبي بكر»^(٢).

وفي سنة عشر قدم وفد الأزد ورأسهم صُرد بن عبد الله في بضعة عشر رجلاً فأسلم فحسن إسلامه فأمره رسول الله ﷺ على من أسلم من قومه؛ وأمره أن يجاهد بمن أسلم من أهل بيته المشركين من قبائل اليمن، فخرج صُرد بن عبد الله يسير بأمر رسول الله ﷺ في

(١) سنن الترمذي. كتاب المناقب عن رسول الله ﷺ ٥/٥٦٧، حديث: ٣٦٥٩. وقال: حديث حسن غريب.

(٢) الترمذي: السنن، كتاب المناقب. ح ٣٦٦٠ - ٥/٥٦٨ وهذا حديث حسن صحيح.

جيش حتى نزل بجرش وهي يومئذ مدينة مغلقة وفيها قبائل اليمن، وقد ضوت إليهم خثعم فدخلوا معهم حين سمعوا بمسير المسلمين فحاصروهم بها قريباً من شهر وامتنعوا منهم فيها، ثم إنه رجع عنهم قافلاً حتى إذا كان إلى جبل يقال له كشر ظن أهل جرش أنه إنما ولّى عنهم منهزمًا فخرجوا في طلبه حتى إذا أدركوه عطف عليهم فقتلهم قتلاً، وقد كان أهل جرش قد بعثوا رجلين منهم إلى رسول الله ﷺ وهو بالمدينة يرتادان وينظران، فبينما هما عند رسول الله ﷺ عشية بعد العصر إذ قال رسول الله ﷺ: «بأي بلاد الله شكر» فقام الجرشيان فقالا: يا رسول الله، ببلادنا جبل يقال له: جبل كشر، وكذلك تسميه أهل جرش، فقال: «إنه ليس بكشر ولكنه شكر» قالا: فما له يا رسول الله؟ قال: «إن بدن الله لتنحر عنده الآن»، قال: فجلس الرجلان إلى أبي بكر وإلى عثمان فقالا لهما: ويحكما، إن رسول الله ﷺ الآن لينعى لكما قومكما فقوموا إلى رسول الله ﷺ فأسألاه أن يدعو الله فيرفع عن قومكما، فقاما إليه فأسألاه ذلك، فقال: «اللهم ارفع عنهم» فخرجا من عند رسول الله ﷺ راجعين إلى قومهما فوجدا قومهما أصيبوا يوم أصابهم صرد بن عبد الله في اليوم الذي قال فيه رسول الله ﷺ ما قال وفي الساعة التي ذكر فيها ما ذكر، فخرج وفد جرش حتى قدموا على رسول الله ﷺ فأسلموا وحمى لهم حمى حول قريتهم على أعلام معلومة للفرس وللراحلة وللمشيرة تثير الحرث فمن رعاها من الناس سوى ذلك فماله سحت^(١).

فيتضح من هذا أن خليفة رسول الله كان شمولي الثقافة جامعاً لمعارف عصره ملماً بأطرافها ومقاصدها محسناً لتوظيفها، فمن الأنساب إلى التجارة إلى الديات والمغارم والإصلاح بين القبائل والخبرات الاجتماعية التي يمتلكها من خلال أسفاره ومخالطته لقيادة المجتمعات وسادات القبائل إلى غير ذلك إلى علوم الإسلام وكل ما فيها من آداب وأسرار وقيم، كل ذلك جعله يمتلك فكراً عميقاً وعقلاً ملماً متدبراً مستشرفاً لكل ما يجري في الأمة وفي العالم تعافت الأمة على وصفاته وقيادته بعد مصابها الأليم بوفاة رسول الله ﷺ وبعد

(١) الطبري: تاريخ، ٢/١٩٦، ١٩٧.

فتنة الردة الراضية وما رافقها من أحداث مزلزلة؛ فقاد الأمة في تلك المراحل الحرجة إلى كل خير وباعدها عن كل شر وزاد عقيدتها رسوخاً وهويتها أصالة، فهذه الثقافة المتكاملة وذلك الأفق الواسع وتلك التجارب العميقة زادت من قدرة خليفة رسول الله ﷺ على تقدير الأحداث وقياس الأمور واستشراف النتائج على الوجه الصحيح، فلم يسجل عليه التاريخ كبوة أو نبوة أو مأخذاً واحداً أو موقفاً لم يكن فيه محققاً مصيباً مسدداً، فقد تأكد سداده وحسن تدبيره وصحة تأتبه للأمور في كل مواقفه في حياة رسول الله ﷺ وبعد وفاته.

ولعل من أجلى وأجل تلك المواقف ما وافق به رسول الله ﷺ يوم الحديبية حيث اتخذ الموقف ذاته ونطق بالألفاظ التي نطق بها رسول الله ﷺ دون أن يعلم بذلك، مما يؤكد القرب الروحي والتآلف النفسي ووحدة الرؤية الحاضرة والمستقبلية مع رسول الله ﷺ، يظهر هذا حينما أوشك أن يتم صلح الحديبية ولم يبق إلا كتابة شروط الصلح وما رأى فيها الصحابة من إجحاف مفاوض قريش سهيل بن عمرو بحق المسلمين وغلظته في الحوار، ولين رسول الله ﷺ معه وعدم إشراك الصحابة في المشاورة لذلك الصلح، لما كان يراه ﷺ من علامات وإشارات لم يتنبه لها كثير من الصحابة، مثل بروك الناقة حتى قال الناس: خلأت القصواء، خلأت القصواء! أي حرنت. فقال ﷺ: «ما خلأت القصواء، وليس ذاك لها بخلق، ولكن حبسها حابس الفيل»^(١). وظنهم أن لين رسول الله ﷺ الزائد في ذلك الموقف فيه مداراة لقريش أكثر مما تستحق، فوثب عمر رضي الله عنه حتى أتى رسول الله ﷺ فقال: أولست رسول الله؟ قال: «بلى». قال: أولسنا بالمسلمين؟ قال: «بلى»، قال: أوليسوا بالمشركين؟ قال: «بلى»، قال: فعلام نعطي الدنية في ديننا؟ فقال ﷺ: «أنا عبد الله ورسوله، ولن أخالف أمره، ولن يضيعني». فأتى أبو بكر رضي الله عنه فقال: يا أبا بكر: أليس برسول الله؟ فقال أبو بكر: بلى، قال: أولسنا بالمسلمين؟ قال: بلى، قال: أوليسوا بالمشركين؟ قال: بلى، قال: فعلام نعطي الدنية في ديننا؟ فقال أبو بكر: يا عمر الزم غرزه - أي أمره - فإنني أشهد أنه

(١) ابن القيم: زاد المعاد، ٢٨٩.

عبد الله ورسوله. قال عمر: وأنا أشهد أنه رسول الله^(١). فأجابه أبو بكر رضي الله عنه بمثل ما قاله رسول الله ﷺ دون أن يكون له أي علم بما قاله رسول الله ﷺ، فدل أن خليفة رسول الله، كان أكثر الصحابة قرباً روحياً وتجاوباً قولياً وعملياً مع رسول الله ﷺ وإحساساً بشعوره واتفاقاً مع رأيه وفهمه والتحاماً مع مواقفه واجتهاداته.

وظهر انفراد أبي بكر رضي الله عنه بفقه مراد رسول الله ﷺ مرة أخرى في آخر حياة النبي حينما خطب أصحابه فقال: «إن عبداً من عباد الله خير بين الدنيا وبين ما عند الله، فاختر العبد ما عند الله» فبكى أبو بكر رضي الله عنه وقال: بل نفيديك بآبائنا وأمهاتنا وأنفسنا وأموالنا. فعجب الصحابة لبكائه، ولكنهم فهموا بعد ذلك أن رسول الله هو المخير وأن أبا بكر كان أعلمهم برسول الله ﷺ^(٢).

وتتضح قوة علم الصديق وعمق فهمه في الدين من موقفه في حروب الردة، حيث انفرد عن جميع الصحابة بوجوب قتال مانعي الزكاة، وقال: والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة^(٣). فسلم الصحابة لقوة حجته وسعة علمه، ورجعوا عن رأيهم إلى رأيه وكان في ذلك كل الخير للإسلام والمسلمين إلى قيام الساعة، وكذلك موقفه يوم السقيفة وبيانه أن الخلافة في قريش، ومواقف الصديق التي تبين البون الشاسع بينه وبين قادة الصحابة وأئمتهم فضلاً عن عامتهم في تقدير الأحداث وفقه الوقائع، وتؤكد في الوقت ذاته قربته من رسول الله ﷺ وأهليته لسد مسد مراد رسول الله ﷺ الذي أشرف على تثقيف وتوجيه خليفته من أيام الصبا، قبل الوحي وقبل الهجرة، ثم استمر ذلك التوجيه والإعداد دون أن يعتريه أي انقطاع، ولعل من أهم تجليات تلك التربية النبوية وذلك الإعداد للخلافة ما اتضح لجيل القدوة في إنابته في الحج بالأمة والصلاة بأصحابه في حياته وبإشرافه ﷺ واستمر ذلك

(١) هارون: تهذيب سيرة ابن هشام، ٢٠٠. ابن القيم: زاد المعاد، ٢٩٤.

(٢) البخاري: الصحيح، ٣/٣٢٧ (١٤٦٥). مسلم: الصحيح، ٢/٧٢٨ (١٢٣/١٠٥٢).

(٣) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الزكاة، ح (١٣٣٥).

حتى ودع المسلمون حبيبهم الأعظم يوم وفاته، وحينها تبينت آثار ذلك الإعداد وآتت التربية النبوية ثمارها الياقة المرجوة بما قام به خليفة رسول الله من مواقف جَلَّتْ عن أصحاب النبي ﷺ الكروب وثبتت الإيمان ودفعت عنهم الشرور وثبتت التوحيد وأنجزت الوحدة والقوة والأمن والسلام.

عن الطاهرة أم المؤمنين عائشة قالت: لما توفي النبي ﷺ اشربأب النفاق، وارتدت العرب، وانحازت الأنصار، فلو نزل بالرجال الراسيات ما نزل بأبي لهاضها فما اختلفوا في نقطة إلا طارَ أبي بعنانها وفضلها. فقالوا: أين يدفن رسول الله ﷺ؟ فما وجدنا عند أحد من ذلك علمًا، فقال أبو بكر: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من نبي يُقبض إلا دُفِن تحت مضجعه الذي مات فيه». وكان المسلمون اختلفوا في دفنه فقائل يقول: ندفنه في مسجده، وقائل يقول: ندفنه مع أصحابه، فقال أبو بكر: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما قبض نبي إلا دفن حيث يقبض». فرفع فراش رسول الله ﷺ الذي توفي عليه، فحفر أبو طلحة الأنصاري رضي الله عنه ^(١) تحته ثم دفن ﷺ ليلة الأربعاء حين زاغت الشمس ^(٢).

قالت الطاهرة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها: واختلفوا في ميراثه، فما وجدوا عند أحد من ذلك علمًا، فقال أبو بكر: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنا معشر الأنبياء لا نُورث، ما تركنا صدقة» ^(٣). وهذا ما أخذ به الخلفاء الراشدون من بعده بمن فيهم علي بن أبي طالب

(١) أبو طلحة الأنصاري زيد بن سهل بن الأسود بن حرام النجاري الخزرجي رضي الله عنه زوج أم سليم أم أنس بن مالك رضي الله عنه، وكان أبو طلحة من رماة المسلمين المعدودين. قال ﷺ: «لصوت أبي طلحة في الجيش خير من فئة». ابن حنبل: المسند، ١١٢/٣ وهو حديث مرسل. وهو القائل لرسول الله ﷺ يوم أحد بعد أن وضع صدره أمام المشركين، وقال: هكذا لا يصيبك بعض سهامهم؛ نحري دون نحرك. وهو صحيح الإسناد. وكان يرجز فيقول:

أنا أبو طلحة واسمي زيد وكل يوم في سلاحي صيد

ابن حجر: الإصابة، ٢/ ٥٠٢. ابن خياط: الطبقات، ٨٨.

(٢) ابن حبان: السيرة ١/ ٤٢٠

(٣) ابن عساکر: تاريخ دمشق، ٣٠/ ٣١١.

رضي الله عنه، وقد انقادت الأمة لخليفة رسول الله فسار خلفه أظهر جيل عرفته البشرية وأكثره علمًا وحرصًا على سلامة الدين ووحدة المسلمين، ومن ذلك أن أبا بكر رضي الله عنه قرأ في الفجر بسورة البقرة حتى سلم منها قريبًا من طلوع الشمس، فقالوا: يا خليفة رسول الله كادت الشمس تطلع. فقال: لو طلعت لم تجدنا غافلين^(١).

ولعل هذا الموقف من أظهر الأمور التي تدل على انقياد أئمة الصحابة لعلمه وفقهه، فما هم ينقادون في هذه الصلاة دون أي اعتراض على طولها، أو على ما رده خليفة رسول الله على من أخبره بأن الشمس أوشكت أن تشرق قبل فراغه من الصلاة، وبالتأكيد لو كان الإمام غير خليفة رسول الله لوجد الكثير من المعارضين تحت غطاء الكثير من الحجج، إلا أن مقام الصديق رضي الله عنه العلمي في حياة رسول الله ﷺ كان معلومًا، وكذلك ثقة الصحابة بعلمه وحفظه لكتاب الله تعالى كان يحول بينهم وبين التدخل في أي شأن يقرره ويرضاه. فقد روي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: رحم الله أبا بكر فهو أول من جمع ما بين اللوحين^(٢). وعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: قسم أبي الفيء عام أول: فأعطى الحر عشرة والمملوك عشرة والمرأة عشرة وأمتها عشرة ثم قسم العام الثاني فأعطاهم عشرين عشرين^(٣). فلم يسمع أحد من الناس بمعارض أو عائب لمواقف الصديق رضي الله عنه واجتهاداته وما ذلك إلا لأنه كان يستقي من منهاج النبوة الذي تشرب به في دمه ولحمه. فأصبح بذلك يفهم مرادات رسول الله ﷺ وإشاراته من بين جميع الصحابة رضي الله عنهم، والأمثلة على ذلك كثيرة وواضحة وبيّنة لا تحتاج إلى مزيد من الإطناب والتفصيل لا ينكرها إلا من طمس على قلبه الحقد والجهل وموت الضمير. ومما يشهد لخليفة رسول الله بالتفوق العلمي والسمو الفكري والنباهة الفقهية والثقافة القرآنية النبوية أنه:

(١) ابن القيم: زاد المعاد، ج ١ / ٢١٢.

(٢) البلاذري: الشيخان وولدهما: ٦٠. ابن عبد البر، الاستيعاب، ٣ / ٩٧٣.

(٣) صحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه. ح(٦١٧٠).

أول من استشهد بالقرآن في دفاعه عن رسول الله ﷺ من المسلمين. ومما يشير إلى ذكاء الصدِّيق الفطري وعميق فقهه أنه كان يستشهد بآيات القرآن ويحتج بها حتى على المشركين الذين لا يؤمنون بها، وما ذلك إلا لأنها أقوى في الدلالة وأبلغ في الحججة كما أنها تطبيق عملي للقرآن وتفعيل لمفاهيمه، وذلك من أيام الإسلام الأولى في مكة، فعن عروة بن الزبير قال سألت عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن أشد ما صنع المشركون برسول الله ﷺ؟ قال: رأيت عقبة بن أبي معيط جاء إلى النبي ﷺ وهو يصلي فوضع رداءه في عنقه فخنقه به خنقًا شديدًا، فجاء أبو بكر رضي الله عنه حتى دفعه عنه فقال: أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم^(١). وفي هذا الحديث من الفوائد بيان شجاعة الصدِّيق رضي الله عنه وأنه كان يتصدى لمجرمي قريش وعتاتها ممن يؤذون رسول الله ﷺ، وهذا أحدهم عقبة بن أبي معيط الذي خنق رسول الله ﷺ بردائه، فما رده عنه إلا خليفته الصدِّيق رضي الله عنه. وعميق إيمانه بحجج القرآن الكريم التي كان يحتج بها في دفاعه عن رسول الله ﷺ: أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله. والمعنى: يا أيها المشركون، هل تقتلون رسول الله ﷺ الذي ليس له ذنب معكم إلا أن يعلن أن الله ربه سبحانه وتعالى، وقد جاءكم بالبيان على ذلك من خالقكم. ونظرًا لما يتمتع به خليفة رسول الله من مزايا فقد خصه ﷺ في كثير من الأمور. منها:

اختياره ﷺ لخليفته وحده دون سائر الصحابة ليصحبه في رحلة الهجرة وهي أخطر رحلة وأعظم محنة يتعرض لها رسول الله ﷺ، فقد عزمت قريش على قتله، بعد مشاورات وتأمير طويل وشرعت فعلاً في التنفيذ، فكانت الهجرة ليلة التنفيذ لمؤامرتها المجرمة واختيار الرسول ﷺ لخليفته رضي الله عنه في هذا الموقف واعتماده بعد الله تعالى عليه؛ فيه دلالة عظيمة على أنه كان أعظم الصحابة إيمانًا ونباهة وأكثرهم جرأة ورجولة وتحملًا للمصاعب ووقوفًا في وجه الشدائد، وكتمانًا للسر وحبًا وفداءً له ومحافظة عليه ﷺ.

(١) البخاري: صحيح البخاري، ك. فضائل الصحابة، باب قول النبي ﷺ: «لو كنت متخذًا خليلاً» (٣٤٧٥).

وفيه ظهر إشفاق أبي بكر رضي الله عنه على رسول الله ﷺ وحده عليه وحرصه الهائل من أجل الحفاظ على سلامته بكل سبيل، وسعيه المتواصل لتحقيق آماله وتنفيذ مطالبه وإشاراته ﷺ.

ومن خلال هذا التلاحم بين رسول الله ﷺ وصاحبه الصديق رضي الله عنه تستقي الأمة منهج نصره الإسلام والعمل على إقامة دولته الموعودة، وعلى آثاره تشق الأمة طريقها المعبد لتحقيق الأمن والسلامة ولتحتاط من كل من يخالف ذلك الطريق على أمنها وسلامتها، إذ المخالفون إنما هم امتداد للمتأمرين على حياة رسول الله ﷺ يوم الهجرة، ولهذا هلك من هلك من الرافضة وورثة الأحقاد المجوسية حينما أعلنوا العداوة لخليفة رسول الله الذي استنفد كل طاقاته في سبيل نجاح هجرة رسول الله ﷺ ووصوله إلى المدينة سالمًا. مما أغضب هؤلاء الحاقدين الذين ساءت لهم سلامة النبي ﷺ فبلغ بهم الحقد حدًا جعلهم ينتقصون رسول الله ﷺ ويتهمونه بما لا يمكن النطق به من بهتان وإفك أقله ما يصمون به من الغفلة وقلة الدراية - حاشاه ﷺ - وصناعة الافتراءات على خليفته واتهامه بالتآمر على حبيبه ﷺ الذي هو أعز عليه من نفسه ومن الناس أجمعين مما يعلمه عنه جميع المسلمين وتصدقه جميع أفعاله التي مارسها في حياة النبي ﷺ وبعد وفاته، ولعل هذه الأباطيل التي ينسجها أعداء الصحابة تمثل الدليل الأوضح على بعدهم عن محمد ﷺ وعمّا جاء به من دين؛ ولكنها في الوقت ذاته كشفت عن حقيقة أحقادهم التي أصبح يحذرهما كل عاقل حصيف من أمة محمد ﷺ مما نزع الثقة بانتمائهم إلى هذه الأمة التي طالما تحالفوا مع أعدائها على تشويه تاريخها وتدمير حضارتها واغتيال أختيارها كما هو حاصل الآن في العراق.

منهجه في التثبت من الأخبار:

لم يكن خليفة رسول الله ﷺ يكتفي بالسؤال المجرد عن بعض المسائل النادرة التي لا يحفظ فيها نصًّا، بل كان يتبين من المسؤول عن الزمان والمكان الذي حدّث فيه رسول الله ذلك الحديث وعن الحضور من أصحابه في ذلك المكان والزمان، وكان لسان حاله يقول: كيف

فاتني ذلك الخبر وأنا لم أعب عن رسول الله ﷺ؟ حتى إذا اطمأن إلى قول راوي الخبر أو علم أنه لم يكن شاهداً في ذلك المجلس طلب من الراوي من يؤكد روايته من أصحاب رسول الله ﷺ، كل ذلك زيادة في التوثيق لأحاديث رسول الله ﷺ فكان أول من احتاط في قبول الأخبار هو رضي الله عنه روى ابن شهاب عن قبيصة بن ذؤيب أن الجدة جاءت إلى أبي بكر تلتمس أن تورث فقال: ما أجد لك في كتاب الله شيئاً، وما علمت أن رسول الله ﷺ ذكر لك شيئاً. ثم سأل الناس فقام المغيرة فقال: حضرت رسول الله ﷺ يعطيها السدس. فقال له: هل معك أحد؟ فشهد محمد بن مسلمة بمثل ذلك فأنفذه لها أبو بكر رضي الله عنه.

ومن مراسيل ابن أبي مليكة أن الصديق رضي الله عنه جمع الناس بعد وفاة نبيهم ﷺ فقال: إنكم تحدثون عن رسول الله ﷺ أحاديث تختلفون فيها والناس بعدكم أشد اختلافاً، فلا تحدثوا عن رسول الله ﷺ شيئاً فمن سألكم فقولوا: بيننا وبينكم كتاب الله فاستحلوا حلاله وحرّموا حرامه. فهذا المرسل يدلّك أن مراد الصديق الثبوت في الأخبار والتحري، لا سد باب الرواية. ألا تراه لما نزل به أمر الجدة، ولم يجده في الكتاب، كيف سأل عنه في السنة فلما أخبره الثقة ما اكتفى حتى استظهر بثقة آخر ولم يقل: حسبنا كتاب الله كما تقول الخوارج؟! وحدث يونس عن الزهري: أن أبا بكر رضي الله عنه حدث رجلاً حديثاً فاستفهمه الرجل إياه فقال أبو بكر: هو كما حدثتك، أي أرض تقلني إذا أنا قلت ما لم أعلم؟ وصح أن الصديق خطبهم فقال: إياكم والكذب، فإن الكذب يهدي إلى الفجور، والفجور يهدي إلى النار، وعن قيس بن أبي حازم قال: سمعت أبا بكر الصديق رضي الله عنه يقول: إياكم والكذب فإن الكذب مجانب الإيمان. قال الذهبي قلت: صدق الصديق رضي الله عنه فإن الكذب رأس النفاق، وآية المنافق. والمؤمن قد يطبع على المعاصي والذنوب الشهوانية لا على الخيانة والكذب كما هو خلق أعداء الصحابة. فما الظن بالكذب على الصادق الأمين ﷺ وهو القائل: «إن كذباً علي ليس ككذب علي غيري، من يكذب عليّ بني له بيت في النار». وقال: «من يقل علي ما لم أقل فليتبوأ مقعده من النار»؟ فهذا وعيد لمن نقل عن نبيه ما لم يقله مع غلبة الظن أنه ما قاله، فكيف حال من تهجم على رسول الله ﷺ وتعمد

عليه الكذب وقوله ما لم يقل؟ وقد قال ﷺ: «من روى عني حديثاً يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين».

قال الذهبي: فإننا لله وإنا إليه راجعون، ما ذي إلا بلية عظيمة وخطر شديد ممن يروي الأباطيل والأحاديث الساقطة، المتهم نقلتها بالكذب. فحق على المحدث أن يتورع فيما يؤديه وأن يسأل أهل المعرفة والورع ليعينوه على إيضاح مروياته، ولا سبيل إلى أن يصير العارف الذي يزكي نقلة الأخبار ويجرحهم جهبذاً إلا بإدمان الطلب، والفحص عن هذا الشأن، وكثرة المذاكرة والسهر والتيقظ والفهم مع التقوى والدين المتين والإنصاف والتردد إلى مجالس العلماء والتحري والإتقان. وإلا تفعل:

فدع عنك الكتابة لست منها ولو سودت وجهك بالمداد

قال الله عز وجل: ﴿فَسْتَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾^(١) فإن أنست يا هذا من نفسك فهماً وصدقاً ودينًا وورعًا وإلا فلا تتعنّ، وإن غلب عليك الهوى والعصية لرأي ولمذهب فبالله لا تتعب، وإن عرفت أنك مخلط مخبط مهمل لحدود الله فأرحنا منك، فبعد قليل ينكشف البهرج وينكب الزغل ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله، فقد نصحتك، فعلم الحديث صلف، فأين علم الحديث؟ وأين أهله؟ كدت ألا أراهم إلا في كتاب أو تحت تراب.

نعم فرأس الصادقين في الأمة الصديق رضي الله عنه، إليه المنتهى في التحري في القول وفي القبول وفي العلم والفهم، يتحرى كل هذا التحري، فأين أهل هذا العصر ممن يحدث بما شاء ويتكلم بما أراد دون أن يسند شيئاً من ذلك إلى آية أو حديث^(٢).

بل يتكلم الساعات ويؤلف المؤلفات ويقلب الأقوال تحت ما يسمى بالمسألة الفكرية

(١) سورة النحل، الآية: ٤٣.

(٢) طاهر الجزائري الدمشقي: توجيه النظر إلى أصول الأثر، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، حلب،

١٤١٦هـ - ١٩٩٥م، ١/٦١.

وقضايا الفكر وإصلاح العقل وما إلى ذلك من حجج وأعدار. بل إن الكثير ممن يزعم أنه من أهل الإسلام وأنه غيور على موروث الفكر الإسلامي تجده يتممض بصديد أباطيل أعداء الصحابة الذي صنعه أعلامهم الفاجرة وأدمغتهم الحاقدة، فيطعن بهذا الصحابي القائد وبذلك الرباني المجاهد بنفسه وماله، فبأي ذوق يجتر هذه الشتائم والطعون من يزعم أنه مسلم؟ وتحت أي مظلة يحتمي من فحيح الرفض والردة؛ من يقبل بمجرد النظر فيمن يشك بإخلاص الصحابة؟ وإذا فقد الإخلاص عندهم فعند من يكون؟ وإذا كان من يلوك بهتان الرفض يعتقد أنه إنما هو في إطار البحث والنقد العلمي البحت، فإنما هذا يعلن عن غباء مركب؛ إذ كيف ينتقد من يمدحه الله تعالى، ويمجده رسوله ﷺ؟ ألا يعلم هذا المغفل أنه عندما يحمل أسفار الإفك الراضية لعدالة الصحابة؛ إنما يصدق أكذب الخلق ألا وهم أعداء الصحابة؛ ويكذب أصدق النصوص ألا وهي نصوص الكتاب والسنة؟ فهل بعد هذا الغباء وهذه الغفلة غباء وغفلة؟ سوى السباحة في أوحال الراضية أعداء الكتاب والسنة وخلافة النبوة!!

ومن هنا تتكون قاعدة نقاء الفكر الإسلامي وإصلاحه المبني على ذات الأساس الذي أثمر الحضارة التي قادها الصديق والفاروق ومن جاء بعدهم من السلف الصالح رضي الله عنهم، وكل كتاب أو مقال أو خطاب أو صحيفة أو مجلة أو مسلسل أو فضائية أو أرضية أو طائفة أو جماعة أو حزب أو غير ذلك؛ ينال من أحد من أصحاب رسول الله ﷺ ويطعن فيهم تحت أي مسمى كان؛ إنما هو معول هدم ودمار في حصن الأمة، وكل من يقبل النظر فيما ينفثه هؤلاء من السحر والوهم إنما هو معاون لذلك المخرب ومشارك له في غش الأمة وخداعها وتمزيق هويتها، وكل من يسكت عنه إنما هو أحرص عن الحق ومضيع للأمانة وخائن للثغرة التي هو عليها، وبائع لدينه مسوق لأحقاد أعداء الصحابة الراضين للكتاب والسنة وخلافة النبوة، وعلى هدي هذه القاعدة يمكن لكل مسلم أن يعرف الحق من الباطل والعسل من البصل والعلم من الجهل؛ بالنظر إلى الصحابة وموقعهم من فكر الكاتب واعتقاده، فإن هو أنصف وقال بالحق فيها وأنعم، وقد نوافقه فيما سوى ذلك

أو نخالفه ولكن لا يخرج ذلك عن الرأي والرأي الآخر المعترف المقدر، أما أن يطعن بعقلاء البشر وحكماء الناس وإخوان الأنبياء؛ ونعتقد فيه الموضوعية أو الأمانة أو العلمية، فهذا ما لا يوافق العقل ولا الدين.

وبظلال هذه القاعدة العلمية تنتفي الحاجة إلى تجريد الأقلام والألسن وشغل المؤمنين وتضييع أوقاتهم بالرد على شبهات الرافضة وبغيهم، إذ إن العلامة واضحة في كشف زيفهم، فكل من يرمى حول حمى الصحابة وأمهات المؤمنين والصحيحين إنما يوشك أن يرتع في الحقيقة ويعمل على نسفها بالباطل والبهتان والتهم والشبهات، فالرد العلمي على هذه الحالة يتمثل في إلغاء هذا الصنف من دائرة الاهتمام بإصلاحه لفساد نياته المبنية على تكذيب الكتاب والسنة ورفضها عمداً مع سبق الإصرار والترصد، وتكذيب واقع الصحابة الحضاري الفريد الذي سطروه شامخاً في كل مفاصل الحياة.

فإذا فعلنا هذا نكون قد عملنا بوصايا السلف الصالح القائلة: أميتوا الباطل بعدم ذكره، وحفظنا أوقاتنا وسخرناها فيما ينفع في جوانب الحياة الأخرى، واحترسنا من مكر الرافضة القائم على قاعدة (اكذب اكذب حتى يصدقك الناس)، ولم نجعل من كتبنا وأقلامنا وندواتنا وخطبنا ومجالسنا مطايا لنشر أباطيلهم باسم الرد عليها ومعالجتها؛ والله المستعان وهو الهادي إلى سواء السبيل. قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا ﴾^(١).



(١) سورة الإسراء، الآية: ١٩.

الفصل الثاني

خليفة رسول الله
أبو بكر الصديق رضي الله عنه
إمامة وقيادة

المبحث الأول: الإشارات إلى صفات خليفة رسول الله في الآيات
القرآنية.

المبحث الثاني: خصائص خليفة رسول الله أبي بكر الصديق
رضي الله عنه.

المبحث الثالث: فضائل خليفة رسول الله المتفردة والمشاركة.

المبحث الأول

الإشارات إلى صفات خليفة رسول الله في الآيات القرآنية

(الإمامة والتمكين والبراءة من المرتدين ومواقف السبق واليقين)

تمهيد:

خليفة رسول الله أبو بكر رضي الله عنه إمام الأمة وقائدها بعد نبيها ﷺ كله فضائل وخصائص ومزايا ومناقب ومواقف تتجلى فيها مواصفات الإمامة والقيادة في أسمى صورها، في عطائه ومنعه، وسلمه وحرابه، وقيادته وجنديته؛ وفي كل مواقفه في حياة رسول الله ﷺ وبعد وفاته ﷺ وفي جميع أيام خلافته؛ كان ينتقل من فضل إلى فضل، ومن نصر إلى نصر، فكل مسيرته ثمار يانعة وخصائص ناصعة، في فهمه وتخطيطه وعمله وتنفيذه، وفي إخلاصه لحاضر الأمة واستشرافه لمستقبلها، فمجمل حياته كانت صاعقة على المشركين والمرتدين، ووفاته أصبحت كاشفاً لأعداء الصحابة المزيفين للعقيدة وللدين، فمبغضوه هم أعداء المؤمنين وأولياء الظالمين، وهم العابثون بثوابت الأمة، والمتربصون بصالح المؤمنين، وهم الكافرون برب أبي بكر، الرافضون لخلافته وإمامته في الدين.

يتجلى ذلك في قول قائل أعداء الصحابة: إن الإسلام لم ينفع الصحابة وأهل السنة سوى في حقن الدماء والأموال في الدنيا، وإلا فاعتقاداتهم أورثت خلودهم في النار مع إخوانهم من الكفار، وحاصله أنا لم نجتمع معهم على إله ولا على نبي ولا على إمام، وذلك أنهم يقولون إن ربهم هو الذي كان محمد ﷺ نبيه، وخليفته أبو بكر، ونحن لا نقول بهذا الرب

ولا بذلك النبي؛ بل نقول: إن الرب الذي خليفة نبيه أبو بكر ليس ربنا ولا ذلك النبي نبينا^(١). لكن المتابع لأحداث العراق الذي يقوده الرافضة مع أوليائهم الصليبيين وغيرهم في هذه الأيام يجد أن الإسلام لم يعصم دماء أهل السنة ولا أموالهم ولا أعراضهم ولا مصاحفهم ومساجدهم من التدمير والحرق، ولا قبور الصحابة من النيش والتخريب كما فعلوا في قبر أنس بن مالك رضي الله عنه وقبر طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه مما يعني أن هذا القول ليس معتمدًا عندهم وأن الرافضة في عقيدتها تستيحيح دماء وأموال وأعراض أهل السنة ومحبي الصحابة أحياء وميتين وأن الفتاوى التي تظهر في هذا الباب ليست إلا من باب التقية والتليس على المغفلين.

ولكن مع كل هذا الشر الذي تحمله مقاصد هذا القول فإنه أصدق قول يصرح به رافضي ويبين فيه حقيقة عقيدتهم التي لا يخرج عنها أحد منهم؛ ولا ممن في قلبه مثقال ذرة بغض لأحد من الصحابة من غيرهم؛ فضلًا عن يشتتم الصحابة ويدين بلعنهم والبراءة منهم ومن ربهم ونبیهم ﷺ، ولعل كل عاقل يؤمن بالله ربًا وبمحمد ﷺ نبياً وبالكتاب دستورًا وبالسنة النبوية منهجًا لا يستغرب أي لفظة من هذا القول، لأن الحقيقة فيه جليلة ساطعة عارية.

ولكن الغرابة ممن يقال له: احذر الهاوية فيأبى إلا أن يقع فيها! أولئك المتفلسفون ممن يزعمون أنهم من أهل السنة ويرون أن رافضي دين الصحابة هم إخوانهم وأبناء ملتهم، فبأي عقول يفكر أولئك المفلسون؟ أم بأي عقيدة يعتصمون؟ فهم لا يأخذون بنصح المجربين ولا بأقوال علماء السنة المؤتمنين، ولا يعقلون ما يصرح به الرافضة علانية، ويدينون به صراحة، في البراءة من الصحابة ونبیهم ﷺ وخليفته رضي الله عنه ولا يُصدقون ما يروونه بأعينهم مما يجري لأهل السنة على أيديهم جهارًا نهارًا في هذا العصر ولا ما يقيمونه من

(١) نعمة الجزائري: الأنوار النعمانية، ٢/ ٢٧٨. ولا شك أن هذا واقع قائم في حال تمكنهم ولا يجوز لهم غيره، أما في حال ضعفهم فهم يأخذون بالتقية والنفاق وإن كانوا لا يدعون التدين بهذا في كل أحوالهم، ومن هنا حذر السلف الصالح من أخطارهم على الدين والأمة.

تحالف مع الغزاة المعتدين، ولا ما قرؤوه في التاريخ عن غدرهم ومكرهم بالمسلمين، وليس تحالفهم مع التتار المتوحشين؛ وقتلهم ما يزيد على مليون من أهل السنة؛ في بغداد الخلافة عام (٦٥٦هـ - ١٢٥٨م) وما تبع ذلك من الدمار والقتل فيما اجتاحوه من بلاد المسلمين، ليس ذلك مما يجهله أحد قرأ شيئاً عن تاريخ هذه الأمة وما مرّ بها من غدر على أيدي أعداء الصحابة.

فالقول إذاً ما قاله هذا الرافضي، فهم لا يجتمعون مع أهل السنة على رب ولا نبي ولا خليفة أو إمام، وأهل السنة ربهم الله عز وجل، الذي نبه محمد بن عبد الله الهاشمي القرشي العربي ﷺ وخليفته أبو بكر عبد الله بن عثمان التيمي القرشي العربي رضي الله عنه، وكل من لا يؤمن بهذا الرب وهذا النبي ﷺ الذي خليفته أبو بكر رضي الله عنه فلا نلتقي معه بدين ولا ملة.

والفيصل في كل هذا هو خليفة رسول الله أبو بكر رضي الله عنه ومن بعده الصحابة رضي الله عنهم، فإسلامهم إسلامنا وقرآنهم قرآننا ودينهم ديننا ونبههم نبينا وستته هي منهجنا؛ وعدوهم عدونا ووليهم ولينا ومسالمتهم مسالمتنا ومحاربتهم محاربتنا ومحبتهم محبتنا ومبغضهم مبغضنا، ومن خرج عن هذه الثوابت فليس منا ولسنا منه.

فيتبين أن خصائص أبي بكر رضي الله عنه وفصائله ومناقبه الكبرى معين لا ينضب، فهي تمتد إلى ما بعد وفاته، ومنها كشف المتلبسين بعداء الصحابة الرافضيين للكتاب والسنة المتآمرين على الأمة في حاضرها ومستقبلها، ليحذر ذلك المؤمنون ويتذكر الغافلون ويتنبه اللاهون العابثون بهوية الأمة وعقيدتها، المزيفون لتاريخها وثقافتها، ممن لا يميزون بين من يستبيح دماء أهل السنة وبين من يحميهم بدمائهم وماله وأهله وكل ما يملك.

ولعل من أشهر خصائصه أيضاً، سعة العلم ودقة الفهم والفتنة، وعمق الفقه وشمول الإدراك، والجرأة والسبق والإقدام والاستعداد الدائم لمفاجأة الأحداث قبل أن تفجأه ومعالجتها قبل غشيانها؛ كما اتضح ذلك من فهمه لإشارات النبي ﷺ عن قرب وفاته،

كما روى ذلك أبو سعيد الخدري قال: خرج علينا رسول الله ﷺ في مرضه الذي مات فيه وهو عاصب رأسه، قال: فاتبعته حتى صعد المنبر. فقال: «إني الساعة لقاتم على الحوض». ثم قال: «إن عبدًا عُرِضت عليه الدنيا وزينتها فاختر الآخرة»؛ فلم يفتن لها أحد من القوم إلا أبو بكر. فقال: بأبي أنت وأمي، بل نفديك بأموالنا وأنفسنا وأولادنا^(١). وهذه الرواية جاءت في صحيح البخاري بصيغة أتم من هذه، يظهر فيها فقه الصديق رضي الله عنه وفطنته وفهمه عن النبي ﷺ فيما يستنبطه مما يسمعه من رسول الله ﷺ متفردًا بذلك الاستنباط عن بقية السامعين. عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ جلس على المنبر فقال: «إن عبدًا خيره الله بين أن يؤتیه من زهرة الدنيا ما شاء وبين ما عنده، فاختر ما عنده». فبكى أبو بكر وقال: فدينك بآبائنا وأمهاتنا. فعجبنا له، وقال الناس: انظروا إلى هذا الشيخ، يخبر رسول الله ﷺ عن عبد خيره الله بين أن يؤتیه من زهرة الدنيا وبين ما عنده، وهو يقول: فدينك بآبائنا وأمهاتنا! فكان رسول الله ﷺ هو المخير، وكان أبو بكر هو أعلمنا به، وقال رسول الله ﷺ: «إن من أمنّ الناس عليّ في صحبته وماله أبا بكر، ولو كنت متخذًا خليلاً من أمتي لاتخذت أبا بكر إلا خلة الإسلام، لا يبقين في المسجد خوخة إلا خوخة أبي بكر»^(٢). وقال أبو سعيد رضي الله عنه فقلت في نفسي: ما يبكي هذا الشيخ؟ فكان رسول الله ﷺ هو العبد، وكان أبو بكر رضي الله عنه أعلمنا، فقال ﷺ: «يا أبا بكر لا تبك، إن أمنّ الناس عليّ في صحبته وماله أبو بكر، ولو كنت متخذًا خليلاً من أمتي لاتخذت أبا بكر، ولكن أخوة الإسلام ومودته، لا يبقين في المسجد باب إلا سد، إلا باب أبي بكر»^(٣).

فهذا الفهم الذي كان يديه أبو بكر رضي الله عنه في المواقف المستشرفة للقادم من

(١) ابن حنبل: فضائل الصحابة، ١ / ١٦٥.

(٢) البخاري: كتاب فضائل الصحابة، باب. هجرة النبي ﷺ ح (٣٩٠٤)، ابن كثير: البداية والنهاية، ٦ / ٣٤٧، ٣٤٨.

(٣) البخاري: صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي ﷺ: «سدوا الأبواب إلا باب أبي بكر» ح (٣٦٥٤).

الأحداث، وهذه الفطنة لتلقي مرامي كلام رسول الله ﷺ ومراده الذي يتخلل خطبه في إشارات خفية ونبضات هادئة لا تثير انتباه الكثير من الناس؛ هذا هو الذي شق طريق المكانة السامية لأبي بكر رضي الله عنه في قلوب الصحابة وأبناء أمة محمد ﷺ وأثار عليه أعداء الإسلام ببهتانهم ورافضيتهم وغدرهم، وهذا التحفز الدائم للتلقي الصحيح والكامل عن رسول الله ﷺ هو الذي جعل رسول الله ﷺ لا يعدل به أحدًا من الناس، وهذا الإحساس والتحفز الذي تمتلئ به مشاعر خليفة رسول الله ﷺ هو الذي كان يقوده إلى العطاء الدائم والاستعداد المستمر لمفاجأة الأحداث قبل أن تفاجئ الأمة، وهذا ما تأكد في سيرته عندما تفرد في كثير من المواقف التي لم يصل إلى كثير من وجوه الصحابة وقادتهم إدراك أبعادها ومخاطر مهادنتها، ولم يقدر كثير منهم الثمار اليانعة لسرعة مواجهتها ومرود ذلك على وحدة الأمة وسلامة التوحيد وهيبة أهله، لكل هذا ولغيره كان رسول الله ﷺ يعلن أمام الأمة أن أبا بكر آمنّ الناس عليه بصحبته وبماله، وما ذلك إلا للتميز الذي اختص به أبو بكر رضي الله عنه في المؤازرة والنصرة والإسهام المباشر في تحمل الأعباء وتخفيف الأثقال الملقاة على كاهل رسول الله ﷺ فثبت أن صاحبًا واحدًا تجده في كل ساعات الشدة متيقظًا متأهبًا لن يعدله أحد من الأصحاب، كما أن درهمًا في ساعة العسرة خير من آلاف الدراهم في ساعات الرخاء واليسر، وهكذا في المشورة وفي إجابة الخصوم ومواجهة الملمات والبواقي ومنعطفات الأحداث، وكل هذه الخصائص كانت متأصلة في شخصية خليفة رسول الله ﷺ حتى سمت به تلك الخصائص إلى أن يقرنه الناس بصاحبه الأعظم رسول الله ﷺ ويعتقدوا فيه البديل الطبيعي عن نبي الأمة في حال غيابه ﷺ وفي كل ما حصل في الأمة من أحداث، وأكرم بذلك مقامًا وخصيصة لم تكن لغيره رضي الله عنه.

وهذا ما يؤكد أن روح الصدّيق ومشاعره وخواطره جميعها تدور في فلك رسول الله ﷺ، فييمان أبي بكر و يقينه المطلق بكل ما قاله رسول الله ﷺ وعمله الدؤوب لتحقيق مرامي رسول الله ﷺ وأهدافه وإشاراته في حياته وبعد وفاته ﷺ؛ كل ذلك أسهم في خصائصه التي من أهم مفرداتها أن رسول الله ﷺ يأتي أن يتقدم أحد على أبي بكر رضي الله عنه، بل لم

يخالف أحد أبا بكر إلا وكان رسول الله ﷺ مع أبي بكر رضي الله عنه ولم يثبت أنهما افترقا في موقف من المواقف، وهذا والله هو الشرف الباذخ والمجد الشامخ أن يوافق أبو بكر رضي الله عنه النبوة موافقة مطلقة فلا يوجد في سيرته أي موقف انفرد به عنها، وأن يوافقه النبي ﷺ في كل سيرته، فلم يثبت أن النبي ﷺ قدم عليه أو اختار على رأيه رأياً أو استأنس بقرب أحد كأنسه وطمأنينته بقرب صاحبه رضي الله عنه، فأبي خصيصة مثل هذه الخصيصة، وأي فضل مثل هذا الفضل.

قال أبو الدرداء رضي الله عنه: رأيت رسول الله ﷺ أمشي أمام أبي بكر فقال: «يا أبا الدرداء أتمشي أمام من هو خير منك في الدنيا والآخرة، ما طلعت الشمس ولا غربت على أحد بعد النبيين والمرسلين أفضل من أبي بكر»^(١). لهذا كان السلف لا يداهنون ولا يمارون في مسألة تقديم الصديق كإمام مطلق للأمة بعد النبي ﷺ، قال جعفر بن محمد بن علي: برئ الله ممن تبرأ من أبي بكر وعمر. وسئل زيد بن علي عمن يتبرأ منهما؟ قال: أبرأ منه^(٢). فهي دعوة صريحة إلى كل مغفل مغرر به ملبس عليه في عقيدته ودينه أن مفتاح الدين والعقيدة هم الصحابة وإمامهم خليفة رسول الله، فمن تبرأ منهم تبرأنا منه، ومن أحبهم أحببناه، ومن زعم أنه يحب الصحابة ويعتقد أخوة مبغضهم والتقارب معهم بعد كل ما عرفناه عنهم كذبناه واتهمناه ورددنا قوله، لأن النور والظلمة لا يلتقيان، كما أن حب الصحابة وحب مبغضهم ومكذبهم لا يجتمعان في قلوب المؤمنين.

وما خوف السلف وآل البيت من وصمة الرفض أو عار التقارب مع الرافضة على حساب الدين أو أن يشوب أحداً منهم شائبة في عقيدته تجاه خليفة رسول الله ﷺ أو أن يذكر في سيرته شيء من هذا التمرد على الله ورسوله ﷺ - إلا لأن حب الصديق رضي الله عنه واتباعه عقيدة ودين، وبغضه عقيدة ودين، فمبغضوه دينهم رفض النبوة وبغض أنصارها

(١) ابن حنبل: فضائل الصحابة، ١/١٥٥.

(٢) ابن حنبل: فضائل الصحابة، ١/١٦٠.

وموالاة أعدائها مطلقًا، ووجه عكس ذلك مطلقًا أيضًا، فلا يجتمع من يحب خليفة رسول الله مع من يبغضه في إله ولا نبي ولا خلافة ولا إمامة، فمن يرفض إمامة أبي بكر رضي الله عنه فلا شك أنه يرضى بإمامة مسيلمة المتنبئ الكذاب وعبد الله بن سبأ اليهودي الزنديق وأبي لؤلؤة المجوسي الحاقد وأولياء هولاء ابن العلقمي والطوسي أئمة أعداء الصحابة وأمثالهم من مراجع الرفض والردة المعاصرين، وولاء أعداء الكتاب والسنة ممن يعظم أعداء خليفة رسول الله ويبغض أولياءه؛ وما ذلك إلا لأن ذلك الحب وذلك البغض دين يقرب إلى الله ورسوله ﷺ أو يبعد عن الله ورسوله ﷺ، وعلى هذا الميزان يقف أبو بكر رضي الله عنه ليكون فيصلاً بين أمة النبوة التي يؤمها بعد رسول الله ﷺ، وأمم الشرك والتمجس والرفض والردة والتغرب التي تؤمها الأهواء والشهوات وولاءات الجاهلية بكل أصنافها لانعدام اليقين بما جاء به رسول الله ﷺ وجاهد من أجله أبو بكر والصحابة رضي الله عنهم. فخصائص خليفة رسول الله صفحات عامرة بكل ألوان القيادة والسيادة واليقين والثقة.

والحاصل أن إمامة وقيادة وخصائص وفضائل ومناقب خليفة رسول الله أبي بكر رضي الله عنه لا تضبطها صفحة من صفحات النشاط البشري، فهي رياض مزهرة، وحقول مثمرة، تقطف منها الأمة ثمار التوحيد اليانعة وترتشف شهد الوحدة الناصعة وتنسم أزاهير الحضارة الرائدة المشتملة على جميع جوانب الحياة، التي تؤكد في كل محاورها أصالة القيادة وروح الخلافة النبوية والإمامة المحمدية؛ ومزايا الاتباع الواعي والاقتراء الهادف، فهذه الآيات القرآنية يعبق شذاها بذكر خصائص خليفة رسول الله، وتلك الأحاديث النبوية تشدو بالتنويه بفضائل صاحب رسول الله، فحياته رضي الله عنه كلها عطاء وفداء وشفاء، ففي عصر الرسالة حدّث عن السمو والرقي والوفاء والفداء والإخاء والعطاء الذي لا تحده حدود، وأصغ بالسمع والفؤاد إلى ثناء النبوة وإعلانها العاطر على صدق الصحبة وعميق النصره وجميل المواقف وحميد الخصال، وبعد وفاة النبي ﷺ سل عمّن حسم مسألة الخلافة على أتم وجه وأكملها؟ ومن أقام الحجة ودلل بالبرهان الساطع على إمامة الأمة؟ ومن زاد المهاجرين والأنصار تلاحمًا على تلاحمهم وأخوة على أخوتهم وتضحية من أجل

عقيدتهم؟ ومن ثبتت الأرض تحت أقدام المؤمنين بعدما كاد أن يزلزلها الرافضون لخلافة النبوة؛ المرتدون عن منهجها؛ سوى خليفة رسول الله؟ ومن تصدى للأخطار الخارجية، وجاهد لنشر الإسلام، ووضع أكبر وأجراً خطة عسكرية في التاريخ، لمواجهة أعتى قوى الأرض وهزيمتها وتخليص الناس من جبروتها؟ ثم من جمع القرآن ووضع بين اللوحين ونال شرف الدخول تحت ظلال قوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾^(١)؟ ومن حسم مسألة الخلافة من بعده مع المحافظة على الأمن والاستقرار والوحدة ورضا المسلمين وسعادتهم وعزتهم، مع تحقيق مصالحهم وتلبية تطلعاتهم سوى خليفة رسول الله؟ إلى غير ذلك من المزايا والخصائص التي واجه بها مصاعب المراحل الداخلية والخارجية كافة، وتحمل مهام رسول الله ﷺ التي تنوء بحملها الجبال، وعلى منهجه ذاته ﷺ الذي يهدي إلى الحق وإلى صراط مستقيم ليتأكد من كل ذلك أنه المؤهل للإمامة والقيادة والخلافة على أتم وجه يحبه الله ورسوله ﷺ.

الإشارة إلى صفات خليفة رسول الله في بعض آيات القرآن الكريم

لا يماري مؤمن أن أفضل أصحاب النبي ﷺ وأعلاهم منزلة، وأكبرهم كرامة، وأعظمهم منة على المسلمين وأقربهم مكانة من رسول الله ﷺ هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وقد شهد الله سبحانه وتعالى له، ثم شهد له النبي المعصوم ﷺ ثم شهدت له الأمة المعصومة أمة السنة النبوية التي لا تجتمع على ضلالة، بأنه هو إمام الأمة وقائدها بعد نبيها ﷺ.

يظهر ذلك في إشارات آيات القرآن الكريم التي كانت تنزل على رسول الله ﷺ ليخاطب بها الناس عامة والصحابة رضي الله عنهم خاصة الذين هم أعلم الناس به وبمقاصده، فالصحابة هم الذين تلقوا الوحي غصاً كما أنزل على رسول الله ﷺ وأخذوه عن مصدر التلقي دون واسطة وحملوه إلى العالمين، كما أراد وأمر به رسول الله ﷺ؛ فأثبتوا في صفحات تنفيذهم لما في القرآن من الأوامر والنواهي أنهم هم النخبة البشرية المختارة لهذه

(١) سورة الحجر، الآية: ٩.

المهمة، وأنهم الأعمق فهمًا لما فيه من علوم، والأكثر حرصًا على أداء مفاهيمه والعمل بها كما أنزلت، أولئك القوم الذين تجسدت في قلوبهم عقيدة القرآن فحملوا روحها وثقافتها وفكرها؛ أصبحوا غرضًا لأعداء الصحابة يستهدفون خيارهم ويفترون على أعلامهم، كل ذلك للطعن بالقرآن وعقيدة السنة التي حملوها إلى العالمين بأمانة ونزاهة وقوة، فهؤلاء الأخيار قادة الإسلام ورموز حمايته هم الذين يفترى عليهم أعداء الإسلام ومجوس هذه الأمة افتراءات لا يبالون فيها بمناقضة القرآن الكريم ولا بمناقضة السنة الصحيحة، وبلغ بهم الحقد حدًا أنساهم الحياء وأباح لهم البهتان، حتى لو كان ذلك البهتان مكشوفًا ولا يمكن ستره، وبلغ حقدهم على حملة القرآن والسنة حدًا أصبح بابًا لولوج السيادة والقيادة عندهم، وعلامة على صحة العداوة واكتساب الثقة عند أئمة الرفض والردة، مما أوجد قاسمًا مشتركًا يجمع بينهم، وهو المبالغة في بغض الصحابة والسنة المطهرة، وأوجد لديهم رؤية موحدة عن أهل السنة، وهي رؤية سوداء حاقدة يغذيها الشحن الطائفي الدائم الذي تباح فيه دماء أهل السنة وأموالهم وأعراضهم ومقدساتهم متى ما أصبح لهم شوكة^(١) وتلك الشوكة مباح البحث عنها بكل الوسائل بما في ذلك التحالف والتعاون والتناصح مع اليهود والصليبيين والوثنيين والعلمانيين وغيرهم ضد أهل السنة والجماعة، كل هذا الكم الهائل من الأحقاد وثقافة الكراهية والضعينة التي يدين بها أعداء الصحابة والتي يصدقها الواقع القائم في هذا العصر، زادت من بعدهم عن إسلام المحبة والأخوة الذي حملة الصحابة وأوجدت لهم دينًا آخر، مصادر الحلال والحرام فيه أشخاص هي مراجعهم، وليس مرجعية كتاب الله ولا سنة رسول الله ﷺ مما زاد في الشرح، بل التقاطع في الفهم والمقاصد وباعد فرص اللقاء والتفاهم؛ لأنه لم تعد هناك أرضية مشتركة وكل ذلك مؤكد بأفعالهم في الأوقات العصيبة التي تجتاح أمة الإسلام، حيث إن رايات أعداء الصحابة ترفع مع رايات المعتدين،

(١) عن داود بن فرقد، قال: قلت لأبي عبد الله: ما تقول في قتل الناصب أي السني؟ فقال: حلال الدم، ولكنني أتقي عليك؛ فإن قدرت أن تقلب عليه حائطًا أو تغرقه في ماء لكيلا يشهد عليك. الموسوي: لله ثم للتاريخ، ٨٥. وسائل الشيعة، ٤٦٣/١٨.

كما أن المبالغة الهائلة في تغذية الحقد على أهل السنة ورعاية ثقافة الكراهية ضدهم بلغت حدًا أصم آذانهم وعقولهم؛ فلم يعودوا قادرين على التحرر من ذلك الموروث الأسود العقيم، الذي يتلقون ثقافته في كل مناسبة، ويرضعون أحقادهم في المهذبتما وانتقاصًا وإفكًا واتهامًا لأصحاب رسول الله ﷺ. فلم يعد الراضي قادرًا على تدبر آيات القرآن التي تتحدث عن الصحابة، ولا سيما الآيات التي تُحذر أعداء الصحابة وتتوعددهم وتشهد بكفرهم وخروجهم عن الإسلام الذي جاء به محمد ﷺ، وكذلك الآيات التي أثنى الله تعالى فيها عليهم ورضي عنهم ووعدهم الحسنَى، فالناس في هذه المسألة على بينة من أمرهم لا لبس فيها ولا غموض؛ فإما الصحابة وقرانهم وسنة نبهم ﷺ وإما الردة والرفض والهرطقة والتنبؤ بأديان ومذاهب ضالة لتكون بديلاً عما جاء به رسول الله ﷺ. قال تعالى:

﴿وَالسَّافِقُونَ الْأُولُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (١).

ومعلوم لدى كل الأجيال أن سابق السابقين في الأمة وبكل ميادين السباق هو السباق الأكبر خليفة رسول الله أبو بكر رضي الله عنه، ومن هنا تتولد الخيارات بين اتباع القرآن الكريم ولا قرآن دون المرور بالتحية والمحبة والتبجيل بين يدي خليفة رسول الله ﷺ الناصر لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وأول من جمع ما بين اللوحين، وهنا تسقط خيارات المخالطين العابثين بعقيدة الأمة الذين يزعمون بأوهامهم وخيالاتهم أنهم قادرون على الجمع بين محبة الصحابة ومحبة من يدين بغضهم ولعنهم ولعن من يحبهم، وهذه القاعدة تثبت أن الليل والنهار لا يجتمعان في وقت الظهيرة وأن من يقول بهذا فهو جاهل واهم فاسد القياس كفساد اعتقاد من يرى إمكانية اللقاء بين الرفض والسنة المطهرة، ولو جعل هذا الصنف ممن لا زالوا يخدعون أهل السنة ويضلونهم لو جعلوا جهدهم في باب توعية أهل السنة بمن يمكر بهم ويفتري على أئمتهم لكان ذلك أجدى وأنفع لهم في دينهم ودنياهم.

(١) سورة التوبة، الآية: ١٠٠.

وإن كان لا بد من جهد في هذا الباب فإن الجهد الوحيد الممكن هو إقامة وسائل للتعامل بين أبناء دينين لا يلتقيان في إله ولا نبي ولا خلافة كما يعتقد الرافضة ذلك، وأن يكف أعداء الصحابة عن شتم أمهاتنا وأئمتنا أصحاب رسول الله ﷺ وعن بهتانهم والكذب عليهم واستفزاز أهل السنة المستمر؛ بغدرهم ومكرهم وتحالفاتهم الوثيقة مع الغزاة والمعتدين على أمة المسلمين، ويفعلوا بعدها ما شأؤوا من الطقوس والعبادات؛ ولكن الحقيقة أن أعداء الصحابة لن يكفوا عن بوائقهم وضغائنهم؛ ولو كفوا عن ذلك لهدمت عقيدتهم التي وضعت أسسها على هدم السنة النبوية ورد القرآن وتكفير الصحابة، هذا من جانب ومن جانب آخر؛ فإن صنف الرعاع المحسوبين على السنة وأهلها، لن يتمكنوا من فهم تحايل وباطنية أعداء الصحابة ولن يفقهوا مدى عمق أحقادهم وكرهيتهم لأهل السنة، ومبغضو الصحابة لن يقلعوا عن عملهم الرامي إلى تحريف السنة واستباحة أهلها والظعن بأصحاب رسول الله ﷺ لإقصاء الإسلام وإبطال الشرع، وإن كان هناك من قول في هذه المعادلة فإن المفلسين الذين لا ينطقون بالحق صراحة من المحسوبين على السنة أسهموا إسهامًا مباشرًا في تمدد دين الرافضة بين ظهرائي المسلمين وشاركوا في منع التصدي له بجعلهم أو بتلييسهم على المسلمين.

وفي قوله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَرَزِيعٍ أَخْرَجَ شَطْطَهُ فَفَازَرَهُ فَاسْتَغَلَطَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سَوْفَةٍ يَصْحَبُ الزَّرَّاعَ لِيَغْرِظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾^(١) وهنا لا يشك عاقل أن أشد الناس على الكفار والمرتدين هو خليفة رسول الله الصديق رضي الله عنه الذي لم يهادن من فرق بين الصلاة والزكاة، ولا بين من زعم أنه مسلم وأعلن عداوته للصحابة، أو رفض الطاعة التامة لخلافة النبوة، ومعلومة أفعاله في جموع الرافضة المرتدين

(١) سورة الفتح، الآية: ٢٩.

ومراجعهم المتنبئين الكذابين، كما أنه كان أرحمهم بأمة المؤمنين؛ وهذا ما ظهر بقوله ﷺ: «أرحم أمتي بأمتي أبو بكر»^(١).

وفي قوله تعالى: ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾ وصف وتشخيص وحكم على من يبغض أحداً من الصحابة، فلا حاجة للتأويل في مناطحة صريح القرآن الذي أصدر الحكم بأنه لا يفتأ من الصحابة إلا الكافرون فكيف بمن يدين ببغضهم؟! فهل أبت هذه الآية هامشاً لمن لا زال يخادع أهل السنة باسم التقريب بين السنة والردة؟

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَأُوا وَنَصَرُوا أَوْلِيَاءَهُمْ بَعْضٌ بِبَعْضٍ﴾^(٢).

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَأُوا وَنَصَرُوا أَوْلِيَاءَهُمْ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾^(٣). وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْ بَعْدِ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ﴾^(٤).

وقوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ أَوْلِيَاءِ أَعْظَمَ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَتْلُوا وَكَلَّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحَسَنَىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾^(٥).

وقوله تعالى في حق المهاجرين في سبيل الله تعالى وحماية الإسلام: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾

(١) الترمذي: سنن الترمذي، مناقب معاذ وزيد وأبي عبيدة (٣٧٩٠)، ابن ماجه: سنن ابن ماجه، فضائل الصحابة، ح (١٥٤).

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٧٢.

(٣) سورة الأنفال، الآية: ٧٤.

(٤) سورة الأنفال، الآية: ٧٥.

(٥) سورة الحديد، الآية: ١٠.

أُولَئِكَ هُمُ الصّٰدِقُونَ ﴿١﴾. وقوله تعالى في حق من ناصر الرسول ﷺ والمهاجرين وأوآهم وأيدهم: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَحْنًا فَاُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢﴾. وقوله تعالى فيمن جاء من بعدهم وسار على سنتهم ومنهجهم من المسلمين والمؤمنين: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٣﴾.

وهذه الآيات تتضمن الثناء على المهاجرين والأنصار، وعلى الذين جاءوا من بعدهم ويستغفرون لهم ويسألون الله ألا يجعل في قلوبهم غلاً عليهم، وتتضمن أن هؤلاء هم المستحقون للفيء أي أنهم وحدهم الداخلون في دائرة الاتباع لرسول الله ﷺ ولا ريب أن الرافضة وكل من لا يحب الصحابة خارجون من هذه الأصناف الثلاثة، فإنهم لم يستغفروا للسابقين الأولين، وفي قلوبهم غل عليهم. وفي الآيات الثناء على الصحابة وعلى أهل السنة الذين يتولونهم ويتبعونهم ويحبون كل من أحبهم من سلف هذه الأمة الماضين، وهذا مُخرج لأعداء الصحابة من جميع الحلقات والدوائر الموصلة إلى رسول الله ﷺ؛ لأن كل تلك الحلقات والدوائر يحيط بها أصحاب النبي ﷺ فلا يمكن الوصول إلى رسول الله ﷺ دون المرور بهم.

ومعلوم أن حلقتهم واحدة لا يمكن اختراقها لأنها تستند إلى مرجعية الكتاب والسنة لا إلى مرجعية الأهواء والأساطير، وهذا إسقاط لكل ما يتمسك به مجوس هذه الأمة من أنهم لا يناقضون القرآن في تدينهم ببغضهم لأصحاب رسول الله ﷺ وأمّهات المؤمنين، تلبية لأحقادهم الدفينة وكرامية لما جاؤوا به من الهدى والنور الذي ورثوه عن نبيهم ﷺ

(١) سورة الحشر، الآية: ٨.

(٢) سورة الحشر، الآية: ٩.

(٣) سورة الحشر، الآية: ١٠.

عندما تمسكوا بكتابه وسنته ﷺ وإيغالا في الباطل شرع أعداء الصحابة الشرائع المضادة للكتاب والسنة، حتى أصبح شعار مبغضي الصحابة يقول: إنه كلما سلك الكتاب والسنة فجأ سلك الرافضي فجأ غيره. وقد روي عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: الناس على ثلاثة منازل، فمضت منزلتان وبقيت واحدة، فأحسن ما أتم عليه كائنون أن تكونوا بهذه المنزلة التي بقيت. ثم قرأ: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ﴾ ثم قال: هؤلاء المهاجرون وهذه منزلة قد مضت. ثم قرأ: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ﴾ وقال: أولئك الأنصار وتلك منزلة قد مضت. ثم قرأ: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾^(١) فقال بقيت هذه المنزلة، فأحسن ما أتم عليه كائنون أن تكونوا بهذه المنزلة التي بقيت وأن تستغفروا الله لأصحاب رسول الله ﷺ وسلف هذه الأمة وتحبهم وتواوهم وتبرؤوا من أعدائهم.

ولكن أعداء الصحابة لم يكفهم التمرد على هذه الآية ورفض الاستغفار للصحابة والسابقين بالإيمان، بل إنهم تجاوزوا البغض لمن أحبهم الله تعالى وأثنى عليهم إلى شتمهم وبهتانهم والافتراء عليهم والتدين ببغضهم وكراهيتهم وكراهية الأمة التي تدافع عنهم وتواوهم وتوالي قرآنهم وسنة نبيهم ﷺ.

لهذا قال مالك بن أنس: من سب السلف فليس له في الفيء نصيب لأن الله عز وجل قال: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ الآية. وهل هناك سلف أولى بالاتباع بعد رسول الله ﷺ من أصحابه وإمامهم الصديق رضي الله عنهم؟ وهذا معروف عن مالك وغير مالك من أهل العلم كأبي عبيد القاسم بن سلام، وكذلك أبو حكيم النهرواني من أصحاب أحمد، وغيره من الفقهاء.

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ

(١) سورة الحشر، الآية: ١٠.

فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١١﴾. والذين بايعوه تحت الشجرة بالحديبية كانوا أكثر من ألف وأربعمائة بايعوه لما صده المشركون عن العمرة، ثم صالح المشركين صلح الحديبية المعروف، وذلك سنة ست من الهجرة في ذي القعدة، ثم رجع بهم إلى المدينة وغزا بهم خيبر ففتحها الله عليهم في أول سنة سبع، وقسمها بينهم، ومنع الأعراب الذين رفضوا المشاركة في الحديبية من ذلك.

كما قال الله تعالى: ﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَى مَعَانِرِ لِنَأْخُذُوهَا ذُرُوعًا وَنَنَازِعِكُمْ يَريُدُونَ أَن يَبْذُلُوا كَلِمَةَ اللَّهِ قُلْ لَن تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَكُمُ اللَّهُ مِن قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ نَحْنُ مُحْسِنُونَ بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (١٢) فقد أخبر سبحانه وتعالى أنه رضي عن الصحابة وأنه علم ما في قلوبهم، وأنه أثابهم فتحًا قريبًا. وهؤلاء هم أعيان من بايع أبا بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم بعد موت النبي ﷺ لم يكن في المسلمين من يتقدم عليهم، بل كان المسلمون كلهم يعرفون فضلهم عليهم، لأن الله تعالى بين فضلهم بالقرآن بقوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَن أَنْفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلِ أَوْلِيكَ أَعْظَمَ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِن بَعْدِ وَقَتْلَوْا وَكُلًّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحَسَنَىٰ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ خَيْرٌ﴾ (١٣) ففضل المنفقين المقاتلين قبل الفتح، والمراد بالفتح هنا صلح الحديبية، ولهذا لما سُئِلَ النبي ﷺ: أوفتح هو؟ قال: «نعم» (١٤). وأهل العلم يعلمون أن فيه أنزل الله تعالى قوله: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ (١٥). فقال بعض المسلمين: يا رسول الله، هذا لك فما لنا يا رسول الله؟ فأنزل الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا

(١) سورة الفتح، الآية: ١٨.

(٢) سورة الفتح، الآية: ١٥.

(٣) سورة الحديد، الآية: ١٠.

(٤) أبو داود، سنن أبي داود، كتاب الجهاد، باب فيمن أسهم له سهمًا، ح (٢٣٥٩)، ابن حنبل، المسند، ٣/٤٢٠، ٤٨٦.

(٥) سورة الفتح، الآية: ١.

حَكِيمًا ﴿١﴾ وهذه الآية نص في تفضيل المنفقين المقاتلين قبل الفتح على المنفقين المقاتلين بعده أولئك الذين يأتي في مقدمتهم وقيادتهم وإمامتهم أبو بكر رضي الله عنه لأنه هو أول من أنفق وقاتل في سبيل الله.

ولهذا ذهب جمهور العلماء إلى أن السابقين في قوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾ من الْمُهِجْرِينَ وَالْأَنْصَارِ ﴿٢﴾ هم هؤلاء الذين أنفقوا من قبل الفتح وقاتلوا، وأهل بيعة الرضوان كلهم منهم وكانوا أكثر من ألف وأربعمائة... وقد علم بالاضطرار أنه كان في مقدمة هؤلاء السابقين الأولين خليفة رسول الله أبو بكر رضي الله عنه ثم عمر وعثمان الذي بايع النبي ﷺ عنه بيده الشريفة يوم الحديبية لأنه كان غائبًا، أرسله ﷺ سفيرًا إلى أهل مكة ليلبغهم رسالته، وحمية وغيره على عثمان رضي الله عنه بايع رسول الله ﷺ أصحابه على الموت وعلى ألا يفروا؛ كل ذلك لما أشيع أن أهل مكة قتلوا عثمان رضي الله عنه؛ إذًا فكم كان عثمان رضي الله عنه عزيزًا عند رسول الله ﷺ وعند أصحابه رضي الله عنهم وهم يبايعون على الموت لمقاتلة من اعتدى على سفير رسول الله عثمان الشهيد رضي الله عنه، بينما حقه ومقامه عند أعداء الصحابة أنهم يبايعون إمامهم ابن سبأ على قتله وهو يتلو كتاب الله تعالى وكاف يده ولسانه عن كل من يزعم أنه مسلم وهو زوج ابنتي رسول الله ﷺ وهو خليفة المسلمين العادل الرحيم، فستان ما بين الثرى والثريا، وما بين من يبايع له رسول الله ﷺ خير البشر وهم أهل بيعة الرضوان ليدلوا دماءهم في سبيل نصرته؛ وبين الزنديق ابن سبأ الذي يبايعه المنافقون لقتله رضي الله عنه ظلمًا وعدوانًا، وقد ثبت عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة» ﴿٣﴾.

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ﴾

- (١) سورة الفتح، الآية: ٤.
 (٢) سورة التوبة، الآية: ١٠٠.
 (٣) ينظر: ابن حنبل، المسند، ٣/ ٣٥٠. النسائي: السنن الكبرى، ك: تفسير ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ح (١١٥٠٨).

فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١﴾ فجمع بينهم وبين الرسول ﷺ في التوبة وبين سبحانه وتعالى أنه بهم رؤوف رحيم.

وقال تعالى: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾ (٢) فأثبت الموالاة بينهم وأمر المؤمنين بموالاةهم، وأعداء خليفة رسول الله الراضية يتبرؤون منهم ولا يتولونهم مضادة لكتاب الله ومفارقة لطاعته، وأصل الموالاة المحبة، وأصل المعاداة البغض، وهم يبغضون الصحابة ولا يحبونهم ومع ذلك يزعمون أنهم مسلمون. مع كل تفاخرهم المعلن ولا سيما في هذه الأيام بموالاة الكفار من اليهود والصليبيين والمشركين والمنافقين، ومجاهرتهم ببغض المؤمنين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان، وهذا أمر مشهور فيهم، فهم يعادون خيار عباد الله من المؤمنين، ويوالون اليهود والصليبيين والمشركين وغيرهم ضد السنة وأهلها.

وقال تعالى: ﴿ يَأْتِيهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٣) أي الله كافيك وكافي من اتبعك من المؤمنين فهو حسبكم، والصحابة أفضل من اتبعه من المؤمنين، وأولهم وسيدهم هو خليفة رسول الله، فكيف يتبرأ منه من يزعم أنه مسلم وليس من المنافقين؟

وقال تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي آتَاكَ بِبَصِيرَةٍ يَا الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٤) وإنما أيده ﷺ في حياته بالصحابة رضي الله عنهم وإمامهم أبو بكر رضي الله عنه الذي لم يخالف رسول الله ﷺ في موقف أبداً.

قال تعالى: ﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ (٥) وهذا الصنف

(١) سورة التوبة، الآية: ١١٧.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٧١.

(٣) سورة الأنفال، الآية: ٦٤.

(٤) سورة الأنفال، الآية: ٦٢.

(٥) سورة الزمر، الآية: ٣٣.

الذي يقول الصدق ويصدق به خلاف الصنف الذي يفترى الكذب أو يُكذّب بالحق لما جاءه فهم لا يلتقون أبدًا، والصحابة الذين كانوا يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله وأن القرآن حق، هم أفضل من جاء بالصدق وصدق به بعد الأنبياء وفي مقدمتهم خليفة رسول الله، والذي يبغضهم ويفترى عليهم هو شر من حارب أهل الصدق وناصرهم العداة. وليس في الطوائف المنتسبة إلى القبلة أعظم افتراء للكذب على الله وتكذيبًا بالحق من هؤلاء الذين يبغضون الصحابة ويرفضون قرآنهم وسنة نبيهم^(١)، ولهذا لا يوجد الغلو المقرون بفساد الفكرة وفساد المقصد في طائفة أكثر مما يوجد فيهم. ومنهم من ادعى إلهية البشر وادعى النبوة في غير النبي ﷺ وادعى العصمة في الأئمة، ونحو ذلك مما هو أعظم مما يوجد في سائر الطوائف الضالة عن منهج النبي ﷺ واتفق أهل العلم على أن الكذب ليس في طائفة من الطوائف المنتسبين إلى القبلة أكثر منه في أعداء الصحابة.

وقال تعالى: ﴿ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ ﴾^(٢) ولا ريب أن أصحاب محمد ﷺ هم أفضل المصطفين من هذه الأمة التي قال الله فيها: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾^(٣) فأمة محمد ﷺ هم الذين أورثوا الكتاب بعد الأمتين قبلهم: اليهود والنصارى، وقد أخبر الله أنهم الذين اصطفى. وتواتر عن النبي ﷺ أنه قال: «خير القرون القرن الذي بعثت فيهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم»^(٤). ومحمد ﷺ وأصحابه هم المصطفون من المصطفين من عباد الله وأبو بكر هو الذي اصطفاه رسول الله ﷺ من بين جميع أصحابه

(١) ينظر: ابن تيمية، منهاج السنة ٢ / ٣٤.

(٢) سورة النمل، الآية: ٥٥.

(٣) سورة فاطر، الآية: ٣٢.

(٤) صحيح البخاري، كتاب الشهادات، باب لا يشهد على شهادة جور إذا شهد، ح (٢٤٥٨) وكتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ باب فضائل أصحاب النبي ومن صحب النبي ﷺ أو رآه، ح (٣٦٥١). مسلم، صحيح مسلم، كتاب: فضائل الصحابة، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم، ح (٤٥٩٩). سنن النسائي، كتاب: الأيمان والنذور، باب الوفاء بالنذر، ح (٤٦٠٠).

الأكرمين ليكون صاحبه ووزيره في حياته وخليفته من بعد وفاته، ومن ثم جاره في قبره، فهو أقرب الناس إليه في الدنيا، وأقربهم إليه في البرزخ، وأقربهم إليه في الجنة، فكل من يريد أن يفرق بين رسول الله ﷺ وبين صاحبه وخليفته فهو عدو لرسول الله ﷺ رافض لاختياره معترض على علمه وشهادته على الناس.

وقال تعالى: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾^(١)

فقد وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالاستخلاف في الأرض، كما وعدهم في تلك الآية مغفرة وأجرًا عظيمًا، والله لا يخلف الميعاد، فدل ذلك على أن الذين استخلفهم كما استخلف الذين من قبلهم مكن لهم دين الإسلام، وهو الدين الذي ارتضاه لهم، كما قال تعالى: ﴿ آيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾^(٢). وبدلهم من بعد خوفهم أمنًا، ولهم المغفرة والأجر العظيم، ومعلوم أن سيد المستخلفين في أمة محمد ﷺ وسيد الخلفاء هو أبو بكر، فبأي وجه بعد ذلك يتحدث أعداء خليفة رسول الله بالإسلام وهم أبعد الناس عنه؟ إذ إن مفتاح دخول الإسلام هو موالاته خلفاء رسول الله ﷺ الأربعة وأصحابه الأكرمين جميعًا ومن لا يدخل الإسلام من هذا الباب فلن يدخل الإسلام الذي جاء به محمد ﷺ أبدًا، إلا إذا تاب وآمن وعمل صالحًا وكفر بدين مبغضي الصحابة ومكذبي القرآن الموالين للكفار في كل موقف ومشهد، ومن المعلوم أن هذه الأوصاف منطبقة على زمن خليفة رسول الله وزمن عمر وعثمان رضي الله عنهم فإنه إذ ذاك حصل الاستخلاف، وتمكن الدين والأمن بعد الخوف لما قهروا فارس المجوس والروم الصليبيين، وفتحوا الشام والعراق ومصر وخراسان وإفريقية، ولما استشهد الخليفة

(١) سورة النور، الآية: ٥٥.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٣.

عثمان رضي الله عنه وحصلت الفتنة الرافضية السبئية لم يفتحوا شيئاً من بلاد الكفار، بل طمع الكفار بالشام وخراسان، وكان بعضهم يخاف بعضاً، وحينئذ فقد دل القرآن الكريم على إيمان أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم ومن كان معهم في زمن الاستخلاف والتمكين والأمن، والذين كانوا في زمن الاستخلاف والتمكين والأمن، وأدركوا زمن الفتنة كعليّ وطلحة والزبير وأبي موسى الأشعري ومعاوية وعمرو بن العاص رضي الله عنهم دخلوا في الآية لأنهم استخلفوا ومكّنوا وأمّنوا.

وأما الفرق التي حَدَّتْ في زمن الفتنة، كالرافضة الذين قتلوا عليّاً رضي الله عنه غدراً؛ احتجاجاً على قبوله للصلح بين المسلمين ومسالمة لأبناء عمومته معاوية وعمرو بن العاص صاحبي رسول الله ﷺ، فهؤلاء لم يتناولهم النص فلم يدخلوا فيمن وصف بالإيمان والعمل الصالح المذكورين في هذه الآية، لأنهم أولاً: ليسوا من الصحابة المخاطبين بهذا، ولم يحصل لهم من الاستخلاف والتمكين والأمن بعد الخوف ما حصل للصحابة رضي الله عنهم، بل لا يزالون خائفين قلقين متأمّرين غير ممكنين خارجين عن الكتاب والسنة حرباً على أهلها سلماً لأعدائهما. فإن قيل: لم قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ﴾^(١) ولم يقل: وعدهم كلهم؟ قيل: كما قال: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾^(٢) ولم يقل: وعدكم. (ومن) تكون لبيان الجنس أي أن المقصود هو جميع الصحابة، وكل من يسير على هديهم هو من جنسهم؛ فلا يقتضي أن يكون المجرور بها شيئاً خارجاً عن ذلك الجنس، كما في قوله تعالى: ﴿فَأَجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾^(٣) فإنه لا يقتضي أن من الأوثان ما ليس برجس، بل كل الأوثان التي تبغض رسول الله ﷺ وأصحابه هي رجس وقدر. وكقوله تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ

(١) سورة الفتح، الآية: ٢٩.

(٢) سورة النور، الآية: ٥٥.

(٣) سورة الحج، الآية: ٣٠.

مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿١﴾ فليس المقصود أن القرآن بعضه شفاء وبعضه غير شفاء، بل القرآن كله شفاء ورحمة للمؤمنين.

وهذا كقول القائل ثوب من حرير، فهو كقولك: ثوب حرير. وكذلك قولك: باب من حديد، كقولك: باب حديد، وذلك لا يقتضي أن يكون هناك حرير وحديد غير المضاف إليه وإن كان الذي يتصوره كلياً، فإن الجنس الكلي هو ما لا يمنع تصوره من وقوع الشركة فيه، وإن لم يكن مشتركاً فيه في الوجود، فإذا كانت (من) لبيان الجنس كان التقدير: ﴿وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ من هذا الجنس، وإن كان الجنس كلهم مؤمنين مصلحين. وكذلك إذا قال: ﴿وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ من هذا الجنس ﴿مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ لم يمنع ذلك أن يكون جميع هذا الجنس مؤمنين صالحين... والمقصود أن لفظ (من) لا ينافي شمول هذا الوصف لها، فلا يقول قائل: إن الخطاب دل على أن المدح شملهم وعمهم بقوله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ ولا ريب أن هذا مدح لهم بما ذكر من الصفات؛ وهو الشدة على الكفار والرحمة بينهم، والركوع والسجود يبتغون فضلاً من الله ورضواناً، والسيما في وجوههم من أثر السجود، وأنهم يبتدئون من ضعف إلى كمال القوة والاعتدال كالزرع. والوعد بالمغفرة والأجر العظيم ليس على مجرد هذه الصفات، بل على الإيمان والعمل الصالح، فذكر ما به يستحقون الوعد، وإن كانوا كلهم بهذه الصفة، ولولا ذكر ذلك لكان يظن أنه لمجرد ما ذكر يستحقون المغفرة والأجر العظيم، ولم يكن فيه بيان سبب الجزاء، بخلاف ما إذا ذكر الإيمان والعمل الصالح، فإن الحكم إذا عُلِّقَ باسم مشتق مناسب كان ما منه الاشتقاق سبب الحكم^(٢).

فالصحابة رضي الله عنهم كانوا أعز المسلمين وأفقههم وكانوا أعظمهم إيماناً، وأعظمهم في كل ذلك خليفة رسول الله، ومن المعلوم أن السابقين الأولين من المهاجرين

(١) سورة الإسراء، الآية: ٨٢.

(٢) ينظر: ابن تيمية: منهاج السنة ٢/ ٤٢.

والأنصار، الخلفاء الراشدين وغيرهم كانوا أعز الناس، مما يبين أن المنافقين كانوا ذليلين في المؤمنين مما يبطل شبهات الرافضي بأن المنافقين كانوا في الظاهر مسلمين ليغمز بذلك في إيمان الصحابة رضي الله عنهم وعقيدتهم وعزتهم، حيث كان المنافقون أذلاء مقهورين، ولا سيما في آخر أيام النبي ﷺ وفي غزوة تبوك، لأن الله تعالى قال: ﴿يَقُولُونَ لَيْنَ رَبِّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَا أَذَلَّ مِنَ الْأَذَلِّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلَّذِينَ آمَنُوا مِنَ النَّارِ لَأُصْرَبْنَ﴾ (١) فأخبر الله تعالى أن العزة للمؤمنين لا للمنافقين، فعلم أن العزة والقوة كانت في المؤمنين، وأن المنافقين كانوا أذلاء بينهم بسبب غشهم وخداعهم ورفضهم لما جاء به رسول الله ﷺ كما هو حال أعداء الصحابة في كل عصر ومصر لا قوة لهم إلا بالخيانة والجاسوسية للأعداء والغزاة، فلا يجوز أن يكون الصحابة الأعداء رضي الله عنهم من هذا الصنف، ولكن هذا الوصف مطابق للمتصفين به من رافضي السنة ومبغضي الصحابة الذين يمكرون ويعملون على هدم عزة الصحابة وخدش مكانتهم في الضمائر والقلوب.

والنفاق والزندقة من صفات أعداء رسول الله ﷺ وأعداء أصحابه الكرام، فأورث المنافقون والزنادقة هذه الأخلاق لأحفادهم رافضي السنة المطهرة، من الذين لا زالوا يرفضون قيادة أصحاب رسول الله ﷺ للأمة ويرفضون الاقتداء بهم فضلاً عن حبهم والعمل على إظهار فضائلهم ومناقبهم، فالنفاق والزندقة في مبغضي الصحابة أصل ثابت في كل ما يقومون به وعقيدة فاسدة راسخة في نفوسهم، لا تثمر إلا الفتن وثقافة الاستفزاز والكراهية، وما ذلك إلا لأن أساس النفاق الذي بني عليه هو الكذب، وأنهم يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم، كما أخبر الله تعالى عن أوصاف المنافقين. والتي هي مواصفات مبغضي الصحابة الذين يظهرون الإسلام ويبطنون رفض القرآن ورفض السنة وتكذيب النبي ﷺ واتهامه في أهل بيته وأنصاره الصحابة رضي الله عنهم فضلاً عن تكفيرهم لحملة الكتاب والسنة تارة بالتصريح وأخرى بالباطنية والتلميح. قال تعالى: ﴿وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُمْ

(١) سورة المنافقون، الآية: ٨.

مَنكُمْ وَلَكُمْهُمْ قَوْمٌ يَفْرُقُونَ ﴿١﴾.

لهذا كان الوعيد لمبغضي الصحابة واضحًا وصريحًا ومبينًا لأقرانهم وأبناء جنسهم الحقيقي الذي يجب أن يكونوا معه كثرة لحبهم وتحالفهم معه. قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنْفِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ (٢) والمنافقون هم أعداء الصحابة بنص القرآن يرفضون كل ما يأمر به رسول الله ﷺ؛ لذلك تمردوا على خليفته بعد وفاته ﷺ بعد أن قدمه ﷺ إمامًا للصحابة كلهم في الصلاة التي هي أكبر أركان الإسلام العملية. وتقديمه له أمر معلوم بالضرورة من دين الإسلام كما أن رفضه خروج وردة عن الإسلام.

وتقديمه ﷺ لأبي بكر في الإمامة دليل على أنه أعلم الصحابة وأقرؤهم، لما ثبت في الخبر المتفق على صحته بين العلماء أن رسول الله ﷺ قال: «يَوْمَ الْقَوْمِ أَقْرؤُهُمْ لِكِتَابِ اللَّهِ، فَإِنْ كَانُوا فِي الْقِرَاءَةِ سِوَاءَ فَأَعْلَمُهُمْ بِالسَّنَةِ، فَإِنْ كَانُوا فِي السَّنَةِ سِوَاءَ فَأَكْبَرُهُمْ سَنًا، فَإِنْ كَانُوا فِي السَّنِ سِوَاءَ فَأَقْدَمُهُمْ إِسْلَامًا» (٣). قال ابن كثير: وهذا من كلام الأشعري رحمه الله مما ينبغي أن يكتب بماء الذهب. ثم قد اجتمعت هذه الصفات كلها في الصديق رضي الله عنه وأرضاه.

وصلاة الرسول ﷺ خلفه في بعض الصلوات، كما قدمنا بذلك الروايات الصحيحة، لا ينافي ما روي في الصحيح أن أبا بكر اتتم به ﷺ لأن ذلك في صلاة أخرى، كما نص على ذلك الشافعي وغيره من الأئمة رحمهم الله تعالى (٤).

(١) سورة التوبة، الآية: ٥٦.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٤٠.

(٣) صحيح مسلم: ك: المساجد، باب: من أحق بالإمامة، ح (٦٧٣) الترمذي: سنن الترمذي، أبواب الصلاة، باب: ما جاء في حق الإمام، ح (٢٣٥) على اختلاف في بعض الألفاظ و«أقدمهم إسلامًا» ذكرها ابن كثير في السيرة، ٤/٤٦٧.

(٤) ابن كثير: سيرة ابن كثير، ٤/٤٦٧.

وقد فضّل الله النبيين بعضهم على بعض، وفضّل الرسل على غيرهم، وأولو العزم أفضل من سائر الرسل، وكذلك فضّل السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار على غيرهم، وكلهم أولياء الله، وكلهم في الجنة، وقد رفع الله درجات بعضهم على بعض، فكل من كان إلى الصديق أقرب، من المهاجرين والأنصار؛ كان أفضل، فما زال خيار المسلمين مع الصديق قديمًا وحديثًا، وذلك لكمال نفسه وتمام إيمانه رضي الله عنه.

وكان خليفة رسول الله من أعظم المسلمين رعاية لحق قرابة رسول الله ﷺ وأهل بيته؛ فإن كمال محبته للنبي ﷺ أوجب سريان حبه لأهل بيته، إذ كان رعاية أهل بيته مما أمر الله ورسوله به، وكان الصديق رضي الله عنه يقول: ارقبوا محمدًا في آل بيته^(١). وهو القائل: والله لقرابة رسول الله ﷺ أحب إلي أن أصل من قرابتي^(٢). وهذا هو الحب الحقيقي لآل بيت النبي ﷺ بعكس ما تدين به الرافضة من بغض خليفة رسول الله بزعمهم الكاذب أنهم يحبون آل البيت ولكن لا يعلم أحد من الناس أي بيت يقصدون لعدم وجود أي شبه بين ما يزعمون وبين ما يدينون به من بغض الصحابة الذين نصرروا بيت النبي محمد ﷺ وبغض العرب قوم النبي ﷺ الذين حملوا دينه يبلغونه إلى العالمين بعد وفاته ﷺ.

والحقيقة التي يعلمها جميع العقلاء أن كراهيتهم لأصحاب رسول الله ﷺ تأتي من أن الصحابة هم الذين حطموا المجوسية وأطفؤوا نارها، فهم يحملون الأحقاد الجاهلية ويرضعونها قبل البلوغ ويتدربون على عدم إعلانها أمام جماهير المسلمين في الوقت الذي يُعلمونها لأجيالهم ويربون أبناءهم بتقية وباطنية على العمل بها وعلى البراءة من السنة وأهلها وتصوير أهل السنة بأنهم هم عدوهم الأول والأخير وأن لا عدو للرافضة أعداء الصحابة من اليهود ولا من الصليبيين ولا من المشركين ولا من المرتدين ولا أحد من البشر

- (١) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب: مناقب قرابة رسول الله ﷺ، ح (٣٧١٣)، كتاب: فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب: مناقب الحسن والحسين، ح (٣٧٥١) منهاج السنة، ٤/٢٥٤-٨/٥٨٢.
- (٢) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب مناقب قرابة رسول الله، ح (٣٧١٢)، كتاب المغازي، باب حديث بني النضير، ح (٤٠٣٦). ابن تيمية: منهاج السنة، ٤/٢٥٤-٨/٥٨٢.

سوى الصحابة رضي الله عنهم وأتباعهم المتمسكين بالسنة، وهذا ما أثبتته الأحداث في الماضي والحاضر بما لا يدع مجالاً للشك أو الريب، وبما يبطل كل الدعاوى الزائفة التي يطلقها بعض المغفلين أو المنتفعين تحت ستارة الاحتواء والتقريب، هذه الدعوة الماكرة الخبيثة التي لا تنطلق من قلب يعمره حب أصحاب محمد ﷺ إنما يراد منها أن تعترف السنة بأعداء الصحابة في جماعة المسلمين ثم يتنازل أهل السنة عن ثواب عقيدتهم التي تلقوها عن أصحاب رسول الله وتابعيهم بإحسان، ولعل ما جرى في العراق على يد الصليبيين من تدمير لبعض المراقد التي يزعم أعداء الصحابة أنهم يقصدونها، ودخولهم الصحن الذي يسمونه الصحن الحيدري في النجف الذي يزعمون أنه أقدس مقدساتهم، لكنهم هناك انكشف زيفهم وأنه لا يوجد عندهم مقدس، وإنما هي شعارات يرفعونها لتضليل الناس والتعمية على هويتهم المعادية للسنة النبوية؛ فلم يصدروا أي أمر بمواجهة الصليبيين أو فتوى بالتظاهر والاحتجاج على ذلك، بينما لما دبر بعض دسائسهم تدمير قبة مرقد مسجد أهل السنة الذي فيه قبر علي الهادي في ٢٣ من محرم ١٤٢٧ هـ قامت مراجعهم وآياتهم بذات الوقت بإصدار الفتاوى بالتظاهر ضد السنة وإحراق مساجد الله، وقتل الأئمة والخطباء والمؤذنين وحرق المصاحف وتمزيقها، وقتل كل من يدافع عن المساجد أو المصاحف من المصلين في أفعال تبين عقائدهم الحقيقية التي ما زال يجهلها عامة أهل السنة في مشاهد يقودها الغوغاء وهم يلبسون السواد وترعاهم قوات الشرطة والميليشيات الصفوية التي حكمت العراق تحت رايات الصليب؛ لتذكر أهل السنة باغتيالهم الشهيد عثمان رضي الله عنه بين صفحات القرآن وآياته، واغتيالهم لعلي رضي الله عنه في مسجده ومكرهم وغدرهم بالحسين رضي الله عنه.

وقد بلغ من أحقادهم المتراكمة أنهم أحرقوا ودمروا حوالي مائتي مسجد في يومين فقط، مما يثبت النية المبيتة والتآمر المسبق وأنهم هم الذين دمروا قبة المسجد الذي فيه قبر علي الهادي لكي يسوغوا قتل أهل السنة وحرق مساجدهم وقتل أئمتهم وتدنيس مصاحفهم وتمزيقها، مستغلين رعاية الصليبيين لهم وحماية الحكومة الراضية التابعة لهم في بغداد

المنصور والرشيد، وغفلة علماء أهل السنة وحكامهم أو تغافلهم ومداهنتهم وفقدان الشعور بروح المسؤولية والإحساس بالخطر الداهم للجميع عند الكثير من أبناء عامتهم، الذين لا يبالون بعقيدة ولا سنة ولا فريضة، وهذا هو الداء العضال الذي لا علاج له إلا بمبادرة التوبة وتعميق الحب والولاء للسنة النبوية وللصحابة الكرام رضي الله عنهم والتمسك بمنهجهم وحب من يحبهم وبغض من يبغضهم، ومن ثم فقه سيرة خليفة رسول الله الذي لا توجد آية في كتاب الله تبجل المؤمنين وتثني عليهم وتنوه بفضائلهم إلا وخليفة رسول الله ﷺ هو إمام المبجلين المنوه بفضلهم وأثرهم، وشهد الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم للصديق أنه كان الصاحب الأمين والناصر الوحيد لرسول الله ﷺ بعد الله سبحانه وتعالى، فقد مدح الله نفسه في القرآن أنه نصر نبيه محمداً ﷺ وأخرجه من بين ظهرائي الكفار عندما أرادوا قتله، أو حبسه، أو طرده ونفيه، واختاروا قتله أخيراً فنجاه الله وأخرجه من بين ظهرائهم آمناً معافى ومعه صاحبه الأمين رضي الله عنه.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرٌ الْمَكْرِينَ﴾^(١) فكان من مكروه عز وجل بالكفار أن أخرج النبي محمداً ﷺ مهاجراً من مكة إلى المدينة، والكفار يحيطون به من كل جانب ولا ناصر له من الأصحاب والمسلمين إلا رجل واحد فقط، لم يترك النبي ﷺ في هذا الموقف العصيب. قال تعالى حاضاً المؤمنين على نصر رسوله: ﴿إِلَّا نَضْرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِينَ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّكَ اللَّهُ مَعْنَا﴾^(٢) فأثبت الله هنا كرامة الصديق وأنه كان الناصر الوحيد لرسوله ﷺ يوم عز الناصر وقل المعين، وأن الصديق رضي الله عنه كان حزيناً خشية أن يبصر الكفار موقع الرسول ﷺ فيؤذونه ويعرقلون مسيرة الإيمان ويضيع الدين؛ فيلحظ النبي ﷺ ما في قلب صاحبه

(١) سورة الأنفال، الآية: ٣٠.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٤٠.

الشفيق وخاطره المتطلع إلى آفاق نصره الإسلام وعزة أهله؛ فيبشره بأن الله معهما يرعاهما ويكلؤهما، ومعية الله هنا ثابتة للرسول ﷺ وللصدِّيق؛ وهذه شهادة من الرسول ﷺ للصدِّيق أقرها الله وأثبتها في كتابه الكريم، ناهيك أن أسرة الصدِّيق كلها كانت في ذلك اليوم العصيب في خدمة الرسول ﷺ وهذه منقبة ليست بعدها منقبة وكرامة فوق كل كرامة، ويكفي هذه الكرامة أن الله أثبتها في كتابه وجعلها قرآناً يتلى إلى آخر الدنيا.

وأما شهادة الله الثابتة للصدِّيق رضي الله عنه فهي قوله تعالى: ﴿ وَسَيَجْزِيهَا الْآتِقَى ۝١٧ ﴾ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى ۝١٨ وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَىٰ ۝١٩ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ ۝٢٠ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ۝٢١﴾ (١) قال ابن كثير في تفسير هذه الآيات: وقوله تعالى: ﴿ وَسَيَجْزِيهَا الْآتِقَى ۝١٧ ﴾ أي سيزحزح عن النار التقي النقي الآتقى ثم فسره بقوله: ﴿ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى ۝١٨ ﴾ أي ينفق ماله في طاعة ربه ليزكي نفسه وماله، وما وهبه الله من دين ودنيا ﴿ وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَىٰ ۝١٩ ﴾ أي ليس بذله ماله في مكافأة من أسدى إليه معروفاً؛ فهو يعطي في مقابلة ذلك، وإنما دفعه ذلك ﴿ ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ ۝٢٠ ﴾ أي طمعاً في أن يحصل له رؤيته ورضاه في الدار الآخرة. قال الله تعالى: ﴿ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ۝٢١ ﴾ أي ولسوف يرضى من اتصف بهذه الصفات، وهذه الآيات نزلت في أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه حتى إن بعضهم حكى الإجماع من المفسرين على ذلك، ولا شك أنه أولى الأمة بعمومها فإن لفظها لفظ العموم، وهو قوله تعالى: ﴿ وَسَيَجْزِيهَا الْآتِقَى ۝١٧ ﴾ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى ۝١٨ وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَىٰ ۝١٩ ﴾ ولكنه مقدم الأمة وسابقهم في جميع هذه الأوصاف وسائر الأوصاف الحميدة؛ فإنه كان صدِّيقاً تقياً كريماً جواداً بذالاً لأمواله في طاعة مولاه ونصرة رسول الله ﷺ؛ فكم من دراهم ودنانير بذلها ابتغاء وجه ربه الكريم ولم يكن لأحد من الناس عنده منة يحتاج إلى أن يكافئه بها؛ بل كان فضله وإحسانه على السادات والرؤساء من سائر القبائل، ولهذا قال له عروة بن مسعود - وهو سيد ثقيف - يوم صلح الحديبية: أما والله لولا يد لك عندي لم أجرك بها لأجبتك. وكان الصدِّيق قد

(١) سورة الليل، الآيات: ١٧-٢١.

أغلظ له في القول، فإذا كان هذا حاله مع سادات العرب ورؤساء القبائل فكيف بمن عداهم؟ ولهذا قال تعالى: ﴿ وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَىٰ إِلَّا أَتْبَاءُ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ ۝٢٠ ۝ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ۝ ﴾ وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «من أنفق زوجين في سبيل الله دعتهم خزنة الجنة يا عبد الله هذا خير» فقال أبو بكر: يا رسول الله، ما على من يدعى منها ضرورة، فهل يدعى منها كلها أحد؟ قال: «نعم وأرجو أن تكون منهم»^(١). وقال الشوكاني في هذه الآيات: إن أبا بكر الصديق أعتق سبعة كلهم يعذب في الله: بلال، وعامر بن فهيرة، والنهدية وابنتها، وزنيرة، وأم عبس، وأمة بني المؤمل. وفيه نزلت ﴿ وَسَيَجْزِيهَا الْآنَتْىٰ ۝ ﴾ إلى آخر السورة، وزاد فيه، فنزلت فيه هذه الآية: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَانْفَىٰ ۝ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَىٰ ۝١٩ ۝ إِلَّا أَتْبَاءُ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ ۝٢٠ ۝ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ۝ ﴾.

وعن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ وَسَيَجْزِيهَا الْآنَتْىٰ ۝ ﴾ قال: هو أبو بكر الصديق. وحسبك بهذه شهادة من الله سبحانه وتعالى لهذا العبد الكريم الذي بذل ماله في سبيل الله لا يتغى بذلك إلا وجهه سبحانه وتعالى: ومعنى (من ضرورة) التي جاءت في الحديث: أي لا ضرر على من دخل الجنة وإن لم يُدع إلا من باب واحد ما دام قد دخلها، ولكن هل لأحد من كرامة عند الله حتى يدعى من جميع الأبواب ثم يدخل من أي باب يشاء؟ فأخبره النبي ﷺ: «أن نعم يا أبا بكر وأرجو أن تكون منهم»، ورجاء النبي ﷺ حق حتم لا شك فيه^(٢).

في سبق أبي بكر الصديق رضي الله عنه لجميع المؤمنين:

في قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١ ۝ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ ۝ الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ۝٣ ۝ ﴾

- (١) البخاري: ك. الصوم، باب الريان، (١٨٩٦) مسلم: ك. الزكاة، باب جمع الصدقة (١٠٢٧) ابن كثير: السيرة، ٥٢١/٤.
- (٢) البخاري: ك. الصوم، باب الريان للصائمين، (١٧٩٨) مسلم: ك. الزكاة، باب: عن جمع الصدقة ح (٢٣٦٨).
- (٣) سورة الشرح، الآيات: ١-٣.

وهي مكملة لسورة الضحى وتأتي بعدها حتى كأنهما سورة واحدة، وأنقض ظهر النبي ﷺ الحمل الثقيل الذي ذكر في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا سَأَلْنَا عَلَيْكَ قَالَ نَقِيلًا ﴾^(١) وهو الأمر بالدعوة والتصدي للناس بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ولم يخف هذا الحمل عنه ﷺ بأحد كأبي بكر رضي الله عنه، إذ كان ساعده الأيمن وظهيره الأقوى في كل شيء. وسخر لنصرته وخدمته نفسه وماله وأهله ومواليه. ولما كان أتباع النبي ﷺ يعذبون ويمتهنون ويفتنون كان أبو بكر يبذل ماله في خلاصهم وشرائهم، وذلك مما يفرج الضيق ويزيح الهم عن صدر رسول الله ﷺ ويخفف عنه أعباء المسؤولية.

وكان الصدِّيق يتدارس أمور الدعوة والأمة مع رسول الله ﷺ ويشاركه الرأي والتدبير والمشورة ويغدو ويروح ويجلس ويسمر معه فيما يخفف عنه الأعباء، ويقدم الحلول حتى اختصه رسول الله ﷺ وأسر إليه وحده بالأمر الخطيرة^(٢). وهذا كله مما يخفف الحمل ويضع الوزر ويزيح العبء الثقيل عن الصدر فينفسح وينشرح. ولا شك أن الهم والعبء لا يمكن أن يخف كما يزعم ذلك الرافضة ومبغضو خليفة رسول الله بصبي أو غلام في سن علي رضي الله عنه آنذاك لأسباب كثيرة منها:

- سقوط التكليف الشرعي عن من لم يبلغ الحلم ولم يتجاوز العاشرة من عمره.

- التفاوت الكبير في السن يكون سبباً آخر في تفاوت الاهتمام والإدراك والآمال والآلام إضافة إلى الأعباء الملقاة على كهل تجاوز الأربعين مكلف بمواجهة جميع بني البشر بدعوته التي يكرها الملوك والظلمة وأهل الدنيا، ومن بعض مسؤولياته الأخرى الاهتمام بعلي رضي الله عنه ورعايته كما يرعى الأب أولاده.

(١) سورة المزمل، الآية: ٥.

(٢) من ذلك قوله بعد القضاء على المرتدين: (واعلموا أن رسول الله ﷺ كان عول أن يصرف همهته إلى الشام فقبضه الله إليه واختار ما لديه. ألا وإني عازم أن أوجه أبطال المسلمين إلى الشام بأهلهم ومالهم، فرسول الله ﷺ أنبأني بذلك قبل موته). ينظر الدليمي: المنهج القرآني الفاصل، ٢٩٥ فما بعدها. الكتاني: التراتيب الإدارية، ١/ ٤٨٠.

- وكون علي رضي الله عنه كان غلامًا لا يعد عيبًا فيه وإنما هذا هو حال الفطرة، فهذا رسول الله ﷺ لم يكلف بالدعوة حتى جاوز الأربعين ولكن الرفضة يريدون أن يضعوه ضدًا وندًا لرسول الله ﷺ من أجل أن يفتحوا ثغرة في جدار الإسلام للطعن بالكتاب والسنة ولا يعينهم أمر علي رضي الله عنه في شيء أبدًا؛ إذ إن عامة ما يروونه ليس هو عن علي العربي ابن عم محمد ﷺ المؤمن المجاهد وإنما هو عن علي آخر مبغض للسنة ومخاصم لإخوانه الصحابة وحاقد على العرب ولكل ما جاء به النبي ﷺ.

- وكذلك كون علي رضي الله عنه كان غلامًا لم تكن له المنزلة الاجتماعية المطلوبة، في مجتمع قبلي يقدر السن والعمر والتجربة، ويكف الغلمان والصبيان حتى عن مجالسة الكبار، فضلًا عن مشاركتهم في الرأي.

- انعدام القدرة المادية عند علي رضي الله عنه في مرحلة صباه حتى إنه كان لا يكفي نفسه، بل كان يرعاه رسول الله ﷺ لما كان يمر به أبو طالب من ضيق مادي، فكيف بمن هذه حاله يخفف عن رسول الله ما يعانيه من ضيق مادي وضيق اجتماعي وسياسي وفكري؟

- لذلك لم يذكر لعلي رضي الله عنه موقف عملي تطبيقي مهم إلى يوم الهجرة، ونومه في فراش رسول الله ﷺ يوهم المشركين أن النبي ﷺ لا زال في فراشه؛ ولم يبرز دوره المرموق إلا في المدينة بعد بدر. ولم يكن هو المقدم في حياة عمه الحمزة رضي الله عنه وكان المشركون يطلبون رأس الحمزة للثأر من قتلى بدر لأنه هو الشخصية البارزة المؤثرة من بين أهل بيت رسول الله ﷺ على عادة أهل الجاهلية في الثأر والانتقام الذي لا يكون إلا ممن يروونه مقدمًا عند الخصوم وبارزًا في المجتمع، وكل ذلك يبطل تلييس الرفضة حينما يريدون أن يجعلوا من علي رضي الله عنه موازيًا لخليفة رسول الله بسبقه وعلمه وجهاده وإنفاقه وإمامته وقيادته.

- أما الزوجة فيمكن أن تخفف عن الزوج أعباء البيت ومسؤولياته، ويمكن أن تؤانسه وتصبر على ما يمر به من شظف العيش وضيق ذات اليد وما إلى ذلك، أما مكابدة أمور

الدعوة ومواجهة الناس فلا يمكن لها أن تقوم بما يقوم به الرجال في مجتمع المشركين آنذاك. وهكذا انطبقت سورة الشرح على ما كان يقوم به أبو بكر رضي الله عنه وحده دون سواه؛ فشرح الله به صدر نبيه ﷺ ووضع وزره الذي أثقل عليه أيامه ولياليه لعظم المسؤولية وقلة المعين من الناس حتى يسر الله ذلك بمساندة الصديق رضي الله عنه وإخوانه المؤمنين رضي الله عنهم.

أما ما تروج له الرافضة وعامة أعداء السنة فهو لا يعدو باب التشويش والتضليل لإرباك أهل السنة عن معرفة مواقع رجالهم الذين أزروا رسول الله ﷺ وأسهموا معه في إقرار الإسلام وإزاحة الشرك منذ اليوم الذي بعث فيه ﷺ إلى الناس. ويتجلى تقدم الصديق وسبقه لجموع المؤمنين في قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ أَوْلِيَّتِكَ أَعْظَمَ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَتْلَوْا وَكَلَّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾^(١). ففي هذه الآية الكريمة تتضح الأسس التي يقوم عليها التقديم والتفضيل بين المؤمنين في كتاب الله تعالى المبني على ثمار عطائهم وصبرهم. وهي:

- الإنفاق في سبيل الله: وقد ثبت لكل عاقل أن خليفة رسول الله أنفق جميع ماله على رسول الله ﷺ ونصرته، وإنقاذ المستضعفين من أتباعه، حتى قال ﷺ: «إن أمن الناس عليّ بصحبته وماله أبو بكر»^(٢).

- القتال: وكما جاهد أبو بكر رضي الله عنه بماله جاهد أيضًا بيده ولسانه، بل كان أول من أعلن الإسلام بين جموع المشركين في مكة يوم خطب في المسلمين قبل أن يبلغ عددهم أربعين رجلًا، فضرب من أجل ذلك حتى كاد أن يدفع حياته ثمناً لذلك الموقف العظيم، واتضح في هذا البحث أيضًا أنه رضي الله عنه الوحيد الذي كان يدافع عن رسول الله

(١) سورة الحديد، الآية: ١٠.

(٢) البخاري: صحيح البخاري، كتاب أبواب المساجد، باب الخوخة والممر في المسجد، ح(٤٦٦).

بيده ولسانه من بين المؤمنين، ويرد عنه عدوان المشركين، ولم يكن يمنعه عن حماية رسول الله ﷺ قوة قريش ولا بطشها وجبروتها في مكة.

والسبق في الإنفاق والقتال قد تبين لكل ذي لب أن ذلك مما اختص به أبو بكر رضي الله عنه واجتمعت فيه جميع فضائل السبق والمبادرة إلى كل خير من بين الصحابة رضي الله عنهم، وهذا مما يعلمه عامة أهل الإيمان ولا يماري فيه إلا منافق أو مطموس على قلبه ببغض السنة والكتاب كما هو حال الرافضة الذين لا يدخرون فرصة إلا ولغوا في التشكيك والباطل في حرب لا هوادة فيها على الحقيقة وضوابط العقيدة. واتضح في هذا البحث كما في كتب السنة المعتمدة أن أبا بكر رضي الله عنه هو أعظم من أنفق من قبل الفتح، وما انتفع الإسلام بمال أحد من المؤمنين كما انتفع بماله رضي الله عنه كما جاء ذلك على لسان رسول الله ﷺ في الأحاديث الصحيحة الكثيرة التي جاءت في هذا البحث.

أما علي رضي الله عنه فلم يكن عنده من مال ينفقه لا من قبل الفتح ولا من بعده، وكان في مكة في كفالة النبي ﷺ كما هو معلوم. وبقيت حال الفقر وضيق ذات اليد ملازمة له طيلة حياة النبي ﷺ؛ فلا يعرف عنه أنه تمكن من عون النبي ﷺ أو أحد من المسلمين أو جهز جيشاً أو حل معضلة مادية. وقدم الله تعالى الإنفاق على القتال لأن الدعوات إنما تقوم أولاً على مال المنفقين لا على قوة المقاتلين. فهذا العنصر الأول والأعظم من عناصر التفضيل كله لأبي بكر رضي الله عنه عملاً وسبقاً.

وأما القتال فلأبي بكر رضي الله عنه منه النصيب الأعظم والقدح المعلى؛ إذ كان قتاله قتال القادة المخططين الذين يرقبون ميدان المعركة يديرونه ويوجهونه ولا ينزلون لمباشرة القتال بأنفسهم إلا عند الحاجة القصوى، فكان أبو بكر مع رسول الله ﷺ في مركز القيادة يخطط ويرقب مجريات المعركة ويوجهها. وهذا أعظم في الميزان من قتال الجندي الباسل في الميدان مهما بلغت درجة بسالته وفتكه بالأقران كما كان شأن علي رضي الله عنه في قتاله للمشركين. فضلاً عن سبق أبي بكر رضي الله عنه في الدفاع عن رسول الله ﷺ في

مكة بين صنناديد الشرك وعتاة الجاهلية، حتى قبل أن يؤذن للمسلمين بالقتال، عندما لم يكن له نصير من المؤمنين سواه، فخليفة رسول الله سبق جميع الصحابة في الجهاد باليد وبالمال وبالفكر واللسان والقيادة والتخطيط والمشورة وتدبر مستقبل الأمة مع رسول الله ﷺ.

وقد كان أبو بكر رضي الله عنه يستأذن النبي ﷺ في النزول للمبارزة ومباشرة القتال، كما حصل عندما برز ابنه عبد الرحمن في بدر - وكان مشرّكاً - فأراد أبو بكر أن يبرز له فمنعه النبي ﷺ قائلاً: «متعنا بنفسك يا أبا بكر». فكان يمنعه ويأذن لغيره لأن النبي ﷺ لا يجد من يقوم عنده مقام أبي بكر رضي الله عنه بينما يمكن أن يكلف أي رجل من أصحابه رضي الله عنهم ليقوم بمهام القتال المباشر كما هو ظاهر في السيرة وتاريخ الرسالة، كما انتدب محمد بن مسلمة الأنصاري رضي الله عنه لقتل كعب بن الأشرف اليهودي بعد أن حرّض قريشاً ورافضي الإسلام من الأعراب على غزو المدينة وبعد أن شبب بنساء المسلمين بأشعاره، ولم يقف عند تحذيرات المسلمين له وطلبهم منه كف بوائقه عن المسلمين؛ وكما انتدب عبد الله بن أنيس الجهني الأنصاري رضي الله عنه لقتل خالد بن سفيان الهذلي في وادي عرنة^(١) وكما انتدب علياً رضي الله عنه لقيادة الكتيبة الاقتحامية في خيبر، فكان فتح الحصن على يديه، وأمثال ذلك مما كان يحصل في الغزوات والسرايا الأخرى، ومن بعد ذلك كثرت هذه النماذج أيام الفتوح حتى أصبح بالإمكان جعلها عنواناً لرسالة دكتوراه أو بحثاً لكتاب مميز يرد على مروجي الفكر الانهزامي الذي يكاد أن يسود جميع المفاصل الرسمية في هذا العصر الذي كثرت عجائبه وغرائب.

ودافع أبو بكر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قبل الهجرة وبعد الهجرة بماله ونفسه، وضارب عنه بيده وضرب من أجله حتى أدمي وأغمي عليه، وهو يصيح في المشركين: ﴿أَنْفَتُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ﴾^(٢) يقصد النبي ﷺ وذلك في مكة، وهو من جنس

(١) ينظر الخليفة: مهاجرة الحجاز، ٢١٤.

(٢) سورة غافر، الآية: ٢٨.

القتال الممدوح، فكان رضي الله عنه سابقاً في هذا ﴿وَكَلَّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحَسَنَىٰ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَىٰ الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾^(١) وكذلك كان قتال النبي ﷺ هو قتال القادة، وهو لا يقاس بعدد من يقتل أو الجهد البدني الشخصي المبذول في ساحة القتال، إنما هذا هو شأن الجندي وعمله. ولذلك لا يعرف أن النبي ﷺ قتل إلا القليل النادر ولكنه أفضل وأعظم من قاتل وجاهد في سبيل الله، وبهذا يتضح أن كل من يريد أن يقول بأن هناك من أصحاب رسول الله ﷺ من تقدم على أبي بكر رضي الله عنه في باب من أبواب العمل الإسلامي في حياة النبي ﷺ أو بعد وفاته ﷺ فإنما هو من باب الجهالة أو الضلالة والتضليل، من أمثال ما يفتريه الرافضة والمستشرقون وإخوانهم من العلمانيين الذين لم يرضهم دين محمد ﷺ الرباني الحضاري الإنساني العالمي؛ حتى استبدلوه بأباطيل وتنن الحضارة الغربية القائم على حرب الإسلام بمسميات وأشكال مختلفة، فارتضى كثير منهم أن يكونوا حصان طروادة الذي يخترق الأمن والفكر الإسلامي! واستسهلوا تبديل ثوابت عقيدتهم بسراب فكر الحضارة العلمانية والصليبية لكيلا يتحملوا مشقة تبعات الإصلاح والتضحية ومواجهة الطغيان في بلاد المسلمين، وتحرير فكر الأمة وهويتها وسيادة عقيدتها، فانقادوا لمن يسير بهم على طرق الوهم بقصد إرباك مسار الإيمان الذي سلكه أحرار المسلمين ودفعوا على جنباثة ثمن إعزاز الدين وأهله، فكانوا بانحرافهم هذا شرّ مبعوث وشرّ وارد يستبدلون الأدنى بالذي هو خير.

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(٢) فاتضح فضل أبي بكر رضي الله عنه وتجاوزه عن حظوظ نفسه أو الانتصار لها، وظهر انقياده التام لما يأتي به القرآن وحرصه الدائم على السبق في ميادين المعالي بما في ذلك العفو والصفح عمّن بادر بالأذى وانتهاك حرمة القرابة وأواصر الرحم، فقد كان له قريب اسمه

(١) سورة النساء، الآية: ٩٥.

(٢) سورة النور، الآية: ٢٢.

مسطح بن أثاثة ينفق عليه ويحسن إليه، فلما خاض المنافقون والذين في قلوبهم مرض في الباطل والبهتان والكذب والنميمة على أهل رسول الله ﷺ أم المؤمنين الطاهرة عائشة رضي الله عنها، كان مسطح هذا من الخائضين معهم في عرض رسول الله ﷺ وعرض أبي بكر رضي الله عنه دون أن يرقب فيه إلا ولا يدا، تأثراً بإعلام أهل النفاق والرفض الذين كثيراً ما يشككون المؤمنين بأنفسهم أو بإخوانهم. فلما أنزل الله جلّ وعلا براءة الطاهرة أم المؤمنين وحبية رسول رب العالمين عائشة رضي الله عنها وفضح أعداء الصحابة المنافقين وأبان كذبهم في سورة النور، حلف أبو بكر رضي الله عنه ألا يصل مسطح بن أثاثة ولا ينفق عليه أبداً. وذلك أقل ما يمكن أن يجازي به من طعن في عرضه الشريف الطاهر. ولا نعرف أحداً يمكن أن تسخو نفسه فيستمر بالإنفاق والإحسان إلى من شارك مع من طعن في عرضه وشرفه! اللهم! إذا بلغ أعلى الدرجات في حسن الخلق وكرم النفس، وأسمائها في إنكار الذات من أجل عمل الخير للخير ذاته! فكانت هذه الدرجة العالية السامية هي التي أرادها الله تعالى أن تكون زينة وتاجاً على رأس محاسن أخلاق الصدِّيق، فحببها إليه وزينها في عينيه ودعاه إليها بقول الله تعالى الرفيق الشفيق على عباده: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِيَعْفُوا وَلِيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(١) وكان جواب أبي بكر رضي الله عنه حين سمع توجيه الله إليه بهذه الآية قال: بلى يا رب أحب أن تغفر لي. وعاد إلى مسطح يصله وينفق عليه!! وهذا الفضل لم يوفق إليه إلا طراز خاص من المؤمنين، قال الله عز وجل

(١) سورة النور، الآية: ٢٢. تأمل رحمة الله تبارك وتعالى ولطفه في خطابه لعبده أبي بكر ليخرج ما علق في قلبه على مسطح الذي آذاه، فيصفه تعالى بأنه من أولي قرياه المساكين ومن المهاجرين، رغم انخداعه بالمنافقين وخوضه معهم في الطعن في عرض رسول الله ﷺ، وفيه عظمة منزلة المهاجرين عند الله، وأنه يحبهم ويغفر لهم ما لا يغفر لسواهم، كما قال النبي ﷺ لعمر رضي الله عنه في موقف مشابه مع حاطب رضي الله عنه: «وما يدريك يا عمر! لعل الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم!».

عنهم: ﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ (٢٤) وَمَا يُقَلِّبُهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُقَلِّبُهَا إِلَّا ذُو حِظٍّ عَظِيمٍ ﴿ (١) وما كان الله تعالى ليرضى لصاحب رسوله ﷺ وخليفته إلا أن يكون من هذا الطراز الخاص صاحب الحظ العظيم والخلق القويم! المتخلق بأخلاق الأنبياء في العفو والصفح، ولكي تظهر عليه آثار أخلاق صاحبه في ذلك؛ إذ إن للصحة آثارها في أخلاق الأصحاب وسلوكهم نتيجة لتفاعلات تجاربهم وتمازج خواطرهم وآمالهم. وكلما كانت الصحة أصدق، والنفس أصلح وأكثر استعداداً للتأثر تجلت أخلاق الصاحب في صاحبه أكثر، حتى يمكن أن يكون صورة أخرى له تعكس ما في صورة الأصل من قسما ت وملامح؛ لأن الأثر يعتمد على قوة المؤثر وعلى مدى صلاحية المتلقي للتأثر. قال ﷺ: «المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل» (٢). وكان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقول: اعتبروا الناس بأخذانهم. أي بأقرانهم وأصحابهم. قال الشاعر:

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدي (٣)

وآثار صحة الصديق رضي الله عنه واضحة في أخلاقه وعلمه وإيمانه وجهاده وولائه وبرائه، وكانت معالم هذه الآثار من الظهور والبروز والوضوح ما يشكل دليلاً قاطعاً على صدق هذه الصحة وقوة عراها وسمو مقاصدها وعلو منزلتها التي قطف المؤمنون ثمارها اليانعة بإمامة وقيادة الصديق رضي الله عنه التي عليها مسحة من شمائل النبوة وعبقها بعد وفاة رسول الله ﷺ (٤).

(١) سورة فصلت، الآيات: ٣٤، ٣٥.

(٢) سنن أبي داود: ك. الأدب، باب من يؤمر أن يجالس (٤٨٣٣) المستدرک، باب وكتاب البر والصلة، ح (٧٣١٩).

(٣) ابن تيمية: الصارم المسلول، ٥٨٣. مجموع الفتاوى: ٤ / ٤٢٨. الخليفة: الإنصاف، ٤٣.

(٤) ينظر: الدليمي: إمامة أبي بكر الصديق من المنهج القرآني الفاصل. ٢٤ - ٣٤.

- في تصديق أبي بكر رضي الله عنه:

قال تعالى: ﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾^(١) فالذي جاء بالصدق محمد ﷺ، وأعظم من صدق به الصديق رضي الله عنه؛ فهو أول المقصودين بالآية وما بعدها، وقد سبق الكلام عن أن المقصود بذلك هو أبو بكر رضي الله عنه كما انضح في شرح أسباب تسميته بالصدِّيق رضي الله عنه، وفي قوله تعالى: ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ﴾^(٢) إشارة إلى آية الغار: ﴿ إِلَّا نَضْرُوهُ فَقَدْ نَضَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴾ فكما نصره بواحد كذلك صدقه بواحد ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ﴾^(٣).

ولا شك أن المصدقين لرسول الله ﷺ كثير، ولكن أولهم وأعلامهم تصديقاً أبو بكر الصديق لشدة صدقه وقوة إيمانه وعميق يقينه. وقد ذكر الذهبي أن أبا بكر بن عبد العزيز غلام الخلال سئل عن هذه الآية فقال: نزلت في أبي بكر. فقال السائل: بل في علي. فقال: أبو بكر؛ اقرأ ما بعدها فقرأ إلى قوله: ﴿ لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا ﴾^(٤) فقال: علي رضي الله عنه عندكم معصوم لا سيئة له فما الذي يكفر عنه؟! فبهت السائل كما هو حال الرافضة في أباطيلهم وتزييفهم لمقاصد كثير من الآيات والأحاديث^(٥).

- آية الصادقين:

قال تعالى: ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾^(٦) وأبو بكر الصديق أصدق الصادقين بعد رسول الله ﷺ هاجر مع رسول الله ﷺ وأخرج من داره وماله وأنفق ما يملك ابتغاء

(١) سورة الزمر، الآية: ٣٣.

(٢)، (٣) سورة الزمر، الآية: ٣٦. (٤) سورة الزمر، الآية: ٣٥.

(٥) الذهبي: المنتقى من منهاج الاعتدال، ٤٧٠.

(٦) سورة الحشر، الآية: ٨.

فضل الله ورضوانه، وهو أكثر الناس نصرة لله ولرسوله ﷺ، وقد أنزل الله تعالى فيه وفي المؤمنين هذه الآيات التي يستنفر بها همم المؤمنين جميعاً ويضرب لهم المثل بأبي بكر الصديق وكيف نصر الله رسوله ﷺ. فقال: ﴿إِلَّا نَصْرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّا نَظَرْنَا اللَّهُ مَعَنَا﴾^(١) فلم يستثن من هذا العتاب الموجه إلى جميع المؤمنين؛ إلا النبي ﷺ ومعه صاحبه وخليفته أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وفي ذلك إشارة بيّنة إلى خلافة أبي بكر رضي الله عنه تظهر في قوله تعالى: ﴿ثَانِيَ اثْنَيْنِ﴾ لأن الخليفة لا يكون إلا ثانياً وإنما استحق أن يقال ثاني اثنين لقيامه بعد النبي ﷺ بالأمر كقيام النبي به أولاً وحتى أعاد المرتدين إلى ما كانوا عليه في حياة النبي ﷺ فاستحق بذلك أن يقال له ثاني اثنين^(٢).

فكان أبو بكر رضي الله عنه أفضل الصادقين الذين نصروا الله ورسوله، فهو الأولى بالإمامة؛ فإن الله تعالى يقول: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾^(٣) فأمر جميع المؤمنين أن يكونوا تبعاً للصادقين وهم تبع لأصدقهم وأفضلهم. وبهذه الآية احتج أبو بكر رضي الله عنه على الأنصار في أن المهاجرين أولى منهم بالإمارة وأن المهاجرين هم الأمراء. والأنصار هم الوزراء، فكان أبو بكر رضي الله عنه إمام الأئمة وقائد الأمة ولا إمام إلا هو في حياته وكل من يسمي أحداً من الصحابة أو غيرهم إماماً معتقداً أنه أولى من أبي بكر رضي الله عنه في أمر من أمور الأمة فإنما هو مفتر على الله ورسوله ﷺ وعلى المهاجرين والأنصار الذين اختاروه قائداً وإماماً لهم رضي الله عنهم.

في الاستخلاف والتمكين:

وهي قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ

(١) سورة التوبة، الآية: ٤٠.

(٢) الخليفة: الإنصاف فيما وقع في تاريخ العصر الراشدي من الخلاف، ٩٣.

(٣) سورة التوبة، الآية: ١١٩.

كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١﴾^(١)

وقد ظهر مصداق قوله تعالى في ذلك حين مكّن للمؤمنين وجعل منهم الخلفاء الراشدين، وأولهم خليفة رسول الله ومن بعده أمراء المؤمنين بالحق عمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم ومن سار على هديهم. ومكن الله للمؤمنين وحصل لهم من الأمان والاطمئنان والقوة والإيمان في زمن خليفة رسول الله ما استطاعوا به أن يززعوا كيان أكبر وأعتى إمبراطوريتين فارس والروم.

وكان نصيب أبي بكر رضي الله عنه من الاستخلاف والتمكين والأمن عظيمًا بينا يُبطل كل تليسات الرافضة والمغرضين المُحرفين للكلم عن مواضعه عندما ينسبون التمكين إلى أخيه علي رضي الله عنه، بينما هم يعلمون يقينًا أن عليًا رضي الله عنه لم يتمكن من بسط سلطان خلافته على جميع المسلمين أو بلادهم، ولم يبلغ من القوة والتمكين ما يستطيع به إخضاع مخالفه أو حتى السيطرة التامة على من كان يزعم أنه من شيعته، ثم انقلب عليه كما فعل ذلك الشيعة الذين خرجوا عليه رضي الله عنه، بل طمع في عهده الروم بالمسلمين، وفكروا في غزوهم حتى هددهم معاوية رضي الله عنه بمصالحة ابن عمه علي رضي الله عنه والتفرغ لهم والمسير إليهم إن لم يكفوا، فرجعوا عما هموا به وعزموا عليه.

آية التمكين:

قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ إِنْ مَكَنْتَهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾^(٢) وأبو بكر الصديق رضي الله عنه أولى الأمة بهذه الآية الكريمة وعلى أهل السنة ألا يتأثروا بتخليط أعداء الصحابة وبهتهم فيرددوا معهم ودون وعي أن فلانًا إمام والآخر إمام لخلط الحق بالباطل، وذلك لأسباب عديدة منها:

(٢) سورة الحج، الآية: ٤١.

(١) سورة النور، الآية: ٥٥.

- أنه صلى بالناس إمامًا في عهد النبي ﷺ وبعد وفاته. وكان غيره يصلي خلفه مأمومًا، منهم علي رضي الله عنه وبقية الصحابة. وصلاة الإمام أكمل من صلاة المأموم. وإلا لم ينبغ له التقدم عليه إلا لعذر، وتقدم أبي بكر لإمامة المسلمين في الصلاة كان بأمر النبي ﷺ وتزكيته وهو القائل ﷺ: «يَوْمَ الْقَوْمِ أَقْرؤُهُمْ لِكِتَابِ اللَّهِ».

- أنه صلى أول الإسلام وهو رجل بالغ. وصلاة البالغ أكمل وأوجب، فإن صلاة الصبي على سبيل الاستحباب وصلاة البالغ على سبيل الوجوب، والواجب أحب إلى الله ولذلك أوجبه على العباد، فكيف ينساق البعض ممن يحسب على أهل السنة للمقارنة بين خليفة رسول الله وإمام الأمة بغيره من إخوانه الصحابة الذين لم يبلغوا ما بلغه رضي الله عنه.

- أنه لما مكن الله له في الأرض قاتل من رفض الصلاة وأرجع المرتدين إلى الإسلام فأقاموا الصلاة، ونشر الإسلام خارج الجزيرة العربية فصار الناس يقيمون الصلاة في تلك البلدان فأكمل في حقه قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾. وعلي رضي الله عنه لما مكن الله له، حكم أناسًا مسلمين يصلون ولم يتمكن لانشغاله بإخماد الفتن من نشر الإسلام وتحقيق الفتوح كما فعل الراشدون من قبله بل ابتلي بقتال المؤمنين! وبخيانة من كان يزعم أنه من شيعته، وتمردهم عليه وغدرهم به ورفضهم لأوامره واغتيال الرافضة له في مسجده كما فعلوا بأخويه عمر وعثمان رضي الله عنهما، وهم الآن من شدة مكْرهم بالمسلمين وسخريتهم من الإسلام وأهله يتباكون على علي رضي الله عنه الذي قتلوه بأيديهم، وبالوقت ذاته يشتمون أخويه في الجهاد والسابقة زوج ابنته أم كلثوم بنت فاطمة رضي الله عنها عمر الفاروق رضي الله عنه وابن عمته زوج ابنتي رسول الله ﷺ عثمان الشهيد رضي الله عنه، كل هذا يفعلونه للتغطية على ما اقترفت أيديهم الآثمة، ولإبعاد الشبهة عن جرائمهم وغدرهم بآل بيت رسول الله ﷺ ومكرًا بأهل السنة النبوية المطهرة، ليشقوا صفوفهم ويمزقوا جماعتهم ويغتالوا أختيارهم فلا يدافع عنهم أحد، كما هو حاصل في هذا العصر من جمود وتبلد خطاب عامة أهل السنة الذي لا يميز بين من يناصبهم العدا

وبين من يدفع دمه دفاعاً عنهم، يظهر ذلك جلياً في خطاب كثير من علمائهم المانع المخادع المدلس الذي أسهم في ذوبان هويتهم وتصدع جماعتهم.

- وأما الزكاة فقد أداها أبو بكر رضي الله عنه عن نفسه وعن عياله وأنفق ماله تطوعاً وجهاداً في سبيل الله ونصرة المؤمنين، ولم يفعل ذلك علي رضي الله عنه أولاً لصغر سنه وعدم قيامه بكفالة نفسه فضلاً عن أن يؤدي زكاة حال على نصابها الحول، وثانياً لفقره بعد مرحلة بلوغه وعدم اكتمال النصاب الموجب للزكاة عليه، فاختص بأداء هذه الفريضة خليفة رسول الله قبل غيره من إخوانه الصحابة رضي الله عنهم توفيقاً من الله تعالى.

ولما مكن الله لأبي بكر رضي الله عنه قاتل الناس على الزكاة حتى صاروا يؤدونها، سواء منهم من كان مسلماً فامتنع عن أدائها أم كان كافراً فأسلم، وعلي لم يفعل ذلك في حال تمكينه لانشغاله بإخماد الفتن، وقد قتل فيها الألوفاً من المصلين والمزكين من الطرفين. ومن الطبيعي أن تستنزف الحروب الداخلية أموال الأمة ومواردها مما يؤدي إلى افتقار كثير ممن كانوا يؤدون الزكاة، ويجعلهم غير قادرين على أدائها! فخليفة رسول الله الصديق رضي الله عنه لما مكن الله له في الأرض أقام الصلاة وآتى الزكاة، فهو أولى بالخلافة والتمكين لاستيفائه شروطه كاملة. وكل من الخلفاء الراشدين المهديين رضي الله عنهم أجمعين له من ذلك بقدر تمكنه في الأرض وإقامته لفرائض الإسلام وإعرازه للمسلمين وحفظ دمائهم وأموالهم.

في قتال أبي بكر رضي الله عنه لأولي البأس الشديد:

قال تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سُدْعُونَ إِلَيَّ قَوْمِ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ يُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسَلِّمُونَ فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (١).

وهذه الآية لم تكن إلا في حق أبي بكر رضي الله عنه لأن النبي ﷺ لم يقاتل بعد هذه الآية - أي بعد صلح الحديبية - قوماً أولي بأس شديد فأسلموا. فيهود خيبر لم يسلموا.

(١) سورة الفتح، الآية: ١٦.

ومكة فتحت بلا قتال أو بأس شديد. وأهل حنين ووادي أوطاس لم يلبثوا إلا ساعة من نهار وإن كانت لهم جولة في بداية المعركة بسبب مفاجأتهم المسلمين في كمينهم وبسبب عدم وضوح الرؤية عند الفجر ووجود بعض الأعراب وجديدي العهد بالإسلام من أهل مكة وغيرهم الذين فاجأهم العدو بكثرة سهامه وتمويهه مواقعه. وأهل الطائف أسلموا بعد ذلك طواعية ولم يسلموا بقتال. وتبوك لم يحصل فيها قتال ولم يسلم أحد. هذا كل ما حصل للنبي ﷺ بعد نزول الآية، فليس هو المقصود بها ﷺ.

وعلي رضي الله عنه لم يقاتل أحدًا في عهد خلافته على الدخول في الإسلام، بل قاتل أناسًا مسلمين قاتل أهل مكة والمدينة فيما يسمى بيوم الجمل ولم يكن قتالًا على الإسلام، فما كان أحد الفريقين يتهم الآخر بالخروج منه فهو يقاتله ليدخله فيه، ولم يحدث أي تحول في اعتقاد الفريق الذي قاتله.

والخوارج لم يكونوا كفارًا بل مبتدعين ولم يقاتلهم علي على بدعتهم للرجوع عنها، وإنما لأنهم حملوا السلاح وسفكوا الدم الحرام وقطعوا الطريق وأخافوا الناس بعد أن أقام عليهم الحجة وقال لهم رضي الله عنه: لكم علينا ألا نمنعكم مساجدنا ولا نمنعكم فيكم ما دمتم تقاتلون معنا ما لم تحدثوا حدثًا. وقاتلهم فلم يرجع أحد منهم عما هو فيه، بل ظلوا خارجين حتى قتل رضي الله عنه وهو يوصي بهم قائلًا: لا تقتلوا الخوارج بعدي، فليس من طلب الحق فأخطأه كمن طلب الباطل فأدركه^(١). ولو كانوا كفارًا أو مرتدين لما نهى عن قتالهم وجعلهم متأولين في ارتكابهم الباطل غير قاصدين إليه أصلًا. ورغب بالعمو عن قاتله فقال: إن أبَّقَ فأنا ولي دمي، وإن أفنَّ فالفناء ميعادي، وإن أعفَّ فالعمو لي قرية وهو لكم حسنة فاعفوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم^(٢)؟ والمرتد يجب قتله - إلا إذا تاب - فكيف وهو

(١) نهج البلاغة ١ / ١٠٨.

(٢) نهج البلاغة: ٢١ / ٣. ومعلوم الدس والوضع والتلفيق في كتاب نهج البلاغة، وأن هذه الألفاظ لم ترد في الصحاح ولا في السنن، وإنما لفتت لمقاصد أخرى تخدم مخططات أعداء الصحابة والعمل على تأمين الحماية لهم أثناء أداء بوائقهم.

مصرّ، بل مرتكب لجريمة القتل مع سبق العمد والترصد والإصرار؟!

وقال رضي الله عنه: يا بني عبد المطلب لا ألفينكم تخوضون في دماء المسلمين تقولون: قتل أمير المؤمنين. ألا لا يقتلن بي إلا قاتلي^(١). فسمى الخوارج مسلمين ونهى عن الخوض في دمائهم. إنما الذي قاتل القوم أولي البأس الشديد ممن ذكرتهم الآية هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه إذ قاتل الرافضة المرتدين الذين يقودهم مسيلمة الكذاب وإخوانه المتنبئون الكذابون وكانوا أولي قوة وأولي بأس شديد حتى انهزموا أو استسلموا أو أسلموا، والله تعالى دعا المخلفين من الأعراب إلى القتال معه ووعدهم بالأجر الحسن على ذلك، وهذا دليل على صحة إمامته وإلا لما رغب الرب في القتال تحت رايته ومع جنده رضي الله عنه، وهذا ما يفحم الغوغاء الذين يجترون إفك الرافضة دون أن يتفكروا بما يكتبون، وإلا فلم أنكر الرافضة والمتذبذبون أن المرتدين المتنبئين بالرفض والكذب هم أولو بأس شديد سحقه أبو بكر رضي الله عنه بقيادته لأصحاب رسول الله ﷺ؟ فإنه قاد جحافل المجاهدين في سبيل الله، لمجاهدة طغيان جاهلية الفرس والروم أولي القوة والبأس الشديد الذي لا زال يحالفه الرافضة لهدم السنّة واستباحة أهلها، جاهدهم وانتصر عليهم وأدخل الرعب في قلوب جبابرتهم حتى أخذت جيوشهم بأعدادها وعددها تفر من أمام جند خلافة النبوة، حتى طهر الصديق رضي الله عنه الأرض من طغيانهم ومن ظلمهم وبغيهم وعلى كل الجبهات؛ فهل ينكر هذا إلا غبي مفضوح بالكذب والنفاق لا قيمة لإنكاره وجحوده أمام قوة الحقيقة الناصعة؟! بل حتى لو أنكر أعداء الصحابة أن خليفة رسول الله أبا بكر رضي الله عنه هو الذي نال شرف سحق الردة الرافضة لخلافة النبوة فهذا هو القرآن يشهد له بذلك ويطمس بهتان أعداء الصحابة ومن اجترّ باطلهم.

قتال أبي بكر رضي الله عنه للمرتدين:

في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾

(١) نهج البلاغة: ٧٧/٣.

أَذَلَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّهُ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾.

لقد من الله تعالى بهذه الآية على خليفة رسول الله والصحابة رضي الله عنهم بصفات تؤكد حقيقة خلافة النبوة وحقيقة أهلها الذين جاءت بعض صفاتهم الكريمة بهذه الآية الكريمة التي لا يستطيع أحد أن ينكر أنها في أبي بكر رضي الله عنه وجنده الأبرار الأخيار الذين لا يحبهم إلا مؤمن تقي ولا يبغضهم إلا منافق شقي. وهذا ملخص قول الإمام الرازي في الآية:

إن هذه الآية يجب أن يقال: إنها نزلت في حق أبي بكر رضي الله عنه والدليل على ذلك أن هذه الآية مختصة بمحاربة المرتدين. وأبو بكر رضي الله عنه هو الذي تولى محاربة المرتدين ولا يمكن أن يكون المراد بها رسول الله ﷺ لأنه لم يتفق له محاربة المرتدين^(٢)... ولا يمكن أن يكون المراد علياً رضي الله عنه كما يفترى الرافضة؛ لأن علياً لم يتفق له قتال أهل الردة. ومن قال بمثل هذا من أعداء الصحابة ليشبهه على المسلمين فإن شبهته باطلة من وجهين.

الأول: إن اسم المرتد إنما يتناول من كان مسلماً ثم ترك الشرائع الإسلامية التي كان يؤمن بها وارتد إلى الوثنية أو المجوسية أو عبادة القبور أو الأشخاص الذين يشرعون من دون الله تعالى مثل من يبطل فريضة الزكاة ويشرع الخمس من أموال الناس، وليس من غنائم الجهاد المشروع في سبيل الله تعالى، والقوم الذين نازعوا علياً ما كانوا كذلك، وما كان أحد يقول: إنه إنما حاربهم لأجل أنهم خرجوا عن الإسلام، وعلي لم يسمهم بغير المسلمين، وكل لفظ مخالف للشرع فإنما هو من صناعة الرافضة أعداء علي والصحابة رضي الله عنهم وكان علي رضي الله عنه يقول: «إن قوماً زعموا أن البغي كان منّا عليهم وزعمنا أنه كان

(١) سورة المائدة، الآية: ٥٤.

(٢) الرازي: تفسير الرازي، ١٢/٢٧٦.

منهم علينا، وإنما اقتتلنا على البغي ولم نقتل على التكفير»^(١) والله سبحانه وتعالى قال: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾^(٢) لكن الرفضة يردون قول الله تعالى وقول أمير المؤمنين علي رضي الله عنه ويصنعون أقوالاً مضادة للشرع ولما جاء به سيد المرسلين ﷺ. والغوغاء تردد ما تسمعه دون تمحيص أو تفكير، لموت حاسة الانتماء في زوايا عقولهم، فيسمعون كل ما يقال ويقولون كل ما يسمعون، ويجعلون قول الله عز وجل كقول العباد العصاة المفترين.

الثاني: أنه لو كان كذلك لوجب بحكم ظاهر الآية أن يأتي الله بقوم يقهرونهم ويردونهم إلى الدين الصحيح، ولما لم يوجد ذلك البتة اتضح أن منازعة علي رضي الله عنه في الإمامة إنما هي اجتهاد مبني على تأويل معتبر؛ منه وجود قتلة الخليفة الشهيد عثمان رضي الله عنه في جيشه دون أن يقيم عليهم الحد. ولما لم تكن منازعته ردة اتضح أن الرفضة مفترون وأنهم يكذبون على المسلمين من أجل تسعير الفتن بينهم، وتأكدت صلتهم بالمرتدين ودفعهم عنهم وبهتانهم على خليفة رسول الله وجنده الطيبين الطاهرين؛ وتبين أن الآية الكريمة لا يمكن أن تحمل على حال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه بوجه من الوجوه؛ لأنها نزلت فيمن يحارب المرتدين ويقاتلهم على رفضهم لخلافة النبوة وكفرهم بأركان الإسلام، وهم القوم الذين يحبهم الله تعالى ويحبونه ويجاهدون في سبيله لا يخافون لومة لائم بفضل الله الذي وفقهم إلى ذلك وهم جند أبي بكر رضي الله عنه بينما الرفضة الذين يدافعون عن المرتدين ويتحالفون مع المشركين والصليبيين هم أبعد الناس عن جند أبي بكر وجند علي، والرفضة ومن الالههم جنس آخر يوالي الكفر ويكره الصحابة ويعادي محمداً ﷺ وأنصار دينه رضي الله عنهم، ومن هنا تأتي خطورة العالم السني إذا زعم أن هؤلاء المحاربين للصحابة وللسنة يمكن احتواؤهم أو التعايش معهم وهم لهم شوكة؛

(١) ابن عساکر: تاریخ دمشق، ٣/٣٤٣. ابن عبد ربہ: العقد الفريد، ٤/٣٠٨. الخليفة: الإنصاف، ٤٥١.

(٢) سورة الحجرات، الآية: ٩.

لأن ذلك يناقض الواقع الذي عاشوه مع الأمة في كل مراحلها، وأنهم إذا أصبحت لهم شوكة فإنه لا عدو لهم سوى أصحاب رسول الله وأهل السنة النبوية وأن من يهون من حال الرافضة المعلومة هذه ومن ثقافة الحقد على أهل السنة التي يتسلحون بها فإنما هو مدلس غاشٌّ لأهل السنّة وملبس عليهم دينهم ومعين عليهم عدوهم لاستباحتهم وهتكهم وردهم عن الإسلام.

وكلمة (مَنْ) في معرض الشرط للعموم فقولته تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ الآية، يدل على أن كل من صار مرتدًّا عن دين الإسلام فإن الله يأتي بقوم يقهرونهم ويبطلون شوكتهم. فلو كان الذين نصبوا أبا بكر حاشاهم كذلك كما يدين بذلك أعداء الصحابة، لوجب بحكم الآية أن يأتي الله بقوم يقهرونهم ويبطلون شوكتهم. ولم يكن الأمر كذلك بل كان بالضد، إذ قهر الله خصومهم وقمع بهم المرتدين. وعلي رضي الله عنه لم يحارب أبا بكر رضي الله عنه بل حمل السيف وجاهد تحت لوائه في وجه المرتدين، وكان هو على رأس الكتيبة التي تولت حراسة المدينة حينما خرج أبو بكر بنفسه ليقود أول معركة معهم حول المدينة. ولما انتهت المعارك بدحرهم على يد أبي بكر أكرم عليًّا فزوجه بسبية من بني حنيفة ولدت له ابنه محمد ابن الحنفية. وهذا دليل آخر على ردتهم وكذبهم في دفاعهم عن المرتدين؛ لأن عليًّا رضي الله عنه قبلها من الصديق رضي الله عنه ونكحها نكاح ملك اليمين. وقاتل عمار بن ياسر رضي الله عنه المرتدين تحت لواء جند أبي بكر رضي الله عنه حتى صُلِّمت أذنه، ويعيرُهُ يومًا رجل فيقول: ياذا الأذن فيجيبه عمار رضي الله عنه بقوله: خير أذنيَّ سببت. أي أن خير أذنيه هي التي فقدتها وهو ينفذ أمر الصديق رضي الله عنه في قتال المرتدين. وفي الآية صفات الصديق وجنده الذين قاتلوا المرتدين الرافضين لخلافة النبوة:

أولها: أنه سبحانه وتعالى ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ فلما ثبت أن المراد بها هو أبو بكر رضي الله عنه ثبت أن قوله: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ وصف لأبي بكر رضي الله عنه فدل ذلك على صحة

إمامته وفرضية مبايعته وأن الله تعالى يحب أبا بكر وجنده وهم يحبون الله تعالى، وأن من يبغضهم فهو مبغض لنبيهم ولربهم جلّ في علاه.

وثانيها: قوله: ﴿أَذَلَّتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعْرَظَ عَلَى الْكُفْرِينَ﴾ وهو صفة أبي بكر رضي الله عنه أيضًا لأنه هو المراد بالآية ويؤيده الخبر المستفيض أنه ﷺ قال: «أرحم أمتي بأمتي أبو بكر» فكان موصوفًا بالرحمة والشفقة على المؤمنين وبالشدّة على الكافرين كما أحرق الفجاءة السلمي حين ارتد وخدعه وغدر به وقتل المسلمين الذين لم يرتدوا ويرفضوا خلافة النبوة.

ألا ترى أنه في أول الأمر حين كان رسول الله ﷺ في مكة وكان في غاية الضعف كيف كان يذب عنه، وكيف كان يلازمه ويخدمه وما كان يبالي بأحد من جبابرة الكفار وشياطينهم، وآخر الأمر في خلافته لم يلتفت إلى قول أحد وأصرّ على أنه لا بد من المحاربة مع مانعي الزكاة حتى لو آل الأمر إلى أن يخرج إلى قتال القوم وحده، فكان أشد الصحابة في ذلك وأعزهم على الكافرين فكان قوله تعالى: ﴿أَذَلَّتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعْرَظَ عَلَى الْكُفْرِينَ﴾ لا يليق إلا به ولا ينطبق إلا عليه وعلى جنده رضي الله عنهم!

وثالثها: قوله: ﴿يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾ فهذا مشترك فيه بين أبي بكر وعلي، إلا أن حظ أبي بكر فيه أتم وأكمل. وذلك أن مجاهدة أبي بكر الكفار كانت في أول البعثة عندما كان الإسلام في غاية الضعف، والكفر في غاية القوة، فكان أبو بكر رضي الله عنه يجاهد الكفار بمقدار قوته ويذب عن رسول الله ﷺ بغاية وسعه. وأما علي رضي الله عنه فإنما شرع في الجهاد يوم بدر وأحد، وفي ذلك الوقت كان الإسلام قويًا وكانت العساكر مجتمعة وكانت دولته ناشئة. فثبت أن جهاد أبي بكر كان أكمل من جهاد علي من وجوه:

الأول: أنه كان متقدمًا عليه في الزمان فكان أفضل بفضيلة السابقة التي لا يعدلها شيء آخر.

والثاني: أن جهاد أبي بكر رضي الله عنه كان في وقت ضعف الرسول ﷺ وحاجته الماسة

إلى المساندة والمناصرة، وجهاد علي رضي الله عنه كان في وقت تغيرت فيه الموازين وكثر فيه الأنصار، فهناك مع علي كان طلحة والزبير وسعد وأبو عبيدة، وكل هؤلاء أقران لعلي رضي الله عنه في الشدة على الكافرين والنصرة للمؤمنين.

الثالث: أن أبا بكر رضي الله عنه تفرد عن علي بالجهاد بالمال وهو النصف الأول من عناصر التفضيل التي جاءت في قوله: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ أُوتَيْكَ أَكْثَرَ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَتَلُوا﴾^(١).

الرابع: أن جهاد أبي بكر رضي الله عنه كان جهاد القائد المخطط المدبر الأمر، وجهاد علي رضي الله عنه كان جهاد الجندي الباسل المبارز، والفرق شاسع بين الموقفين وما يترتب على نتائج كل منهما في عوامل النصر أو الهزيمة.

والخامس: قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ وهذا منطبق على أبي بكر لأنه متأكد بقوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ﴾ ولما كان الأمر كذلك وجب القطع بأن المعني في كل هذه الآيات المباركة هو إمامة أبي بكر رضي الله عنه، وأنه الأولى والأحق بخلافة رسول الله ﷺ وقيادة الأمة وإمامتها، وأنه هو الذي اجتمعت به كل مواصفات خلافة النبوة، وأن كل من يزعم غير ذلك فإنما هو من بقية المرتدين وأذئاب اليهود والصليبيين الرافضين لما جاء به سيد المرسلين ﷺ وأن كل ما يهذي به الرافضة في هذا الباب إنما هو مخالف لصريح القرآن ومكذب لما صدقه الواقع التطبيقي في الحياة، ومع كل ذلك يتمسكون بأباطيلهم الكاذبة من أجل التشكيك وإثارة الفتن لتفريق الصفوف ورد السنة، فهم لا يعتمدون على نقل صحيح ولا على منطق سليم؛ ولا يباليون إن كذبت أقوالهم القرآن أو السنة أو واقع الحياة، كما هو حاصل في تكذيبهم لما سبق من القرآن ولما جاء يصدق ذلك في مثل قوله تعالى في آية الولاية التي تصدق كل ما سبق، والحقيقة التي يحب أن تثبت في عقل القارئ المؤمن أنه لا عبرة بمواقف أعداء الصحابة لأنهم يدينون

(١) سورة الحديد، الآية: ١٠.

بالتقية، فلا يجوز الثقة بموقف أو عهد أو وعد يقطعونه وكيف يوثق بهم والتقية تبيح لهم اجتياح الأيمان المغلظة، والبداءة تبيح لهم أن يعتذروا بكل ما يبعد عنهم الشبهات ويحفظ لهم أسرار التآمر على الأمة؟ ولكن البلاء ممن يزعم أنه من أهل السنة وهو غارق في أوحال الجهل وظلمة الغباء فيصدر الفتاوى ويجتر الخطب الطنانة التي ينخدع بها الغوغاء والبسطاء وتحفظ لأعداء الصحابة أسرارهم وتمرر كيدهم ومكرهم بالأمة، لهذا فالقاعدة القويمة التي تحفظ لأهل السنة صحة الفهم وسلامة الوحدة هي أن كل من لا يثق بأصحاب رسول الله ﷺ لا يثق بأهل السنة، وكل من لا يثق بالصحابة والسنة فإن أهل السنة لا يثقون به ولا يصدقونه ولا كرامة كائنًا من كان.

آية الولاية وبراءة علي من أعداء الصحابة:

قال تعالى: ﴿ إِنَّا وَرِثْنَاكُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ ذَاكِرُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴾^(١) وهذه آية عامة ولكن أوصافها لا تنطبق في كل المقاييس تمامًا إلا على أبي بكر رضي الله عنه الذي كان الأولى بأوصاف هذه الآية لأنه هو أول من أقام الصلاة وأعلن بها من المؤمنين بين ظهراني المشركين في مكة، وهو الذي أمّ المسلمين بها في حياة رسول الله ﷺ في المدينة وبأمره، وبصلاته إلى جنبه إمامًا بالمسلمين وبصلاته ﷺ خلف أبي بكر مأمومًا به وبحضور الصحابة المكرمين رضي الله عنهم وتمسكه به مع محاولات من أراد الاعتذار له عن الإمامة ولومه من فعل ذلك اللوم الشديد، ولم يجز الإمامة لسواه قبيل وفاته ﷺ فخليفة رسول الله هو الإمام الشرعي للأمة بأجمعها ولا إمام للأمة سواه بعد وفاة رسول الله ﷺ، وكل من يُطْلَقُ عليه اسم إمام من الخلفاء بعد وفاة النبي ﷺ فهو بغير أمر رسول الله ﷺ ولا بتسميته، وكل من تسميه الرافضة باسم إمام إنما هو من تخيلاتهم وتليساتهم لا يستطيعون أن يأتوا بنص واحد صحيح يثبت صحة ما يزيفون ويفترون، بينما النصوص الصحاح التي لا تُردُّ تنطق

(١) سورة المائدة، الآيتان: ٥٥، ٥٦.

بإمامة أبي بكر على لسان رسول الله ﷺ، فشتان بين من يسميه رسول الله ﷺ إمامًا وبين من يسميه من رفض سنة رسول الله ﷺ ودينه وشم أهله وكفر أصحابه رضي الله عنهم كما يفعل ذلك أعداء الصحابة ومبغضو السنة المطهرة.

وأبو بكر رضي الله عنه أتى الزكاة على المستويين الفردي والجماعي على أكمل وجه وأتمه؛ وكان خصومه من المشركين والمرتدين واليهود والصليبيين والمجوس والرافضيين لسنة النبي الأمين ﷺ مكبوتين مغلوبين مقهورين مردود بغيهم وظلمهم إلى نحورهم. وتحقق لخليفة رسول الله الغلبة والتمكين في الأرض على كل من عبث بفریضة الزكاة أو من حاول أن يحولها عن الوجه الذي أراده الله تعالى لها، كما يفعل أعداء الصحابة الذين يسلبون من أموال الناس الخمس دون وجه حق ويصرفونه على شهواتهم وأهوائهم؛ فإن الله تعالى مكّن لأبي بكر رضي الله عنه في الأرض وبايعته الأمة جميعًا ونصره الله تعالى على المرتدين نصرًا حاسمًا، وما مات رضي الله عنه إلا وجيوشه المجاهدة تطارد جيوش أكبر دولتين في العالم آنذاك وتحرز النصر والغلب المتلاحق عليهم. بينما علي رضي الله عنه لم يكن سلطانه مبسوطًا، ولم يتغلب إلا على الشيعة الخوارج، وكان غلبًا جزئيًا إذ ظلت فلولهم هنا وهناك تعيث فسادًا حتى تمكن أهل الكوفة بغدرهم وباطنيتهم وعداوتهم للصحابة وللعرب في نهاية المطاف من اغتياله وقتله رضي الله عنه وللتلبيس على الناس، وزيادة في مشاققة الله ورسوله تراهم يتباكون عليه ويقسمون باسمه بدلًا من القسم باسم الله تعالى، فضلًا عن عقائدهم التي تضلل أتباعها باعتقاد أن عليًا رضي الله عنه هو قسيم الجنة والنار وهو الذي يدخل من شاء فيها ويمنع من يشاء^(١) أما فتنة صفين التي صنعها وقادها زعماء الرفض قتلة الخليفة المظلوم الشهيد عثمان رضي الله عنه وأوقعوا أمير المؤمنين عليًا رضي الله عنه فيها بغشهم وخداعهم وبهتهم؛ فإن كفة أهل الشام كانت مهياة عسكريًا وسياسيًا وأمنيًا وانضباطًا ومسلکًا، فهم لم يبدووا بقتال ولم يكن مقصدهم

(١) الصدوق: علل الشرائع، ١٩٦.

سوى الدفاع عن أنفسهم ورد صيال قتلة الشهيد عثمان رضي الله عنه وأعاونهم الذين لا يردعهم شرع ولا يمنعهم نظام.

براءة علي رضي الله عنه من الرفضية:

لما كان علي رضي الله عنه حريصاً على وحدة المسلمين كان أول من أجاب إلى الصلح والاحتكام إلى المصحف، والبراءة من الرفضية الذين يعملون بكل مكرهم وكيدهم على هدم السنة النبوية؛ ومن ثم تفرّغ رضي الله عنه لشعبة الفتنة والرفض الذين خرجوا عليه فقتلهم في حروراء والنهروان وغيرهما، وقال علي رضي الله عنه واصفاً شيعة الكوفة ومن حولها، بعد أن انكشف له زيفهم وغدرهم وبيان خذلانهم وكذبهم: «أصبحت والله لا أصدق قولكم ولا أطمع في نصركم ولا أوعد العدو بكم ما بالكم؟ ما طبكم؟ أقولاً بغير علم، وغفلة من غير ورع، وطمعاً في غير حق»^(١) فهذه صفاتهم التي وصفهم بها أمير المؤمنين رضي الله عنه وهو أعلم الناس بمن يسمون أنفسهم الشيعة وهم من يدين برفض كل ما يدعو إليه علي رضي الله عنه أو يأمر به حتى أبغضهم وملّهم وكرههم وتمنى فراقهم. فقال رضي الله عنه: أحمد الله على ما قضى من أمر وقدّر من فعل وعلى ابتلائي بكم أيتها الفرقة التي إذا أمرت لم تطع؛ وإذا دعوت لم تُجب؛ إن أمهلتم خضتم، وإن حوربتم خرتم، وإن اجتمع الناس على إمام طعنتم، وإن أجبتم إلى مشاققة نكصتم لا أبا لكم... فأنا لصحبتكم كاره وبكم غير كثير، لله أنتم أما دين يجمعكم؟ ولا حمية تشحذكم...!! إنه لا يخرج إليكم من أمري رضا فترضونه ولا سخط فتجتمعون عليه، وإن أحب ما أنا لاقٍ إليّ الموت. فشعبة الكوفة ومن معهم عند أمير المؤمنين علي رضي الله عنه وهُمّ وسراب ومحنة له وبلاء ابتلي بهم رضي الله عنه وهم - كما قال رضي الله عنه - أشباح بلا أرواح، وأرواح بلا أشباح، ونساک بلا صلاح، وتجار بلا أرباح، وأيقاظ نَوْم وشهود غَيْب، وناظرة

(١) نهج البلاغة المفترى أكثره على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه: الخطبة، ٣٠،

عمياء وسامعة صماء وناطقة بكماء^(١). أولئك هم من يزعمون أنهم الشيعة على لسان أمير المؤمنين علي رضي الله عنه بعد أن عجم عودهم وعرف معبودهم رضي الله عنه فهم فرقة العصيان والمعاصي وانعدام الطاعة وموت الإجابة والغش والخداع، فهم أشباح بلا صلاح ولا أرباح يرون ويتعامون ويسمعون فيعصون ويتكلمون بالباطل ويسكتون عن الحق ويوالون العدو ويخونون القريب، ولو تركهم علي رضي الله عنه وسكت عنهم لا يصمتون عنه؛ بل يخوضون في عرضه وعرض آل بيته وإخوانه الصحابة وأمهاتهم الطاهرات، حتى إنهم اتهموا علياً رضي الله عنه بالكذب، فقال لهم لما سمع غيبتهم وبهتانهم: «أما والله ما أتيتكم اختياراً ولكن جئت إليكم سوقاً، ولقد بلغني أنكم تقولون: علي يكذب قاتلكم الله فعلى من أكذب؟»^(٢) ومن صفات الرافضة التي شخصها أمير المؤمنين علي رضي الله عنه للأمة كي تحذرهم؛ أنه لا يُعتمد عليهم في قتال عدو لخورهم وجبنهم وهلعهم، فإذا واجهوا الخصوم فرّوا وإذا سنحت لهم فرصة أو غفلة غدروا، لا يملكون شيم الرجال والفرسان الكرام، الذين إذا انتصروا عفوا وسامحوا وإذا امتحنوا ثبتوا وصابروا، لهذا أعلن رضي الله عنه كراهيته لهم وبرائه منهم وبغضه لصحبتهم؛ لأنهم عبء عليه، مهما كثروا لا قيمة لكثرتهم، لا يجمعهم دين وإنما هم أهواء وشهوات وتجمعات فاقدة للنخوة والحمية، ومع كل ما هم عليه من الدناءة وانعدام القيم فإنهم لا يرضون أمر أمير المؤمنين علي رضي الله عنه ولا يغضبون لغضبه، حتى كان يدعو عليهم بقوله: أصابكم حاصب ولا بقي منكم أبر^(٣). الأبر: الذي يأبر النخل ويصلحه أي لا بقي منكم مخبر. بل هم شر يتربص به رضي الله عنه وخطر محقق بأتمته، لا مهرب منهم يهرب إليه لتداخل الأمور وتشابك الفتن التي يديرونها فلا رجاء في صلاحهم، ولم يعد أمامه إلا انتظار الموت لعله يفرق بينه وبينهم، كل ذلك كراهية لشيعة الرافضة والغدر الذين مزقوا

(١) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة المفترى أكثره، ١٨٧/٧.

(٢) نهج البلاغة: خطبة (٧١)، ص ٩٦.

(٣) نهج البلاغة، الخطبة (٥٨). ص ٨٧.

صف الأمة وغذوا الفتن فيها بكذبهم وبهتانهم وخياناتهم وتعاونهم مع اليهود والصلبيين والتتار والملحدين. فهم أهل الغدر والفتن، خاطب علي رضي الله عنه مركز رفضهم كوفة الفتن فقال رضي الله عنه: إن لم يكن إلا أنت - الكوفة - قبحك الله^(١). أي إذا لم يكن لي مقام إلا فيك ولا ناصر إلا ممن عاش فيك فسحقاً لذلك المقام وتلك النصرة وما ذاك إلا لأن مقامه بين رافضتها كان محنة لما أفسد عليه أهلها طاعة أصحابه المؤمنين وأخلاق إخوانه المتقين رضي الله عنهم.

لكل هذا ولغيره لم يقاتل أمير المؤمنين علي رضي الله عنه أهل الشام بعد صنفين لما رأى من دينهم وورعهم وسمتهم واتباعهم وطاعتهم وأمانتهم، بعد أن زال عنه ما أوهمه به أعداء الصحابة، وما أوغروا به صدره عليهم زوراً وبهتاناً؛ فدعا إلى محبة أهل الشام وإلى مسالمتهم وأثنى عليهم؛ بل إنه مدح معاوية رضي الله عنه وأثنى عليه، قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه لأهل الكوفة: لا تكرهوا إمرة معاوية ولا تتمنوا موت معاوية؛ فإنكم لو فقدتموه رأيتم الرؤوس تندر عن كواهلها^(٢). وقال أيضاً لأهل الكوفة شيعة الفتنة والخيانة: لا أخرجن ما في عنقي لمعاوية، قد استكتبه نبي الله ﷺ وأنا جالس فعلمت أن ذلك لم يكن من رسول الله ﷺ ولكن من الله^(٣).

فإذا اتضح هذا وتبينت خطورة أعداء الصحابة على الفكر والتاريخ الإسلامي وهوية الأمة ووحدتها وحاضرها ومستقبلها؛ فإن الموقف من خليفة رسول الله أبي بكر رضي الله عنه أوضح في كل شأن كما سبق وهو المنفق المعتق المجاهد في سبيل الله الراكع الساجد لله، أما قصة إنفاق علي رضي الله عنه خاتماً وهو راعٍ التي يجترها الرافضة وعباد القبور فهي

(١) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، ١/٣٣٢.

(٢) ابن عساکر: تاريخ دمشق، ٥٩/١٥١. البلاذري: أنساب الأشراف، ٥/٥٨. الخليفة: الإنصاف، ٥١٩.

(٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ١٢/١٢٩. الإنصاف فيما وقع في تاريخ العصر الراشدي من الخلاف، ٥١٩.

قصة موضوعة من صناعة أهل الفتنة والخيانة أعداء الصحابة، لم ترد بسند صحيح قط، ومما يدل على وضعها واختلاقها ما ثبت من فقر علي رضي الله عنه لا سيما عند نزول الآية فإنه كان فقيراً لا يملك نصاب الزكاة، والآية في الذين يؤتون الزكاة، والزكاة مصطلح قرآني لا يطلق إلا على الفريضة المعروفة وعلي رضي الله عنه عند نزول الآية لم يكن ممن يؤتون الزكاة فكيف تصرف الآية إليه فضلاً عن تخصيصه بها دون سواه! ولكن كل ذلك من باب حرب الرافضة التي يشنها أفاكوهم على أركان الإسلام ولا سيما الزكاة التي أبطلوها ووضعوا بدلاً عنها الخمس مفترين بذلك على الله تعالى مغيرين للقرآن ومحرفين لأوامره.

والراجع مما ذكر من أسباب النزول أنها نزلت في عبادة بن الصامت رضي الله عنه^(١) حيث تبرأ من حلف اليهود وولايتهم إلى ولاية الله ورسوله والمؤمنين، في مقابل تمسك المنافق عبد الله بن أبي سلول بحلفه معهم فنزل فيه قوله تعالى: ﴿يَتَّأَيُّمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصْرَةَ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنكُمْ فَإِنَّهُ مِنَّهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾^(٢). وقوله تعالى: ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسْرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسْرَوْا فِي أَنفُسِهِمْ نَدِمِينَ﴾^(٣). وفي عبادة رضي الله عنه نزل قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾^(٤) ثم عادت الآيات

(١) روى ابن إسحاق وابن جرير والبيهقي عن عبادة بن الصامت قال: لما حاربت بنو قينقاع رسول الله ﷺ تشبث بأمرهم عبد الله بن أبي سلول وقام دونهم، ومشى عبادة بن الصامت إلى رسول الله ﷺ وتبرأ إلى الله وإلى رسوله من حلفهم، وكان أحد بني عوف من الخزرج وله من حلفهم مثل الذي لهم من عبد الله بن أبي فخالفهم إلى رسول الله ﷺ وتبرأ من حلف الكفار وولايتهم، وقال: يا رسول الله، أبرأ إلى الله ورسوله من حلفهم وأتولى الله ورسوله والمؤمنين. قال عبادة: ففني وفي عبد الله بن أبي نزلت الآيات.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٥١. عبد الله بن أبي وأمثاله من الرافضة ممن يعادون أصحاب رسول الله ويكفرون العرب ويردون السنة ويكفرون بها.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٥٢.

(٤) سورة المائدة، الآية: ٥٥.

تنهى عن موالاتة اليهود والنصارى وغيرهم قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوعًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكَافِرَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُفْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (١) وما بعدها. ومع أن عبادة بن الصامت رضي الله عنه هو المعني في هذه الآية كما جاء في أسباب النزول (٢) إلا أن الآية ليست خاصة به، بل إنها عامة في كل من تبرأ من أعداء الله ووالى الله ورسوله ﷺ والذين آمنوا، وأبو بكر رضي الله عنه أفضل من تبرأ من أولئك وجاهدهم كما جاهد المرتدين وكل من رفض الكتاب والسنة؛ وهو خير من تولى الله ورسوله ﷺ والمؤمنين، وعمل في كل حياته من أجل نصرتهم وإقامة دولتهم حتى استقام أمر الدين؛ كما كان في حياة رسول الله ﷺ، فلم يعد مؤمن بالله ورسوله ﷺ على وجه الأرض وإلى قيام الساعة إلا ويحب أبا بكر رضي الله عنه ويوالي إمامته ولا منافق مرتد أو رافضي مبغض لله ولرسوله ﷺ إلا ويعادي خليفة رسول الله ويكفر بإمامته التي أمر بها النبي ﷺ وهياً أسبابها وأقرها له في حياته، تتويجاً لجهاده الدائم منذ اليوم الأول الذي نطق فيه بشهادة الحق وإلى اليوم الذي فارق فيه الدنيا، فهو أول من واجه طغيان قريش بيده وبقرآنه عندما تصدى لعقبة ابن أبي معيط وخلص رسول الله ﷺ من بين مخالفه ثم شهر عليهم قوله تعالى: ﴿أَنفَقْتُمْ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ﴾ (٣) وهذه الرواية تبين شجاعة الصديق رضي الله عنه، اللامتناهية، وأنه كان يتصدى لمجرمي قريش وعتاتها ممن يؤذون رسول الله ﷺ، في مكة قبل أن يكشر المسلمون أو تكون لهم شوكة، وهذا أحدهم عقبة بن

(١) سورة المائدة، الآية: ٥٧.

(٢) على أنه ورد في بعض الروايات أن الآية نزلت في أبي بكر كما في أسباب النزول للثعلبي عن ابن عباس، الحجج الدامغات لنقض كتاب المراجعات ١/ ١٣٠ لأبي مريم الأعظمي، وفي الحلية ٣/ ١٨٥ عن عبد الملك بن أبي سليمان قال: سألت أبا جعفر الباقر عن الآية فقال: أصحاب محمد ﷺ، قلت: يقولون: هو علي؟ فقال: علي منهم. وروى ابن جرير وغيره عن ابن عباس قال: من أسلم فقد تولى الله ورسوله والذين آمنوا. الحجج الدامغات، ١/ ١٣١، ١٣٢.

(٣) سورة غافر، الآية: ٢٨. البخاري: صحيح البخاري. كتاب التفسير، باب. تفسير المؤمن (غافر) ح (٤٨١٥).

أبي معيط الذي خنق رسول الله ﷺ بردائه، فما رده إلا الصديق رضي الله عنه، وكذلك ظهر تمثل الصديق بالقرآن واستشهاده بآياته في دفاعه عن الرسول ﷺ، وهذا سلاح جديد أدخله أبو بكر الصديق رضي الله عنه على مجتمع المشركين في مكة: ﴿ أَنْقَتُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ ﴾ والمعنى: يا أيها المشركون هل تقتلون الرسول ﷺ الذي ليس له ذنب معكم إلا أن يعلن أن الله ربه سبحانه وتعالى أرسله إليكم، وقد جاءكم بالبيان والدليل على ذلك من ربكم الذي خلقكم.

ومن هذه المواقف الرائدة والتضحيات الفائقة يأتي بغض الرافضة لأبي بكر وكراهيتهم له، وما ذلك إلا لمنافحته عن رسول الله ﷺ بماله وبدنه ولسانه، ولرعايته له يوم الهجرة وحرصه على افتدائه بنفسه، وخدمته بيده وعمله على توفير كل ما يحتاجه في سفره وفي إقامته، حرصًا على سلامته وإسهامًا في تفرغه ﷺ لدعوته، دون أن يشغله عنها شاغل أو يرده عن تحقيق أهدافه عائق، فهو يقوم بكل ذلك وهو مشفق على رسول الله ﷺ حزين ألا يطيعه قومه الذين أخرجوه؛ فعرضوه لأخطار قطاع الطرق الباحثين عن المغنم الرخيصة والمكاسب التي يجنونها على حساب الدعاة والمجاهدين، كما حصل ذلك يوم الهجرة حتى قال له ﷺ حينما رأى شدة إشفاقه عليه ﷺ: « لا تحزن إن الله معنا »^(١).

فيتضح أن اختيار النبي ﷺ لأبي بكر دون سائر الصحابة ليصاحبه في رحلة الهجرة وفي أشد بلاء مرّ به ﷺ حينما عزم المشركون على قتله بعد مشورة وتأمير طويلين وما أعلنوه من مكافآت على من يأتي به ﷺ أو بصاحبه رضي الله عنه، وما يحمل ذلك من دلالات على أنه كان أعظم الصحابة إيمانًا وخبرة وقدرةً وتحملًا للمصاعب ووقوفًا في وجه الشدائد، وكرمًا لسر رسول الله ﷺ وحدبًا عليه وسعيًا لحمايته وسلامته بكل سبيل، وأوسعهم خبرة ودراية بما يحيط بالنبي ﷺ وبدينه من أعداء متربصين أو أنصار مؤمنين، كل ذلك جلب على خليفة رسول الله بهتان الرافضة وتآمرهم على خلافته الراشدة، وذلك لفوزه بشرف

(١) البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب المهاجرين وفضلهم. ح (٣٦٥٢).

الاختصاص بصحبة النبي ﷺ ونصرته التي انفرد بها رضي الله عنه ولإسهامه في إنجاح الهجرة على أتم وجه وأكمّله، ونجاة رسول الله ﷺ من كل مكروه، وهم لا يريدون سلامة رسول الله ﷺ لأنهم يرون أنه كان سبباً في عدم وصول الرسالة السماوية إلى من يزعمون بإفكهم أنه أولى بها منه ﷺ.

ويتبين أيضاً هلاك من هلك في الصدّيق رضي الله عنه من الرافضة وإخوانهم الذين زعموا ببهتانهم أن أبا بكر رضي الله عنه لم يصحب رسول الله ﷺ إلا ليطلع على عوراته، ويفشي أسراره للكفار! وهذا يدل على كفرهم ومروقهم من الدين، وطعنهم في سيد المرسلين ﷺ واتهامهم له أنه لم يكن يعلم حقيقة أقرب أصحابه وأصدقائه وأنصاره، وأنهم كانوا يضمرون له الشر وهو ﷺ لا يدري، وبذلك يتهمون رسول الله ﷺ بقلة المعرفة ويكذبون القرآن الكريم الذي شهد لأبي بكر رضي الله عنه بالنصرة والصحبة.

فغضب الله على أعداء الصحابة برفضهم وردتهم وتدليسهم وبهتانهم وطعنهم في أشرف خلق الله من عباده، وأخلص أصحاب رسول الله ﷺ وأكرمهم وأعظمهم مكانة في نفسه ومنزلة عنده ﷺ وسحقاً لمن يعتقد أن أعداء خليفة رسول الله ﷺ وإخوانه وبعداً لتلك الأخوة القائمة على البهتان وحرب النبوة، وعلى الخلط بين دين الردة الرافضة ودين السنّة النبوية.

المبحث الثاني

خصائص خليفة رسول الله أبي بكر الصديق رضي الله عنه

بعض خصائص خليفة رسول الله في قوله تعالى: ﴿ثَانِي اثْنَيْنِ﴾:

إن قول الله تعالى: ﴿ثَانِي اثْنَيْنِ﴾ وإن جاء في سياق الآية مقصودًا به النبي ﷺ ولكن مقتضى اللغة يجعله منطبقًا على أبي بكر رضي الله عنه أيضًا؛ لأن العرب إذا قالوا: ثاني اثنين أو ثالث ثلاثة أو سابع سبعة لا يقصدون واحدًا بعينه وإنما القصد واحد من اثنين وواحد من ثلاثة... إلخ؛ أي أن كل واحد منهم ثاني اثنين وثالث ثلاثة.. إلخ، كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَائِعُهُمْ وَلَا حَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ﴾^(١) فالنبي ﷺ في الغار كان ثاني اثنين، وأبو بكر ثاني اثنين. ولا شك أن ترتيب النبي ﷺ من حيث المنزلة يأتي أولاً وأبو بكر رضي الله عنه ثاني اثنين لفظًا ومعنى. وقد تجلّى كون خليفة رسول الله ثاني اثنين بعد رسول الله ﷺ في مواطن كثيرة منها:

١ - ثاني اثنين في معية الله تعالى لهما المستمرة في الدنيا والآخرة ﴿إِنَّ اللَّهَ

مَعَنَا﴾.

٢ - ثاني اثنين في الإيمان: إذ هو أول من آمن وجاهد وأنفق ودعا الناس وأتى

(١) سورة المجادلة، الآية: ٧.

بوجوه وشباب قريش لينطقوا بالشهادة مؤمنين بين يدي رسول الله ﷺ.
-٣- ثاني اثنين في الدعوة إلى الله: إذ هو أول من دعا إلى الله بعد النبي ﷺ واهتدى
بدعوته خيرة رجالات الإسلام وأعمدته التي قام عليها، منهم:

عثمان بن عفان: ذو النورين الذي أسهم إسهامًا مباشرًا في نصرته الإسلام
بأمواله وجهاده، وعبد الرحمن بن عوف: ظهير عثمان في الإنفاق والجهاد،
وسعد بن أبي وقاص الذي كان يلقب بالأسد عاديًا خال رسول الله ﷺ، وأول
من رمى بسهم وأول من أراق دمًا من مشرك في سبيل الله، بطل القادسية
وفاتح العراق ومحاربه من الطغيان الفارسي المجوسي ممرغ كبر الأكاسرة
وهازم جاهليتهم بكل أسلحتها وتحالفاتها وأذانبها من المنتسبين إلى العرب
والناطقين بلغتهم.

وطلحة بن عبيد الله التيمي القرشي بطل يوم أحد الذي كان يلقب بطلحة الخير
وطلحة الجود وطلحة الفياض لكرمه ومكارمه، وكان من الشجعان المعدودين
الذين جاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله.

والزبير بن العوام الأسدي القرشي حواري رسول الله ﷺ وابن عمته، كان يعد
بألف فارس لشجاعته وبلائه في الحروب! كان أشرف من حضر اليرموك من
أشراف الأمة وأحد الذين أسهموا في فتح مصر، وهؤلاء مع علي وبعض وجوه
الأنصار كانوا هم أهل الحل والعقد في الأمة ومستشاري الخلفاء الراشدين
رضي الله عنهم.

وطلحة والزبير هما أقران علي الذين كانوا من جماعة الشورى المرشحين
للخلافة بعد الشهيد المظلوم عثمان رضي الله عنه، وطلحة والزبير رضي الله
عنهما وإخوانهما أولئك الدعاة المجاهدون الذين قادوا الأمة لملاحقة
المجرمين الذين اغتالوا عثمان رضي الله عنه فتمكن طلحة والزبير من إنجاز

عامة تلك المهمة لولا أن الرافضة السبئية اغتالوهما في العراق غدراً كما اغتالوا عثمان، ومن بعده علياً غدراً!! فكم هي ملطخة أيادي الرافضة بدماء أطهر البشر وأعزهم وأشدهم نصراً للإسلام وقرباً من رسول الله ﷺ ومحبة له؛ فقد اغتالت الرافضة السبئية المجوسية خمسة من المُبشرين بالجنة وهم سادة الإسلام وأحرار البشرية «عمر الفاروق وعثمان ذو النورين زوج ابنتي رسول الله ﷺ ورقية وأم كلثوم وابن عمته، وعلي أبو الحسن زوج فاطمة ابنة رسول الله ﷺ وابن عمه، وطلحة بن عبيد الله ابن عم الصديق، والزبير رضي الله عنه ابن صفيّة عمّة رسول الله ﷺ» ولا زالوا يدينون ببغضهم والحقد على أمتهم أمة الكتاب والسنة؛ فهل هناك أمة على وجه الأرض أقدر وأظلم وأخطر على الإسلام والمسلمين من أمة اغتالت هؤلاء الأطهار الأخيار؛ ولا زالوا يزعمون أنهم من المسلمين مكرّاً وباطنية لاقتناص المزيد ممن هم على منهج العشرة المبشرين بالجنة وعلى طريقهم وسنة نبيهم ﷺ؟! وهل هناك أشد مخادعة أو أكثر جهلاً وبلاهة وغباء لأمة الكتاب والسنة ممن لا زال يتمتم لأهل السنة النبوية أنه من الممكن التقارب مع قتلة الخلفاء وسافكي دماء الصحابة والتابعين غدراً وغيلة ومحاربي السنة وحفظتها سرّاً وعلانية، ممن جعلوا أصل دينهم قائماً على رفض دين الصحابة وعقيدتهم وبغضهم ومحاربتهم؟! ومعلوم أن موقف الرافضة السبئية في عداوة أبي بكر رضي الله عنه وابتكار الأباطيل لتأصيل مخالفته وتشويه سيرته والتعمية على إنجازاته تأتي في مقدمة اهتماماتهم وحرهم القائمة على السنة النبوية وحملتها. وهم يعلمون أن خليفة رسول الله هو أكبر داعية إلى الله ورسوله في الأمة، وهو أول من خطب في المشركين يدعوهم إلى الله تعالى بعد خطبة النبي ﷺ الشهيرة على الصفا في بداية البعثة المباركة^(١).

(١) من الملاحظ في كتب التاريخ والسيرة أن علياً رضي الله عنه لم يسلم على يده أحد في زمن =

٤ - وثاني اثنين في الغار في أخرج موقف مَرَّ به رسول الله ﷺ وأخطره لم يكن له فيه نصير ولا أنيس إلا صاحبه بعد الله. قال حسان بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه:

= ضعف الإسلام لا سيما في مكة، وقد يعتذر له بأنه كان صغيراً. وقد فكرت في هذا الموضوع كثيراً أقلبه وأناقشه وأحلله فوجدت أن علياً رضي الله عنه شخص تغلب عليه الطبيعة العسكرية القتالية أكثر من الطبيعة السياسية الدعوية. ولعل هذا هو السر الذي جعل النبي ﷺ يلفت نظره إلى أهمية الدعوة إلى الإسلام قبل القتال ويرغبه فيها ويحثه عليها يوم أعطاه الراية في خيبر وقال له: «انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه، فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم». البخاري: ك. الجهاد، باب دعاء النبي إلى الإسلام، (٢٩٤٢) مسلم: صحيح مسلم، فضائل الصحابة، ح (٢٤٠٦). فالنبي ﷺ لاحظ عليه غلبة النزعة القتالية العسكرية على السياسية الدعوية مما دعاه للتأكيد على الجانب الآخر من أجل إحداث الموازنة في شخصيته وتصرفاته المنبعثة عنها. وكان للنبي ﷺ جهاز إعلامي من الخطباء والشعراء ينافحون بألسنتهم عن الدين، وإذا أقبلت الوفود قاموا لبياروا خطباءهم وشعراءهم، ولم يكن علي رضي الله عنه واحداً منهم! ينظر: الدليمي: المنهج القرآني الفاصل، ٢٥٧.

ولعل ما يصدق ذلك سرعة خروجه رضي الله عنه من المدينة إلى البصرة وحصول موقعة الجمل؛ واتخاذ الكوفة عاصمة له بدلاً من المدينة، وعدم إرساله القادة والجيوش بدلاً من خروجه هو رضي الله عنه ومن ثم سيره إلى الشام وحصول موقعة صفين، والإصرار على الحل العسكري في وقت كان من الممكن أن تستمر المفاوضات حتى الوصول إلى حل يرضي الجميع، إذ لم يكن هناك سبب ملح للسرعة سوى تحريض قتلة الشهيد عثمان وامتداداتهم المشبوهة في جيش أمير المؤمنين علي رضي الله عنه الذين كان من مصلحتهم إشعال الفتنة بين المسلمين لكي يشغلوا عن ملاحقتهم والقصاص منهم لقاء ما اقترفت أيديهم من قتل عثمان الشهيد المظلوم رضي الله عنه، ومن ثم الشهيدين المظلومين على أيدي الغادرين الرافضة السبئية (طلحة والزبير) فلما تبته أمير المؤمنين علي رضي الله عنه لمكرهم سارعوا إلى اغتياله رضي الله عنه وإقرار اغتيال معاوية وعمرو معه لكي تبقى أبواب الفتنة في الأمة مفتوحة وينشغل أهل الإسلام عن تبليغ الرسالة ولكن الله أحبط مكرهم وخيب تديبيرهم وسلط عليهم جنده قادة الجهاد في البر والبحر بقيادة معاوية رضي الله عنه حليم الأمة وقائدها بعد الراشدين رضي الله عنهم.

وثاني اثنين في الغار المنيف وقد طاف العدو به إذ صعدا الجبلا
وكان حب رسول الله قد علموا من البرية لم يعدل به رجلا
وقد روي عن النبي ﷺ أنه ضحك سرورًا عندما سمع ذلك منه حتى بدت
نواجذه ثم قال: «صدقت يا حسان هو كما قلت»^(١).

٥- وثاني اثنين في صحبة النبي ﷺ يوم الهجرة وثباته لمخاطرها وأهوالها
وافتدائه لرسول الله ﷺ بنفسه وعمله الدؤوب على إنجاح الهجرة المباركة،
وحرصه اللا متناهي على راحة رسول الله في تلك المحنة من كل ما يؤذيه
حتى من أشعة الشمس، وسعيه على إطعامه وسقايته وبما يناسب ذوقه من
النظافة والظرافة في وجوه الحلال.

٦- وثاني اثنين في عريش بدر مستشارًا ومحاميًا ومؤنسًا ومشاركًا في إدارة أول
معركة حاسمة مع رسول الله ﷺ ضد المشركين.

٧- وثاني اثنين في المشورة والرأي والمداولة في أمور الدين والأمة والسياسة
والحرب والسلم على مدى زمن عصر الرسالة كله.

٨- وثاني اثنين في صحبة النبي ﷺ في إقامته وحله وترحاله وغزوه وقراره.

٩- وثاني اثنين في الصلاة: حيث كان هو المقدم إذا غاب رسول الله ﷺ، ومن
ذلك ما كان في مرض وفاته ﷺ إذ قدمه رسول الله ﷺ يصلي بالناس بضعة
أيام لم يرض غيره إمامًا حتى عمر الفاروق! وكان آخر ما ودع به ﷺ أمته أن
نظر إلى صفوفهم في الصلاة وهم يؤدونها خلف إمامهم أبي بكر رضي الله
عنه فجر اليوم الذي قبض فيه ﷺ، ومن فرحه ابتسم ابتسامه الرضا والسرور
لما رأى من انقياد الأمة لخليفته حتى كاد أن يفتن المسلمون عن صلاتهم من

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ٣/ ١٧٤. ابن عساکر: تاريخ دمشق، ٣/ ٩٠.

شدة فرحهم ظناً منهم أن رسول الله ﷺ قد تماثل للشفاء! إن إمامة أبي بكر الصديق هي الأمر الذي سرّ رسول الله ﷺ في يوم وفاته، وفرح له حتى تبسم وأشرق وجهه بالبشر كما جاء ذلك في حديث أنس الذي سبق ذكره، فكيف تغيظ هذه الصلاة التي سرت رسول الله ﷺ مسلماً يؤمن بالله واليوم الآخر ويضيق لها صدره؟! كما هو في بهتان الرافضة الذين يعلمونه ويورثونه لأتباعهم من مبغضي الصحابة، الذين يغيظهم إلى حد السكته القلبية والعقلية انقياد الأمة للراشدين ونجاحهم رضي الله عنهم في مواجهة المرتدين والمنافقين!!

١٠- وثاني اثنين في الزكاة: ظهر ذلك يوم امتنع المرتدون عن أداء الزكاة بعد وفاة النبي ﷺ فأقسم أبو بكر: «لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة» وبرّ بقسمه، فكان أحق الناس بقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَاللَّهُ عَنِيبُهُ الْأُمُورِ﴾^(١).

وكان مسيلمة الكذاب الرافض لخلافة النبوة المرتد عن سنة النبي ﷺ وجماعة المؤمنين قد اختصر الصلوات الخمس إلى ثلاث كما يفعل محبوه المعاصرون المحاربون لأصحاب رسول الله ﷺ، وقد كان إسقاط فرضين من فروض الصلاة مهراً للمتنبئة سجاح عندما تزوجها مسيلمة الكذاب، فأعاد أبو بكر الصديق الصلاة إلى ما كانت عليه في عصر رسول الله ﷺ أما رافضة هذا العصر الذين استمروا على ذلك المذهب، فإنهم لما وجدوا من يتعاون معهم ويرضى بفعلهم ويقرهم على باطلهم ممن يزعم أنه من أهل السنة والجماعة، ازدادت فتنتهم وتأصل تمسكهم بمذهب من أسقط صلاة

(١) سورة الحج، الآية: ٤١.

العصر التي أمر الله تعالى المؤمنين بالمحافظة عليها في وقتها، قال تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾^(١) فأسقط أعداء الصحابة قول الله تعالى وأمره وأخذوا بتشريع مسيلمة الكذاب!!

فتأمل أيها العاقل إلى أي هاوية سقطت الرافضة بعدائها لأصحاب رسول الله ﷺ ومخالفتها الرضا باختيار رسول الله ﷺ وخروجها على خلافة النبوة وإمامة الصديق رضي الله عنه، وانظر التقابل بين «الكذاب» و«الصدّيق» وكيف سلط الله تعالى صدّيق الأمة على كذابها؛ وكيف أن أعداء الصحابة ما زالوا يدافعون عن المرتدين بغضًا وكراهية للمؤمنين؟ فكم هو الفرق بينهما وبين أتباعهما؟! وتفكر في مرجعية كل منهما ومن ثم إلى أين تصير الأمور.

وإذا كان بعض الرافضة المرتدين أسقط من الصلاة فريضتين أو أكثر أو أقل وما زال أتباعهم إلى هذا العصر يصلون في ثلاثة أوقات، فإن بعض القبائل ارتدت مطلقاً عن إقامة الصلاة فأرجعهم خليفة رسول الله إلى إقامتها كما أمر بها الله تعالى. وقام بنشر الصلاة والزكاة في ربوع الأرض التي كانت تحت سيطرة فارس والروم، ولم تكن تقام فيها صلاة من قبل، وبذلك أصبح رضي الله عنه ثاني اثنين في تثبيت شرع الله في أرضه وبين عباده.

١١- وثاني اثنين في الحج: تحقق ذلك لخليفة رسول الله حين أمره النبي ﷺ على الحج في السنة التاسعة، وهي الحجة الوحيدة قبل حجة الوداع، والحجة الأولى في الإسلام التي أقامها أبو بكر رضي الله عنه بأمر من رسول الله ﷺ ورعايته وتوجيهه. وهكذا كان أبو بكر رضي الله عنه ثاني اثنين في أعظم أركان الإيمان والإسلام وهي الصلاة والزكاة والحج، ولهذا فإن أعداء أركان الإسلام يبغضون من أقامها وحماها وقاتل الرافضين لأي منها، ويكرهون من

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٣٨.

كان سبباً بتدين الأمة لله تعالى والتقرب إليه بأدائها، فسعد بالعمل بها كل من حافظ عليها كما تعلمها من رسول الله ﷺ دون زيادة أو نقصان.

١٢- وثاني اثنين في جمع القرآن: وهذه من أعظم خصائص الصديق ومناقبه التي أفرده الله بها! يفوز بشرف قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾^(١) فكان الذي قرأ القرآن وبلغه وكتبه رسول الله ﷺ، وكان الذي جمعه في مصحف واحد مرتباً بين دفتين أبا بكر الصديق رضي الله عنه؛ إذ كان الجمع متعذراً في عهد أولهما ﷺ لعدم اكتمال القرآن ونزوله مفرقاً لا مرتباً، فلما اكتمل آخر حياته ﷺ قام بهذا العمل الثاني خليفته من بعده، فهو أول من جمع ما بين اللوحين كما قال علي رضي الله عنه، ولا شك أن الله تعالى لا يوفق لكرامة هذا الإنجاز العظيم إلا المصطفين الأخيار والمقربين من الصديقين والأبرار الذين كان في مقدمتهم خليفة رسول الله ﷺ. قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾^(٢).

١٣- وثاني اثنين في قيادة الأمة: فكان خليفة رسول الله ﷺ متفرداً بهذا اللقب، فلم يُسم المسلمون به أحداً من الخلفاء وهو من الموافقات التي تؤكد المكانة المتعارف عليها بين المسلمين لأبي بكر رضي الله عنه بعد وفاة رسول الله وكان الصديق أحقهم بها لكمال متابعته لنيبه وسيره الكامل على نهجه في كل شؤون الدين والدنيا التي عاشها رضي الله عنه بعد وفاة النبي ﷺ، بينما سُمي من جاء بعده بـ (أمير المؤمنين) وهو لقب مشترك وليس مختصاً بواحد ممن خلف أبا بكر في قيادة الأمة.

١٤- وثاني اثنين في دعوة العرب إلى الإسلام وجهاد من ارتد منهم وإدخالهم

(١) سورة القيامة، الآية: ١٧.

(٢) سورة فاطر، الآية: ٣٢.

أو إرجاعهم إلى الإسلام الكامل الصحيح الذي أراده رسول الله ﷺ ودعا إليه، إذ جاهدهم النبي ﷺ على الإسلام كافرين ومشركين، وجاهدهم الصديق رضي الله عنه مرتدين أو زائغين.

١٥- وثاني اثنين في تبليغ الإسلام للعالمين: فأول من خرجت جيوشه لمواجهة قوى ذات امتدادات خارج الجزيرة العربية هو رسول الله ﷺ في مؤتة وتبوك، لفتح الأبواب أمام تبليغ الدين وتأدية الرسالة إلى الناس أجمعين، وعقد ﷺ الراية آخر أيامه لأسامة بن زيد رضي الله عنه، ولكن الأجل عاجل رسول الله ﷺ قبل مسير جيش أسامة، فلما بويع الصديق رضي الله عنه كان من أهم ما يشغله هو تنفيذ أمر رسول الله في إنفاذ جيش أسامة إلى ما أمر به فأنفذه رضي الله عنه مع كل الظروف العصيبة المحيطة بالمسلمين آنذاك؛ حرصاً على تحقيق مراد رسول الله ﷺ دون أي تأخير أو توان، ثم توالى من بعد ذلك جيوش خليفة رسول الله ﷺ تجوب الآفاق تدك عقبات الطغيان الفارسي والرومي ومن يدين بالولاء لهم أمام انتشار الإسلام بقيمه وسماحته.

١٦- وثاني اثنين في الصدق والتصديق: وهذه صفة اشترك فيها مع رسول الله ﷺ حيث كان المشركون في الجاهلية يسمون رسول الله ﷺ الصادق الأمين، بينما سمي رسول الله ﷺ صاحبه بالصدِّيق؛ وهذا ما كان معروفاً عنه عند العرب حتى في الجاهلية فقد وصفه ابن الدغنة^(١) وهو أحد شيوخ قبائل العرب لما رآه عازماً على الهجرة من مكة إلى الحبشة بما كان يوصف به رسول الله ﷺ فقال: «ما مثلك يا أبا بكر يخرج، إنك لتصدق الحديث وتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتعين على نوائب الدهر». فوصفه بالصفات التي

(١) تاريخ الخلفاء، ١/ ٣١.

وصفت بها خديجة رضي الله عنها رسول الله ﷺ أول عهده بالوحي، وأولها الصدق: «إنك لتصدق الحديث...». ثم نزل الوحي ليصدق كل ذلك في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾^(١).

١٧- وثاني اثنين في منزلته في الأمة بعد الأول ﷺ: إذ تفرد بكثير من المنازل التي لم ينلها غيره مثلما تفرد في الأمة بلقب «الصديق» هكذا مطلقاً دون أي قيد، ومصداق ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾^(٢). فكان محمد هو النبي الصادق ﷺ وأبو بكر رضي الله عنه هو خليفته الصديق، ثم يأتي من بعدهم بقية الصحابة ما بين شهيد وصالح؛ فأمة الصحابة أمة الشهداء والصالحين، وصديقها أبو بكر ونبينا محمد رسول الله ﷺ، وهذا ما أكدته ﷺ لما كان مع ثلثة من أصحابه على جبل أحد ورجف بهم. فقال ﷺ: «اثبت أحد، فما عليك إلا نبي وصديق وشهيدان»^(٣). وكان معه أبو بكر الصديق الذي توفي على فراشه، وعمر وعثمان وعلي وطلحة وآخرون كلهم ماتوا شهداء! فأبو بكر أفضل صديق لأفضل نبي ﷺ في خير أمة، فهو خيرة البشر بعد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فمن أولى منه بإمامة الأمة وقيادتها والسير بها على منهج رسول الله ﷺ؟ بالتأكيد لا أحد، وإذا كان الأمر كذلك فإنه لن يكون في الوجود من هو أشر وأسوأ ممن يرفض ما يريد رسول الله ﷺ ويأمر به ويدعو له، ولا سيما فيما يوجب محبة ومناصرة صاحبه ونصيره وخليفته الصديق ولا يوجد أظلم وأكذب ممن يرفض أمر رسول الله ﷺ.

(١) سورة الزمر، الآية: ٣٣.

(٢) سورة النساء، الآية: ٦٩.

(٣) البخاري: صحيح البخاري، فضائل الصحابة، باب فضائل أبي بكر، ح (٣٦٧٥).

١٨- وثاني اثنين في التقوى: ففيه وفي رسول الله ﷺ نزل قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ ۗ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾^(١). وهل يوجد أتقى ممن جمعه الله تعالى مع نبيه ﷺ ووصفه بما وصفه به في تقواه! وأدل على ذلك قوله تعالى عنه: ﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ۖ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى ﴾^(٢). فأبو بكر رضي الله عنه هو الأتقى من بين الأمة وهو الأكرم كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَى ﴾^(٣). وهذا ظاهر في صفات أبي بكر رضي الله عنه وفي ورعه وتقواه كما هو واضح في سيرته ومولاته وطاعته لله ولرسوله ﷺ.

١٩- وثاني اثنين في الإحسان: والإحسان أعلى درجات الإيمان، وهو أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك، وهذا ما تحقق به حال خليفة رسول الله طوال حياته رضي الله عنه، وهذا ما وصف به مع رسول الله ﷺ في قوله تعالى: ﴿ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴾^(٤) أما باب الإحسان المادي والكرم عند أبي بكر رضي الله عنه فهو الباب الذي لا يبارى فيه ولا يجارى بعد رسول الله ﷺ حتى عرف ذلك عنه القريب والبعيد بشهادة القرآن الكريم له في قوله تعالى: ﴿ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى ﴾^(٥).

٢٠- وثاني اثنين في الجزاء والرضا: قال الله تعالى في كتابه للنبي ﷺ: ﴿ وَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ﴾^(٦) وقال عن «صاحبه» وخليفته أبي بكر: ﴿ وَسَوْفَ يَرْضَى ﴾^(٧) في قوله تعالى: ﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ۖ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى ۗ وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى ﴾^(٨) ﴿ وَسَوْفَ يَرْضَى ﴾^(٨). ولم يعد الله تعالى

- | | |
|--------------------------------|----------------------------------|
| (١) سورة الزمر، الآية: ٣٣. | (٢) سورة الليل، الآيتان: ١٧، ١٨. |
| (٣) سورة الحجرات، الآية: ١٣. | (٤) سورة الزمر، الآية: ٣٤. |
| (٥) سورة الشمس، الآية: ١٨. | (٦) سورة الضحى، الآية: ٥. |
| (٧) سورة الليل، الآية: ٢١. | |
| (٨) سورة الليل، الآيات: ١٧-٢١. | |

أحدًا من عباده بعينه بذلك سوى نبيه ﷺ وصاحبه رضي الله عنه والتعبير عن الوعد لرسول الله ﷺ ولصاحبه جاء بتعبير واحد. فقال لنبيه ﷺ: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَارَضَىٰ﴾ وقال لخليفة نبيه رضي الله عنه ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾ وهذا لم يكن لأحد من الناس سوى أبي بكر إمام الأمة وقائدها بعد نبيها ﷺ في توصيف خاص به يشهد بمكانته، شهادة يلجم مقامها السامي المتألق إلى قيام الساعة كل من ينفخ في أنفه الشيطان ليسوق كاذبًا بين المسلمين أن هناك إمامًا أو قائدًا للأمة بعد رسول الله ﷺ بمقام خليفته الصديق رضي الله عنه ولو تدبر القارئ معاني الألفاظ في قوله تعالى: ﴿وَجَزَّيْنَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(١) لوجد أن الله تعالى شرف خليفة نبيه بمشاركته فيما وصف به رسول الله ﷺ في نيل جزاء المحسنين بأحسن الأجر على أحسن العمل.

٢١- وثاني اثنين في التنويه بالذكر والفضل تشخيصًا في القرآن الكريم: إذ إن كل ما ورد في القرآن الكريم من فضائل في شأن الصحابة رضي الله عنهم جاءت في صيغة العموم، وليس في صيغة التخصيص التي يفهم منها تشخيص المراد بالذكر منهم دون الرجوع إلى علم معرفة أسباب النزول إلا رسول الله ﷺ فهو الأصل، والقرآن كله في كرم فضائله وفضائل صاحبه، فإن آية الغار قد تواطأت الروايات والقلوب والعقول على أنها في الصديق وحده دونما حاجة للرجوع إلى أسباب النزول لأن الأمة مجمعة على أنه إذا ذكر لفظ (صاحبه) أو (صاحب رسول الله) هكذا دون قيود؛ فمن المعلوم لدى كل مسلم أنه لا يخطر في البال ولا يرد على الذهن سوى خليفته الصديق، أما بهتان الرافضة الذي يدينون به ويروجونه في صفوف الجهلة وفاقدي الضمائر والعقول؛ فلا يلتفت إليه عاقل، ولا يسمعه إلا حاقد وحرب على الله ورسوله ﷺ، أما من يكتبه ويدونه كما هو

(١) سورة الزمر، الآية: ٣٥.

حاصل في كتب الكثير من غوغاء هذا العصر مرددًا لأقوال الرافضة ومُجمّعًا لإفكهم وطعنهم بأصحاب رسول الله ﷺ وهو يزعم أنه كاتب أو ناقد فهذا قد جمع الجهل وعداء الصحابة ورفض القرآن والسنة وحسبك بذلك سفهاً وإثمًا وانحطاطًا عندما يأتي من لا يميز بين الإفك والفلك ليجعل من نفسه المظلمة الظالمة ناقدًا لأصحاب محمد ﷺ ويرد سيرتهم الطاهرة وإنجازاتهم الباهرة وأيام عدلهم الزاهرة، وعدالتهم التي شهد بها القرآن والسنة المطهرة، ويدعو الناس إلى الأخذ بهديانه وبهتانه!!

وأما ما ذكر بأن بعض الصحابة ذكروا في القرآن مثل اسم (زيد) الذي جاء ذكره في سورة (الأحزاب) فإنه قد ورد عرضًا دون إشارة إلى مدح أو ذم في قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا فَصِنَ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا ﴾ (١) وأما ذكر الثلاثة الذين خلفوا وذكروا في سورة (التوبة) فهم قد ارتكبوا ذنب التخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك ثم تابوا من ذلك الذنب وصدقوا الله ورسوله ﷺ فتاب الله عليهم، ولا يمكن معرفتهم دون الرجوع إلى روايات أسباب النزول للوصول إلى أسمائهم وتفاصيل موقفهم وما حصل لهم جراء ذلك الموقف جر عليهم الكثير من الآلام ثم لما صدقوا وصبروا كان سببًا في توبة الله عليهم. قال تعالى: ﴿ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّىٰ إِذَا صَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَصَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ (٢).

٢٢- وثاني اثنين يوم الحديبية: في ذلك اليوم الذي لم تستطع نفوس الصحابة أن تبصر ما تبصره عين النبوة من مصالح الدعوة والنظر لمستقبلها، إذ حال بينهم وبين ذلك حبههم لنصرة رسول الله على من عانده وخذله وهجره ﷺ

(٢) سورة التوبة، الآية: ١١٨.

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٣٧.

وحماسهم لإعزاز دينه وجعل كلمة الله هي العليا وشوقهم إلى بيت الله الحرام وإلى الطواف في ربوعه الطاهرة والتعلق بأستار الكعبة المشرفة وتطهير البيت العتيق من رجس الأوثان وشرك الجاهلية، كل ذلك زرع في نفوسهم قوة الإرادة والاستعداد التام لاجتياح الشرك المهيمن على بيت الله الحرام، وقد زادهم إرادة على إرادتهم موقف قريش المتصلب وغلظة رئيس وفدهم المفاوض سهيل بن عمرو وموقفه الجاهلي من ولده المؤمن أبي جندل الذي تفلت من المشركين وجاء لائئلاً بالمسلمين من ظلم المشركين، وإصراره على رده إلى المشركين، وأبو جندل يقول: يا معشر المسلمين أأرُدُّ إلى المشركين أفتن في ديني؟! فضلاً عن جلافة تعامل مندوب ذلك الوفد الذي تعامل معه رسول الله ﷺ بمتهى الرقة واللطفة واللين والتسامح طمعاً في نشر السلم ودخول قريش في الإسلام دون قتال^(١) يضاف إلى ذلك شروط الصلح التي كان الصحابة يرون أن رسول الله ﷺ تساهل مع قريش أكثر مما تستحق، وأن ذلك قد يزيدهم كبراً وتمنعاً أمام نشر الدين أو لعلهم يفسرون ذلك ضعفاً فيزيدهم طمعاً وجرأة على المسلمين، كل تلك العوامل كانت سبباً مباشراً فيما اتخذته الصحابة من موقف متشدد تجاه قريش وجعل البعض منهم يزداد إلحاحاً على رسول الله ﷺ في ألا يمضي لقريش تلك الشروط التي كانوا يرونها مجحفة بحق المسلمين، فيما عدا خليفة رسول الله الذي لم يتزحزح عن موقفه المعهود في التوافق التام مع ما يتخذه رسول الله ﷺ من مواقف دون أن يكون على علم بتفاصيل ما يفعله أو يقوله رسول الله ﷺ، وهو الوحيد من الصحابة رضي الله عنهم الذي تابع المتابعة التامة «لصاحبه» في كل شيء دون تلجلج أو تردد أو توانٍ، بل كان منشرح الصدر إيماناً و يقيناً وفهماً

(١) البيهقي: السنن الكبرى، باب الهدنة على أن يرد الإمام من جاء بلده، ح (١٨٦١١) معرفة السنن والآثار، جماع الهدنة على أن يرد الإمام من جاء من بلده، ح (٥٥٧١).

واستشراقاً لمستقبل هذا الدين وأهله، والجمع المؤمن كله مغموم مكروب ومنهم عمر وعلي وغيرهما من الصحابة رضي الله عنهم، لردهم عن البيت الحرام، ولما حصلت عليه قريش من شروط الصلح التي تغريهم وتسترضيهم في أكثر بنودها.

وعمر يقول: يا نبي الله ألسنت نبي الله حقاً؟ فيجيبه ﷺ: «بلى» قال: فلم نعطي الدنيا في ديننا؟ فقال ﷺ: «إني رسول الله ولست أعصيه وهو ناصرني» ويذهب عمر رضي الله عنه إلى أبي بكر رضي الله عنه والموقف عصب ليلقي عليه الأسئلة ذاتها فيتلقى الأجوبة ذاتها التي سمعها من رسول الله ﷺ قال عمر: فأخذ أبو بكر بيدي وجذبها بقوة وقال لي: أيها الرجل إنه رسول الله ولن يعصيه وإن الله ناصره، فاستمسك بغرزه فوالله إنه على الحق. وبعد أن سمع عمر هذا الرد من رسول الله ﷺ وصاحبه رضي الله عنه زال ما في قلبه من حرقة وألم على مسالمة قريش التي أخرجت رسول الله ﷺ وأذت المسلمين وعذبتهم وفتنتهم عن دينهم، وعلم أن ما يراه رسول الله هو الحق فأنزل الله السكينة على قلبه وعاد إلى ما كان عليه من العمل بين يدي رسول الله ﷺ والاستجابة التامة لكل ما يشير إليه دون توانٍ أو تأخير، ولم يكن عمر رضي الله عنه هو الوحيد الذي وصل إلى هذه الحال، ولكن هناك غيره ومنهم علي رضي الله عنه الذي رفض أن يمحو من كتاب الصلح كلمة «رسول الله» عندما اعترض عليها مبعوث قريش المفاوض عنها مع أن الذي أمره بمحوها هو رسول الله ﷺ نفسه، ولكنه لم يفعل ذلك لأنه كان يرى أنها استجابة لمبعوث المشركين الجلف حتى اضطر رسول الله إلى محوها بيده الشريفة ﷺ بعد أن دله على موضعها في الكتاب علي رضي الله عنه! (١).

(١) ابن أبي شيبة: المصنف، ك. المغازي، باب غزوة الحديبية، ح (٤) البخاري: ك. المغازي، باب عمرة الحديبية، ح (٤٢٥١). مسلم: ك. الجهاد والسير، باب صلح الحديبية، ح (١٧٨٣).

٢٣- وثاني اثنين في الابتلاء: إن أخطر وأقذر وأسوأ مطعن وُجه إلى رسول الله ﷺ كان في عرضه وإلى أهل بيته وأحب الناس إليه زوجته أم المؤمنين الطاهرة عائشة رضي الله عنها. والطاهرة عائشة ابنة أبي بكر فكان أبو بكر رضي الله عنه ثاني اثنين في أخطر المطاعن التي قادها المنافقون ومرجعهم ابن أبي ابن سلول الذي كان ينفث سمومه في المجتمع الإسلامي بمكر وباطنية وخبث ورثه عن حلفائه وأصدقائه وجيرانه اليهود! ولما فضح الله تعالى المنافقين ومن ردد بهتانهم بقصد أو غير قصد قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ وَمَنْ لَمْ يَحْضُرْ شِرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ مَا أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (١).

فنالوا جزاءهم العادل بالتعزير في الدنيا فيما سوى مرجعهم الذي لجج بالنفاق والتدليس، وجاء التحذير القرآني الواضح بأن كل من يعود للحديث بتلك الفرية، فإنه من المنافقين وليس من المؤمنين. قال تعالى: ﴿يَعْظَمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ (٢) فأصبحت براءة الطاهرة أم المؤمنين ديناً يدين به المؤمنون في قرآن خالد يتلونه ويترنمون به فخاراً واعتزازاً وإيماناً إلى قيام الساعة، وفي الوقت ذاته أصبح بهتانها الذي لا زال يدين به الرافضة جريمة تجمع على صاحبها كل رذائل هذا الكون من الكذب والبهتان والنفاق والكفر وكراهية رسول الله ﷺ وبغضه وبغض أهل بيته الطاهرة المبرأة رضي الله عنها وأرضاها، وعلى هذا فإن أي دارس أو باحث في التاريخ الإسلامي إذا أراد أن يعلم أشد الناس نفاقاً وبغضاً لرسول الله ﷺ ولأهل بيته أم المؤمنين الطاهرة عائشة رضي الله عنها؛ فإنما عليه أن يعرف من يرفض نصوص القرآن

(١) سورة النور، الآية: ١١.

(٢) سورة النور، الآية: ١٧.

ويردها عمدًا وعنادًا وإمعانًا في الإعلان عن الحقد والكراهية لرسول الله ﷺ ولصاحبه الصديق ولأم المؤمنين الزكية التقية الرضية عالمة الإسلام بلا منازع، الفقيهة الخطيبة اللببية العاقلة المؤمنة الصدّيقة، مزيلة هموم رسول الله ﷺ في بيته ومدخلة السرور والحبور والهناء إلى نفسه الطاهرة ﷺ، أولئك هم أعداء رسول الله الرافضون لستته، أشد الناس خطرًا وأكثرهم شرًا وضرًا لدين محمد ﷺ وحقًا وبغضًا لأصحابه ولأبناء أمته وولاء لأعدائهم.

٢٤- وثاني اثنين في مواجهة أهل بيته للمخاطر: مثلما تعرض رسول الله ﷺ لأخطار المشركين وأذاهم الذي طال حتى بناته الطاهرات المؤمنات المجاهدات رضي الله عنهن وأرضاهن، وكذلك صاحبه الصديق تعرض بيته يوم الهجرة لأذى عتاة المشركين وزعماء مكة الذين كانوا يطلبون معرفة مكان رسول الله ﷺ وصاحبه الأمين، من ابنتيه الطاهرتين أسماء ذات النطاقين وعائشة الطفلة المؤمنة البريئة المبرأة، فكان الكفار يترددون بين بيت النبي ﷺ وبيت أبي بكر رضي الله عنه حتى إن أبا جهل تجاوز كل قيم العرب آنذاك في العدوان على ابنة الصديق أسماء رضي الله عنها حين لطمها على وجهها الشريف فأطار قرطها من أذنها وأدمى وجهها وهي فتاة يانعة، إمعانًا في إيذاء أبي بكر رضي الله عنه الذي كان يحنو على رسول الله ﷺ أكثر من حنو الأم على وحيدها، وإرهابًا لذلك البيت المؤمن المتعاون مع رسول الله إلى أقصى حدود التعاون والطاعة؛ بما فيه من رجال ونساء وبنين وبنات وموالٍ، خدمة لرسول الله ﷺ وإنجاح مشاريعه الإيمانية العظيمة! وبذلك وضع خليفة رسول الله كل إمكاناته منذ ما قبل الهجرة في خدمة رسول الله ﷺ ودعوته، ولم يبال بالأخطار التي كان يمكن أن تعرضه للمحو والاجتثاث على أيدي عتاة المشركين، انتقامًا من ذلك الدور الرائد في العطاء والتضحية لولا لطف الله تعالى، ومن ثم نباهة أبناء

وبنات خليفة رسول الله المجاهدين الصابرين المحتسبين الذين أصبحوا بتلك التضحيات من أكثر الناس خدمة للإسلام والمسلمين ومن أحب الناس إلى أمة محمد ﷺ وأبغضهم إلى المنافقين والمرتدين الراضين لسنة رسول الله ﷺ والمحاربين لأهلها!

٢٥- وثاني اثنين بعد وفاته رضي الله عنه: وكما كان خليفة رسول الله في حياته ملازمًا لنبيه ﷺ في كل الأوقات والظروف مؤمنًا ومصداقًا ومساندًا ومناصرًا ومتعلمًا وعالمًا؛ فكذلك بعد وفاته بقي ملازمًا لرسول الله ﷺ حريصًا على القرب والجوار حتى تحقق له ذلك بعد وفاته كما تحقق له في حياته، فأصبح خليفة رسول الله أقرب الناس إليه في إشارة إلى حاله في الدنيا وعلى حاله مع رسول الله في الآخرة! فكان قبره بجوار قبر «صاحبه» ليتفرد أبو بكر رضي الله عنه بالصحبة والجوار ويفوز بهما حيًا وميتًا!! ولتحقق فيه قول الله تعالى: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّا اللَّهُ مَعَنَا﴾^(١) لتتجلى لخليفة رسول الله بركات هذه الآية الكريمة بعد موته، كما تجلت له بركاتها أيام حياته في معية أبدية سرمدية، وجوار دائم لا فراق فيه، وصحبة لا تنقطع، في جنة عرضها السماوات والأرض، ولمثل ذلك فليعمل العاملون.

ومن خصائصه الأخرى:

أول الناس إسلامًا:

قال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه عن قدم إسلام الصديق: قال أبو بكر: ألسنت أول من أسلم؟ ألسنت أحق بهذا الأمر؟ ألسنت صاحب كذا؟ ألسنت صاحب كذا؟^(٢) كل ذلك

(١) سورة التوبة، الآية: ٤٠.

(٢) ابن حبان: ك. مناقب الصحابة، ح (٦٨٦٣) البزار: مسند البزار، مسند أبي بكر، باب أبي سعيد الخدري، ح (٣٥).

بين يدي أصحاب رسول الله ﷺ جميعًا، فلم يتفوه أحد بكلمة تساؤل أو استفسار لأن كل ذلك كان معلومًا عند الجميع رضي الله عنهم، قال يوسف بن الماجشون: أدركت مشيختنا ابن المنكدر وربيعه وصالح بن كيسان وعثمان بن محمد لا يشكون أن أبا بكر أول القوم إسلامًا. وقال ميمون بن مهران مؤكدًا ذلك السبق إلى آمام بعيدة تزيل كل شك وتنفض كل غبار يثار على خصائصه رضي الله عنه: لقد آمن أبو بكر بالنبى ﷺ من زمن بحيرى الراهب واختلف بينه وبين خديجة حتى تزوجها ﷺ، وذلك قبل أن يولد علي رضي الله عنه!! وكانت تساق إليه الأشناق في الجاهلية وهي الديات التي يتحملها من يحب قومه وعشيرته ويحب السلم والعافية والإصلاح بين الناس، فكان إذا تحمل شيئًا من ذلك فسأل فيه قريشًا مدحوه وأعانوه وأمضوا إليه حمالته، فإن احتملها غيره لم يصدقوه، وروي بسند جيد عن جعفر بن محمد الصادق عن أبيه عن عبد الله بن جعفر قال: ولينا أبو بكر فخير خليفة أرحم بنا وأحناء علينا^(١). وقال إبراهيم النخعي: كان أبو بكر رضي الله عنه يسمى الأواه لرأفته^(٢) وما ذلك إلا لتبجيله لأهل الإيمان بعد أن كابد أهل الشرك بطغيانهم وكثرتهم وضعف المؤمنين وقتلهم، يضيقون على المؤمنين بكل شيء في حياتهم، لهذا كان رؤوفًا بالمؤمنين شديدًا على الكافرين والمنافقين الراضين لسنة رسول الله ﷺ لما يعرف من مكرهم وكيدهم وحقدهم على الإسلام وأهله، ومن لا يعرف الجاهلية لا يعرف الإسلام.

فلا شك أن السبق المجرد لا مزية له ما لم يقترن به المقصود منه ألا وهو استغلال وقت السبق في الجهاد والعمل النافع مما يعطيه الأولوية عند المقارنة بمن تأخر، فإذا عمل المتأخر أكثر وأنفع كان له الفضل وإن تأخر زمن نزوله إلى الميدان، لذلك قد يتخلف السابق ويتقدم اللاحق، والصادق في الطلب قد يسبق المتقدم في الزمن، أما خليفة رسول الله فقد سبق في الزمن والطلب وثبت على ذلك إلى نهاية مشوار الحياة حتى لقي ربه عز وجل.

(١) ابن عساکر: تاريخ دمشق، ٣٠/٣٨٦. ابن حجر: الإصابة، ٤/١٧٤. ابن عبد البر: الاستيعاب، ٣/٩٧٢.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ٣/١٧٠. ابن حجر: الإصابة، ٤/١٧٤.

فالقول بأن علياً رضي الله عنه أسلم قبل أبي بكر رضي الله عنه أو أن أبا بكر أسلم قبل علي، وبعضهم يلجأ إلى حل وسط فيقول: أول من أسلم من الرجال أبو بكر وأول من أسلم من الصبيان علي لا معنى له، وما هو إلا من الجدل الفارغ ولا قيمة له في ميزان النتائج، لأن الأفضلية والقيمة للعمل لا للزمن المجرد. ولذلك حينما ذكر الله تعالى فضل من آمن قبل الفتح على من تأخر من بعده لم يعلق الفضل بمجرد السبق في الزمن، وإنما علقه بالعمل الذي هو الإنفاق والقتال. فقال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ أَوْلِيكَ أَعْظَمَ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحَسَنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾^(١) وإلا فإن بعض المسلمين سبق في إسلامه الفتح لكنه لم يهاجر ولم ينفق ولم يقاتل. وهؤلاء قال الله تعالى عنهم: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَبَالٍ لِيَبْغَى الَّذِينَ كَفَرُوا سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾^(٢).

فكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه أول الناس إسلاماً سرّ رسول الله ﷺ وأنسه ونصره ونفع الدين والأمة أعظم النفع، فكان أول داعٍ في الإسلام بعد رسول الله ﷺ أسلم على يديه وجوه المجتمع وقادته، وهو أول خطيب أفصح عن مقاصد الدين في وجوه عتاة الجاهلية ورافعتها، وأول من دافع عن النبي ﷺ من المسلمين بيده ولسانه، وأول من ضرب من أحرار المسلمين ووجوههم ضرباً شديداً حتى حمل مغشياً عليه لا يشك أحد في موته، وليس ذلك جرأة عليه أو حباً في إيذائه لما له من مكانة في نفوس الناس آنذاك، ولكن لما أبداه من حذب على رسول الله ﷺ وحب له ولما جاء به، ولما يحمله إيمانه من غيره عليه وعلى دينه، كان خليفة رسول الله يسعى أن يحول بها بين قريش وبين النفاذ إلى رسول الله ﷺ في شيء يؤديه أو يقف أمام تحقيق أهدافه. وهو أول من بذل ماله كله في نصرته الإسلام والمسلمين وفي قضاء حوائج رسول الله ﷺ ليكون سبباً في تفرغه للدعوة وتبليغ الناس ما جاءه عن ربه، فكان هو المقصود بقوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ أَوْلِيكَ

(١) سورة الحديد، الآية: ١٠.

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٧٢.

أَعْظَمُ دَرَجَةً ﴿١﴾ وأحق الناس بموضع منة الله تعالى على النبي ﷺ وهو يخاطبه بقوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾﴾ ففي مواقف خليفة رسول الله أبي بكر رضي الله عنه المتفانية في خدمة النبوة والمنافحة عنها بعد رعاية الله تعالى لها شرح الله صدر نبيه ﷺ وخفف عنه حملة في تبليغ الرسالة ومواجهة الجاهلية وبغيها وصلفها الذي أنقض ظهره ﷺ.

فشتان بين أولية إسلام أبي بكر رضي الله عنه وسبقه في كل شيء وبين من أسلم لدعوة النبي ﷺ وهو صبي ما بين الثامنة والعاشرة من عمره رضي الله عنه لا يستطيع أن يشارك النبي ﷺ في تحمل ما كان يعانيه من هموم الدعوة أو يشاركه في رأي، ولم يكن يستطيع أن يعلن إسلامه ويظهر به بين المشركين، فضلاً عن أن يجاهدهم عليه أو يدعوهم إليه كما كان أبو بكر يدعو إلى الإسلام ويجاهد في سبيل الله بماله ونفسه، ولم يكن قادراً أيضاً على الدفاع عنه بيده أو لسانه، وليس عنده من مال يكفي به نفسه فضلاً عن أن يبذله على رسول الله ﷺ أو دعوته أو على أحد من ضعفة المسلمين كما كان يفعل خليفة رسول الله الصديق رضي الله عنه، بل كان علي رضي الله عنه نفسه في كفالة النبي ﷺ مادياً ومعنوياً يأكل في بيته ويأوي إليه ويلبس مما ينفقه عليه ﷺ فهو أحد هموم النبي ﷺ ولذلك نزل في حق الصديق رضي الله عنه من الآيات ما لم ينزل في حق غيره من المؤمنين. وهذا ما كان علي رضي الله عنه يطريه وينوّه به في كل مجلس تُذكر فيه التضحية والفداء أو البذل والعطاء؛ ولكن أعداء الصحابة قوم يجحدون أهل الفضل ويبهتونهم، ويرفضون الحق ويردون، والغوغاء التي تتبع كل ناعق لا تتفكر ولا تتدبر في كثير مما تسمعه أو تراه أو تقرؤه.

ومن خصائصه وصفه بما وصف به رسول الله ﷺ:

مما يؤكد علو منزلته التي امتاز بها، فقد وصفه ابن الدغنة سيد قبيلة القارة بنظير

(١) سورة الحديد، الآية: ١٠.

(٢) سورة الشرح، الآيات: ١-٣.

ما وصفت به خديجة النبي ﷺ لما بُعث فتواردا فيهما على نعت واحد من غير أن يتواطأ على ذلك، وهذا غاية في مدحه لأن صفات النبي ﷺ منذ نشأ كانت أكمل الصفات، فلما ابتلي المسلمون، خرج أبو بكر رضي الله عنه مهاجراً قبل أرض الحبشة، حتى إذا بلغ برك الغماد لقيه ابن الدغنة، فقال له: أين تريد يا أبا بكر؟! فقال: أخرجني قومي، فأريد أن أسيح في الأرض، وأعبد ربي، فقال ابن الدغنة: مثلك يا أبا بكر لا يُخرج ولا يُخرج إنك تكسب المعدوم، وتصل الرحم، وتحمل الكل، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق، فأنا لك جار، فارجع فاعبد ربك ببلدك، فارتحل ابن الدغنة ورجع مع أبي بكر^(١).

فلا شك أن وصف أبي بكر بما يوصف به رسول الله ﷺ يعد خصيصة عظيمة انفرد بها من بين جموع المؤمنين على مر الدهر، وكان أبو بكر لا يتهم في حياته بخيلاء أو كبر أو شيء من أخلاق الجاهلية لبرائه منها، وكل ذلك بشهادة رسول الله وتزكيته له حين قال ﷺ: «من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة». قال أبو بكر: يا رسول الله، إن أحد شقي إزاري يسترخي، إلا أن أتعاهد ذلك منه. فقال ﷺ: «لست ممن يصنع ذلك خيلاء»^(٢). وقوله ﷺ: «إنك لست تصنع ذلك خيلاء»^(٣).

ومن خصائصه الصعبة الخاصة الزاهرة المنيرة التي أشرقت بها سيرته رضي الله عنه التي لا يجحدها إلا من أعمى الله بصره وبصيرته وهي قوله تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ﴾^(٤) وتأكد تلك الصعبة الخاصة بكتابه العزيز لتبقى شاهداً على الإخلاص والفداء والتضحية

(١) الصنعاني: المصنف، ك. المغازي، باب من هاجر إلى الحبشة، ح (٩٧٤٣) البخاري: ك: الكفالة، باب: جوار أبي بكر، ح (٢١٧٥).

(٢) البخاري: صحيح البخاري، كتاب اللباس، باب من جر إزاره من غير خيلاء، حديث رقم (٥٧٨٤).

(٣) البخاري: صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي ﷺ: «لو كنت متخذاً خليلاً» ح (٣٦٦٥).

(٤) سورة التوبة، الآية: ٤٠.

التي كان يبذلها خليفة رسول الله في كل مراحل حياته العامرة بالإيمان والعطاء والفداء والتضحية؛ لتبقى نبراساً يهتدي به المؤمنون وناراً تحرق الزنادقة الراضين لخلافته ولصحبته التي يشهد بها كتاب الله لكيلا يبقى مكان لأعداء الصحابة والمنافقين يُلبَّسون فيه على الأمة، فليس أمامهم ملجأ ولا مغارات يولون إليها، فلا بد من امتحانهم واختبارهم على ما يكشف حقيقتهم فإما القرآن وفيه صحبة الصديق رضي الله عنه وخلافة رسول الله ﷺ وإما الرفض وفيه الردة وتكذيب كتاب الله تعالى، وبهذا الجلاء والوضوح يكون الموقف من أذعياء السنة ممن يريدون أن يجمعوا الخير المتمثل في الإيمان بالله ورسوله وصحبة أبي بكر رضي الله عنه لرسول الله ﷺ كما هي في كتابه العزيز؛ والشر المتمثل في تكذيب القرآن ورفضه وجحود إمامة خليفة رسول الله التي أجمع عليها المهاجرون والأنصار وقاتلوا من جحدها أو رفضها أو شكك بها أو خرج عليها أو فضل غيرها ممن جاء بعدها عليها، كل ذلك قاتل عليه حملة القرآن والسنة لكيلا يأتي في هذا العصر أبله أو مدسوس فيلبس على أهل السنة دينهم فيخلط الحق بالباطل راداً لصريح القرآن وإجماع الأمة فينادي بالتقريب بين الخير والشر وبين الحق والباطل، فمن لا يؤمن بصحبة خليفة رسول الله لا مكان له بين أتباع رسول الله ﷺ في الدنيا ولا في الآخرة؛ لأن خليفة رسول الله لم يفارق صاحبه في الدنيا ولم يفارقه في حياة البرزخ ولن يفارقه على الحوض، صحبة وضعت أسسها في أباطح مكة وجبالها وحول زمزم وأركان الكعبة فشيدها بنيانها حتى قال رسول الله ﷺ لأبي بكر رضي الله عنه: «أنت صاحبي على الحوض، وصاحبي في الغار»^(١). فلا مكانة ولا إمامة إلا على منهج رسول الله ﷺ وستته، ومن ثم على طريق خليفته رضي الله عنه قال ﷺ: «لا ينبغي لقوم فيهم أبو بكر أن يؤمهم غيره»^(٢). فصحبة خليفة رسول الله خاصة امتازت بكثير من جوانبها عن صحبة غيره من الأكرمين.

(١) سنن الترمذي: كتاب المناقب، باب في مناقب أبي بكر وعمر، ح (٣٦٧٠) قال: هذا حديث حسن صحيح غريب.

(٢) الترمذي: السنن، كتاب المناقب، باب في مناقب أبي بكر وعمر، ح (٣٦٧٣).

خاصية شرف إعلان ظهور الإسلام:

كان أبو بكر رضي الله عنه أول من ألقى على رسول الله ﷺ لإظهار الدين وإعلان الإسلام. فلما اجتمع أصحاب النبي ﷺ وكانوا تسعة وثلاثين رجلاً قال رسول الله: «يا أبا بكر إنا قليل». فلم يزل أبو بكر يلح حتى ظهر رسول الله ﷺ وتفرق المسلمون في نواحي المسجد، كل رجل في عشيرته، فقام أبو بكر رضي الله عنه في الناس خطيباً ورسول الله جالس في المسجد فكان خليفة رسول الله أول خطيب دعا إلى الله ورسوله جهاراً. فثار المشركون على أبي بكر رضي الله عنه وعلى المسلمين يضربونهم في نواحي المسجد، ووطئ أبو بكر وضرب ضرباً شديداً... إلخ^(١).

هذه صورة لأصحابي أشرب قلبه حب الله ورسوله أكثر من حبه نفسه، ولم يعد يهمله بعد إسلامه إلا أن تعلو راية التوحيد ويرتفع النداء: لا إله إلا الله محمد رسول الله في أرجاء مكة حتى لو كان الثمن حياته وكاد أبو بكر رضي الله عنه فعلاً أن يدفع حياته ثمناً لعقيدته. فأين حسابات الدنيا والمغانم في حياة خليفة رسول الله؟^(٢) وأين المنهج الذي كان يسلكه هذا الداعية العظيم والأهداف التي يصبو إليها من وراء دعوته، أين ذلك من المناهج التي يسلكها الكثير من دعاة هذا العصر ومن الأهداف التي يصبون إليها، ممن خلط في دعوته بين الدنيا والآخرة فهو يريد أن يتحدث باسم الإسلام ويدعو إلى الإسلام، على ألا يصاب بأي أذى وألا يقدم أي تضحيات ولا يتلى ولا يمتحن، فمنهم من يقسم الإسلام فيسقط كل ما يكرهه السلاطين والمتنفذون في العالم، فلا يتعرض لشيء من ذلك ولا يباشر دعوتهم ولا نصحتهم، فضلاً عن نقدهم أو توضيح ظلمهم وحرهم على الإسلام ومخالفاتهم

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، ٣/ ٣٠.

(٢) هذه الواقعة بيان عملي من رسول الله ﷺ لأصحابه بألا يظهر وانظراً لقله عددهم ولضعف شوكتهم حتى لا تنفض عليهم قوى الجاهلية فتند الدعوة الوليدة في مهدها، كما تبين لنا أن الجاهلية لا يزعجها سوى ارتفاع الأصوات بندااء التوحيد، كما تبين لنا قيمة الانضباط والجندي والتكتم في موقف أم الخير وموقف أم جميل بنت الخطاب.

ما أمره به مرسله عز وجل لا يفعل من تلقاء نفسه وأخبر أنه لا يعصيه، كما يفعل المتّبع لرأيه وهو اه وأخبر أنه ناصره، فهو على ثقة من نصر الله، فلا يضرّه ما حصل، فإن في ضمن ذلك من المصلحة وعلو الدين ما ظهر بعد ذلك، وكان هذا فتحاً مبيّناً في الحقيقة، وإن كان فيه ما لم يعلم حُسن ما فيه كثير من الناس، بل رأى ذلك دُلاً وعجزاً وفضاضة وضيماً.

ولهذا تاب الذين عارضوا ذلك رضي الله عنهم كما في الحديث رجوع عمر رضي الله عنه، وكذلك في الحديث أن سهل بن حنيف اعترف بخطئه، حيث قال: والله ورسوله أعلم، وجعل رأيهم عبرة لمن بعدهم، فأمرهم أن يتّهموا رأيهم على دينهم، فإن الرأي يكون خطأ، كما كان رأيهم يوم الحديبية خطأ، وكذلك عليّ الذي لم يفعل ما أمره به حين قال له ﷺ: «امح رسول الله» والذين لم يفعلوا ما أمروا به من الحلق والنحر، حتى فعل هو ﷺ ذلك قد تابوا من ذلك والله يقبل التوبة من عباده ويعفو عن السيئات.

والقصة كانت عظيمة، بلغت منهم مبلغاً عظيماً لا تحمله عامة النفوس، وإلا فهم خير الخلق، وأفضل الناس، وأعظمهم علماً وإيماناً، وهم الذين بايعوا رسول الله ﷺ على الموت أو النصر عندما أشيع أن قريشاً قتلت سفير رسول الله ﷺ إليهم عثمان رضي الله عنه قال تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾^(١) وقد رضي الله عنهم وأثنى عليهم، وهم السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار. والاعتبار في الفضائل بكمال النهاية لا بنقص البداية. وقد قص الله تعالى علينا من توبة أنبيائه، وحسن عاقبتهم وما آل إليه أمرهم، بعد أن جرت لهم أمور. ولا يجوز أن يُظن أن هناك مؤمناً يبغضهم لأجلها، إذ كان الاعتبار بكمال النهاية لا بنقص البداية. فالصحابه هم الذين نص القرآن على رضا الله تعالى عنهم، فمن يبغضهم إنما يبغض القرآن الذي رضي عنهم ويبغض النبي الذي بشرهم بذلك ﷺ.

ولما أكد القرآن الكريم أن الله تعالى بشر الصحابة بأنه راضٍ عنهم في يوم الحديبية

(١) سورة الفتح، الآية: ١٨.

مع تناقلهم في بداية الأمر عن قبول الصلح الذي عقده رسول الله ﷺ مع قريش لظنهم أنه مجحف بحق المسلمين، فمن باب أولى أن يتأكد للعالم والجاهل أن خليفة رسول الله كان هو الأول في نيل ذلك الرضا والتحلي بذلك الوسام الرباني لما أبداه من موافقة إيمانية فطرية تامة ثابتة لرسول الله ﷺ دون أي تردد أو تأفف، مما يعلن لكل عاقل أن الصديق رضي الله عنه أكمل القوم وأفضلهم وأسبقهم إلى الخيرات، وأنه لم يكن فيهم من يساويه في علمه وصبره وتحليله للعواقب وسياسته للأمر، وأنه كان أكثرهم موافقة لرسول الله ﷺ وفهماً عنه. وأن أسوأ الناس وأحطهم منزلة من يبغض من رضي الله عنه.

يؤكد ذلك قول خليفة رسول الله رضي الله عنه بعد ذلك: ما كان فتح في الإسلام أعظم من صلح الحديبية، وكان الناس قصر رأيهم عما كان بين رسول الله ﷺ وبين ربه، والعباد يعجلون، والله تعالى لا يعجل لعجلة العبد حتى تبلغ الأمور ما أراد، لقد رأيت سهيل بن عمرو - سفير قريش المفاوض عنها بغلظة وصلافة يوم الحديبية - في حجة الوداع قائماً عند المنحر يقرب لرسول الله ﷺ بدهنه ورسول الله ﷺ ينحرها بيده، ودعا الحلاق يحلق رأسه فأنظر إلى سهيل يلقط من شعره وأراه يضعه على عينيه، وأذكر امتناعه أن يقر يوم الحديبية بأن يكتب: (بسم الله الرحمن الرحيم) فحمدت الله تعالى الذي هداه للإسلام^(١).

وامتياز أبي بكر رضي الله عنه بالموافقة التامة لرسول الله ﷺ في المواقف والأحداث كافة، أمر بين لا يشك فيه إلا من كان جاهلاً بحالهم مع رسول الله ﷺ أو كان صاحب هوى صده أتباع هواه عن معرفة الحق. وإلا فمن كان له علم وعدل لم يكن عنده في ذلك شك، بل كانوا مطبقين ومجمعين على تقديم الصديق وتفضيله على من سواه منهم، كما اتفق على ذلك علماء المسلمين وخيارهم من الصحابة والتابعين وتابعيهم، وسائر العلماء الذين لهم في الأمة لسان صدق، وهكذا من تبعهم بإحسان على مر العصور إلى يوم الدين، لم يشذ

(١) الصالحى: سبل الهدى والرشاد، ٥ / ٦٤.

عنهم إلا هالك مختلط في عقله مختلط في عقيدته^(١).

دوام صحبته:

ومن خصائصه طول صحبته وإجماع الأمة على حسن إسلامه وعميق إيمانه، فهذا رسول الله ﷺ يشهد له بالإيمان في مجالس الصحابة رضي الله عنهم وهو ليس موجوداً بينهم، كما في حديث استقائه من القلب، وحديثه عن الذئب الذي كلم الراعي والبقرة التي كلمت صاحبها. وقوله ﷺ: «أومن بذلك أنا وأبو بكر وعمر»^(٢). وهذا علي رضي الله عنه يشهد له أنه سبقي مع رسول الله ﷺ في الحياة الآخرة كما كان دائماً معه في الحياة الدنيا. فيقول: كثيراً ما كنت أسمع النبي ﷺ يقول: «خرجت أنا وأبو بكر وعمر، ودخلت أنا وأبو بكر وعمر»^(٣) وأمثال ذلك. ومناقبه وخصائصه ومزاياه محل إجماع لدى جميع علماء الأمة المؤمنین، وإن كان هناك من يردد أن علياً رضي الله عنه له من المناقب والفضائل ما لأبي بكر رضي الله عنه، فهؤلاء ما بين جاهل في فقه سير الصحابة رضي الله عنهم وما بين مصاب بجرب الرفض وداء الشعوبية الخبيث، أو بأهواء المستشرقين عملاء الغزاة وأدلاء المحتلين الذين لا يميزون بين القعقاع بن عمرو رضي الله عنه وبين الكعكة^(٤) وما بين فهم شذاذ العلمانيين الذين أسقطوا الهوية وتلبسوا بالأهواء، وكل هؤلاء لا قيمة لأقوالهم ولا لكتاباتهم؛ لأنها مجردة عن الحد الأدنى من الموضوعية وفاقدة للفهم الصحيح الذي يتساوى فيه عندهم قول الله تعالى وأمانة المؤمنین؛ بأقوال المتنبئين الكذابين والرافضة المرتدين، ولكن لا بد من وقفة لمن لا علم له في هذه المسائل نقول فيها: إن ما جاء في كتاب الله من خصائص لخليفة رسول الله كافٍ لإزالة أي شك عند العقلاء؛ فإذا أضفنا

(١) الصالحي: سبل الهدى، ٦٥/٥.

(٢) البخاري: صحيح البخاري، كتاب المناقب، قول النبي ﷺ: «لو كنت متخذاً خليلاً». ح (٣٣٩٠).

(٣) البخاري: صحيح البخاري، كتاب المناقب، قول النبي ﷺ: «لو كنت متخذاً خليلاً». ح (٣٤٠١).

(٤) الخليفة: الموقف من التاريخ الإسلامي، ١٢٧. العظم: تاريخنا، ٢٢.

إلى ذلك قول أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: من فضلني على أبي بكر وعمر جلده حد المفترى، وقوله: خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر. وأمثال هذه الأقوال التي فصلت في هذا البحث، ثم نقف وقفة أخرى نشير فيها إلى أهم وأشهر مناقب علي رضي الله عنه التي من أصحابها قوله ﷺ يوم خيبر: «لأعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله»^(١)، وقوله في غزوة تبوك: «ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي»^(٢)، ومنها دخوله رضي الله عنه في المباهلة وفي الكساء ومنها قوله: «أنت مني وأنا منك»^(٣). وليس في ذلك خصائص وإنما هذه مناقب لعلي رضي الله عنه كما لغيره من الصحابة مناقب، كل منهم بحسب سابقته وطبقته. وحديث علي رضي الله عنه: لا يحبني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق^(٤) كقوله ﷺ في الأنصار: «علامة الإيمان حب الأنصار، وعلامة النفاق بغض الأنصار»^(٥). ومنها حديث الشورى، وإخبار عمر رضي الله عنه أن النبي ﷺ توفي وهو راضٍ عن عثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن^(٦) فمجموع ما في الصحيح لعلي نحو عشرة أحاديث، ليس فيها ما يختص. ولأبي بكر في الصحاح نحو عشرين حديثاً أكثرها خصائص.

- (١) صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب علي رضي الله عنه، ح (٣٤٢٥) صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل علي رضي الله عنه ح (٤٤٢٢).
- (٢) ينظر: ابن تيمية: منهاج السنة، ٨ / ٤٢٠.
- (٣) صحيح البخاري، كتاب الصلح، باب كيف يكتب هذا ما صالح فلان بن فلان، ح (٢٥٠). سنن الترمذي، كتاب المناقب، باب علي، ح (٣٦٤٩). ابن ماجه، فضل علي، ح (١١٦). المحب الطبري، الرياض النضرة، ٢ / ٢٢٥، ٢٢٦.
- (٤) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن حب الأنصار وعلي من الإيمان، ح (١١٣) سنن الترمذي، كتاب المناقب، مناقب علي، ح (٣٦٦٩). سنن ابن ماجه، المقدمة، باب فضل علي بن أبي طالب، ح (١١١).
- (٥) البخاري: صحيح البخاري، ك. الإيمان، باب مناقب الأنصار، ح (١٧).
- (٦) ينظر: ابن تيمية: منهاج السنة، ٥ / ٥٩ - ٨ / ٤٢٠.

وقول من قال: صح لعلي من الفضائل ما لم يصح لغيره، كذب لا يقوله أحد من أئمة الحديث، لكن قد يقال: رُوي له ما لم يرو لغيره على أن من يقول ذلك هو مَنْ عَلِمَ كَذِبُهُ وزيفه وخطؤه. ودليل واحد صحيح المقدمات سليم عن المعارضة، خير من مئات الأدلة بمقدمات ضعيفة، بل باطلة وهي معارضة بأصح منها وما يدل على نقيضها، وكثير منها من صنع أعداء الصحابة وبهتانهم على رسول الله ﷺ وأصحابه الكرام، وكل هذا الكذب على النبي ﷺ بنسبة الأحاديث إليه أو هذا الغلو في علي رضي الله عنه لا يرجع ضره إلا على من افتراه، ولا يضر إلا من يعمل على إيجاد دين بديل لدين محمد ﷺ بغضاً للصحابة ورفضاً لقرآنتهم وكرهية لسنة نبيهم ﷺ، وكأنهم بحملهم لهذا الدين وجهادهم في سبيل حمايته أصبح ديناً لهم وليس ديناً ربانياً تكفل الله تعالى بحفظه وتبليغه للعالم كافة!

والمقصود هنا بيان اختصاص خليفة رسول الله في الصحبة الإيمانية بما لم يشركه فيه أحد، لا في قدرها ولا في صفتها ولا في نفعها، فإنه لو أُحصي الزمان الذي كان يجتمع فيه أبو بكر بالنبي ﷺ والزمان الذي كان يجتمع فيه عثمان رضي الله عنه أو علي رضي الله عنه أو غيرهما من الصحابة مع رسول الله ﷺ لوجد ما يختص به أبو بكر رضي الله عنه أضعاف ما يختص به واحد منهم، فضلاً عن أن ذلك لم يكن مقيداً بوقت أو حدث وإنما هو باب مفتوح لخليفة رسول الله مع النبي ﷺ، وأما المشترك من وقت رسول الله ﷺ فلا يختص به واحد من الصحابة، بل هو لعامة من اشترك فيه منهم رضي الله عنهم، وأما كمال معرفة أبي بكر رضي الله عنه ومحبه للنبي ﷺ وتصديقه له، فهو متقدم في ذلك على سائر الصحابة تقدماً باينهم فيه مباينة لا تخفى على أحد ممن كان له معرفة بأحوال الصحابة رضي الله عنهم ومن لا معرفة له بذلك لا تقبل شهادته فيهم ولا روايته عنهم.

فهذه الأمور التي هي مقاصد الصحبة ومحامدها، التي بها استحق الصحابة رضي الله عنهم أن يفضلوا على غيرهم، لأبي بكر رضي الله عنه فيها من الاختصاص بقدرها ونوعها وصفتها وفائدتها ما لا يشركه فيه أحد. ويدل على ذلك قوله ﷺ: «إن الله بعثني إليكم فقلتم:

كذبت. وقال أبو بكر: صدق. وواساني بنفسه وماله، فهل أنتم تاركو لي صاحبي» مرتين. فما أؤذي بعدها^(١). وفي رواية: كانت بين أبي بكر وعمر محاوراة، فأغضب أبو بكر عمر فانصرف عنه عمر مغضبًا، فاتبعه أبو بكر يسأله أن يغفر له، فلم يفعل حتى أغلق الباب في وجهه، فأقبل أبو بكر إلى النبي ﷺ... الحديث. قال: وغضب النبي ﷺ. وفيه: «إني قلت: يا أيها الناس، إني رسول الله إليكم جميعًا فقلتم: كذبت. وقال أبو بكر: صدقت»^(٢).

فهذا الحديث الصحيح فيه تخصيصه بالصحة في قوله ﷺ: «هل أنتم تاركو لي صاحبي؟» وفيه يتبين أنه لم يكذبه قط، وأنه صدّقه حين كذبه الناس طُرًا. بل ظاهر في أنه صدّقه قبل أن يصدّقه أحد من الناس الذين بلّغهم الرسالة، وهذا حق؛ فإنه آمن أول ما بلّغ الرسالة. وفيه أن من يتعرض لأبي بكر إنما يتعرض لرسول الله ﷺ صاحبه المدافع عنه في حضوره وغيابه فلا يعادي أبا بكر رضي الله عنه إلا من يعادي رسول الله ﷺ؛ فإذا أردت أن تعرف المرتدين وتحذر رفضهم للإسلام ومكرهم بالمسلمين فامتحنهم على حب خليفة رسول الله أو أي من الصحابة، فهناك سيظهر الحق من الباطل، وأن من يعادي الصحابة عامة أو أفرادًا فإنما هو عدو لنبيهم ومرييهم ﷺ. قال عمرو بن عبسة: قلت: يا رسول الله، من معك على هذا الأمر؟ قال: «حرٌّ وعبد». ومعه يومئذ أبو بكر وبلال^(٣).

وأما أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها وعلي وزيد رضي الله عنهما فهؤلاء كانوا من عيال النبي ﷺ وفي بيته وخديجة عرض عليها أمره لما فجأه الوحي، وصدّفته ابتداءً قبل أن يُؤمر بالتبليغ، وذلك قبل أن يجب الإيمان به، فإنه إنما يجب إذا بلغ الرسالة، فأول من صدّق

(١) صحيح البخاري، كتاب المناقب، قول النبي ﷺ: «لو كنت متخذًا خليلاً»، ح (٣٨٨٨) ابن تيمية: منهاج السنة، ٤٢٢/٨.

(٢) صحيح البخاري، ٥٩/٦، ٦٠. ينظر: منهاج السنة، ٤٢٣/٨.

(٣) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب إسلام عمرو بن عبسة، ح (١٣٧٤). سنن النسائي، كتاب مواقيت الصلاة، باب إباحة الصلاة إلى أن يصلي الصبح، ح (٥٨٠). سنن ابن ماجه، كتاب إقامة الصلاة، باب ما جاء في أي ساعات الليل أفضل، ح (١٣٥٤).

به بعد وجوب الإيمان به أبو بكر رضي الله عنه فإنه لم يجب عليه أن يدعو عليًا إلى الإيمان، لأن عليًا كان صبيًا لم يبلغ الحلم بعد.

ولم يُنقل أن النبي ﷺ أمره بالإيمان وبلغه الرسالة قبل أن يأمر أبا بكر وبلغه، ولكنه كان في بيت النبي ﷺ فيمكن أنه آمن به من خلال ما كان يسمعه يتحدث به مع أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها وإن كان لم يُبلغه، فإن ظاهر قوله ﷺ: «يا أيها الناس إني أتيت إليكم فقلت: إني رسول الله إليكم، فقلتم: كذبت. وقال أبو بكر: صدقت»^(١). يدل على أن كل من بلغه الرسالة كذبه أولاً إلا أبا بكر رضي الله عنه، ومعلوم أن خديجة رضي الله عنها وعليًا وزيدًا رضي الله عنهما كانوا في داره، وخديجة رضي الله عنها لم تكذبه، فلم تكن داخلةً فيمن بُلِّغ. وقوله في حديث عمرو بن عبسة: قلت: يا رسول الله، من معك على هذا الأمر؟ قال: «حر وعبد»^(٢) ثم ذكر قوله: «وواساني بنفسه وماله»^(٣). وهذه خاصّة لم يشركه فيها أحد بهذا الأداء التام بالنفس وما تملك وما يتبعها من الأهل والولد والمال وما يتبعه من الأملاك والأرباح والوقت والجهد.

وقد ذكر هذا النبي ﷺ في أحاديث المخالّة التي هي متواترة عنه. كما روي عن أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ جلس على المنبر فقال: «إن عبدًا خيره الله...» وقوله ﷺ: «إن من أمنّ الناس عليّ في صحبته وماله أبا بكر...» وقوله ﷺ: «لو كنت متخذًا خليلًا غير ربي لاتخذت أبا بكر خليلًا، ولكن أخوة الإسلام ومودته» وفي رواية: «إلا خلة الإسلام» وفيه: «لا ييقين في المسجد باب إلا سدّ إلا باب أبي بكر»^(٤).

- (١) البخاري: ك. التفسير، باب ﴿قُلْ يَتَّخِذُهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾، ح (٤٣٦٤).
- (٢) صحيح البخاري: ك. أبواب المساجد، باب الخوخة والممر في المسجد، ح (٤٥٤).
- (٣) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب: «لو كنت متخذًا خليلًا»، ح (٣٣٨٨). وقد سبق تخريجه.
- (٤) صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب الخوخة والممر في المسجد، ح (٤٤٦). صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي بكر، ح (٤٣٩١) سنن الترمذي، كتاب المناقب، =

وعن ابن عباس قال: خرج النبي ﷺ في مرضه الذي مات فيه عاصباً رأسه بخرقة فقعد على المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، وقال: «إنه ليس أحدٌ من الناس أمنّ عليّ في نفسه وماله من أبي بكر بن أبي قحافة، ولو كنت متخذاً من الناس خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، ولكن خلة الإسلام أفضل، سدّوا عني كل خوخة في هذا المسجد غير خوخة أبي بكر» وفي رواية أخرى: «لو كنت متخذاً من هذه الأمة خليلاً لاتخذته، ولكن أخوة الإسلام أفضل» وفي رواية: «ولكن أخي وصاحبي» وعن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، ولكن أخي وصاحبي» وفي رواية: «لو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلاً لاتخذت ابن أبي قحافة، ولكن صاحبكم خليل الله» وفي رواية أخرى: «ألا إني أبرأ إلى كل خل من خله، ولو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، إن صاحبكم خليل الله»^(١).

فهذه النصوص الصحيحة تبين اختصاص أبي بكر بفضائل الصحبة ومناقبها والقيام بها وبحقوقها بما لم يشركه فيه أحد، حتى استوجب أن يكون خليله ﷺ من دون الخلق، لو كانت المخالفة ممكنة. وهذه النصوص صريحة بأنه أحب أصحابه إليه، وأفضلهم عنده. كما صرح بذلك في حديث عمرو أن النبي ﷺ بعثه على جيش ذات السلاسل، قال: فأتيته فقلت: أي الناس أحب إليك؟ قال: «عائشة» قلت: فمن الرجال؟ قال: «أبوها».

ومما يبين من القرآن فضيلة أبي بكر رضي الله عنه في الغار أن الله تعالى ذكر نصره لرسوله ﷺ في هذه الحال التي يخذل فيها عامة الخلق إلا من نصره الله: ﴿إِلَّا نُنصِرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ﴾^(٢) أي أخرجه في هذه القلعة من العدد، لم يصحبه إلا الواحد، فإن الواحد أقل ما يوجد. فإذا لم يصحبه إلا واحد دلّ على

= باب مناقب أبي بكر الصديق، ح (٣٥٨٨)، (٤٣٩١)

(١) ابن حبان: صحيح ابن حبان، ك. التاريخ، باب من صفته وأخباره ﷺ، ح (٦٤٢٦).

(٢) سورة التوبة، الآية: ٤٠.

أنه في غاية القلَّة. ثم قال تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّا اللَّهُ مَعْنَا﴾^(١) وهذا إخبار الله تعالى على أن صاحبه كان مشفقاً عليه محبباً له ناصرًا له حيث حزن، وإنما يحزن الإنسان حال الخوف على من يحبه، وأما عدوه فلا يحزن إذا انعقد سبب هلاكه. ولكن الرافضة المفترين يكذبون قول الله تعالى ويتصورون ما في أنفسهم من بغض لرسول الله ﷺ الذي اجتبى أبا بكر رضي الله عنه فيحدثون به، ويقولون: إن أبا بكر رضي الله عنه لم يكن حزينًا، تكذيبًا لقوله تعالى: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّا اللَّهُ مَعْنَا﴾ وإمعانًا في البهتان يقولون: إنه كان يضمّر الفرح والسرور، وهذا ما يعكس ما في نفوسهم الحاقدة، كما هو حالهم من السرور عندما يصاب المسلمون بمصيبة أو يسقط بلد من بلادهم بأيدي أعدائهم.

فيتبين أن الرافضة حين يفترون على أبي بكر رضي الله عنه إنما هم يفترون على الله ويكذبون قوله تعالى: ﴿إِنَّا اللَّهُ مَعْنَا﴾ فالرافضون لهذه الخصيصة من أعداء الصحابة إنما هم مكذبون للقرآن لا يوثق بقولهم ولا يركن إلى زعمهم الإيمان، وكيف يكون مؤمنًا من يكذب القرآن؟

وهذا ما لم يقل به حتى اليهود ولا المشركون. ولكن قاله أعداء الصحابة رافضو القرآن والسنة، الذين يدينون به ويتعلمونه ويُعلمونه لأتباعهم حقًا على الإسلام ومكرًا بأهله وبغضًا لرسول الله ﷺ وصاحبه.

قال أبو العباس: ولقد بلغني عن ملك المغول خدا بنده^(٢) الذي صنّف له ابن المطهر

(١) سورة التوبة، الآية: ٤٠.

(٢) خدا بنده هو أحد أحفاد جنكيز خان واسمه الجايتو أو أولجايتو خدا بنده غياث الدين محمد بن أرغون بن أبغا بن هولاقو بن طلوبن جنكيز خان، وهو الذي ألف ابن المطهر الرافضي كتابه (منهاج الكرامة) من أجله، تولى الحكم عام ٧٠٣هـ بعد وفاة أخيه الملك قازان الذي كان يميل لأهل السنة إلى أن كانت سنة ٧٠٩هـ بعد أن أفتى له الرافضي ابن المطهر بطلاق خدا بنده لزوجته وجواز مراجعته لها، فتشيع الملك بعد ذلك للرافضة، ينظر: منهاج السنة، ١/٩٦، ٨/٤٣٠. الخواسناري، روضات الجنات، ٧٥.

الحلي الرافضي كتابه في الإمامة أن الرافضة لما صارت تفتري له مثل هذا الكلام: إن أبا بكر كان يبغض النبي ﷺ وكان عدوه، ويقولون مع هذا: إنه صحبه في سفر الهجرة، الذي هو أعظم الأسفار، خوفاً. قال كلمة تلزم عن قولهم الخبيث وقد برأ الله رسوله منها، لكن ذكرها على من افتري الكذب أوجب أن يُقال في الرسول مثلها، حيث قال: «كان قليل العقل» حاشاه ﷺ ولكن هذا حقيقة ما يعتقد فيه أعداء الصحابة. ولا ريب أن من فعل ما قالته الرافضة فهو قليل العقل ساقط الفهم لا دين ولا حياء. وقد برأ الله رسوله ﷺ وصديقه رضي الله عنه من كذبهم، وتبين أن قولهم يستلزم القدح في الرسول ﷺ، وأن هذا اعتقادهم الذي يدينون به ويُعلمونه لأتباعهم، وهذا ما يناقضون به الكتاب والسنة وصحيح الأخبار المتواترة ويجعلهم في وادٍ والإسلام في وادٍ آخر، ويجعل كل من لا يتحسب لمكرهم وكيدهم ويحذر منه مفراطاً وجاهلاً أو متهماً على الدين والسنة والأمة.

ومما يبيّن أن الصحبة فيها خصوص وعموم، كالولاية والمحبة والإيمان وغير ذلك من الصفات التي يتفاضل فيها الناس في قدرها ونوعها وقيمتها، ما رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تسبوا أحداً من أصحابي، فإن أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهباً ما أدرك مدّ أحدهم ولا نصيفه»^(١) فكيف بمن ينفق الذهب والفضة على محاربة أصحاب رسول الله ﷺ ومن يواليهم من أهل السنة والجماعة، وكم سيكون رافضاً لما يأمر به رسول الله ﷺ ويدعو إليه، وكم هو معاند مارق رافض لدين رسول الله ﷺ من يجترئ على أحد ممن صحب رسول الله ﷺ وجاهد معه المشركين والمجوس حتى قام الدين وانتصر أمر الله، إن أعداء الصحابة هم شر البشر لزيغ دعاوهم وبطلان حججهم وبهتانهم على المؤمنين، ولا يشاركهم في ذلك السوء وتلك المخازي إلا من ظن فيهم خيراً وهو يعلم أنهم يعادون ويبغضون ويفترون على خير البشر رسول الله ﷺ وأصحابه الكرام رضي الله عنهم.

(١) صحيح البخاري، كتاب أصحاب النبي ﷺ، باب قول النبي ﷺ: «لو كنت متخذاً خليلاً»، ح (٣٣٩٨) صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب تحريم سب الصحابة ح (٤٦١٠)، (٤٦١١)، سنن أبي داود، كتاب السنة، باب في النهي عن سب أصحاب رسول الله ﷺ، ح (٤٠٣٩).

ومنها تفردّه بالمعّية الخاصّة:

إن من أجل خصائص أبي بكر رضي الله عنه اختصاصه بمعّية الله له مع رسول الله ﷺ في الغار في قوله تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾^(١) فلما كان خليفة رسول الله أعظم رجل بعد نبيه ﷺ خدم الأمة ودينها وعقيدتها، حتى قطف المسلمون ثمار ذلك عزاً وأمناً ووحدة؛ تعرض لأكبر هجمة من البهتان والتزوير والنكران والرفض؛ على أيدي أعداء الصحابة من مجوس هذه الأمة الذين لا هم لهم سوى محاربة الإسلام، من خلال حربهم على حملته الذين نشره في العالمين، وقد بلغ بهم حقدهم أن جعلهم ينكرون صريح القرآن وصحيح السنة دون حياء أو وجل؛ كل ذلك لإحداث ثغرات في صفوف حماة الإسلام من الصحابة والتابعين وعلماء السنة في كل العصور؛ للنفاذ إلى العقيدة السليمة وتحويلها من عبادة الله إلى عبادة القبور وحرّفها عن شرع الله إلى تشريع المراجع والآيات التي تشرع من دون الله ما يناسب أهواءها وأمانها، فهم يغالون حملة التوحيد ودعائه كلما سنحت لهم سانحة، ويستعينون على ذلك بالكفار والملحدّين، ويكذبون ويطعنون برواة الكتاب والسنة لإبطال ما جاؤوا به عن رسول الله ﷺ حتى تطلب الأمر الخوض في بعض هذا؛ لتنبية الغافلين وإيقاظ النائمين والصراخ في آذان المغفلين أن حب أبي بكر رضي الله عنه هو معيار الولاء لله ولرسوله ﷺ وبغضه هو معيار الردة والنفاق، فقيسوا أيها المسلمون على هذا المقياس وسيروا على ما سار عليه السلف وتحصنوا بهذا الحصن واقطفوا بعد ذلك ثمار الوحدة والعافية ودحر الردة والرفض والغزاة.

وكيف لا يكون ذلك وخليفة رسول الله قد تفرد بالمعّية الخاصّة في قول النبي ﷺ الذي حكاه القرآن بقوله تعالى: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ خطاباً لأبي بكر رضي الله عنه فيه إخبار من النبي ﷺ موثق من الله تعالى بأن القائل وهو رسول الله ﷺ وصاحبه أبا بكر رضي الله عنه محفوظان بمعّية الله التي تحوطهما في وسط الأخطار وترشدهما إلى السداد

(١) سورة التوبة، الآية: ٤٠.

في المدلهمات. وهذا لم يرد في القرآن عن أحد من الأمة غير أبي بكر رضي الله عنه ولم يرد لاثنين بخصوصهما من دون قومهما إلا لمحمد ﷺ وأبي بكر رضي الله عنه ومن قبلهما لموسى وهارون عليهما السلام. إلا أن هناك فرقاً بين المعية الخاصة والمعية العامة؛ فالعامة كما في قوله تعالى: ﴿ مَا يَكْفُوتُ مِنْ شَيْءٍ ثَلَاثَةٌ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٌ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آدَفٌ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ﴾^(١) وهذه شاملة لجميع الخلق مؤمنهم وكافرهم وهي معية علم الله تعالى بخلقه لا فضل فيها لأحد على أحد. لأن الفضل يأتي في المعية الخاصة كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾^(٢) وقوله عز وجل: ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴾^(٣).

وهي معية التأيد والحب والرعاية والحفظ. وهناك معية من الله لعباده أخص من معية الرعاية، وهي أدل على الفضل من المعية الخاصة، لأن الفضل كلما كان أخص كان أدل على أفضلية من اختص به على غيره، فقوله تعالى توثيقاً لما أخبر به نبيه ﷺ صاحبه أبا بكر رضي الله عنه: ﴿ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴾^(٤) لم يكن لأحد سواهما. فهذه المعية كانت لاثنين فقط هما النبي ﷺ وصاحبه أبو بكر رضي الله عنه فهو أفضل الأمة بعد رسول الله ﷺ وأولاها بالإمامة والخلافة والقيادة والاتباع والدعوة والعلم والتعليم لأنها معية دائمة.

وهناك في الأمم السابقة حالة مماثلة في بعض جوانبها لما خاطب الله تعالى به رسوله ﷺ، فقد تعرض نبي الله موسى والمؤمنون من قومه إلى موقف عصيب مشابه لموقف النبي ﷺ وصاحبه رضي الله عنه في الغار. لقد طاردتهم فرعون وجنوده حتى حصروهم أمام البحر وألجؤوهم إليه، فلم يكن لهم من منفذ إلا اقتحام البحر! قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا تَرَاءَ الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّآ لَمُدْرَكُونَ ﴾^(٥) فموسى عليه السلام وقومه محصورون؛ أمامهم البحر

(١) سورة المجادلة، الآية: ٧. (٢) سورة البقرة، الآية: ١٥٣.

(٣) سورة النحل، الآية: ١٢٨.

(٤) سورة التوبة، الآية: ٤٠.

(٥) سورة الشعراء، الآية: ٦١.

وخلفهم فرعون وجنوده، ومحمد ﷺ وصاحبه رضي الله عنه محصوران في الغار وفرعون هذه الأمة أبو جهل وجنوده محيطون بهما. إلا أن القرآن الكريم بين أن موسى عليه السلام كان معه أصحاب كثيرون وليس صاحبًا واحدًا. قال تعالى: ﴿أَصْحَابُ مُوسَى﴾ ولم يكن مع النبي محمد ﷺ إلا صاحبه أبو بكر رضي الله عنه، وصاحب محمد ﷺ هادئ مطمئن، سوى أنه حزين على سلامة نبيه ﷺ ومستقبل دعوته لا يشغله سوى ذلك في تلك الساعات الرهيبة فيواسيه صاحبه رسول الله ﷺ ويخفف من حزنه قائلاً: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾^(١) فلم يصبه حزن على أمر منذ تلك الساعة سوى حزنه على فراق صاحبه ﷺ بعد وفاته، أما أصحاب موسى عليه السلام فكانوا خائفين هلعين لا أمل عندهم في النجاة يقولون: ﴿إِنَّا لَمُدْرِكُونَ﴾ فيجيبهم صاحبهم نبي الله موسى عليه السلام: ﴿كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾.

والفرق الآخر ما بين الصحبتين قوله تعالى عن موسى عليه السلام: ﴿مَعِيَ﴾ ولم يقل: ﴿مَعَنَا﴾ كما قال النبي محمد ﷺ لصاحبه أبي بكر رضي الله عنه: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ فنجاة أصحاب موسى عليه السلام لم تكن لمعية الله تعالى وإنما إكراماً لموسى عليه السلام وتبعاً له، بينما كانت نجاة الصديق رضي الله عنه صاحب النبي محمد ﷺ بالمعية الإلهية لا بالتبعية النبوية فقط، فالله تعالى مع النبي محمد ﷺ ومع صاحبه أبي بكر رضي الله عنه بينما هو مع موسى عليه السلام دون أصحابه؛ وهذا فرق شاسع يوضح المكانة العلية لصاحب رسول الله وخليفته أبي بكر رضي الله عنه، وهناك ما يؤكد ذلك ويجلي تلك المكانة أكثر فأكثر. قال تعالى عن موسى عليه السلام: ﴿إِنَّ مَعِيَ رَبِّي﴾ بينما قال النبي محمد ﷺ: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ فمعية موسى عليه السلام معية ربانية، ومعية محمد ﷺ وصاحبه معية إلهية، ومعية الربوبية فيها تعلق والتجاء وطلب مع خوف وقلق؛ ومعية الألوهية أكمل وما تعلق بها كذلك أكمل وأشمل وفيها تفويض الأمور إلى الله تعالى مع الطمأنينة والثقة

(١) سورة التوبة، الآية: ٤٠.

واليقين به سبحانه وتعالى. ومعية موسى عليه السلام تقدم فيها ذكر ما للنفس على ذكر الرب عز وجل ﴿مَعِيَ رَبِّي﴾ ومعية محمد ﷺ وصاحبه تقدم فيها ذكر الله تعالى على ما للنفس ﴿اللَّهُ مَعَنَا﴾. وهذا أقرب للطمأنينة والثقة واليقين والتعلق الخالص بالله تعالى من كل حظ للنفس وإن كان مشروعاً. والأداء أبلغ وأدل على الفضل، والنبى ﷺ وصاحبه يشتركان فيه.

وأعداء الصحابة لا يريدون أن يعرف المسلمون تنويهاً القرآن الكريم عن عظمة خليفة رسول الله ودوره الرائد في قيادة الأمة على مسار نبيها ومنهجه الذي خطط له وأسس بناءه في حياته ﷺ؛ لأن ذلك يبطل سحرهم ويسقط مكرهم ويحذر من نياتهم المتربصة بالسنة وأهلها، فيشوشون على فضائله رضي الله عنه ويفترون عليه للتبليس على عامة الناس والغوغاء ممن يسمع لهم ويصدق هذيانهم.

ومنها نزول السكينة والتأييد عليه حين أخبر النبى ﷺ صاحبه بأن الله معهما جميعاً. والمعية هنا معية الحفظ والسكينة والتأييد، وعلى هذا فلا يعقل أن يكون ما بعدها نافيًا لما قبلها وإلا حصل التناقض، وهذا ما يريده الرافضة في سبيل الوصول إلى ما ينتقص الصديق رضي الله عنه حتى لو كان ذلك بتكذيبهم للقرآن الكريم، وهذا مستحيل في كلام الله سبحانه وتعالى، وكذلك يكون النبى ﷺ - وحاشاه - كاذبًا في الإخبار وهو ممتنع أيضًا! فلم يبق إلا تصديق النبى ﷺ في إخباره أن الله تعالى مع أبي بكر رضي الله عنه كما هو مع نبيه ﷺ، فالسكينة والتأييد لكليهما معاً، وشمول الصاحب بما يكرم الله به صاحبه محسوم بقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ فهو معه في كل شيء، وكما أنه شاركه في المخاطر والغرم فهو شريكه في المكارم والغنم. وهذه المعية أبدية دائمة سرمدية لن تنقطع أو تتوقف في مرحلة من مراحل هذا الوجود، فما نحن لا نذكر الصديق رضي الله عنه حتى يذكر معه الله تعالى ورسوله الأمين ﷺ في قولنا: خليفة رسول الله.

ومن خصائصه تفرد به بمواساة النبى ﷺ:

إن الصديق بذل من الجهود وأظهر من التضحيات ما فاق به كل التصورات، وأثبت أنه

الصاحب الذي تأهل أن تذكر صحبته في كتاب الله تعالى نظرًا لرسوخها وقوتها وعميق تواصلها، ونظرًا لذلك الإخلاص وتلك الشفقة التي كانت تظهر منه تجاه رسول الله ﷺ حتى أنستهُ نفسه وتفقّد أحواله، فلم يعد له اهتمام سوى سلامة رسول الله ﷺ الذي أحس منه كل ذلك مما دفعه ﷺ إلى مواساته والتخفيف عنه وإدخال السرور إلى نفسه لكي تفر عينه بما قدم من تضحيات، ولكي يعلم الناس جميعًا أن الله تعالى لا يضيع أجر المحسنين، فكان ذلك الوسام الأبدي الخالد الذي قدمه رسول الله ﷺ إلى صاحبه لكي تكون كرامة مقدمة تزيل عنه كل خوف في الدنيا وتدخل عليه السكينة والثبات في أخرج المواقف وأصعب الساعات، وهذا ما تحقق في سيرة خليفة رسول الله بعد قوله ﷺ لصاحبه كما جاء في القرآن الكريم: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنْ أَلَّهَ مَعَنَا﴾^(١) وهذه المعية أصبحت من خصائص الصديق رضي الله عنه حتى كأن الله تعالى هو المواسي؛ لأن ذلك من جنس مواساة الله لرسوله في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾^(٢) وقوله: ﴿وَلَا يَحْزَنُكَ قَوْلُهُمْ﴾^(٣) وقوله: ﴿قَدْ نَعَلِمُ إِنَّهُ لِيَحْزَنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يَكَدُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بَيَّاتٍ اللَّهُ يَجْحَدُونَ﴾^(٤) ومواساة المؤمنين بقوله: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾^(٥) ولكن مواساة أبي بكر خاصة، ومواساة المؤمنين عامة. ومواساة الله تعالى لأُم موسى وتطمينها بقوله: ﴿فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَكَلِّمِي فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾^(٦) ومواساة عيسى عليه السلام لأمه أو جبريل عليه السلام لمريم عليها السلام كما أخبر الله عن ذلك بقوله: ﴿فَنَادَاهَا مِنْ

(١) سورة التوبة، الآية: ٤٠.

(٢) سورة النحل، الآية: ١٢٧.

(٣) سورة يس، الآية: ٧٦.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ٣٣.

(٥) سورة آل عمران، الآية: ١٣٩.

(٦) سورة القصص، الآية: ٧.

تَحْنِيهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْنَكِ سَرِيًّا ﴿١﴾ ومواساة الملائكة لنبى الله لوط عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِعَاءً بِهِمْ وَضَافٍ بِهِمْ ذُرْعًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنْجُوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا أَمْرَاتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٢﴾ وتطمينهم للمؤمنين عند الموت كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣﴾ فإذا كان هذا حال من تطمئنه الملائكة فكيف بمن كان الله الخالق البارئ المصور معه دائماً وأبداً؟!

ومن خصائصه رضي الله عنه أنه نائب النبي ﷺ في مهمات الشرع وأركان الإسلام:

فكان رضي الله عنه ينوب عن النبي ﷺ في كل موقف مهم بلا منازع. وأعظم موقفين مهمين تقدم فيهما الصديق رضي الله عنه عند غياب النبي ﷺ في حياته هما الحج والصلاة ثم ناب عنه في أداء الزكاة بعد الوفاة، وهذه المسائل من خصائص أبي بكر رضي الله عنه لم يشركه فيها أحد من المؤمنين؛ ففي السنة التاسعة لم يحج النبي ﷺ فأناب عنه أبا بكر يحج بالناس في أول حج يحججه المسلمون، ولم تكن في عهد النبي ﷺ إلا حجتان؛ قاد المسلمين في إحداهما أبو بكر رضي الله عنه، وفي الأخرى رسول الله ﷺ، وهذه خصيصة عظيمة ومرتبة سامية، أما ما يردده أهل الرفض وأهل البلاهة ممن يزعم أنه باحث أو مفكر ممن يحسب على أهل السنة في مسألة تلاوة علي لسورة (براءة) في الحج فهذا أمر لا صلة له بمهمة خليفة رسول الله وقيادته المتفردة بأمر رسول الله ﷺ ورعايته، فعلي إنما ذهب بسورة (براءة) بعد نزولها خلف أبي بكر رضي الله عنه تابعاً ومأموراً يحج بحججه ويصلي بصلاته، وليس له إلا قراءة سورة (التوبة)، وكان فيها حلّ بعض العقود وإتمام بعضها،

(١) سورة مريم، الآية: ٢٤.

(٢) سورة العنكبوت، الآية: ٣٣.

(٣) سورة فصلت، الآية: ٣٠.

ويروى أن العرب من عادتهم في الجاهلية ألا يحل العقود ولا يعقدها إلا الأمير أو أحد أهل بيته، فكان رضي الله عنه هو الأمير على الحج يأتمر بأمره وينتهي بنهيه علي رضي الله عنه وعامة الصحابة^(١).

ولما مرض النبي ﷺ أناب عنه خليفته رضي الله عنه يصلي بالناس؛ والصحابة جميعاً متوافرون وفيهم علي وعمر وعثمان رضي الله عنهم، ولما تقدم عمر رضي الله عنه في أحد أوقات الصلاة وكان الصديق رضي الله عنه غائباً وسمع النبي ﷺ صوته يصلي بالناس صاح مغضباً يُسمع الناس: «أين أبو بكر؟! أين أبو بكر؟! أين أبو بكر؟! يأيُّ الله والمؤمنون إلا أبا بكر!» فأبي شرف بعد هذا وأي إمامة بعد هذه الإمامة التي يعلنها رسول الله ﷺ بهذا الحزم وذلك الوضوح، ثم أي غباء يعتور عقول من يقارن بين أبي بكر رضي الله عنه وغيره من الصحابة بعدما سمع موقف رسول الله ﷺ من صاحبه الثاني عمر رضي الله عنه، وكيف رد عليه وأمام المسلمين ذلك الرد، فكيف بمن هو غيره؟! لا شك أن موقف النبي سيكون أشد صرامة وقوة عما اتخذته من موقف تجاه عمر الفاروق رضي الله عنه، وفي هذا رد ساحق يمحق كل أباطيل أعداء الصحابة التي يعملون لها جاهدين ويجلد الفجار ووسائل المنافقين، لإيجاد صدع بالأمة يفرق وحدتها ويمزق صفها، حين يزعمون كاذبين مفترين أن الإمامة في الأمة لغير أبي بكر رضي الله عنه، والذي يشارك الرافضة آثامهم فيما يفترونه في هذا الباب أولئك الصامتون الخرس على هذا الباطل ممن يحسبون على علماء السنة، أولئك الذين أسهموا إسهاماً مباشراً في تمدد الرفض وبغض الصحابة وكرهية السنة في أكثر من مصر وعصر، حتى تلبس به كثير من الغوغاء الذين لا علم لهم ولا تجربة ولم يرشدهم أحد إلى الحقيقة الناصعة، فباء بإثم التفريط وتقوية الباطل وإضعاف الحق كل من لديه علم من أهل السنة وليس له مشاركة وإسهام أي إسهام في التصدي لأعداء الصحابة ورد بغيتهم وكشف زيفهم وباطلهم الذي يسعون به لتطويق السنة وطمس علومها النيرة وسحق أهلها

(١) ينظر: الدليمي: المنهج القرآني الفاصل، ٢٥٦ فما بعدها.

الأبرار الكرام، ولا سيما في هذه المرحلة التي عبثت فيها العلمانية بعقول الكثير من أهل السنة فأفرغت فكرهم من الولاء للسنّة ومحبة الصحابة وتركتهم كالريشة في مهب الريح، فاجتالتهم شياطين الرفض والردة واغتالت ولاءهم وفهمهم وطهارة نفوسهم على موروث الأمة وأعلامها وأئمتها الصالحين المؤمنين.

ومن خصائصه أنه أحب الصحابة إلى رسول الله ﷺ:

أما محبة رسول الله ﷺ لصاحبه فقد كانت معلنة على الملأ كافة يجيب عنها ﷺ دون أي تردد أو توقف أو تمويه أو غموض. قال عمرو بن العاص رضي الله عنه: قلت: يا رسول الله أي الناس أحب إليك؟ قال: «عائشة». قلت: من الرجال قال: «أبوها»^(١). ومن هنا تأتي أهمية فقه مقام خليفة رسول الله ﷺ ووجوب موافقة حبه وبغضه ﷺ لقوله تعالى: ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾^(٢) فمن أحب رسول الله ﷺ لا بد أن يظهر ذلك بموافقته لما يحبه رسول الله ﷺ؛ لأنه لا يوجد مؤمن عاقل يزعم أن رسول الله ﷺ يحب ما لا يحبه الله تعالى مما يجعل من حب أبي بكر ميزاناً يشهد به المسلمون على تمام إيمان من يزعم أنه مؤمن؛ ونفاق من يزعم أنه مؤمن وهو يبغض خليفة رسول الله ﷺ إمام الأمة وقائدها الأكبر بعد نبيها ﷺ.

ومن هنا أيضًا تأتي المفارقة مع من يرفض إمامة الصديق ومتابعته، لأن كل من يرفض هذه الإمامة سيكون خارج إطار السنّة وفي مواجهة معلنة مع رسول الله ﷺ الذي كان يبغض لبغض أبي بكر ويرضى لرضاه، وما ذلك إلا لأن محبته علامة الإيمان وبغضه علامة الرفض والردة، فكل من يتعامل مع مبغضي خليفة رسول الله ﷺ ويبياعهم ويشاريهم إذا لم يكن مضطراً؛ فإنما هو مداهن في إيمانه ومعارض لهوى رسول الله ﷺ ومراده الذي لا ينطق عن الهوى، وهذه خصيصة لأبي بكر من دون أصحاب رسول الله ﷺ تُوصل المؤمن بها إلى بحر رسول الله ﷺ

(١) البخاري: ك. فضائل الصحابة، باب: «لو كنت متخذًا خليلاً»، ح (٣٤٦٢).

(٢) سورة الحشر، الآية: ٧.

وسواحلهم المزهرة؛ وتخرج الرافض لها إلى تيه وردة مسيلمة وأبي لؤلؤة المجوسي وابن سبأ وابن ملجم وإخوانهم أهل الغدر والخيانة أعداء أصحاب رسول الله ﷺ الذين يمدونهم بغيهم ويؤمنون بما ارتكبوه من الإثم والجريمة بحق أصحاب رسول الله ﷺ.

ففي المواضع التي لا يكون مع النبي ﷺ من أكابر الصحابة إلا واحد كان أبو بكر يكون هو ذلك الواحد، مثل يوم هاجمه المشركون في الحرم وحاول بعضهم خنق رسول الله ﷺ وفي يوم الغار، وفي العريش يوم بدر، وفي تشاوره معه عن مستقبل الدعوة ووسائل تسييرها، ومثل اصطحابه إلى قبائل العرب يدعوهم إلى الإسلام، فهذا الاختصاص في الصحبة لم يكن لغيره باتفاق أهل المعرفة بأحوال النبي ﷺ، وأما من كان جاهلاً بأحوال النبي ﷺ أو كذاباً، فذلك يخاطب خطاب مثله. فقوله تعالى في القرآن: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّا نَلْفُكَ اللَّهُ مَعَنَا﴾^(١) لا يختص بمصاحبه في الغار، بل هو صاحبه المطلق، الذي كمل في الصحبة كما لا لم يشركه فيه أحد فصار مختصاً بكمال الصحبة.

كما في الحديث عن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «أيها الناس اعرفوا لأبي بكر حقّه؛ فإنه لم يسؤني قط»^(٢). ومن تأمل هذا وجد فضائل الصدّيق التي في الصحاح كثيرة، وهي خصائص ومزايا له وحده رضي الله عنه لم يصل إلى آفاقها أحد من الناس مثل حديث المخالّة، وحديث: إن الله معنا، وحديث: إنه أحب الرجال إلى النبي ﷺ، وحديث الإتيان إليه إن لم يكن النبي موجوداً كما سبق ذكره، وحديث كتابة العهد إليه بعده: عن الطاهرة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها. قالت: قال لي رسول الله ﷺ في مرضه: «ادعي لي أبا بكر أباك وأخاك، حتى أكتب كتاباً، فإني أخاف أن يتمنى متمنٌ ويقول قائل: أنا أولى، ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر»^(٣). وحديث تخصيصه بالتصديق ابتداءً والصحبة الخاصة

(١) سورة التوبة، الآية: ٤٠.

(٢) ابن كثير، السيرة النبوية، ٤ / ٤٢٦. ينظر: منهاج السنة، ٨ / ٤١٧.

(٣) مسلم: صحيح مسلم. ح (٦١٨١)

به ﷺ، ومطالبته المسلمين بتركه له ﷺ في قوله: «فهل أنتم تاركو لي صاحبي»^(١) ذلك الحديث الذي ظهرت فيه غيرة رسول الله ﷺ على صاحبه رضي الله عنه ونصرته له بما أدخل الفرع والروع على كل من يتعرض لأبي بكر رضي الله عنه بأي صغيرة أو كبيرة، فإذا كانت هذه غيرة رسول الله على صاحبه أبي بكر رضي الله عنه من الصحابة الكرام، فكيف تكون غيرته عليه وحميته له ﷺ من مجوس هذه الأمة الذين رفضوا خلافة النبوة وأعلنوها حرباً شعواء سوداء على سنة رسول الله ﷺ؟! فهل يقتدي أهل السنة بنبيهم ﷺ في غيرته على أصحابه فتثور فيهم حمية الإيمان فتتلاحم الصفوف لتكوين حصون المنعة وصد الرفض والردة التي بلغت مبلغاً لم تصله من قبل في وقت لا تزال ترى كثيراً من أهل السنة نياماً لا تنبض فيهم حمية الإيمان وأخوة الدين؟ وحديث التصدي لعقبة بن أبي معيط لما وضع الرداء في عنقه ﷺ ودفعه عن رسول الله ﷺ مفتدياً لصاحبه وحببه ﷺ بنفسه وحياته وهو يصيح في عتاة قريش وفراعة الشرك: ﴿أَنْقَتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ﴾^(٢)! وحديث استخلافه في الصلاة وفي الحج، وصره وثباته بعد موت النبي ﷺ وانقياد الأمة له، وحديث الخصال التي اجتمعت فيه في يوم واحد، وما اجتمعت في رجل إلا وجمت له الجنة، وأمثال ذلك من الخصائص التي انفرد بها خليفة رسول الله عن بقية الصحابة الكرام التي جاءت في مواضعها من البحث، ووجب التأكيد عليها والتذكير بها لكيلا يرد خاطر على قلب أحد بأن هناك من وصل إلى ما وصل إليه خليفة رسول الله ﷺ من السبق والبذل والفداء والتضحية.

ومن خصائصه ثباته الراسخ يوم وفاة النبي ﷺ:

عن أنس قال: لما توفي رسول الله ﷺ بكى الناس بكاءً شديداً فقام عمر بن الخطاب في المسجد خطيباً فقال: لا أسمعن أحداً يقول إن محمداً قد مات، ولكنه أرسل إليه كما أرسل

(١) صحيح البخاري، كتاب المناقب، قول النبي ﷺ: «لو كنت متخذاً خليلاً»، ح (٣٨٨٨).

(٢) سورة غافر، الآية: ٢٨.

إلى موسى بن عمران فلبث عن قومه أربعين ليلة، والله إنّي لأرجو أن يقطع أيدي رجال وأرجلهم يزعمون أنه مات. وقال عكرمة: ما زال عمر رضي الله عنه يتكلم ويوعد المنافقين حتى أزيد شدقه فقال له العباس: إن رسول الله ﷺ يأسن كما يأسن البشر وإنه قد مات فادفنوا صاحبكم أيّمت أحدكم إمامة ويميته إمامتين هو أكرم على الله من ذلك؟ وعن أبي سلمة أن أم المؤمنين عائشة أخبرته أن أبا بكر رضي الله عنه أقبل على فرس من مسكنه بالسبح حتى نزل فدخل المسجد فلم يكلم من الناس أحدًا حتى دخل على عائشة فميم رسول الله ﷺ وهو مغشى بثوبٍ جبرة فكشف عن وجهه ثم أكب عليه فقبله وبكى. ثم قال: بأبي أنت وأمي والله لا يجمع الله عليك موتتين أما الموتة التي كتبت عليك فقد متّها. وحدثني أبو سلمة عن عبد الله بن عباس: أن أبا بكر رضي الله عنه خرج وعمر رضي الله عنه يكلم الناس فقال: اجلس يا عمر، فأبى عمر أن يجلس فأقبل الناس إليه وتركوا عمر رضي الله عنه فقال أبو بكر: أما بعد من كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت قال الله: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإَيْنَ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنَ يَصُرَ اللَّهُ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾^(١) قال: والله لكأن الناس لم يعلموا أن الله أنزل هذه الآية إلا حين تلاها أبو بكر. فتلقاها منه الناس كلهم فما أسمع بشرًا إلا يتلوه. وأخبر سعيد بن المسيب أن عمر بن الخطاب قال: والله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها فعقرت حتى ما تقلني رجلاي وحتى أهويت إلى الأرض وعرفت حين سمعته تلاها أن رسول الله ﷺ قد مات^(٢).

لقد حصل ما حصل من المحنة يوم وفاة النبي ﷺ وأبو بكر الصديق رضي الله عنه ثابت الجأش قوي القلب لم يتزعزع ولم تخرّ قواه ولم تشبط عزيمته عن مكافحة ذلك التيار الهائل الذي كاد يجترف الإسلام والمسلمين، كان موقف خليفة رسول الله ﷺ من أشد المواقف

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٤٤.

(٢) ابن حبان: صحيح ابن حبان، ك. التاريخ، باب وفاته ﷺ، ح (٦٦٢٠).

خطراً وحراجة، لكنه أثبت أنه أهل لمواجهة الأخطار والأهوال مهما بلغت من الخطورة دون أن يلحظ عليه أحد أي بادرة تردد أو مدهانة حتى أدهش قادة الصحابة بجرأته، وأهالهم بقوة إقدامه، وأثبت بكل جدارة وباتفاق جميع الصحابة أنه الثاني بعد رسول الله وأنه هو المتقدم في فهمه وإدراكه لما يحيط بالإسلام من تحديات وأنه الأفضل من الوجهة السياسية والإدارية والاجتماعية على عموم الصحابة من مهاجرين وأنصار وإن كانوا هم أجنحته التي يطير بها وقوته التي يستند إليها وعدته التي قاوم بها تيار الردة الجارف.

إلا أن كل ذلك لم يكن مستغرباً من خليفة رسول الله ﷺ وهو الذي عرف الناس مقدرته وفضله ومواقفه كلها متفردة من بدء إسلامه إلى وفاة النبي ﷺ ويوم الوفاة وفي يوم السقيفة والبيعة بالخلافة، وبعث جيش أسامة، وخروجه بنفسه لقتال من أغار على أطراف المدينة من المرتدين، وفي هذا الموقف الذي بعث فيه الجيوش الإسلامية لإخضاع المرتدين الرافضين لخلافة النبوة، وهو من أشدها هولاً ومغامرة في رأي العجزة والمترنحين، وإقداماً عند أهل العزائم والبصائر من المؤمنين، حيث كان هذا الموقف وهو الموقف الذي يريد به إعادة مجد الإسلام إلى ما كان عليه في اليوم الذي وقف فيه رسول الله ﷺ في عرفة في حجة الوداع وخطب خطبته التي أبان فيها محو كل مآثرة من مآثر الجاهلية، وتلا فيها قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَبَسُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا يَخْشَوهُمْ وَأَخْشَوْنَ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾^(١) ذلك اليوم الذي علمت فيه العرب أن لا دين غير دين الإسلام ولا مجد غير مجد الإسلام، ولا تشريع غير التشريع الإسلامي، هكذا كانت إرادة أبي بكر الصديق رضي الله عنه في إخضاع العرب إلى سلطان الإسلام، فكان هو بطل هذا الموقف المغوار، وفارسه الكرار، وسيفه البتار، وسهمه الصائب، وصاحب الجرأة الفائقة، والمقدرة العظمى، والإقدام الهائل، والبأس الشديد. هكذا يكون الأبطال وبهذه المواقف تعرف الرجال، ولا يكون التفاضل بين أصحاب المزايا إلا بعد خوضهم في المعارك الدامية.

(١) سورة المائدة، الآية: ٣.

فهذا أبو بكر الصديق رضي الله عنه أثبت له التاريخ هذه المواقف الكبرى المفعمة بالسياسة الفكرية والدعوية، والاقتصادية، والحربية، والاجتماعية، والإدارية، التي لا نظير لها ولم يحدثنا التاريخ بمثلها لغيره من العالم أجمع.

وعن الشعبي قال: خصّ الله تبارك وتعالى خليفة رسول الله ﷺ بأربع خصال لم يخصّ بها أحدًا من الناس:

١ - سمّاه الصّدّيق ولم يسمّ أحدًا الصّدّيق غيره. قال تعالى: ﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾^(١).

٢ - وهو صاحب الغار مع رسول الله ﷺ الذي ذكره الله: ﴿ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴾^(٢).

٣ - ورفيقه في الهجرة الذي خصه الله تعالى بها مع نبيه ﷺ من دون الناس. ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ ﴾^(٣).

٤ - وأمره رسول الله ﷺ بالصلاة والمسلمون شهود وهو بين أظهرهم ﷺ يسمعه ويراه ويسره انقياد المسلمين له ورضاهم بإمامته وفرحهم بقيادته. قال ﷺ: «يأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر»^(٤) فتحقق ذلك كاملاً كما أخبر رسول الله ﷺ فلم يخالف أحد من المسلمين أمرًا لخليفة رسول الله ﷺ وإرغامًا لأعداء الصحابة. أقول: لا يستطيع أحد من الرافضة ولا غيرهم أن يثبت أن عليًا

(١) سورة الزمر، الآية: ٣٣.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٤٠.

(٣) سورة الأنفال، الآية: ٣٠.

(٤) مسلم: صحيح مسلم، ح (٦١٨١). ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٣٠ / ٢٦٦.

رضي الله عنه أو سعد بن عبادة رضي الله عنهما قد خالفاً أمرًا واحدًا لخليفة رسول الله ﷺ أو تخلفًا عن موقف واحد من مواقف الجهاد الذي قاده أو أمر به خليفة رسول الله فلطالما افترت الرافضة والغوغاء التي تجتر بهتانهم على هذين الكريمين المؤمنين المجاهدين بين يدي رسول الله ﷺ ومن ثم بين يدي خليفته أبي بكر رضي الله عنه، وهذه الكتب الصحيحة والكتب المزيفة بإفك الرافضة بين أيدي الناس فليثبت الرافضون لخلافة النبوة موقفًا واحدًا لأي منهما يبين ما يقولون!! وإذا لم يثبتوا ولن يثبتوا؛ فليعلم كل محب لرسول الله ﷺ وأهل بيته وأصحابه رضي الله عنهم أنه لا يخرج عن طاعة خليفة رسول الله ومحبه سوى من رفض النبوة وسنة النبوة ورد أمر رسول الله ﷺ وخرج من الملة ممن لا قيمة لرفضه ولا لقبوله، وكما ثبت ذلك على مر الأيام بأنه لم يخالف أمر خليفة رسول الله أبي بكر رضي الله عنه إلا الذين رفضوا دين رسول الله ﷺ من المرتدين والمشركين وإخوانهم من أهل النفاق والباطنية ومن تحلل من الإسلام ودان بالعلمانية. مصداقًا لقوله ﷺ: «ياأبي الله والمؤمنون إلا أبا بكر» ولينظر بعد هذا كل امرئ أين موقفه وتحت أي راية يقف؟ قال تعالى: ﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ (١).

(١) سورة الكهف، الآية: ٢٩.

المبحث الثالث

فضائل خليفة رسول الله المتفردة والمشاركة

من أخلاقه وفضائله التي جُبل عليها:

ثقته التامة بموعد الله تعالى لأهل الإيمان^(١) في مثل موقفه أمام المشركين من قوله تعالى: ﴿عَلَيْتِ الرُّومُ ﴿٢﴾ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَلَيْهِمْ سَيَّغِيثُونَ ﴿٣﴾﴾ قال المشركون لأبي بكر: ألا ترى إلى ما يقول صاحبك؟ يزعم أن الروم تغلب فارس. قال: صدق صاحبي. وقال: أفرحتم بظهور إخوانكم على إخواننا؟ فلا تفرحوا ولا يقر الله أعينكم؛ فوالله ليظهرن الروم. قال تعالى: ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَقَرِّحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾ أَي يَوْمَ يَغْلِبُ الرُّومَ ﴿٤﴾﴾ ينصُرُ اللهُ ﴿٤﴾ إياهم على فارس، وقد فرحوا بذلك وعلموا به يوم وقوعه يوم بدر ونزول جبريل بذلك، مع فرحهم بنصرهم على المشركين فيه ﴿يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ﴾ نصرته وهو العزيزُ الغالب للكافرين والمشركين، الرحيم بالمؤمنين ﴿وَعَدَ اللهُ﴾ مصدر بدل من اللفظ بفعله والأصل وعدهم الله النصر ﴿لَا يَخْلِفُ اللهُ وَعْدَهُ﴾ بنصرهم ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ كفار مكة ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ وعده تعالى بذلك على فارس أخبرنا بذلك نبينا ﷺ فقام

(١) ابن القيم: زاد المعاد، ج: ٢ / ٣٧١.

(٢) سورة الروم، الآيتان: ٢، ٣.

(٣) سورة الروم، الآية: ٤.

(٤) سورة الروم، الآية: ٥.

(٥) سورة الروم، الآية: ٦.

إليه أبي بن خلف فقال: كذبت. فقال أبو بكر رضي الله عنه: أنت أكذب يا عدو الله. قال: أراهنك على عشر قلائص مني وعشر قلائص منك، فإن ظهرت الروم على فارس غرمت، وإن ظهرت فارس غرمت إلى ثلاث سنين. ثم جاء أبو بكر رضي الله عنه إلى النبي ﷺ فأخبره فقال: «إنما البضع ما بين الثلاث إلى التسع فزيده في الخطر وماده في الأجل». فخرج أبو بكر رضي الله عنه فلقني أبيتاً فقال: لعلك ندمت؟ قال: لا. قال: تعال أزيدك في الخطر وأما ذلك في الأجل فأجعلها مائة قلوص بمائة قلوص إلى تسع سنين. قال: فعلت. وذلك قبل تحريم الرهان^(١) وقد أتم الله تعالى موعوده بنصر المؤمنين لتتجلى ثقة الصديق بينة واضحة لا يجحدها إلا هالك.

عميق ثقته بأهل الدين وغيرته على السنة وشدة تمسكه بما سمعه أو تعلمه من رسول الله ﷺ دون أي تعديل أو تبديل أو تفريط، فقد قام يوماً رضي الله عنه فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: يا أيها الناس، إنكم تقرؤون هذه الآية: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾^(٢) وأنا سمعنا رسول الله ﷺ يقول: «إن الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه أوشك أن يعمهم الله بعقابه»^(٣). فمواقف فقهه ويقين خليفة رسول الله لم تكن عارضة في سيرته وإنما كانت أخلاقاً متأصلة في ضميره وثابته في سيرته حتى أصبحت جزءاً من شخصيته يعرفها عنه أصحاب رسول الله، وكان يرى أن كل خطاب للمؤمنين في كتاب الله إنما هو موجه إليه قبل أي مؤمن آخر فكان ذلك يولد عنده الإحساس الدائم بالمسؤولية والتحفز الدائم للأداء الأمثل والأكمل فيما يخدم الدين. قال علي رضي الله عنه: كنت إذا سمعت من رسول الله ﷺ حديثاً نفعني الله بما شاء منه، وإذا حدثني عنه غيري استحلفت،

- (١) الصالحى: سبل الهدى والرشاد، ٢ / ٤٢٧. والقلائص: مفردة قلوص، وهي الناقة الشابة.
المعجم الوسيط، ٢ / ٩٥. مسند أحمد: كتاب: مسند أبي بكر. باب: مسند أبي بكر الصديق.
حديث: ١-٥ / ١.
(٢) سورة المائدة، الآية: ١٠٥.
(٣) مسند أحمد كتاب: مسند أبي بكر، باب: مسند أبي بكر الصديق رضي الله عنه، ح (٢) / ٥.

فإذا حلف لي صدقته، وإنَّ أبا بكر رضي الله عنه حدثني وصدق أبو بكر أنه سمع النبي ﷺ قال: «ما من رجل يذنب ذنباً فيتوضأ فيحسن الوضوء، ثم يصلي ركعتين، فيستغفر الله عز وجل إلا غفر له»^(١). فخليفة رسول الله فوق المساءلة وفوق العلماء لأن سيرته مدرسة يتعلم الناس فيها علم اليقين ونبع يستقون منه الفهم والإخلاص والفقہ في الدين.

وكيف لا تكون حياة خليفة رسول الله ﷺ مدرسة تتعلم منها الأجيال فنون التعامل والقيادة وصناعة النجاح؛ ورسول الله ﷺ يقول له: «يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما؟»^(٢) فكيف وهو يتلقى اليقين من رسول الله ﷺ بهذه الصراحة، وهو الذي لديه القدرة على استنباط مقاصد أحاديث رسول الله ﷺ فهذه المعية الربانية لخليفة رسول الله نبغ يولد المواقف الإيمانية المتفردة في مسيرة أبي بكر رضي الله عنه، وتؤكد عمق يقينه وثقته المطلقة بكل ما وعد به ﷺ من مبشرات تؤكد ظهور الإسلام وانتصار أهله على من سواهم من الأمم المعاندة لرسالة محمد ﷺ، فأورثه هذا اليقين الحرص الشديد على اقتناص الفرص وأوقات الفراغ عند رسول الله ﷺ لبيادته بالسؤال عما يجول في خاطره من تساؤلات علمية وأمور فقهية، فينهل من علوم رسول الله ﷺ وتوجيهاته وإشاراته علوماً لا توجد عند غيره حتى أصبح المرجع لأصحاب النبي ﷺ يجدون عنده حلول معضلاتهم التي يواجهونها في حياتهم اليومية.

قال عثمان بن عفان رضي الله عنه: إن رجلاً من أصحاب النبي ﷺ حين توفي النبي ﷺ حزنوا عليه حتى كاد بعضهم يوسوس، فمنهم من دُهِش فحولط، ومنهم من أقعد فلم يطق القيام، ومنهم من اعتقل لسانه فلم يطق الكلام، ومنهم من أنكر موته بالكلية^(٣) قال عثمان رضي الله عنه: وكنت منهم، فبينما أنا جالس في ظل أطم من الآطام أي حصن، مرَّ عليَّ عمر

(١) ابن حنبل: المسند، كتاب مسند أبي بكر الصديق. باب: مسند أبي بكر الصديق، ح ٥ - ٧/١.

(٢) ابن حنبل: المسند، كتاب: مسند أبي بكر الصديق رضي الله عنه. باب: مسند أبي بكر، ح ١٢، ٨/١.

(٣) ابن رجب: لطائف المعارف، ١١٤. الخليفة: الإنصاف، ٩٧.

رضي الله عنه فسلم عليّ فلم أشعر أنه مرّ ولا سلّم، فانطلق عمر رضي الله عنه حتى دخل على أبي بكر رضي الله عنه فقال له: ما يعجبك أني مررت على عثمان رضي الله عنه فسلمت عليه فلم يرد علي السلام، وأقبل هو وأبو بكر في ولاية أبي بكر رضي الله عنه حتى سلما عليّ جميعاً، ثم قال أبو بكر: جاءني أخوك عمر فذكر أنه مر عليك فسلم فلم ترد عليه السلام، فما الذي حملك على ذلك؟ قال: قلت: ما فعلت، فقال عمر: بلى والله لقد فعلت ولكنها عيبتكم يا بني أمية. قال: قلت: والله ما شعرت أنك مررت ولا سلمت، قال أبو بكر: صدق عثمان، وقد شغلك عن ذلك أمر؟ فقلت: أجل. قال: ما هو؟ فقال عثمان رضي الله عنه: توفي الله عز وجل نبيه ﷺ قبل أن نسأله عن نجاة هذا الأمر، قال أبو بكر: قد سألته عن ذلك، قال: فقلت إليه فقلت له: بأبي أنت وأمي أنت أحق بها، قال أبو بكر: قلت يا رسول الله، ما نجاة هذا الأمر؟ فقال رسول الله ﷺ: «من قبل مني الكلمة التي عرضت على عمي فردها عليّ فهي له نجاة»^(١). أي كلمة لا إله إلا الله التي عرضها على عمه أبي طالب فلم يقلها ومات على ملة عبد المطلب، وليس على ملة رسول الله ﷺ.

فكانت مجالس خليفة رسول الله ﷺ تتفجر بالحكمة والعلوم النافعة والوصايا الحكيمة التي تنم عن مدى قربه من رسول الله ﷺ؛ حيث لم يكن يحمل همّاً سوى همّ الدين ومستقبل الدين والتحذير من التفريط في رعايته أو مهادنة أعدائه الماكرين بأهله والكائدين لمستقبله. عن عمرو بن حريث: أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه أفاق من مرض له، فخرج إلى الناس فاعتذر بشيء وقال: ما أردنا إلا الخير ثم قال: حدثنا رسول الله ﷺ أن الدجال يخرج من أرض يقال لها خراسان يتبعه أقوام كأن وجوههم المجان المطرقة^(٢). فهذا الاستشراق الدائم للمستقبل هو الذي يميز خليفة رسول الله عن غيره من القادة، فهو يحدث عن الواقع

(١) ابن حنبل: المسند كتاب: مسند أبي بكر الصديق رضي الله عنه، باب: مسند أبي بكر، ح ١١-٢١/١.

(٢) ابن حنبل: المسند، كتاب: مسند أبي بكر الصديق رضي الله عنه، باب: مسند أبي بكر، ح ١٤-٣٤/١.

الذي يعيشه مع أصحابه لكنه دائماً يوجه أفكارهم ومشاعرهم لاستشعار الخطر القادم في المستقبل ولا سيما من تلك البلاد التي ينبت فيها بغض السنة وكرهية الصحابة.

وخطب أبو بكر رضي الله عنه المؤمنين يوماً. فقال: قام رسول الله ﷺ مقامي هذا عام الأول وبكى أبو بكر رضي الله عنه ثم قال: سلوا الله المعافاة. أو قال: العافية، فلم يؤت أحد قط بعد اليقين أفضل من العافية أو المعافاة، عليكم بالصدق فإنه مع البر وهما في الجنة، وإياكم والكذب فإنه مع الفجور وهما في النار، ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تقاطعوا ولا تدابروا، وكونوا إخواناً كما أمركم الله تعالى^(١) فهو مرشد لأصحابه وأبناء أمته إلى السبل المُمكنة للمجتمعات والمثبتة لأركان الأمم وصفاء علاقاتها وقوة روابطها، فما أحوج الأمة في هذا العصر إلى هذه المرامي التي يرمي إليها إمام الأمة وقائدها رضي الله عنه فهو يدعو إلى إقامة مجتمع العافية والأمن وقد فعل الصحابة ذلك، بينما نرى في هذا العصر الفاقد للإيمان ما يبذل أهله من الثروات والأموال الهائلة بحثاً عن العافية وطلباً للسلام فلا يزداد الحال إلا سوءاً والأمن إلا تحرقاً؛ وما ذاك إلا لأن الأسس التي يقيم أهل هذا العصر بنيانهم عليها تفتقد لأسس العدل والرحمة التي أسس الصحابة بنيان حضارتهم العالمية عليها.

ومن أخلاقه رضي الله عنه تواضعه الجرم. قال ابن أبي مليكة: قيل لأبي بكر رضي الله عنه: يا خليفة الله. فقال: أنا خليفة رسول الله ﷺ وأنا راضٍ به، وأنا راضٍ به، وأنا راضٍ به^(٢) فيستفاد من هذه اللفتة أنه لا مكانة عنده رضي الله عنه لأصحاب الأهواء فهو أدرى بنفسه وبمقامه.

(١) ابن حبان، صحيح ابن حبان، الزجر عن الكذب، ح (٥٧٣٤) سنن ابن ماجه: ك. الدعاء، باب الدعاء بالعفو والعافية، (٣٨٤٩).

(٢) ابن حنبل، المسند، كتاب: مسند أبي بكر الصديق رضي الله عنه باب: مسند أبي بكر الصديق، ح ٦٠-١٩/١.

ولعل هذا ما يلمس الناس في هذا العصر نتائجه الوخيمة على العدل وسير القوانين وحفظ مقامات الناس الطبيعية في مجتمعاتهم، فكم من همام وسيد وعالم أصبح لا قيمة له في بلاد المسلمين في هذا العصر، يسوسه ويسوده الهمج والجهلة والغوغاء، كل ذلك لغياب الموازين التي كان يكيل بها المؤمنون الحقوق ومنازل الناس بالعدل والإنصاف، وفي عصر الفرقة والهوان هذا، حيث فتحت الأبواب للمصنفين من الغشاشين والنامامين الذين يخدعون الناس عن أنفسهم، تغيرت المواقع ففسدت الثمار وتعطل الحصاد، فكم من جبان قتات دنيء في أمتنا يصفق له المراؤون بأنه هو نبع الشجاعة!! فينطلق بجنده المتسلحين بالنميمة والجاسوسية وبغض السنة النبوية؛ على كل حر في الأمة يقتلون ويسجنون ويشردون، فيسطر له المنافقون البطولات الكاذبة على شعبه وأبناء بلده المؤمن على حرياتهم ودمائهم وأموالهم وأعراضهم، بينما أرض البلاد المسلمة وثرواتها نهب للغزاة واللصوص، بمراى ومسمع من أهل النياشين والأوسمة الزائفة، ممن جعلوا من أنفسهم حرسًا وخولًا للمعتدين الظالمين وأعوانهم أعداء الصحابة، كل هذا حاصل في بلاد حررها وطهرها خليفة رسول الله رضي الله عنه وإخوانه الأكرمون من كل رجس وشين، بينما كان يسير رضي الله عنه على قدميه في ثياب رثة لا تزيد عن ستر العورات بلا مراكب ولا حراسة ولا نياشين، فإذا ذكر في مجالس القياصرة والأباطرة اهتزت عروشهم وتصدعت قلوبهم المشربة بالظلم والكبر وهضم الناس، وإذا سمع بذكره الضعفاء والمظلومون والفقراء والمساكين استبشروا وهشوا وتطلعوا إلى حقوقهم وكرامتهم كاملة غير منقوصة.

لكل ماسبق فإن الأمة الآن ولا سيما في هذه المرحلة أصبحت على مفترق من الخيارات؛ فإما السنة النبوية وسيرة الصديق رضي الله عنه وإخوانه الصحابة الأكرمين رضي الله عنهم والعزة والأمن والرفاه؛ وإما مزيد من الذل والتمزق والمآسي وهيمنة الغزاة والرعا وأعداء الصحابة، وما يتسلحون به من محالفة الباطل والغزاة والمعتدين وأخلاق السوقة وانحطاط السفهاء وقذارات الأثمين، وما يحملونه في صدورهم من الأحقاد والبغض وثقافة الكراهية للسنّة المطهرة وأهلها المؤمنين وقيمهم ونبلهم وسماحتهم!

ومنها أنه كان كتومًا للسر حافظًا لأسرار رسول الله ﷺ يتعامل معه في منتهى الأدب والتبجيل والإجلال. عن عمر رضي الله عنه. قال: تأيمت حفصة بنت عمر من خنيس أو حذيفة بن حذافة - شك عبد الرزاق - وكان من أصحاب النبي ﷺ ممن شهد بدرًا رضي الله عنه فتوفي بالمدينة، قال: فلقيت عثمان بن عفان رضي الله عنه فعرضت عليه حفصة، فقلت: إن شئت أنكحتك حفصة، قال: سأنظر في ذلك فلبثت ليالي فلقيني فقال: ما أريد أن أتزوج يومي هذا، قال عمر رضي الله عنه: فلقيت أبا بكر رضي الله عنه فقلت: إن شئت أنكحتك حفصة بنت عمر، فلم يرجع إليّ شيئًا، فكنت أوجد عليه مني على عثمان، فلبثت ليالي فخطبها إليّ رسول الله ﷺ فأنكحتها إياه، فلقيني أبو بكر رضي الله عنه فقال: لعلك وجدت علي حين عرضت علي حفصة فلم أرجع إليك شيئًا، قال: قلت: نعم، قال: فإنه لم يمنعني أن أرجع إليك شيئًا حين عرضتها علي إلا أنني سمعت رسول الله ﷺ يذكرها، ولم أكن لأفشي سر رسول الله ﷺ ولو تركها لنكحتها^(١). نعم لم يفش سر رسول الله ﷺ لأنها التربية النبوية والجنودية التي تخرجت في المدرسة المحمدية علم وفهم وترفع وعفاف، فبينما يهذي الكثير ممن يحسبون على القيادات العربية والإسلامية في هذا العصر بأسرار بلادهم وما لديها من ذخائر أو خطط وتوجهات نجد جند رسول الله ﷺ يتنبهون حتى على ما ينطق به من الأمور الاجتماعية والعلاقات الأسرية فيحفظون كل ذلك على أقرب الناس إليه ﷺ لا ينطقون بأي حرف لكيلا يؤول عن طريقه ذلك المنطق أي حرف قد يقود إلى كشف سر لرسول الله ﷺ ولو في مثل هذه المسائل الاجتماعية العائلية، فأين ما تحياه الأمة اليوم في أمنها وأسرارها وبين ما كان يحياه أئمتها الصحابة الكرام رضي الله عنهم، إضافة إلى ما تحمله وسائل الإعلام من أسرار الأمة بكل طبقاتها في هذا العصر فإن كثيرًا ممن يتولون مسؤوليات في الأمة وظفوا الكثير من الناس للتجسس والتلصص على أبناء الأمة خشية من أن يكون أحد من أبنائها قد أسر ما ينفعها أو يدفع عنها في ساعة من ساعات الشدة،

(١) ابن حنبل: المسند، كتاب: مسند أبي بكر الصديق. باب: مسند أبي بكر الصديق. حديث ٧٥-

فينطلق جند النميمة الذين هم أخس طبقات المجتمعات الإسلامية في هذا العصر إلا من رحم الله منهم ببقية دين أو تربية طيبة أو صحبة صالحة، لأنهم لا يشغلهم سوى كشف أسرار المؤمنين وهتك أستار المتقين، والتقرب بذلك إلى أعداء الأمة والدين.

شدة الحرص على تنفيذ مراد الله ورسوله ﷺ بأعلى درجات التنفيذ والقبول. قال أبو بكر رضي الله عنه: لما نزل على النبي ﷺ قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلنَّقْوَىٰ لَهُمْ مَعْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾^(١) قال رضي الله عنه: فأليت على نفسي ألا أكلم رسول الله ﷺ إلا كأخي السرار^(٢) مبالغة في الطاعة والجنديّة بين يدي رسول الله ﷺ وحفظاً لما يأمر به رسول الله ﷺ وخشية من أن يكون سبباً في إفشاء كلمة مما لا يريد رسول الله ﷺ إفشاءها، وبعداً عن أي تشويش أو ضوضاء في مجلس رسول الله ﷺ ليزداد الناس له إجلالاً وتبجيلاً واقتداءً واتباعاً.

أما عن شجاعته وفقهه فالمواقف أكثر من أن تعد وتحصى، إذ كانت حياة خليفة رسول الله حافلة بكل ذلك، وإن كان من أشهرها موقفه يوم الردة؛ حيث كثر الأعداء وقل الأنصار وقد غاب وجه رسول الله ﷺ الذي كان يجلو عنهم الهموم والمدلهمات، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله تعالى»، قال: فلما كانت الردة قال عمر رضي الله عنه لأبي بكر رضي الله عنه: تقاتلهم وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول كذا وكذا؟! قال: فقال أبو بكر رضي الله عنه: والله لا أفرق بين الصلاة والزكاة، ولأقاتلن من فرق بينهما. قال: فقاتلنا معه فرأينا ذلك رشداً^(٣) نعم إن الوقوف مع أبي بكر رضي الله عنه

(١) سورة الحجرات، الآية: ٣.

(٢) الحاكم: المستدرک، کتاب معرفة الصحابة. باب: أبو بكر الصديق، ح (٤٤٤٩) ٧٨/٣. وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٣) ابن حنبل: المسند، کتاب: مسند أبي بكر الصديق. باب: مسند أبي بكر الصديق حديث: ٦٨ -

٢٠/١. البداية: ٥/ ص ٢١٨

ونصرتة ومحبتة هي الهدى والرشد، وبغضه ومخالفته هو الضلال والبغي والظلم، ولا أدل على ذلك من موقفه الشامخ بالفخار والعز والمجد وما جناه المؤمنون من ذلك الموقف من ثمار طيبة مباركة في كل صفحات حياتهم فضلاً عن سلامة الدين وثبات أحكامه والعمل بأوامره واجتناب نواهيه.

وقد كانت صحبته رضي الله عنه لرسول الله ﷺ ولأمة رسول الله ﷺ كلها خصائص ومناقب، وكان في كل ذلك ينحت في مجرى الأيام والتاريخ فضائل لا تمحى مهما حاول أعداء الصحابة إزالتها بالبهتان والغدر والعدوان، بل إنها تتجدد في كل أزمة تمر بها الأمة إذ تعود في كل ذكرياتها إلى سيرة خليفة رسول الله ﷺ لتستقي العبر في حسن التعامل مع الآخرين. واجتهاده في تحقيق كل عمل يقربه إلى الجنة وما يرضي الله رب العالمين حتى شهد له رسول الله ﷺ بأنه قد جمع أعمال الخير الموجبة لدخول الجنة بإذن الله تعالى، فقد سأل ﷺ أصحابه يوماً فقال: «من أصبح منكم اليوم صائماً؟». قال أبو بكر: أنا. قال ﷺ: «فمن تبع منكم اليوم جنازة؟» قال أبو بكر: أنا. قال ﷺ: «فمن أطعم منكم اليوم مسكيناً؟» قال أبو بكر: أنا. قال ﷺ: «فمن عاد منكم اليوم مريضاً؟» قال أبو بكر: أنا. فقال رسول الله ﷺ: «ما اجتمعن في امرئ إلا دخل الجنة»^(١). وعلى هذا الاستعداد الذي تحوطه الرعاية الربانية كان خليفة رسول الله بيني أعماله ويستحضر نياته، فلا يسأل أحد عن فضيلة إلا وأبو بكر قد تلقفها قبل الناس ولا عن منقبة إلا وهي بعض سيرته ولا عن سباق إلا وهو رائده ولا ميدان إلا وهو سيده، ويجعل من نتاج كل ذلك ثماراً يضعها بين يدي رسول الله ﷺ ليتعلم الناس فنون الإيمان وخدمة الأمة وفهم العقيدة ونصرتها والبذل والعطاء من أجل عزها وسلامتها.

ويوم الهجرة قال أبو بكر رضي الله عنه: ارتحلنا والقوم يطلبوننا، فلم يدركننا أحد منهم غير سراقه بن مالك بن جعشم على فرس له، فقلت: هذا الطلب قد لحقنا يا رسول الله،

(١) مسلم: صحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أبي بكر رضي الله عنه ح (٦١٨٣).
مسلم: كتاب الزكاة، باب من جمع الصدقة وأعمال البر، ح (٢٣٧٤).

فقال: «لا تحزن إن الله معنا»^(١) فأثمر خوفه على رسول الله وحزنه على ما هو فيه من قلة المعين والنصير، أثمر أمناً مطلقاً لخليفة رسول الله ﷺ وثقة لا حدود لها وإيماناً لا ساحل له حتى أصبح ينظر إلى الأحداث وما يجري في الأمة بمنظار رسول الله ﷺ الذي لا تردد فيه ولا خور، وإنما هو الإقدام والنصر والظفر، كيف لا ومنحته من رسول الله ﷺ وهو في الغار أنه أصبح (ثاني اثنين الله ثالثهما)، ويوم الهجرة جائزته أن ﴿لَا تَحْزَنَ إِنْ لَمْ يَمُوتْ﴾؟ وكل ذلك خصائص لا يشركه فيها أحد من أصحاب رسول الله وهو يزداد بينهم فضلاً على فضل وشرفاً على شرف.

ومن فضائله أنه لم يكتف بنصرة رسول الله ومؤازرته ومشاركته حمل أعباء الهجرة، بل كان يسعى على خدمة رسول الله وعلى توفير كل ما يسعده من المكان الفسيح والظل المريح والطعام الهنيء، فبعد أن وفر المكان والظل أخذ يسعى حتى نال شرف إطعام رسول الله ﷺ في ساعة الشدة والخوف والتعب. قال رضي الله عنه: انطلقت، فإذا أنا براعي غنم يسوق غنمه، فقلت: لمن أنت؟ قال: لرجل من قريش، فسماه فعرفته، فقلت: هل في غنمك من لبن؟ فقال: نعم، فقلت: هل أنت حالب لي؟ قال: نعم، فأمرته، فاعتقل شاة من غنمه، ثم أمرته أن ينفض ضرعها من الغبار، ثم أمرته أن ينفض كفيه، فقال هكذا، ضرب إحدى كفيه بالأخرى، فحلب كثة من لبن، وقد جعلت لرسول الله ﷺ إداوة، على فمها خرقة، فصببت على اللبن حتى برد أسفله، فانتهيت إلى النبي ﷺ فقلت: اشرب يا رسول الله، فشرب حتى رضيت^(٢). كل هذا يفعل رضي الله عنه حباً لرسول الله وسعيًا وراء راحته، حباً أنساه ذاته وما فيه من التعب والخوف إذ إن راحته بسلامة رسول الله وأمنه ونجاته من شركاء المشركين.

وعن سبقه إلى الإسلام قال عمار رضي الله عنه: رأيت رسول الله ﷺ وما معه إلا خمسة

(١) صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب المهاجرين وفضلهم. ح (٣٦٥٢).

(٢) صحيح البخاري: كتاب اللقطة، باب من عرف اللقطة، ح (٢٤٣٩). ح (٣٦٥٢).

أعبد وامرأتان، وأبو بكر رضي الله عنه^(١). قال في فتح الباري: أما الأعبد فهم بلال وزيد بن حارثة وعامر بن فهيرة وأبو فكيهة، وقيل: الخامس شقران مولى رسول الله ﷺ، وقيل: عمار، والله أعلم، وأما المرأتان فهما خديجة وأم أيمن أو سمية رضي الله عنهم^(٢).

ومن خصائصه أن رسول الله ﷺ كان دائماً مسانداً له غيراً عليه نصيراً له، وقد بلغ من غيرته عليه رضي الله عنه أمام الصحابة رضي الله عنهم دون أي تحفظ ما رواه أبو الدرداء رضي الله عنه قال: كنت جالساً عند النبي ﷺ إذ أقبل أبو بكر رضي الله عنه آخذاً بطرف ثوبه، حتى أبدى عن ركبته، فقال النبي ﷺ: «أما صاحبكم فقد غامر». فسلم. وقال: إني كان بيني وبين ابن الخطاب شيء، فأسرعت إليه ثم ندمت، فسألته أن يغفر لي فأبى علي، فأقبلت إليك، فقال ﷺ: «يغفر الله لك يا أبا بكر» ثلاثاً، ثم إن عمر رضي الله عنه ندم فأتى منزل أبي بكر، فسأل: أئنم أبو بكر؟ فقالوا: لا، فأتى إلى النبي ﷺ فجعل وجه النبي ﷺ يتمعر، حتى أشفق أبو بكر رضي الله عنه فجننا على ركبته فقال: يا رسول الله، والله أنا كنت أظلم، مرتين، فقال النبي ﷺ: «إن الله بعثني إليكم فقلتم: كذبت، وقال أبو بكر: صدق. وواساني بنفسه وماله، فهل أنتم تاركوا لي صاحبي؟» مرتين، فما أودى بعدها رضي الله عنه^(٣) فإذا كان هذا الموقف الحاسم مع عمر الفاروق ذي المكانة العلية عند رسول الله ﷺ فكيف موقفه ﷺ مع من هو دون عمر، وفي مسألة خلافة كان البادئ فيها خليفة رسول الله ﷺ ثم إنه آب إلى التوبة وسعى بكل وسعه إلى رد الحق لصاحبه رضي الله عنهما.

والسؤال الذي يجب أن يفقهه من يزعم أنه من أهل السنة ويحمل في قلبه الود لأعداء أبي بكر رضي الله عنه ومبغضيه، بأي وجه يلقي رسول الله ﷺ؟ وبأي عذر يعتذر عن

(١) البخاري: بفتح الباري، كتاب: فضائل الصحابة، باب: قول النبي: «لو كنت متخذاً خليلاً»، ح (٣٦٦٠).

(٢) شرح فتح الباري: ك. فضائل الصحابة شرح الحديث (٣٦٦٠).

(٣) البخاري: صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي ﷺ: «لو كنت متخذاً خليلاً». ح (٣٦٦١).

تلك المودة أو الموالاتة بعد معرفة موقف رسول الله ﷺ مع عمر الفاروق رضي الله عنه حين اختلف مع أبي بكر رضي الله عنه؟ أما موقف رسول الله ﷺ من رافضي خلافة النبوة ومكذبي السنة ومستبيحي أهلها والموالين لأعدائها الكاشفين لهم كل عورات المسلمين والبائعين للأرض والعرض والدين، فإنه لن يكون أقل من موقفه من بني قريظة الخائنين الغادرين، ذلك الحكم الذي نطق به سعد بن معاذ رضي الله عنه.

ومن فضائله أن بركته وبركة آله رضي الله عنه على المسلمين كانت ظاهرة معلومة، فخليفة رسول الله كان وجه الأمة بين يدي رسول الله ﷺ لا يُرد له قول ولا يستبدل برأيه ومشورته رأي أو مشورة، وهو الذي كان رحيماً بالمؤمنين محباً لهم متمنياً لهم كل خير، فكان وجوده بين ظهرانيهم خيراً على خير، وهكذا كان يوم وفاة رسول الله ﷺ ببصيرته وثباته وفهمه وعلمه ووزنه للأمر والأحداث الداخلية والخارجية بما كان يزن به رسول الله تلك الأحداث، فكانت نتيجة مواقفه بركة ووحدة وقوة ورفعته على أبناء أمته، وبعد وفاته كان بركة على أمة محمد ﷺ بأجمعها وليس على الصحابة والتابعين فقط؛ إذ إن مواقفه المتفردة وخصائصه التي لا يشركه فيها أحد كانت بعامتها خيراً ونوراً وسعادة لأجيال الأمة، لما حملته من الإخلاص والتفاني المطلق في سبيل خدمة الأمة ودينها، حتى أصبحت مواقفه أركاناً مشيدة يبني عليها البناء المخلصون للدين والأمة، بل إن اسمه بركة على العقيدة والثقافة الإسلامية؛ إذ إن بإمكان كل مسلم أن يعرف المؤمنين بما جاء به محمد ﷺ من النور والهدى، ويعرف الرافضيين لذلك النور والهدى، كل ذلك من خلال محبة أبي بكر وبغضه، فمن أحبه رضي الله عنه فقد أحب محمداً ﷺ وما جاء به، ومن أبغضه فقد أبغض محمداً ﷺ وما جاء به؛ فأصبح اسمه رضي الله عنه بركة يحرس عقيدة الأمة وهويتها.

ويمتد ذلك الفضل وتلك البركة لتشمل أسرة الصديق رضي الله عنه بأجمعها؛ فتلك زوجته أم رومان ورعايتها لرسول الله وأبنائه وبناته ومشاركتهم رسول الله ﷺ كل همومه، ولا سيما محتته في يوم الهجرة، ثم هذه الطاهرة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ورعايتها

لرسول الله ﷺ وسعادته وسروره معها في بيته وفي سفره وإقامته ﷺ، فضلاً عما أفادت به الأمة بأجمعها بما تعلمته من رسول الله ﷺ من فقه وعلم وحكم.

قالت الطاهرة أم المؤمنين رضي الله عنها: خرجنا مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره، حتى إذا كنا بالبيداء، أو بذات الجيش انقطع عقد لي، فأقام رسول الله ﷺ على التماسه، وأقام الناس معه، وليسوا على ماء، فأتى الناس إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه فقالوا: ألا ترى ما صنعت عائشة؟ أقامت برسول الله ﷺ والناس، وليسوا على ماء، وليس معهم ماء، فجاء أبو بكر الصديق رضي الله عنه ورسول الله ﷺ واضع رأسه على فخذي قد نام. فقال: حبست رسول الله ﷺ والناس، وليسوا على ماء، وليس معهم ماء؟ فقالت عائشة: فعاتبني أبو بكر، وقال ما شاء الله أن يقول، وجعل يطعنني بيده في خاصرتي، فلا يمنعي من التحرك إلا مكان رسول الله ﷺ على فخذي، فقام رسول الله ﷺ حين أصبح على غير ماء فأنزل الله آية التيمم فتمموا، فقال أسيد بن الحضير الأنصاري رضي الله عنه: ما هي بأول بركتكم يا آل أبي بكر، قالت: فبعثنا البعير الذي كنت عليها، فأصبنا العقد تحته^(١). وهكذا يتضح أن بيت الصديق رضي الله عنه بيت خير وفلاح وصلاح وعلم وإيمان وبركة على المسلمين، وأي بركة أكبر من أن يقوم التراب مقام الماء في طهارة المؤمنين؟ ومفتاحاً لوقوفهم بين يدي الله تعالى يناجونه ويسألونه ويؤدون طاعته وفرائضه.

ومن فضائله بركة الطعام؛ فإذا كانت بركة آل الصديق رضي الله عنهم قد ثبتت في أن يقوم التراب مقام الماء فإن لهم أمثالها في الطعام، قال عبد الرحمن بن أبي بكر: إن أصحاب الصفة كانوا أناساً فقراء، وإن النبي ﷺ قال: «من كان عنده طعام اثنين فليذهب بثالث، وإن أربع فخامس أو سادس». وإنّ أبا بكر جاء بثلاثة، فانطلق النبي ﷺ بعشرة، قال: فهو أنا وأبي وأمي، فلا أدري قال: وامرأتي وخادم، بينما وبين بيت أبي بكر، وإنّ أبا بكر تعشى عند النبي ﷺ ثم لبث حيث صليت العشاء، ثم رجع فلبث حتى تعشى النبي ﷺ فجاء بعدما

(١) البخاري: كتاب الحيض، باب الصلاة على النفساء وستتها، حديث رقم (٣٣٤).

مضى من الليل ما شاء الله، قالت له امرأته: وما حبسك عن أضيافك، أو قالت: ضيفك؟ قال: أو ما عشيتهم؟ قالت: أبوا حتى تجيء، قد عُرِضُوا فأبوا، قال: فذهبت أنا فاخبتأت، فقال: يا غنثر، فجدع وسبّ، وقال: كلوا لا هنيئًا، فقال: والله لا أطعمه أبدًا، وإيم الله، ما كنا نأخذ من لقمة إلا ربا من أسفلها أكثر منها، قال: حتى شبعوا، وصارت أكثر مما كانت قبل ذلك، فنظر إليها أبو بكر، فإذا هي كما هي أو أكثر منها، فقال لامرأته: يا أخت بني فراس، ما هذا؟ قالت: لا وقرّة عيني، لهي الآن أكثر منها قبل ذلك بثلاث مرات، فأكل منها أبو بكر وقال: إنما كان ذلك من الشيطان، يعني يمينه، ثم أكل منها لقمة، ثم حملها إلى النبي ﷺ فأصبحت عنده، وكان بيننا وبين قوم عقد، فمضى الأجل، ففرّقنا اثني عشر رجلاً، مع كل رجل منهم أناس، الله أعلم كم مع كل رجل، فأكلوا منها أجمعون. أو كما قال^(١) وما هذه المواقف إلا إشارات على ما كانت عليه أسرة الصديق من الفضل والبركة والقبول وحسن التوكل والثقة بالله تعالى.

ومنها تقديمه واستشارته: عن النبي ﷺ أنه قال لجبريل عليه الصلاة والسلام: «من يهاجر معي؟» قال: أبو بكر الصديق^(٢). وعن ابن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: «أتاني جبريل. فقال: يا محمد، إن الله تعالى أمرك أن تستشير أبا بكر»^(٣). وعن حفصة رضي الله عنها. قالت: يا رسول الله، إذا اعتللت قدمت أبا بكر؟ فقال: «ليس أنا الذي قدمته، ولكن الله تعالى قدمه»^(٤). وفي الأحاديث التي جاءت في تقديم أبي بكر رضي الله عنه حصراً دون غيره في الصلاة بالمؤمنين في حياة رسول الله ﷺ ما يوضح هذه المعاني ويؤكدّها، وكذلك في سيرة رسول الله ﷺ واستشاراته الدائمة لصاحبه وخليفته ما يبين ذلك

(١) صحيح البخاري: كتاب مواقيت الصلاة، باب السمر مع الضيف والأهل، ح (٦٠٢)

(٢) الحاكم: المستدرک، کتاب وباب الهجرة، ح (٤٢٦٦). وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٣) الديلمي: الفردوس بمأثور الخطاب، ح (١٦٣١).

(٤) الصالحی: سبل الهدی والرشاد، ١١/٢٥٢.

ويغني عن الأحاديث الضعيفة التي ترد في هذا الباب وتلغي أي حاجة إلى الاستشهاد بها لإثبات ما هو معلوم من سيرة خليفة رسول الله ومواقفه رضي الله عنه.

ومن القصص التي يتضح فيها تقديم رسول الله ﷺ لصاحبه الصدّيق رضي الله عنه ويظهر فيها إنكاره ﷺ لأي اعتراض عليه بيديه أي كائن من الناس. ما حدّث به ربيعة بن كعب الأسلمي رضي الله عنه حين قال: إن رسول الله ﷺ أعطاني أرضاً وأعطى أبا بكر رضي الله عنه أرضاً، وجاءت الدنيا فاختلّفنا في عذق نخلة. فقلت أنا: هي في حدّي، وقال أبو بكر رضي الله عنه: هي في حدّي. فكان بيني وبين أبي بكر كلام، فقال لي أبو بكر رضي الله عنه كلمة كرهتها وندم. فقال لي: يا ربيعة رد علي مثلها حتى يكون قصاصاً. قال: قلت: لا أفعل. فقال أبو بكر: لتقولن أو لأستعدين عليك رسول الله ﷺ؟ قال: فقلت: ما أنا بفاعل. قال: فرفض الأرض، وانطلق أبو بكر رضي الله عنه إلى النبي ﷺ وانطلقت أتلهوه، فجاء أناس من أسلم، فقالوا لي: رحم الله أبا بكر؛ في أي شيء يستعدي عليك رسول الله ﷺ، وهو الذي قال لك ما قال؟ قال: فقلت: أتدرون من هذا؟ هذا أبو بكر الصدّيق، هذا ثاني اثنين، وهذا ذو شيبة المسلمين، إياكم لا يلتفت فيراكم تنصروني عليه فيغضب فيأتي رسول الله ﷺ فيغضب لغضبه، فيغضب الله لغضبهما فيهلك ربيعة، قالوا: فما تأمرنا؟ قال: ارجعوا، قال: وانطلق أبو بكر رضي الله عنه إلى رسول الله ﷺ فتبعته وحدي حتى أتى رسول الله ﷺ فحدثه الحديث كما كان، فرفع إليّ النبي ﷺ رأسه فقال: «يا ربيعة، ما لك والصدّيق؟!» قلت: يا رسول الله كان كذا، فقال لي كلمة كرهها فقال لي رضي الله عنه: قل كما قلت حتى يكون قصاصاً، فأبيت، فقال رسول الله ﷺ: «أجل فلا ترد عليه، ولكن قل: غفر الله لك يا أبا بكر». فقلت: غفر الله لك يا أبا بكر، قال الحسن: فولّى أبو بكر رضي الله عنه وهو يبكي^(١). والملاحظ لموقف أبي بكر رضي الله عنه من هذه الكلمة التي صدرت منه؛ ولعلها كلمة تدور حول مسألة تأكيد ملكية تلك الأرض أو ما شابه ذلك مما كان يدور الكلام حوله ولكن أبا بكر إمام الأمة وصاحب رسول الله

(١) ابن عساکر: تاريخ دمشق، ٣٠/١١٤.

لا تقبل تربيته النبوية ومنهجيته الإيمانية أن يكون سبباً في تكدر خاطر أخ من إخوانه من أجل أمر دنيوي، لذلك سارع بالإجابة والخضوع الكامل للحق المتمثل في قيم القصاص الذي يمنح الحياة الروح الملائكية، ولكن ربيعة الأسلمي خادم رسول الله ﷺ كان يعلم مقام الصديق رضي الله عنه ومكانته في نفس رسول الله ﷺ، ومكانته في نفوس المؤمنين فلم يرد على أبي بكر ما يكرهه، بل لم يرض أن يقف قومه معه يسائلونه عما جرى بينهما، خشية من أن يُظن به أنه امرؤ فيه جاهلية! لذلك سرعان ما صرف قومه، لأن مقام الصديق في الأمة مقام المربي القائد والمعلم، فكيف يستطيل التلميذ على أستاذه؟! وهذا ما أقره رسول الله ﷺ حين قال: «أجل، لا ترد عليه بل قل: غفر الله لك يا أبا بكر». فقال ذلك ربيعة، فسري عن رسول الله ﷺ الذي كان لا يجامل من ينال من صاحبه أي نيل تحت أي ذريعة، وهذا ما عرفه المؤمنون فأجلّوا أبا بكر رضي الله عنه حياً وميتاً رضي الله عنه في حين أن أعداء الصحابة بعد أن علموا مكانته في قلب رسول الله ﷺ وقلوب المؤمنين أخذوا يقيمون الاحتفالات والطقوس التي تنال منه وتطعن فيه رضي الله عنه، انتصاراً للجاهلية ومضادة لمراد رسول الله ﷺ وأمه وسته المطهرة، وتأكيداً لرفض خلافة النبوة وموالاته الردة.

ومن شيمه الاجتماعية رضي الله عنه التفاعل التام مع كل ما يجري حوله، فمن غير الممكن أن يقف رضي الله عنه متفرجاً على حدث يجري من حوله دون أن يكون آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر، فإن وجد صواباً أزره وإن وجد خللاً أصلحه وإن وجد خروجاً ورفضاً جاهده، فكل ما في خليفة رسول الله ﷺ كان ينطق بفاعليته في مجتمعه وحركيته في دعوته وعمله الدائم على توظيف كل ما يشهده توظيفاً إسلامياً يخدم الدين والمجتمع، فقد دخل على النبي ﷺ يوماً فسمع صوت أم المؤمنين الطاهرة عائشة رضي الله عنها عالياً، فلما اقترب منها تناولها ليلطمها وقال: أراك ترفعين صوتك على رسول الله ﷺ، فجعل رسول الله ﷺ يحجزه، وخرج أبو بكر مغضباً فقال النبي ﷺ لعائشة حين خرج أبو بكر: «أرأيت كيف أنقذتك من الرجل؟» فمكث أبو بكر أياماً، ثم استأذن رسول الله ﷺ فوجدهما قد اصطلحا. فقال لهما: أدخلاني في سلمكما، كما أدخلتاني في حربكما. فقال النبي ﷺ:

«قد فعلنا»^(١). فحياته حياة حركية حيّة هادفة مدركة لكل صغيرة وكبيرة، ولا تشغله عظام الأمور عن صغائرها، بل يرى أنه مطالب بمعالجة كل ما يراه على غير الوجهة المرضية، فكأنما خلق رضي الله عنه للإصلاح والنفع والخير أينما حل وأينما نزل.

ودخل مرة إلى بيت رسول الله ﷺ في أيام عيد فكان عند الطاهرة أم المؤمنين رضي الله عنها جارتان من جواري الأنصار تغنيان فقال أبو بكر رضي الله عنه: أبزمير الشيطان في بيت رسول الله ﷺ؟ وكان رسول الله ﷺ في البيت معرضاً بوجهه عنهما، مقبلاً بوجهه إلى الحائط، فقال ﷺ: «يا أبا بكر، إن لكل قوم عيداً وهذا عيدنا»^(٢) فسكت عنهم رضي الله عنه بعد أن سمع إقرار النبي ﷺ لهم.

فهذه المواقف من أبي بكر رضي الله عنه تشهد له بالتفاعل مع الأحداث وعدم الوقوف عند بعض العقبات انتظاراً للنتائج ومن ثم الوصايا والإرشادات، بل كان يلج الأحداث بعلم وفهم وقوة حتى يصل فيها إلى الأحكام الصحيحة، لا يحجزه عن ذلك حاجز فهو يتفاعل مع من حوله في كل شيء، ومنهجه دائماً هو الوصول إلى الأصح والأكمل، وهذا ما اتضح في أكثر من موقف في هذا البحث حتى شهد له كبار الصحابة بأنه هو السباق المبرز الذي لا يُسبق إلى خير أبداً.

وقد رخص النبي ﷺ لأُم المؤمنين بذلك اللعب وسماع غناء الجواري اللواتي لعبن معها في يوم العيد حين قال ﷺ: «وهذا عيدنا» وقد يكون ذلك لصغرهن وأن أمثالهن يلهون بالعبابهن أو ببعض الأناشيد في الأعياد، وأن ذلك ليس خلقاً من أخلاق المسلمين في غير أيام الأعياد، يبين ذلك قول النبي ﷺ: «ليعلم المشركون أن في ديننا فسحة»^(٣) وبالتأكيد فإن هذه

(١) أبو داود، سنن أبي داود، ك. الأدب، باب ما جاء في المزاح (٤٩٩٩) ضعفه الألباني.

(٢) البخاري: ك. العيدين، باب سنة العيدين، ح (٩٠٩). مسلم: صحيح مسلم، ك. صلاة العيدين، ح (٢٠٥٨).

(٣) ابن تيمية: الفتاوى، ١١ / ٣٠٨.

الفسحة لا تجيز سماع المزامير ولا استئجار المغنيات أو المغنين ودفع الأموال لهم لإقامة الحفلات بما يخالف الشرع، بل إن بعض البلاد تأتي بالمغنيات بعد دفع أموال مقطوعة وحين يصلن موقع الحفل لا يغنين حتى يدفع لهن الحضور أموالاً أخرى، فيكون ذلك سبباً للتنافس على الباطل بين الحاضرات وأيهن تدفع أكثر، وكل ذلك يذهب إلى جيوب المغنيات مذهباً باطلاً لا مسوغ له، حيث لا يعد ذلك من أعمال البر والمعروف ولا يعد من الواجبات الاجتماعية، ولا يذهب عوناً للأسرة الناشئة التي أقيم الحفل من أجلها، فتصرف الأموال وتكون حسرة على أصحابها لأنها لم تنفق في وجوه الخير، بل إنها تكون عوناً لمن يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله، وكما أن هذه الأمور لم يقرها الشرع كذلك لا يقر اختلاط الرجال بالنساء ولا تبرج النساء وإظهار زينتهن لغير بعولتهن في أيام الأعياد أو المناسبات الاجتماعية؛ وما يترتب على ذلك من مفاسد وتخلق بأخلاق المشركين كما هو حاصل في هذا العصر مما لا يقره شرع ولا ترضاه كرامة ولا يقبله أصحاب الفطرة السليمة والشرف الرفيع ممن يخشون الله والدار الآخرة.

ومن أخلاقه رضي الله عنه الحلم وكظم الغيظ؛ قال أبو هريرة رضي الله عنه: إن رجلاً شتم أبا بكر رضي الله عنه ورسول الله ﷺ جالس، فجعل النبي ﷺ يعجب ويتسم فلما أكثر الرجل رد عليه أبو بكر بعض قوله، فغضب النبي ﷺ وقام، فلحقه أبو بكر رضي الله عنه وقال: يا رسول الله، كان يشتمني وأنت جالس، فلما أكثر رددت عليه بعض قوله، غضبت وقلت!! فقال ﷺ: «إنه كان معك ملك يرد عنك، فلما رددت عليه بعض قوله وقع الشيطان، فلم أكن لأقعد مع الشيطان» ثم قال: «يا أبا بكر، ثلاث كلهن حق: ما من عبد ظلم بمظلمة، فيغضي عنها لله عز وجل إلا أعز الله بها نُصْرَةً، وما فتح رجل باب عطية يريد بها صلة إلا زاده الله بها كثرة، وما فتح رجل باب مسألة يريد بها كثرة إلا زاده الله بها قلة»^(١).

وفي هذا الحديث تظهر أسرار ومقامات صحبة النبي ﷺ وملازمته، وكيف يسمو ﷺ

(١) الطبراني: المعجم الأوسط، كتاب وباب من اسمه محمد، ح (٧٢٣٩).

بمن يصحبه ويلازمه إلى آفاق النبوة وأخلاقها التي لا تنظر بمنظار الفعل ورد الفعل، بل تنظر بموازين التسامح والعفو والرفق وتجاوز الحقوق لسد كل منفذ يريد الشيطان أن ينفذ منه إلى نفوس المؤمنين، ومع أن الموقف يُظهر كم كان أبو بكر متخلفاً بذلك الخلق حيث شتم رضي الله عنه مرارًا وهو ساكت مسامح لعل الآخر يرعوي إلى رشده فيسكت أو يخجل من سماحة الصدّيق رضي الله عنه، لكنه لم يفعل ولم يرعَ حضور النبي ﷺ لتلك الواقعة، ولعل هذا أحد الدوافع التي جعلت الصدّيق يرد عليه شتمه ما دام لا يُجل رسول الله ﷺ ولا يستحي منه ولا يقيم وزنًا للسماحة والتسامي عن السفاسف، ولكن بعد أن رأى الصدّيق أن دفاعه عن نفسه في ذلك الموقف لا يرضي رسول الله ﷺ سارع إلى التمسك بأذيال رسول الله ﷺ يستفسر ويبحث عمّا يرضيه ﷺ ليأخذ به فكان أن علمه رسول الله ﷺ تلك القواعد الملائكية في التعامل بين الإخوان وأبناء الملة الواحدة، وهذا ما فعله الصدّيق رضي الله عنه راضيًا بدفاع الله تعالى عنه وبالعامل على إغلاق كل المنافذ أمام شياطين الفتن والشحناء، وبإهدار كل حقوقه وما يحق له على من شتمه لكي يتعلم المسلمون من رسول الله ﷺ وصاحبه رضي الله عنه مكارم الأخلاق ومعالي الشيم والرفق والحلم والأناة وكظم الغيظ.

فيتأكد مما سبق أن من فضائل خليفة رسول الله ما هو فطري جُبل عليه، ومنها ما حققه بجهده وبذله وصبره، حتى شهد له النبي ﷺ بالفضل في أبواب السيادة والقيادة والإمامة والإخلاص والتضحية، فكان من فضائله المجمع عليها سبقه إلى الإسلام، وحرصه الدائم على أن يكون المؤمن سباقًا إلى ميادين الخير والفضل، ومنها اليقين والثقة المطلقة بعقيدته وانتصارها على ما سواها، فلم يشك ولم يتردد في موطن من المواطنين، فكان على يقين بتحقيق كل بشارة أو موعود كتب لأهل الإيمان، وعلى هذا المنهج الوثائق سار في قيادته وإمامته، فكان جازمًا بأن المؤمنين لا يعجزون، وأنهم قادرون على مواجهة الطغيان والباطل مهما بلغ شأنه من الجبروت، فتحقق له جميع ذلك واقعًا حيًا في سيادة الدين وعز المؤمنين، وسحق الطواغيت وأعوانهم، وسيادة الإيمان وأهله. فكان رضي الله عنه في ذلك مدرسة

فريدة ما زالت تتعلم منها الأجيال فنون التعامل مع الأزمات، وحسن القيادة وصناعة الانتصارات. فأصبح في ذلك مرشدًا لأصحابه وأبناء أمته إلى السبل القادرة على اختراق سدود الباطل مهما بلغ عتوها، ومهندسًا للوسائل المثبتة لأركان الأمة وصفاء علاقاتها وتمتين روابطها، وكل ذلك كان يقوم به أبو بكر رضي الله عنه بتواضع جم وعمل دؤوب، أثمر كل ما يطمح له المؤمنون ويخشاه الرافضة المرتدون، لما كان يفاجئهم به من إحاطة بكل مؤامراتهم ومكائدهم، في إتقان تام لفنون وأسرار العمل الصامت البعيد عن الحظوظ والمظاهر وإبراز الذات على حساب الأمة ومصالحها.

وكل ذلك كان يجري بضوابط العقيدة وميادين مراد الله ورسوله ﷺ وبشجاعة مطلقة تسهل أمامها كافة الصعاب، وعلى قواعد من العلم والفقه الشامل المحيط بجوانب الأحداث ونتائجها ومع كل ما يقوم به رضي الله عنه من مهام سياسية وعسكرية وغيرها؛ كان يبذل كل ما في وسعه من جهد لخدمة رسول الله وأداء ما يمكن تجاه حاجاته الخاصة التي لا تقوم الحياة إلا بها، وكان هو المقدم والمستشار في عامة ما يجري من أمور على مستوى دولة الرسول الناشئة وعلى الصعد كافة. ولم يكن خليفة رسول الله ممن يعتزل إخوانه وأبناء عقيدته كبارًا وصغارًا أو ينشغل عنهم بمهامه الكثيرة، بل كان مشاركًا لهم متفاعلاً مع كل قضاياهم الاجتماعية والحياتية في الآلام والأفراح، وكل ذلك يؤديه بنفس راضية تنبثق موافقها عن معدن الشيم والغيرة العظيمة على المسلمين متناسيًا حظوظ نفسه وتلبية حاجاته إلا بما يقيم الأود ويساعد على ديمومة العطاء، حتى نال رضا رسول الله ﷺ ورضا جميع المؤمنين الذين عرفوا له إخلاصه وحبه وتفانيه من أجل أبناء عقيدته الذين ارتفعت أيديهم دعاء له، وامتلأت قلوبهم محبة له، فأصبحت حياته وآله بركة على أمته وعلى أبنائها، حتى جمع في سيرته جميع خصال الخير الموجبة لدخول الجنة، وذلك بشهادة رسول الله ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى ﴿إِنَّهُ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾^(١) وتلك هي صفات القادة الربانيين الذين

(١) سورة النجم، الآية: ٤.

سلكوا سبل التفاني والعطاء المستمر لخدمة الأمة ونصرتها والغيرة والحمية عليها وعلى عقيدتها، وبهذه السيرة وسماتها العريقة تتوسم الأجيال صفات القادة المنصورين، وعليها تقاس دعاوى المصلحين في هذا العصر، فمن كان داخل الصف وبين أبناء الأمة يشاركهم همومهم ويعمل على تحقيق آمالهم وهو منهم وهم منه، فهذا على منهج الصديق رضي الله عنه، وهو ممن تأمل الأمة على يديه الخير والسداد، أما من أعز نفسه وأشبع من حوله وجعل دعوة الإسلام سلماً لتحقيق آماله وتكثير أتباعه الذين يسبحون في شهواته، فإن هذا الصنف هو البلاء والنشر وهو العقبة الكؤود أمام مسار الأمة إلى آفاقها السامية، ومواقعها الأولى التي حققها الصديق وإخوانه الأكارم بتفانيهم في خدمة أمتهم.

ومن الفضائل المشتركة لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما:

من ذلك شهادة رسول الله ﷺ لهما بالإيمان بالله تعالى والإيمان بالغيب الذي يؤمن به رسول الله ﷺ دون تعجب أو تردد أمام جمهور الصحابة، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: صلى رسول الله ﷺ صلاة الصبح، ثم أقبل على الناس فقال: «بيننا رجل يسوق بقرة إذ ركبها فضربها، فقالت: إنا لم نخلق لهذا، إنما خلقنا للحرث». فقال الناس: سبحان الله بقرة تكلم، فقال ﷺ: «فإني أو من بهذا أنا وأبو بكر وعمر - وما هما ثم - وبينما رجل في غنمه إذ عدا الذئب فذهب منها بشاة، فطلبه حتى كأنه استنقذها منه، فقال له الذئب: هذه استنقذتها مني، فمن لها يوم السبع، يوم لا راعي لها غيري». فقال الناس، سبحان الله ذئب يتكلم، قال: «فإني أو من بهذا أنا وأبو بكر وعمر - وما هما ثم»^(١). أي لم يكونا في ذلك المجلس.

وقال رسول الله ﷺ: «أبو بكر وعمر سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين ما خلا الأنبياء والمرسلين»^(٢) وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: كنت مع رسول الله ﷺ إذ

(١) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب حديث الغار، ح (٣٤٧١)

(٢) ينظر: الصالح: سبل الهدى والرشاد، ١١ / ٢٤٤.

طلع أبو بكر وعمر، فقال رسول الله ﷺ: «هذان سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين إلا النبيين والمرسلين، يا علي لا تخبرهما»^(١) وعن علي رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «أبو بكر وعمر سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين ما خلا النبيين والمرسلين لا تخبرهما يا علي»^(٢).

وقال النبي ﷺ: «أبو بكر وعمر من هذا الدين - وفي لفظ: مني كمنزلة - وفي لفظ: بمنزلة - السمع والبصر من الرأس»^(٣). وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أبو بكر وعمر خير أهل السماوات وأهل الأرض، وخير من بقي إلى يوم القيامة»^(٤). وعن ابن عمر أن رسول الله ﷺ خرج ذات يوم ودخل المسجد وأبو بكر وعمر أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله وهو آخذ بأيديهما، وقال: «هكذا نبعث يوم القيامة»^(٥).

وعن أبي أمامة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «رأيت البارحة كأنني دخلت الجنة، فخرجت من إحدى أبوابها الثمانية فإذا أنا بأمتي عرضوا علي قيامًا رجلًا رجلًا، وإذا الميزان منصوب فوضعت أمتي في كفة الميزان ووضعت في الكفة الأخرى فرجحتهم، ثم وضع جميع أمتي في كفة الميزان ووضع أبو بكر في الكفة الأخرى فرجح بهم». وفي لفظ: «أتيت بكفة ميزان فوضعت فيها، ثم جيء بأمتي فوضعت في الكفة الأخرى فرجحت بهم ثم رفعت فجيء بأبي بكر فوضع في كفة الميزان فرجح بأمتي ثم رفع أبو بكر وجيء بعمر بن الخطاب

(١) الترمذي: السنن، كتاب المناقب، باب في مناقب أبي بكر وعمر، ح (٣٦٦٥) قال: هذا حديث غريب من هذا الوجه. وقد روي هذا الحديث عن علي من غير هذا الوجه. وفي الباب عن أنس وابن عباس رضي الله عنهم.

(٢) الترمذي: السنن، كتاب المناقب، باب في مناقب أبي بكر وعمر، ح (٣٦٦٦).

(٣) الطبراني: المعجم الأوسط، باب من اسمه قيس، ح (٤٩٩٩).

(٤) الصالحي: سبل الهدى، ١١ / ٢٤٤.

(٥) الترمذي: السنن، كتاب المناقب، باب في مناقب أبي بكر وعمر، ح (٣٦٦٩) وروي هذا الحديث أيضًا من غير هذا الوجه عن نافع عن ابن عمر.

فرجح بأمتي، ثم رفع الميزان إلى السماء وأنا أنظر»^(١).

عن حذيفة رضي الله عنه قال: كنا جلوسًا عند النبي ﷺ فقال: «إني لا أدري ما بقائي فيكم، فاقصدوا باللذين من بعدي؛ وأشار إلى أبي بكر وعمر»^(٢). وقال ﷺ: «اثبت أحد فإنما عليك نبي وصدّيق وشهيدان»^(٣). وكان الصدّيقُ المعنّي بقوله ﷺ «أبا بكر رضي الله عنه، وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «أحشر أنا وأبو بكر وعمر يوم القيامة هكذا - وأخرج السبابة والوسطى والبنصر - ونحن مشرفون على الناس»^(٤). وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ لأبي بكر: «متى توتر؟» قال: أول الليل بعد العتمة، قال: «وأنت يا عمر» قال: آخر الليل، قال: «أما أنت يا أبا بكر فأخذت بالثقة، وأما أنت يا عمر فأخذت بالقوة»^(٥). وقال عمر رضي الله عنه عن أبي بكر رضي الله عنه حين أمرهم رسول الله بالنفقة في سبيل الله، فجاء الصدّيق بكل ماله: والله لا أسبقه إلى شيء أبدًا»^(٦). أي ولا يمكن لأحد أن يسبقه في خدمة الدين ونصرة رسول الله ﷺ

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: «أن أهل الدرجات العلا يراهم من هو أسفل منهم كما ترون الكوكب الدرّي في أفق السماء، وإن أبا بكر وعمر منهم وأنعمًا»^(٧). وعن ابن عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن أهل الدرجات العلا ليراهم من هو أسفل منهم،

(١) الطبراني: المعجم الكبير، ح (٧٨٦٤). الصالحى: سبل الهدى، ١١ / ٢٤٤.

(٢) الترمذي: السنن، كتاب المناقب، باب في مناقب أبي بكر وعمر، ح (٣٦٦٦٣).

(٣) البخاري: ك. فضائل الصحابة، باب «لو كنت متخذًا خليلًا»، ح (٣٤٧٢). الصالحى: سبل الهدى، ١١ / ٢٤٤.

(٤) ينظر: الصالحى: سبل الهدى، ١١ / ٢٤٥.

(٥) سنن أبي داود، ك. الوتر، باب في الوتر قبل النوم (١٤٣٤) ابن حبان: صحيح ابن حبان، ك. الصلاة، باب الوتر، ح (٢٤٤٦).

(٦) الترمذي: السنن، كتاب المناقب، باب في مناقب أبي بكر وعمر، ح (٣٦٧٥). قال: هذا حديث حسن صحيح.

(٧) أبو يعلى: مسند أبي يعلى، كتاب وباب، أبي سعيد الخدرى، ح (١٢٩٩).

كما ينظر أحدكم إلى الكوكب الدرّي الغائر في أفق من آفاق السماء، وإن أبا بكر وعمر منهم وأنعماً»^(١).

وعن أبي سعيد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن أهل عليين ليشرّف أحدهم على الجنة فيضيء وجهه لأهل الجنة كما يضيء القمر ليلة البدر لأهل الدنيا، وإن أبا بكر وعمر منهما وأنعماً»^(٢). وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن لكل نبي خاصة من قومه، وإن خاصتي من أصحابي أبو بكر وعمر»^(٣).

وعن أبي ذر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن لكل نبي وزيرين ووزيراي وصاحباي أبو بكر وعمر»^(٤). وعن أبي سعيد الخدري. قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من نبي إلا له وزيران من أهل السماء ووزيران من أهل الأرض... وأما وزيراي من أهل الأرض فأبو بكر وعمر رضي الله عنهما»^(٥). وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إني لأرجو لأمتي بحب أبي بكر وعمر، كما أرجو لهم بقول لا إله إلا الله»^(٦).

وعن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «مثل أبي بكر وعمر مثل نوح وإبراهيم في الأنبياء، أحدهما أشد في الله من الحجارة وهو مصيب، والآخر ألين في الله من اللين وهو مصيب»^(٧). وعن أنس وجابر: أن رسول الله ﷺ قال: «حب أبي بكر وعمر سنة،

(١) أبو يعلى: مسند أبي يعلى، كتاب وباب، أبي سعيد الخدري، ح (١٢٩٩) الصالحى: سبل الهدى، ٢٤٦/١١.

(٢) الطبراني: المعجم الأوسط، كتاب وباب من اسمه أحمد، (١٧٩٩).

(٣) ينظر: مجمع الزوائد: ٩ / ٥٥. وينظر: الصالحى: سبل الهدى، ٢٤٦ / ١١.

(٤) الصالحى: سبل الهدى، ٢٤٦ / ١١.

(٥) الترمذي: السنن، كتاب المناقب، باب في مناقب أبي بكر وعمر، ح (٣٦٨٠). هذا حديث حسن غريب. وأبو الجحاف اسمه داود بن أبي عوف، وكان مرضياً وتليد بن سليمان يكنى أبا إدريس، وهو شيعي. والحق ما شهدت به الأعداء.

(٦) أحمد: المسند، ٦ / ٣٠٩. ورواه أبو داود الطيالسي، وعبد بن حميد، وابن ماجه والطحاوي.

(٧) ابن طاهر المقدسي: ذخيرة الحفاظ، ح (٤٩٢٩).

وبغضهما كفر - وفي لفظ: نفاق - وحب الأنصار إيمان، وبغضهم كفر، وحب العرب إيمان، وبغضهم كفر»، وفي لفظ: «من سب أصحابي فعليه لعنة الله، ومن حفظني فيهم فأنا أحفظه يوم القيامة»^(١). وقال ﷺ: «حب قريش إيمان، وبغضهم كفر، وحب العرب إيمان، وبغضهم كفر، فمن أحب العرب فقد أحبني، ومن أبغض العرب فقد أبغضني»^(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «خير أمي بعدي أبو بكر وعمر»^(٣). وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «صالح المؤمنين أبو بكر وعمر»^(٤). وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يحب أبا بكر وعمر إلا مؤمن، ولا يبغضهما إلا منافق»^(٥). وقال: علي رضي الله عنه: ما مات رسول الله ﷺ حتى عرفنا أن أفضلنا بعد رسول الله ﷺ أبو بكر، وما مات أبو بكر حتى عرفنا أن أفضلنا بعد أبي بكر عمر»^(٦).

في بعض فضائل أبي بكر وعمر وعثمان مشتركين:

عن الطاهرة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها. قالت: لما أسس رسول الله ﷺ مسجد المدينة جاء بحجر فوضعه، وجاء أبو بكر بحجر فوضعه، وجاء عمر بحجر فوضعه، وجاء عثمان بحجر فوضعه، قالت: فسئل رسول الله ﷺ فقال: «هذا أمر الخلافة بعدي»^(٧). وذكر أن ذلك في مسجد قباء، وأن النبي ﷺ أمر الثلاثة بوضع الحجر. وعن ابن عمر رضي الله عنهما. قال: كنا نقول في عهد رسول الله ﷺ أبو بكر وعمر وعثمان يعني في الخلافة، وهو

- (١) ينظر: الصالحى: سبل الهدى، ١١/٢٤٧.
- (٢) الطبراني: المعجم الأوسط، ك: من اسمه إبراهيم، باب: أبو مسلم إبراهيم، ح (٢٥٥٨).
- (٣) التيسير بشرح الجامع الصغير، حرف الخاء، ١/٥٢٩.
- (٤) ينظر: الصالحى: سبل الهدى، ١١/٢٤٦.
- (٥) التدوين في أخبار قزوين، ٣/٤٦.
- (٦) الصالحى: سبل الهدى، ١١/٢٤٨.
- (٧) أبو يعلى: مسند أبي يعلى، مسند عائشة، ح (٤٨٨٤).

في الصحيح خلا قوله: في الخلافة^(١). وقال: كنا نقول في عهد رسول الله ﷺ، من يكون أولى الناس بهذا الأمر؟ فنقول: أبو بكر، ثم نقول: رأيتم إن قبض أبو بكر، من يكون أولى الناس بهذا الأمر؟ فنقول: عمر بن الخطاب، ثم نقول: رأيتم إن قبض عمر، من يكون أولى الناس بهذا الأمر؟ فنقول: عثمان^(٢). وقال النبي ﷺ: «رأيت كأن ميزاناً أدلي من السماء فوزنت بأبي بكر، ثم وزن أبو بكر - وفي لفظ: وزنت في كفة، أو وضعت في كفة - فرجحت بأمتي، ثم وضع أبو بكر - وفي لفظ: ثم وزن، وفي لفظ: ووضع أبو بكر - مكاني فرجح بأمتي، ثم وضع عمر مكانه فرجح، ثم وضع عثمان مكانه فرجح، ثم وضع الميزان». وفي لفظ: «ثم وزن أبو بكر بعمر فرجح أبو بكر، ثم وزن عمر بعثمان فرجح الميزان» فاستهلها رسول الله ﷺ بقوة الخلافة، ثم يؤتي الله الملك من يشاء^(٣). عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أبو بكر وزير يقيم مقامي، وعمر ينطق بلساني، وأنا من عثمان وعثمان مني، كأنني بك يا أبا بكر تشفع لأمتي»^(٤). وقال ﷺ: «اثبت - وفي لفظ: اسكن - أحد فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان»^(٥). وما كان عليه إلا أبو بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم، ولما بنى رسول الله ﷺ المسجد جاء أبو بكر بحجر فوضعه ثم جاء عمر بحجر فوضعه ثم جاء عثمان بحجر فوضعه. فقال رسول الله ﷺ: «هؤلاء ولاية الأمر من بعدي»^(٦).

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما. قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يكون من بعدي اثنا عشر خليفة منهم أبو بكر الصديق لا يلبث بعدي إلا قليلاً، وصاحب رحي

(١) ينظر: الصالح: ١١ / ٢٤٩. الطبراني: ك. باب العين، باب عبد الله بن عمر، ح (١٣٣٩١).

(٢) الطبراني: ك. العين، باب: عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، ح (١٣٣٩١).

(٣) ابن أبي شيبة: المصنف، ما ذكر في أبي بكر الصديق، (٣٦٩٦١).

(٤) ينظر: مجمع الزوائد، ٥ / ١٧٩. وكنز العمال (٣٣٠٦٣). ينظر: الصالح: ١١ / ٢٤٩. وقال: رواه ابن النجار.

(٥) البخاري: ك. فضائل الصحابة، باب «لو كنت متخذاً خليلاً»، ح (٣٤٧٢).

(٦) الحاكم: المستدرک، كتاب وباب الهجرة، ح (٤٢٨٤).

دائرة العرب يعيش حميدًا ويموت شهيدًا»، فقال رجل: من هو يا رسول الله؟ قال: «عمر بن الخطاب»، ثم التفت رسول الله ﷺ إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه فقال: «يا عثمان، إن ألبسك الله تعالى قميصًا فأرادك الناس على خلعه فلا تخلعه، فوالله لئن خلعته لا ترى الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط»^(١). حدثني محمد بن بشار: حدثني يحيى، عن سعيد، عن قتادة، أن أنس بن مالك رضي الله عنه حدثهم: أن النبي ﷺ صعد أحدًا، وأبو بكر وعمر وعثمان، فرجف بهم، فقال: «اثبت أحد، فإنما عليك نبي وصدِّيق، وشهيدان»^(٢).

وعن سعيد بن المسيب قال: أخبرني أبو موسى الأشعري رضي الله عنه: أنه توضأ في بيته ثم خرج، فقلت: لألزم من رسول الله ﷺ ولأكونن معه يومي هذا، قال: فجاء المسجد، فسأل عن النبي ﷺ فقالوا: خرج ووجه ههنا، فخرجت على أثره، أسأل عنه، حتى دخل بئر أريس، فجلست عند الباب، وبابها من جريد، حتى قضى رسول الله ﷺ حاجته فتوضأ، فقمتم إليه، فإذا هو جالس على بئر أريس وتوسط قفها، وكشف عن ساقيه ودلاهما في البئر، فسلمت عليه، ثم انصرفت فجلست عند الباب، فقلت: لأكونن بواب رسول الله ﷺ اليوم، فجاء أبو بكر فدفع الباب، فقلت: من هذا؟ فقال: أبو بكر. فقلت: على رسلك، ثم ذهبت، فقلت: يا رسول الله، هذا أبو بكر يستأذن. فقال: «اأذن له وبشره بالجنة». فأقبلت حتى قلت لأبي بكر: ادخل، ورسول الله ﷺ يبشرك بالجنة، فدخل أبو بكر رضي الله عنه فجلس عن يمين رسول الله ﷺ معه في القف، ودلى رجله في البئر كما صنع النبي ﷺ وكشف عن ساقيه، ثم رجعت فجلست، وقد تركت أخي يتوضأ ويلحقني، فقلت: إن يرد الله بفلان خيرًا - يُريد أخاه - يأت به، فإذا إنسان يحرك الباب، فقلت: من هذا؟ فقال: عمر بن الخطاب، فقلت: على رسلك، ثم جئت إلى رسول الله ﷺ فسلمت عليه، فقلت: هذا عمر بن الخطاب يستأذن. فقال: «اأذن له وبشره بالجنة». فجئت فقلت: ادخل، وبشرك

(١) ينظر الصالحى: سبل الهدى والرشاد، ١١ / ٢٥٠. وقال: رواه الطبراني برجال وثقوا غير مطلب بن شقيب.

(٢) البخاري: صحيح البخاري، فضائل الصحابة، ح (٣٦٧٥).

رسول الله ﷺ بالجنة، فدخل فجلس مع رسول الله ﷺ في القف عن يساره، ودلى رجله في البئر، ثم رجعت فجلست، فقلت: إن يرد الله بفلان خيراً يأت به، فجاء إنسان يحرك الباب، فقلت: من هذا؟ فقال: عثمان بن عفان، فقلت: على رسلك، فجئت إلى رسول الله ﷺ فأخبرته، فقال: «أئذن له وبشره بالجنة، على بلوى تصيبه». فجئته فقلت له: ادخل، ويشرك رسول الله ﷺ بالجنة على بلوى تصيبك، فدخل فوجد القف قد ملئ، فجلس وجاهه من الشق الآخر. قال شريك: قال سعيد بن المسيب: فأولتها قبورهم^(١). فقبر عثمان مقابل لهم في موضعه الذي دفن فيه بعد أن غدر به أعداء الصحابة واغتالوه في بيته وهو يتلو كتاب الله تعالى رضي الله عنه.

وعن ابن عباس أن النبي ﷺ قال لأبي بكر وعمر: «ألا أخبركما بمثلكما في الملائكة ومثلكما في الأنبياء؟ مثلك يا أبا بكر في الملائكة مثل ميكائيل ينزل بالرحمة، ومثلك في الأنبياء مثل إبراهيم إذ كذبه قومه فصنعوا به ما صنعوا قال: ﴿فَمَنْ تَعْبَى فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(٢) ومثلك يا عمر في الملائكة مثل جبريل ينزل بالبأس والشدة على أعداء الله، ومثلك في الأنبياء مثل نوح إذ قال: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي مَعَ الْكَافِرِينَ دِيَارًا﴾^(٣).

وقام رسول الله ﷺ مرجعه من حجته فاجتمع الناس إليه فقال: «يا أيها الناس إن أبا بكر لم يسؤني طرفة عين، فاعرفوا ذلك له، يا أيها الناس إن الله راضٍ عن عمر بن الخطاب وعثمان وعلي وطلحة والزبير وعبد الرحمن وسعد، فاعرفوا ذلك لهم، يا أيها الناس دعوا لي أحبائي وأصحابي وأصهارى لا يطلبنكم الله بمظلمة أحد منهم، فيعذبكم بها، فإنها مما لا توهب، يا أيها الناس ارفعوا ألسنتكم عن المسلمين، وإذا مات أحد منكم فاذكروا

(١) البخاري: ك. فضائل الصحابة، ح (٣٦٧٤).

(٢) سورة إبراهيم، الآية: ٣٦.

(٣) سورة نوح، الآية: ٢٦. ابن عساکر: تاريخ دمشق، ٣٠/١٢١.

منه خيراً»^(١). وعن أبي هريرة، قال: خرج رسول الله ﷺ وهو متكئ على علي رضي الله عنه فلقبه أبو بكر وعمر فالتفت ﷺ إلى علي رضي الله عنه فقال: «يا علي أتحب هذين الشيخين؟» قال: نعم يا رسول الله. قال: «حبهما يدخل الجنة»^(٢). وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «حب أبي بكر وعمر من الإيمان، وبغضهما من الكفر، وحب الأنصار من الإيمان، وبغضهم من الكفر، وحب العرب من الإيمان، وبغضهم من الكفر»^(٣).

وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يبغض أبا بكر وعمر مؤمن ولا يحبهما منافق»^(٤). عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لحوضي أربعة أركان، فأول ركن منها في يد أبي بكر، والثاني في يد عمر، والثالث في يد عثمان، والرابع في يد علي، فمن أحب أبا بكر وأبغض عمر لم يسقه أبو بكر، ومن أحب عمر وأبغض أبا بكر لم يسقه عمر، ومن أحب عثمان وأبغض علياً لم يسقه عثمان، ومن أحب علياً وأبغض عثمان لم يسقه علي، ومن أحسن القول في أبي بكر فقد أقام الدين، ومن أحسن القول في عمر فقد أوضح السبيل، ومن أحسن القول في عثمان فقد استنار بنور الله، ومن أحسن القول في علي فقد استمسك بالعروة الوثقى، ومن أحسن القول في أصحابي فهو مؤمن، ومن أساء القول في أصحابي فهو منافق»^(٥). ولا شك أن مقاصد هذا الحديث مهما كانت درجته من الصحة لا تبعد عما في الأحاديث الصحيحة وعما كان عليه واقع حال المسلمين قبل أن يملأ أعداء الصحابة كتب الأدب والتاريخ من أباطيلهم ومفترياتهم التي تكدر النفوس وتعكر صفاء القلوب على أصحاب رسول الله ﷺ وتشوه سيرهم وتزيف حقيقة علاقاتهم الأخوية التي نزع الله منها الغل والبغض والتحاسد والتنافس على الدنيا، وإنما كل الذي قام

(١) ابن عساکر: تاریخ دمشق، ٣٠/١٣١.

(٢) ابن عساکر: تاریخ دمشق، ٣٠/١٤١.

(٣) ابن عساکر: ٣٠/١٤٤.

(٤) ابن عساکر: تاریخ دمشق، ٣٠/١٤٤.

(٥) ابن عساکر: تاریخ دمشق، ٣٠/١٥٧.

بينهم كان باجتهادات منضبطة بأدلتها الشرعية التي تبيح لهم كل ما اتخذوه من مواقف يحيط بها الصفاء والنقاء من كل جانب، لا يعكرها سوى بهتان مبغضي الصحابة وأعداء السنة المطهرة، الذين لا زالت مدارسهم تصنع الإفك وتشيع الباطل لتقبيح محاسن أصحاب رسول الله ﷺ وتزييف مواقفهم النبيلة السامية، وإشاعة ثقافة الكراهية والحقد عليهم وعلى تابعيهم بإحسان.

قال الحسين بن زيد بن حسن: جاء نفر من أهل العراق، فقالوا: يا أبا محمد حديث بلغنا أنك تحدثه عن علي رضي الله عنه في أبي بكر وعمر رضي الله عنهما. قال: نعم، حدثني أبي عن أبيه، عن علي قال: كنت عند النبي ﷺ فأقبل أبو بكر وعمر فقال: «يا علي هذان سيذا كهول أهل الجنة وشبابها بعد النبيين والمرسلين»^(١). فهذه النصوص الصحيحة منها وغيره إذا قورنت بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ من الألفة والتعاون والتناصح والمودة، إذا عرف ذلك من سيرهم بطل ما يقوم به أعداء الصحابة من تلييس على الأمة، وصناعة الأحاديث ونشرها في عقول الناس وكتبهم، دون أي وازع من دين أو حياء، ليقراها المغفلون والغوغاء فيتحولون إلى أبواق لنشر البهتان والكذب على أصحاب رسول الله ﷺ دون أن يكلف أحدهم نفسه أي عناء للتثبت أو التأكد مما ينسب إلى أولئك الأطهار الأبرار، وبالطبع فإن كل هذا الزيف الذي يمتد في بلاد المسلمين جاء بجهود أعداء الصحابة وبغيهم ومكرهم، ولكنه ما كان له أن ينتشر لولا غفلة علماء أهل السنة وجهلهم في فقه مكر أعداء الصحابة، وعملهم المتواصل على نشر ثقافة الكراهية ضد سلف الأمة وسنة نبيها ﷺ ومن يعتقد بها الخير والمصادقية.

من فضائل خليفة رسول الله الأخرى:

أثبت علماء السنة بالإجماع أن أبا بكر أفضل الصحابة على الإطلاق، وأفضل أمة محمد ﷺ وأفضل الناس عموماً بعد الأنبياء والمرسلين، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل

(١) ابن عساکر: تاريخ دمشق، ٣٠ / ١٦٥.

العظيم. وهذا ما يؤكده حديث ابن عمر، قال: كنا نفاضل على عهد رسول الله ﷺ: أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم نسكت^(١). وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أرحم أمتي بأمتي أبو بكر، وأشدهم في أمر الله عمر، وأصدقهم حياء عثمان، وأقرؤهم لكتاب الله أبي بن كعب، وأفضهم زيد بن ثابت، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل، ألا وإن لكل أمة أمينًا، ألا وإن أمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح»^(٢). وشهادة رسول الله ﷺ لأبي بكر وعمر بالإيمان وهما غائبان في مجلس يشهده جمهور الصحابة رضي الله عنهم معلوم في كتب السنن والصحاح لا يجهره إلا قليل العلم قاصر الفهم^(٣).

وعن ابن عباس قال: لما وضع عمر على سريره، اكتنفته الناس يصلون عليه ويدعون قبل أن يرفع، وأنا فيهم، فلم يرعني إلا رجل قد أخذ منكبي من ورائي، فالتفت إلى علي رضي الله عنه يترحم على عمر، ثم قال: ما خلفت أحدًا أحب إلي من أن ألقى الله بمثل عمله منك، وإيم الله إن كنت لأرى أن يجعلك الله مع صاحبيك، وذلك أني كنت أسمع رسول الله ﷺ يقول: «ذهبت أنا وأبو بكر وعمر، ودخلت أنا وأبو بكر وعمر وخرجت أنا وأبو بكر وعمر»، وإن كنت لأظن أن يجعلك الله معهما^(٤). هذه هي حال عمر وعلي رضي الله عنهما في حياتهما وبعد وفاتهما ودّ ووفاء وأخوة ونصرة، وأعداء الصحابة - سخط الله عليهم - يفترون عليهما ويقلبون كل ذلك زورًا وبهتانًا دون وازع من دين أو حياء ولا غرابة فيما يتخذه أعداء الصحابة من رفض كل مظهر مشرق من مظاهر أخوة الصحابة رضي الله عنهم، ولكن الغرابة فيمن يزعم أنه من أهل السنة ويصدق بهتانهم مع كل ما يرى

(١) صحيح ابن حبان. ك: إخباره ﷺ عن مناقب الصحابة، باب: فضل الصحابة والتابعين رضي الله عنهم. ح (٧٢٥١).

(٢) صحيح ابن حبان. ك: إخباره ﷺ عن مناقب الصحابة، باب: فضل الصحابة والتابعين رضي الله عنهم. ح (٧٢٥٢).

(٣) النسائي: السنن الكبرى، كتاب المناقب. باب: فضل أبي بكر وعمر رضي الله عنهما. ح (٨١١٤).

(٤) النسائي: السنن الكبرى. كتاب المناقب. باب: فضل أبي بكر وعمر رضي الله عنهما. ح (٨١١٥).

ويسمع من حقدهم على السنة وأهلها، ولا تتحرك فيه الغيرة على الصحابة ولا على السنة المطهرة ولا على أهلها، فما فائدة انتماء من لا علم له ولا غيرة على السنة وأهلها الأبرار؟! وقال ﷺ: «بيننا أنا نائم، رأيتني على قلب، وعليها دلو، فنزعت منها ما شاء الله، ثم أخذها ابن أبي قحافة، فنزع منها ذنوباً أو ذنوبين، وفي نزعه ضعف، والله يغفر له...»^(١). فأول ذلك بفترة خلافته القصيرة بعد رسول الله ﷺ وخرج رسول الله ﷺ في مرضه الذي مات فيه عاصباً رأسه بخرقه. فقعده على المنبر ثم حمد الله عز وجل، وأثنى عليه ثم قال: «إنه ليس من الناس أمنّ علي بنفسه وماله من أبي بكر بن أبي قحافة، ولو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، ولكن خلة الإسلام أفضل، سدوا عني كل خوخة في المسجد، غير خوخة أبي بكر»^(٢). وقال النبي ﷺ: «لو اتخذت خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، ولكنه أخي وصاحبي»^(٣). ولما قالت الأنصار: منا أمير ومنكم أمير، قال عمر: سيفان في غمد واحد إذا لا يصلحان، ثم أخذ بيد أبي بكر، فقال: من له هذه الثلاث؟ ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ﴾: من صاحبه؟ ﴿إِذْ هُمَا فِي الْفَكَارِ﴾، من هما؟ ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ مع من؟ ثم بايعه، ثم قال: بايعوا، فبايع الناس أحسن بيعة وأجملها^(٤). وقال ﷺ: «ما نفعنا مال ما نفعنا مال أبي بكر». قال: فبكى أبو بكر وقال: وهل أنا ومالي إلا لك^(٥)!

وعن الحسن بن علي قال رأيت رسول الله ﷺ في المنام متعلقاً بالعرش، ثم رأيت أبا بكر أخذاً بحقوي رسول الله ﷺ ثم رأيت عمر أخذاً بحقوي أبي بكر، ثم رأيت عثمان أخذاً بحقوي عمر، ثم رأيت الدم منصباً من السماء إلى الأرض، فحدث الحسن بهذا الحديث وعنده ناس

- (١) البخاري: كتاب التعيير، باب نزع الذنوب والذنوبين بضعف، ح (٧٠٢١) النسائي: السنن الكبرى، ك. المناقب. باب: فضل أبي بكر وعمر رضي الله عنهما. ح (٨١١٦).
- (٢) النسائي: السنن الكبرى، ك. المناقب. باب: فضل أبي بكر الصديق رضي الله عنه. ح (٨١٠٢).
- (٣) النسائي: السنن الكبرى، ك. المناقب. باب: فضل أبي بكر الصديق رضي الله عنه. ح (٨١٠٤).
- (٤) النسائي: السنن الكبرى، ك. المناقب. باب: فضل أبي بكر الصديق رضي الله عنه. ح (٨١٠٩).
- (٥) النسائي: السنن الكبرى، ك. المناقب. باب: فضل أبي بكر الصديق رضي الله عنه. ح (٨١١٠).

من الشيعة فقالوا: ما رأيت عليًّا؟ قال: ما كان أحد أحب إليَّ أخذًا بحقوي رسول الله ﷺ من علي، ولكن إنما هي رؤيا، فقال عقبة بن عمرو أبو مسعود البدري: وإنكم لتجدون علي الحسن في رؤيا رآها لقد كنت مع رسول الله ﷺ ونحن غزاة قد أصاب المسلمين جهد شديد حتى عرفت الكآبة في وجوه المسلمين والفرح في وجوه المنافقين، فلما رأى ذلك رسول الله ﷺ قال: «والله لا تغيب الشمس حتى يأتيكم الله برزق»، فعلم عثمان أن الله ورسوله سيصدقان، فوجه راحلته فإذا هو بأربع عشرة راحلة فاشتراها وما عليها من طعام، فوجه منها سبعًا إلى رسول الله ﷺ، ووجه بسبع إلى أهله، فلما رأى المسلمون العير قد جاءت عرف الفرخ في وجوه المؤمنين والكآبة في وجوه المنافقين، فقال رسول الله ﷺ: «ما هذا؟» قالوا: أرسل بها عثمان هدية لك، قال: فرأيت رافعًا يديه يدعو لعثمان رضي الله عنه ما سمعته يدعو لأحد قبله ولا بعده: «اللهم أعط عثمان وافعل بعثمان» رافعًا يديه حتى رأيت بياض إبطيه^(١)، وقال رسول الله ﷺ لأعرابي: «إذا أنا مت وأبو بكر وعمر وعثمان فإن استطعت أن تموت فمت»^(٢). وعن علي قال: رحم الله أبا بكر هو أول من جمع ما بين اللوحين^(٣). وقال إبراهيم النخعي: أول من أسلم مع رسول الله ﷺ أبو بكر. وقال يوسف بن يعقوب الماجشون: سمعت مشيختنا أهل الفقه، منهم سعد بن إبراهيم وصالح بن كيسان وربيعة بن أبي عبد الرحمن وعثمان بن محمد الأحنسي وغير واحد يذكرون أن أبا بكر أول من أسلم من الرجال^(٤). وقال محمد بن كعب: أول من صلَّى أبو بكر^(٥). وقال ابن عباس: أول من صلَّى أبو بكر، ثم تمثل بأبيات حسان بن ثابت الأنصاري المشهورة:

إذا تذكرت شجواً من أخي ثقة فاذكر أخاك أبا بكر بما فعلا

(١) ابن حنبل: فضائل الصحابة، ١/ ٢٣٤.

(٢) ابن حنبل: فضائل الصحابة، ١/ ٢٣٥.

(٣) ابن حنبل: فضائل الصحابة، ١/ ٢٣٠.

(٤) ابن حنبل: فضائل الصحابة، ١/ ٢٢٤.

(٥) ابن حنبل: فضائل الصحابة، ١/ ٢٢٥.

خير البرية أتقأها وأعدلها إلا النبي وأوفأها بما حملا
والثاني التآلي المحمود مشهده وأول الناس منهم صدق الرسلا^(١)

وعن أبي بكر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كانت تعجبه الرؤيا الحسنة، ويسأل عنها فقال ذات يوم: «أيكم رأى رؤيا؟» فقال رجل: أنا يا رسول الله؛ رأيت كأن ميزاناً ذلي من السماء فوزنت أنت وأبو بكر فرجحت بأبي بكر، ثم وزن أبو بكر وعمر فرجح أبو بكر بعمر، ثم وزن عمر وعثمان فرجح عمر بعثمان، ثم رفع الميزان، فاستاء لها رسول الله ﷺ فقال: «نبوة ثم يؤتي الله الملك من يشاء»^(٢). وقال سالم بن أبي حفصة: سألت أبا جعفر وجعفرًا عن أبي بكر وعمر، فقالا لي: يا سالم، تولهما وأبرأ من عدوهما، فإنهما كانا إمامي هدى. قال: وقال لي جعفر: يا سالم، أبو بكر جدي أيسب الرجل جده؟ قال: وقال: لا نالني شفاة محمد يوم القيامة إن لم أكن أتولاهما وأبرأ من عدوهما^(٣). وعن أبي الجحاف داود بن أبي عوف قال: لما بويع أبو بكر رضي الله عنه أغلق بابه ثلاثاً، يقول: أيها الناس أقيلوني بيعتكم، كل ذلك يقول له علي: لا نقيلك ولا نستقيلك قدمك رسول الله ﷺ فمن ذا يؤحرك^(٤)؟ وقال ﷺ: «إن أهل عليين ليراهم من أسفل منهم كما ترون الكوكب الدرري في أفق السماء، وإن أبا بكر وعمر منهم وأنعما»^(٥).

وقال عبد الرزاق: والله ما انشرح صدري قط أن أفضل علياً على أبي بكر وعمر، ورحمة الله على أبي بكر وعمر، ورحمة الله على عثمان، ورحمة الله على علي ومن لم يحبهم فما هو بمؤمن، وإن أوثق أعمالنا حبنا إياهم أجمعين رضي الله عنهم ولا جعل لأحد منهم في أعناقنا تبعه، وحشرنا في زمرةم ومعهم آمين رب العالمين. وقال بكر بن

(١) ابن حنبل: فضائل الصحابة، ١/١٤٢.

(٢) ابن حنبل: فضائل الصحابة، ١/١٨٤.

(٣) ابن حنبل: فضائل الصحابة، ١/١٨٥.

(٤) ابن حنبل: فضائل الصحابة، ١/١٥١.

(٥) ابن حنبل: فضائل الصحابة، ١/١٤٩.

عبد الله: إن أبا بكر لم يفضل الناس بأنه كان أكثرهم صلاة وصوماً، إنما فضلهم بشيء كان في قلبه^(١).

وقال أنس بن مالك رضي الله عنه: كان النبي ﷺ يدخل بيت أبي بكر كأنه يدخل بيته، ويصنع بمال أبي بكر كما يصنع بماله^(٢). عن سعيد بن المسيب قال: قال رسول الله ﷺ: «ما مال رجل من المسلمين أنفع لي من مال أبي بكر ومنه أعتق بلالاً». وكان يقضي في مال أبي بكر كما يقضي الرجل في مال نفسه^(٣).

وقال إبراهيم ابن شكلة بن المهدي: أتدرون لم خصصت ولد أبي بكر من ثلثي؟ لأنه لم يعرف عن أحد من أصحاب رسول الله ﷺ إلا وقد خلف لعياله إلا الصدِّيق رضي الله عنه فإنه آثر الله ورسوله ﷺ بماله كله فأحببت أن أكافئ ولد أبي بكر رضي الله عنه من مالي دون من هو أقرب إليَّ رحمًا^(٤). وقال ابن شهاب: من فضل أبي بكر أنه لم يشك في الله عز وجل ساعة قط^(٥).

وقام علي على المنبر فذكر رسول الله ﷺ فقال: قبض رسول الله ﷺ واستخلف أبو بكر رضي الله عنه فعمل بعمله وسار بسيرته حتى قبضه الله على ذلك، ثم استخلف عمر فعمل بعملهما وسار بسيرتهما حتى قبضه الله على ذلك^(٦). عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: مرَّ بي رسول الله ﷺ وأنا أصلي فقال: «سل تعطه يا بن أم عبد» فقال عمر: فابتدرت أنا وأبو بكر فسبقني إليه أبو بكر وما استبقنا إلى خير إلا سبقني إليه أبو بكر، فقال: إن من دعائي الذي لا أكاد أن أدع: اللهم إني أسألك نعيمًا لا يبيد وقرّة عين لا تنفد، ومرافقة النبي

(١) ابن حنبل: فضائل الصحابة، ١/١٤٦.

(٢) ابن حنبل: فضائل الصحابة، ١/٩٤.

(٣) ابن حنبل: فضائل الصحابة، ١/٧٢.

(٤) ابن حنبل: فضائل الصحابة، ١/١٢٥.

(٥) ابن حنبل: فضائل الصحابة، ١/١٢٦.

(٦) ابن حنبل: فضائل الصحابة، ١/١٠١.

محمد ﷺ في أعلى الجنة جنة الخلد^(١).

وعن ابن عمر قال: ما كنا نختلف في عهد رسول الله ﷺ أن الخليفة بعد رسول الله ﷺ أبو بكر، وأن الخليفة بعد أبي بكر عمر، وأن الخليفة بعد عمر عثمان^(٢).

وعن عبد الله بن عمر قال: جاءني رجل من الأنصار في خلافة عثمان فكلمني فإذا هو يأمرني في كلامه بأن أعيب على عثمان، فتكلم كلامًا طويلًا وهو امرؤ في لسانه ثقل، فلما قضى كلامه قلت له: إنا كنا نقول ورسول الله ﷺ حي: أفضل أمة رسول الله بعده أبو بكر ثم عمر ثم عثمان، وإنا والله ما نعلم عثمان قتل نفسًا بغير حق ولا جاء من الكبائر شيئًا، ولكن هو هذا المال فإن أعطاكموه رضيتم وإن أعطاه أولي قرابته سخطتم، إنما تريدون أن تكونوا كفارس والروم لا يتركون لهم أميرًا إلا قتلوه^(٣).

وعن ابن عمر قال: كنا نفضّل على عهد رسول الله ﷺ أبا بكر وعمر وعثمان ثم لا نفضل أحدًا على أحد^(٤). عن الحكم بن حجل قال: سمعت عليًا يقول: لا يفضلني أحد على أبي بكر وعمر إلا جلدته حد المفترى^(٥). وعن وهب السوائي قال خطبنا علي فقال: من خير هذه الأمة بعد نبيها؟ فقلنا: أنت يا أمير المؤمنين، فقال: لا، خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر، وما كنا نبعد أن السكينة تنطق على لسان عمر.

ومنها التي انفرد بها وعادت على الأمة بكل خير؛ ما كان من إنفاذ جيش أسامة رضي الله عنه بعد وفاة النبي ﷺ مباشرة، ومخالفته لكافة أبناء الأمة آنذاك ورغبتهم في استبدال أسامة بقائد أكبر منه سنًا وأكثر تجربة أو بإلغاء تلك الحملة المباركة التي عقد لواءها رسول الله ﷺ،

(١) ابن حنبل: فضائل الصحابة، ١/ ١٠٠.

(٢) ابن حنبل: فضائل الصحابة، ١/ ٩٣.

(٣) ابن حنبل: فضائل الصحابة، ١/ ٩٤.

(٤) ابن حنبل: فضائل الصحابة، ١/ ٨٦.

(٥) ابن حنبل: فضائل الصحابة، ١/ ٨٣.

وقوله رضي الله عنه: لأن أخرَّ من السماء فتحطفتني الطير، وتنهشني السباع أحب إلي أن أكون حالاً لعقد رسول الله ﷺ، وهو يقول عند موته ﷺ: «أنفذوا جيش أسامة». وهذا سيتضح أكثر في موضعه من البحث.

ومنها وصيته لعمر رضي الله عنهما لما حضرته الوفاة، وقوله له: اتق الله يا عمر! واعلم أن لله عملاً بالنهار لا يقبله بالليل، وعملاً بالليل لا يقبله بالنهار، وإنه لا يقبل نافلة حتى تؤدي لها فريضة، وإنما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق في دار الدنيا، وثقله عليهم، وحق لميزان يوضع فيه الحق أن يكون ثقيلاً، وإنما خفت موازين من خفت موازينه يوم القيامة باتباعهم الباطل، وحق لميزان يوضع فيه الباطل أن يكون خفيفاً، وإن الله تعالى ذكر أهل الجنة فذكرهم بأحسن أعمالهم، وتجاوز عن سيئاتهم، فإذا ذكرتهم قلت: إني أخاف ألا ألحق بهم، وإن الله تعالى ذكر أهل النار فذكرهم بأسوأ أعمالهم، ورد عليهم أحسنه، فإذا ذكرتهم، قلت: إني لأرجو ألا أكون مع هؤلاء ليكون العبد راغباً وراهباً، ولا يتمنى على الله، ولا يقنط من رحمته، فإن أنت حفظت وصيتي فلا تكن الدنيا أحب إليك من الموت^(١).

أبو بكر أفقه الصحابة وأعظمهم منة في المال والصحبة:

يتضح ذلك في كثير من المواقف والفتاوى والمشاورات التي كان يعتمدها رسول الله ﷺ ومن ذلك قول أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: وكان أبو بكر رضي الله عنه أعلمنا^(٢). فهذا الحديث الصحيح يبين أن أبا بكر رضي الله عنه كان أفقه الصحابة وأعلمهم بمرامي كلام رسول ﷺ وفحواه، وكان رسول الله هو أعلم الناس بصاحبه وبعلمه وإخلاصه وبما يعتلج في نفسه من حب وحنان وتعلق برسول الله ﷺ، ولذلك حفظ له ﷺ هذه المواقف والمناقب والخصائص فأعلنها على الملأ في آخر حياته ﷺ شهادة طرقت أسماع الجميع بأن

(١) الصالحي: سبل الهدى والرشاد، ١١/٢٦٢.

(٢) البخاري: كتاب أبواب المساجد، باب الخوخة والممر في المسجد، ح (٤٦٦).

أبا بكر رضي الله عنه أعظم الصحابة منة على رسول الله ﷺ في النصره والمال والصحة، وأن صحبته ارتقت إلى أكمل ما تكون عليه الصحة، وهنا يعلن الرسول ﷺ أن الصديق رضي الله عنه في مكان الخلقة من الرسول ﷺ لولا اشتغال قلب الرسول ﷺ بخلة الله سبحانه وتعالى، وأنه إن لم يكن خليل النبي ﷺ فإنه أخوه في الدين وصاحبه في الدنيا والآخرة. وحفظاً من النبي ﷺ لهذه الكرامة أمر جميع من له باب نافذ من منزله إلى المسجد أن يغلقة إلا باب الصديق رضي الله عنه؛ فإن النبي ﷺ أمر ببقاء خوخته وباب بيته مفتوحاً إلى المسجد حفاظاً لمودته، وإكراماً لعهدده، وبيانا لفضيلته، وإشارة مع الإشارات الكثيرة البينة على خلافته، وإقراراً لإمامته وقيادته للأمة من بعده ﷺ، وكل ذلك حصل جهازاً يعلنه رسول الله ﷺ من على المنبر والصحابة جميعاً يسمعون ذلك بما فيهم علي والعباس وغيرهما رضي الله عنهم، وكما هو تبليغ الأنبياء دون لبس أو غموض أو احتمالات في التأويل كما تريد أن تشيعه الرافضة من البوائق والبهتان على رسول الله ﷺ بأنه أوصى إلى علي رضي الله عنه أو أن حديث غدِير خم^(١) يحتمل أن يكون فيه وصية يخلطون ذلك بهمهمات وأباطيل يلبسون فيها على الغوغاء من الناس، أما منهج رسول الله ﷺ في تبليغ الناس بإمامة أبي بكر رضي الله عنه فواضح وضوح الشمس بلا تأويل ولا مداهنة لأحد من الناس أداء للأمانة وحفظاً للرسالة، فهل هناك منزلة لأحد من الناس تقارب هذه المنزلة أو تدانيها؟! وهل هناك أظلم ممن يريد أن يزيّف سنة رسول الله ﷺ ويعمل على تغيير مواقع قادتها وأئمتها الذين صنعهم رسول الله بطول تربيته ورعايته لهم على عينه، حتى تبوؤوا تلك المكانة العلية، موكلاً لهم مهمة تبليغ الإسلام وحمايته بكل ما فيها من تكاليف وآمال وآلام تحت ظلال رايات صاحبه وخليفته أبي بكر الصديق رضي الله عنه الخفاقة المنصورة؟

ومما شهد به ﷺ للصديق ومعه الفاروق وعثمان رضي الله عنهم بالجنة: ما رواه أبو موسى

(١) ابن حبان: صحيح ابن حبان، كتاب مناقب الصحابة (٦٩٣١). المحب الطبري، الرياض النضرة، ٢٤٧/١. الدليمي: المنهج القرآني الفاصل، ٢١٦. وكذلك ٢٠٨ فما بعدها. الخليفة: الإنصاف،

الأشعري رضي الله عنه: أنه توضعاً في بيته ثم خرج، قال: فقلت: لألزم رسول الله ﷺ ولاكونن معه يومي هذا، قال: فجاء المسجد، فسأل عن النبي ﷺ فقالوا: خرج ووجه ههنا، فخرجت على أثره أسأل عنه، حتى دخل بئر أريس، فجلست عند الباب، وبابها من جريد، حتى قضى رسول الله ﷺ حاجته فتوضعاً، فقممت إليه، فإذا هو جالس على بئر أريس وتوسط قفها، وكشف عن ساقيه ودلاهما في البئر، فسلمت عليه، ثم انصرفت فجلست عند الباب، فقلت: لأكونن بواب رسول الله ﷺ اليوم، فجاء أبو بكر فدفع الباب، فقلت: من هذا؟ فقال: أبو بكر، فقلت: على رسلك، ثم ذهبت، فقلت: يا رسول الله، هذا أبو بكر يستأذن؟ فقال: «اأذن له وبشره بالجنة». فأقبلت حتى قلت لأبي بكر: ادخل، ورسول الله ﷺ يبشرك بالجنة، فدخل أبو بكر فجلس عن يمين رسول الله ﷺ معه في القف، ودلى رجله في البئر كما صنع النبي ﷺ وكشف عن ساقيه، ثم رجعت فجلست، وقد تركت أخي يتوضعاً ويلحقني، فقلت: إن يرد الله بفلان خيراً - يريد أخاه - يأت به، فإذا إنسان يحرك الباب، فقلت: من هذا؟ فقال: عمر بن الخطاب، فقلت: على رسلك، ثم جئت إلى رسول الله ﷺ فسلمت عليه، فقلت: هذا عمر بن الخطاب يستأذن؟ فقال: «اأذن له وبشره بالجنة». فجئت فقلت: ادخل، ويبشرك رسول الله ﷺ بالجنة، فدخل فجلس مع رسول الله ﷺ في القف عن يساره، ودلى رجله في البئر، ثم رجعت فجلست، فقلت: إن يرد الله بفلان خيراً يأت به، فجاء إنسان يحرك الباب، فقلت: من هذا؟ فقال: عثمان بن عفان، فقلت: على رسلك، فجئت إلى رسول الله ﷺ فأخبرته، فقال: «اأذن له وبشره بالجنة على بلوى تصيبه» فجئته فقلت له: ادخل، وبشرك رسول الله ﷺ بالجنة على بلوى تصيبك، فدخل فوجد القف قد ملئ، فجلس وجاهه من الشق الآخر. قال شريك: قال سعيد بن المسيب: فأولتها قبورهم^(١).

وفي هذا الحديث تظهر الإشارة إلى أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم وترتيب خلافتهم تماماً، وهذا من غرائب الوقائع، ومما جعله الله مُصدّقاً على واقع الحياة يؤكد

(١) البخاري: ك. فضائل الصحابة، ح (٣٦٧٤).

ترتيب خلافتهم ودرجات منازلهم، بل يؤكد حتى مواقع قبورهم بعد وفاتهم رضي الله عنهم وليس في هذا الحديث الصحيح ذكر لعلي رضي الله عنه مما يؤكد زيف من يشكك في خلافة الثلاثة، وأنها خلافة النبوة التامة المتممة، وأن كل ما يروى في كتب التاريخ والأدب وبعض التراجم والسير مما يخالف هذه الحقيقة إنما هو من زيف الرافضة ومن يمدهم بالغي، كما يؤكد هذا الحديث ضلال أعداء الصحابة وعملهم الدؤوب على رد أحاديث رسول الله ﷺ وتعاليمه وإجماع الأمة على ذلك، وتكذيب واقع الحياة الذي قامت أحداثه على هذه الأسس وتزييف التاريخ الحق الذي دون ذلك وترويج أباطيل المنافقين وورثة المجوس الذين يتظاهرون بالإسلام وهم يسعون إلى هدم أركانه وتغيير سننه وتعاليمه وهدية التي نفذها الصحابة الكرام رضي الله عنهم بكل أمانة ونزاهة وإخلاص وتفان، حتى أصبحوا الشاهد والعلامة التي تهتك أستار المنافقين وتنزع أقنعة المخادعين فحببهم يُعرف المؤمنون ويغضهم يظهر رافضة الإسلام السبثيون الحاقدون.

وقد أصل أمير المؤمنين علي رضي الله عنه هذه المعاني وبين أن صحبة الراشدين كما هي قائمة في الدنيا فهي قائمة بإذن الله في الآخرة. في شهادته التي أدلى بها لولده محمد ابن الحنفية حينما سأله: أي الناس خير بعد رسول الله ﷺ؟ فقال أبو بكر...^(١) قال ابن عباس: إن علياً رضي الله عنه لما شهد جنازة الفاروق رضي الله عنه كان يرجو له أن يدفن بجوار النبي ﷺ وأبي بكر رضي الله عنه لأنه كان كثيراً ما يسمع النبي ﷺ يذكر نفسه ثم أبا بكر وعمر، فيقول: «خرجت أنا وأبو بكر وعمر، ودخلت أنا وأبو بكر وعمر». فاستنبط علي رضي الله عنه من ذلك أنهما لا بد وأن يكونا أصحاباً لرسوله ﷺ في الآخرة، وفي البرزخ كما جعلهم الله أصحاباً في الدنيا، وهذا من فقه علي بن أبي طالب رضي الله عنه. وهذه شهادات خالدة من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه لأخويه تظهر فيها المودة وصدق المحبة والوفاء، وأن أبا بكر هو خير الناس بعد رسول الله ﷺ، وأن عمر هو خير

(١) البخاري: ك. فضائل الصحابة، ح (٣٦٧)

الناس بعدهما، فتباً وسحقاً وخزياً لمن اعتقد أن علياً رضي الله عنه كان يبغض الصديق أو الفاروق أو لا يواليهما أو لا يتبرأ ممن يتبرأ منهما. ألا لعنة الله على الظالمين الكاذبين مسعري الفتن المبغضين لأصحاب رسول الله ﷺ وأنصاره الأبرار.

وأيضاً فإن نبوءة النبي ﷺ في عثمان رضي الله عنه قد تحققت تماماً، وهذا من دلائل نبوته ﷺ وعلامات صدقه ﷺ، فقد أصيب الشهيد عثمان رضي الله عنه ببلوى عظيمة عندما خرجت عليه الرافضة السبئية فقتلوه غيلة في بيته بين أوراق مصحفه وهو إمام المسلمين وخليفتهم، وكاف يده ولسانه عن رعيته مؤدّب لكل ما عليه ومنفق كل ما لديه في سبيل الله.

ولا أعجب بعد هذا إلا ممن يزعم أنه من أهل السنة المطهرة ويعجب من جرأة الرافضة السبئية على إحراق المساجد وتمزيق المصاحف وتدنيسها وقتل الأئمة والخطباء والمؤذنين السنة في العراق وغيرها، لأن كل من يجهل غدرهم بالفاروق عمر رضي الله عنه في محرابه وبذي النورين عثمان رضي الله عنه بين أوراق وآيات مصحفه؛ إنما هو مغفل معدوم الحمية على سنة النبي ﷺ، فاقد المعرفة بمن يوالي النبي ﷺ وبمن يعاديه ويعمل على هدم سنته وقتل أهلها، ولا أحسب أن أعداء الصحابة أخطر من هذا الصنف؛ لأن هؤلاء المبغضين للصحابة إنما يُلبسون على الناس بزعمهم الكاذب أنهم من أهل الإسلام ليتسنى لهم تنفيذ مكرهم، أما صنف أبواق الرافضة الذي يُلبس على أهل السنة بأباطيل الاحتواء والتقريب وأهل القبلة والسياسة والتحالفات وما إلى ذلك؛ فإنه من الخطر الذي يتساوى عنده الخوض في الطين مع تحريف الدين، ورفض القرآن وقتل الراشدين، فالذي لا يفرق بين هذا وذاك هؤلاء هم الأشباح الذين ليس لهم أرواح، والنسك بلا صلاح، والتجار بلا أرباح، والأيقاظ النوم والشهود الغيب، وهم الناظرة العمياء والسامعة الصماء والناطقة البكماء، الذين يرون دماء أهل السنة تجري على أيدي أعداء الصحابة، وأعراضهم وأموالهم تستباح، وهم يلوكون الباطل ويغشون الأمة ويكذبون على الله، وقبلوا أن يكونوا أبواقاً لتزييف الحقائق وتزوير التاريخ ومخادعة الأمة ومداهنة الرفض والردة.

وعلى هذا فإن علامة صحة الانتماء إلى الإسلام، هو تشخيص ومعرفة أعداء الصحابة ومبغضي السنة المجاهرين برفضها والكفر بها، والبراءة منهم ومن ثقافتهم، وكل كتاب أو مكتبة أو جامع أو جماعة أو جمعية أو جامعة أو كلية أو إذاعة أو فضائية أو صحيفة أو دولة أو أقلية أو قلم أو مقال أو كتاب أو لسان معقود عن النطق بهذه الحقيقة والإفصاح عنها؛ فهو لسان أخرس لا ينطق بالصدق فاقد للهوية، يسبح في الوحل، علمه جهل وفكره ضحل ورأيه وهل وقوته وهن، كيف لا والفيصل بين الإسلام والردة هم الصحابة رضي الله عنهم حملة الرسالة وحماتها؛ فمن قال بأنه مسلم تمتحن غيرته وحميته وانتماؤه، على ولائه وثقته بمن حمل الإسلام وحماه، بجناحيه الكتاب والسنة وجاهد من أجله وهم الصحابة رضي الله عنهم، فإن كانت غيرته قائمة على السنة النبوية وأهلها، وولاؤه لا لبس فيه، وبقينه ثابت وأمله قائم فأنعم وأكرم بتلك الغيرة وذلك الولاء، وإن كان لا يبالي بين من حمل القرآن والسنة، ومن حمل البهتان والردة، فهذا ليس من أهل السنة النبوية ولا كرامة، وإن زعم ذلك.

وكيف يكون من أهل السنة من دينه تكذيب رسول الله ﷺ الذي شهد لأبي بكر وعمر بالإيمان بالغيب الذي يؤمن به ﷺ وبأنهما سيدا كهول أهل الجنة، وأنهما عنده بمنزلة السمع والبصر من الرأس، وأنه ﷺ شهد أنهما يبعثان معه يوم القيامة وأن خليفته أبا بكر يرجح بجميع الأمة بمن فيها عمر وغيره، وأن عمر يرجح بالأمة من بعد أبي بكر، وكيف يكون مؤمناً من يكفر بأمر رسول الله للمؤمنين بأن يقتدوا بأبي بكر وعمر؟! وشهادته ﷺ للراشدين بأنهم ما بين صديق أو شهيد؟! وكيف يكون مؤمناً من يستشير الناس على خاصة رسول الله ﷺ ووزيره القائل عنهما: «خاصتي من أصحابي أبو بكر وعمر» و«وزيري من أهل الأرض أبو بكر وعمر»؟! وكيف يقبل مؤمن أخوة الرافضة المحاربين لأمة ترتجي بحب أبي بكر وعمر ما ترجوه بقول لا إله إلا الله وتعتقد أنهما هما صالح المؤمنين؟! وكيف يكون من أمة محمد ﷺ من يدين بمخالفته ﷺ في مثل قوله: «يا أيها الناس إن أبا بكر لم يسؤني طرفة عين فاعرفوا ذلك له»؟! فيجعل من دينه الطعن بأبي بكر رضي الله عنه تكديماً لرسول الله ﷺ.

وعلى هذه القواعد الثابتة فإن رسول الله ﷺ حَكَمَ على مبغضي خلفائه وأصحابه وأمتهم من العرب السائرين على منهجه ﷺ بأنهم من المنافقين والكفار، بل إنه ﷺ نصح من أراد أن يعرف معنى الحياة بعده وبعد خلفائه بقوله: «إذا أنا مت وأبو بكر وعمر وعثمان فإن استطعت أن تموت فمت» أي إن حياة ينال أهلها من أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم ولا يسرون على هديهم إنما هي حياة سوء لا خير فيها، بل إن الموت خير منها، لما سيلحق الأمة من الفتن والحروب، ولعل في إشارات هذا الأثر وإرشاداته وما يستنبط من خفاياه تتولد دعوة صريحة لنصرة خلفاء رسول الله ﷺ ومجاهدة أعدائهم الراضين لدين الإسلام وسنة النبي ﷺ وأن ذلك خير من الخنوع لأعداء الصحابة وتمكينهم من التسلط على المسلمين والعبث بعقيدتهم وتزييف ثوابتها، وهذا ما يصدقه الواقع الذي تعيشه الأمة في مرحلة استعلاء الرافضة بتحالفهم مع أعداء الأمة وعقيدتها وعملهم كخدم وجواسيس على حساب الأمة التي احتضنتهم والعقيدة التي حمتهم، وتفريطهم بالمصلحة العامة ومشاركتهم في خراب البلاد ودمارها دون أي شعور بالمسؤولية أو الانتماء، وإيغالهم إلى أبعد الأعماق في عداوة السنة النبوية والتنكيل بأهلها بأسوأ وأبشع ما يقوم به الحاقدون المتسلطون على الأمنين العزل في ديارهم وأوطانهم، مع التدليس والتلبيس على الناس، وقلب الحقائق وإلصاق التهم وملء الأرض بالشائعات والأكاذيب والروايات الباطلة عن كل ما يصيب أهل السنة وعامة العرب، من مأس ومصائب على أيديهم يشيب لهولها الولدان. والله المستعان وإليه المصير. قال تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عِلْمُ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ (١).



الفصل الثالث

خليفة رسول الله
أبو بكر الصديق رضي الله عنه
في عصر الرسالة

المبحث الأول: من مواقف أبي بكر الصديق رضي الله عنه وجهاده

قبل الهجرة

المبحث الثاني: من مواقف أبي بكر الصديق رضي الله عنه وجهاده

يوم الهجرة

المبحث الثالث: جهاد أبي بكر الصديق رضي الله عنه بعد الهجرة

المبحث الأول

من مواقف أبي بكر الصديق رضي الله عنه وجهاده قبل الهجرة

من جهاده في نشر الدعوة الإسلامية وإسلام قادة الأمة على يديه:

لما أسلم أبو بكر رضي الله عنه وأظهر إسلامه دعا إلى الله عز وجل، وكان أبو بكر رضي الله عنه رجلاً مؤلفاً لقومه محباً لهم سهلاً عليهم، وكان أنسب قريش لقريش، وأعلم قريش بما كان فيها من خير وشر. وهو تاجر ذو مكانة مرموقة يتسم بخلق رفيع ومعروف واسع. فكان رجال قومه يأتونه ويألفونه لغير واحد من الأمر، لعلمه وتجارته وحسن مجالسته. فسخر هذه الخصائص لخدمة عقيدته، وأخذ يدعو إلى الإسلام من وثق به من قومه ممن يغشاه ويجلس إليه رضي الله عنه.

فأسلم على يديه: عثمان بن عفان، والزبير بن العوام، وطلحة بن عبيد الله، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهم، فانطلقوا إلى رسول الله ﷺ ومعهم أبو بكر رضي الله عنه فعرض عليهم الإسلام وقرأ عليهم القرآن، وأنبأهم بحق الإسلام فآمنوا وصلوا وصدّقوا رسول الله ﷺ وآمنوا بما جاء من عند الله تعالى.

ثم جاء الغد بعثمان بن مظعون، وأبي عبيدة بن الجراح، وأبي سلمة بن عبد الأسد،

والأرقم بن أبي الأرقم، فأسلموا رضي الله عنهم^(١) فأبي مكرمة أكبر من هذه المكرمة؟! وأي ثمرة أنضح من هذه الثمرة التي قطفها أبو بكر رضي الله عنه وقدمها هنية مرية لرسول الله ﷺ؟! وأي كوكبة قدمت للدين وللمسلمين مثل ما قدمته هذه الكوكبة المباركة التي تنطق بكل جوانب عظمتها بأهمية ما قام به الصديق رضي الله عنه في باب الدعوة إلى الله وإلى رسوله ﷺ وفي جميع مراحل حياته قبل الفتح وبعده وفي حال جنديته وحال خلافته، فلم يكن له هم سوى خدمة الدين ونصرته وحماية الأمة وسيرها على هدي نبيها ﷺ!؟

ومن مشاركاته في الدعوة:

عرض النبي ﷺ نفسه على بني شيبان، فكان بينه وبينهم محاورات قارب فيها القوم من رسول الله ﷺ، وفي طريق الوصول إليهم ومحاولاته فتح أبواب قادة بني شيبان للحوار مع سيد الدعوة رسول الله ﷺ كان لأبي بكر رضي الله عنه موقف ينبئ عن عظيم فهمه وجيل علمه ومعرفته بالعلوم الاجتماعية وقيم الناس ومنازلهم وأعرافهم وعاداتهم والقواعد التي تنظم حياتهم وتؤصل ضوابط مجتمعاتهم، ومنهج الرافي في طريقة عرض دعوة رسول الله ﷺ وتقديمها لها وترغيبه فيها، ومن ثم تعريف القوم برسول الله ﷺ وبمقامه العظيم ومنزلته الكبرى، وكل ذلك بفهم خاص كان يستقيه أبو بكر رضي الله عنه من تجاربه ومعرفته بطريقة تفكير الزعماء والقادة أيام الجاهلية ونظرتهم إلى الأمور وتفكرهم في عواقبها، وفي كل ذلك جاء الصديق رضي الله عنه بالعجائب وبما أثلج صدر النبي ﷺ.

روى ابن عباس عن علي رضي الله عنهم قال: لما أمر الله رسوله ﷺ أن يعرض نفسه على قبائل العرب خرج وأنا معه وأبو بكر إلى منى حتى دفعنا إلى مجلس من مجالس العرب، فتقدم أبو بكر رضي الله عنه فسلم، وكان رجلاً نسابه فقال: ممن القوم؟ قالوا: من ربيعة،

(١) ابن كثير: السيرة، ٤٣٧/١. ابن هشام: السيرة النبوية، ٢٨٧/١. وذكر الصالح في سبل الهدى والرشاد أن أبا عبيدة عامر بن الجراح رضي الله عنه هو أحد الخمسة الذين أسلموا على يد أبي بكر في اليوم الأول، وذكر مع من أسلم من الغد: عيينة بن الحارث. الصالح: سبل الهدى، ٣٢٢/١١.

قال: وأي ربيعة أنتم أمن هامها أم من لهازمها؟ قالوا: بل من هامها العظمى. قال أبو بكر: فمن أي هامتها العظمى؟ فقالوا: ذهل الأكبر، قال لهم أبو بكر: منكم عوف الذي كان يقال له لا حر بوادي عوف؟ قالوا: لا. قال: فمنكم بسطام بن قيس أبو اللواء، ومنتهى الأحياء؟ قالوا: لا. قال: فمنكم الحوفزان بن شريك قاتل الملوك وسالباها أنفسها؟ قالوا: لا. قال: فمنكم جساس بن مرة بن ذهل حامي الذمار ومانع الجار؟ قالوا: لا. قال: فمنكم المزدلف صاحب العمامة الفردة؟ قالوا: لا. قال: فأنتم أحوال الملوك من كنده؟ قالوا: لا. قال: فأنتم أصهار الملوك من لخم؟ قالوا: لا. قال لهم أبو بكر رضي الله عنه: فلستم بذهل الأكبر، بل أنتم ذهل الأصغر...

قال علي رضي الله عنه ثم انتهينا إلى مجلس عليه السكينة والوقار، وإذا مشايخ لهم أقدار وهيئات، فتقدم أبو بكر فسلم، قال علي: وكان أبو بكر مقدماً في كل خير. فقال لهم أبو بكر: ممن القوم؟ قالوا: من بني شيبان بن ثعلبة، فالتفت إلى رسول الله ﷺ فقال: بأبي أنت وأمي، ليس بعد هؤلاء من عز في قومهم، وفي رواية ليس وراء هؤلاء عذر من قومهم، وهؤلاء غرر في قومهم، وهؤلاء غرر الناس. وكان في القوم مفروق بن عمرو، وهانئ بن قبيصة، والمثنى بن حارثة، والنعمان بن شريك. وكان أقرب القوم إلى أبي بكر مفروق بن عمرو، وكان مفروق بن عمرو قد غلب عليهم بياناً ولساناً، وكانت له غدیرتان تسقطان على صدره. فكان أدنى القوم مجلساً من أبي بكر، فقال له أبو بكر: كيف العدد فيكم؟ فقال له: إنا لنزيد على ألف، ولن تغلب ألف من قلة. فقال له: فكيف المنعة فيكم؟ فقال: علينا الجهد ولكل قوم جد. فقال أبو بكر: فكيف الحرب بينكم وبين عدوكم؟ فقال مفروق: إنا أشد ما نكون لقاء حين غضب، وإنا لنؤثر الجياد على الأولاد، والسلاح على اللقاح، والنصر من عند الله، يدبنا مرة ويدبنا علينا، لعلك أخو قريش؟ فقال أبو بكر: إن كان بلغكم أنه رسول الله فهذا هو هذا، فقال مفروق: قد بلغنا أنه يذكر ذلك، ثم التفت إلى رسول الله ﷺ فجلس وقام أبو بكر رضي الله عنه يظله بثوبه، فقال ﷺ: «أَدْعُوكُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ، وَأَنْ تُؤْوِنِي وَتَنْصُرُونِي حَتَّى أُؤَدِّيَ عَنِ اللَّهِ الَّذِي أَمَرَنِي بِهِ، فَإِنَّ قُرَيْشًا قَدْ تَطَاهَرَتْ عَلَيَّ

أمر الله وكذبت رسوله واستغنت بالباطل عن الحق، واللّه هو الغنيّ الحميد» فقال له: وإلام تدعو أيضًا يا أخا قريش؟ فتلا رسول الله ﷺ: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ إلى قوله: ﴿ذَلِكُمْ وَصَّيْنَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^(١). فقال له مفروق: وإلام تدعو أيضًا يا أخا قريش؟ فوالله ما هذا من كلام أهل الأرض، ولو كان من كلامهم لعرفناه، فتلا رسول الله ﷺ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾^(٢). فقال له مفروق: دعوت والله يا أخا قريش إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال، ولقد أفك قوم كذبوك وظاهروا عليك، وكأنه أحب أن يشركه في الكلام هانئ بن قبيصة فقال: وهذا هانئ بن قبيصة شيخنا وصاحب ديننا. فقال له هانئ: قد سمعت مقالتك يا أخا قريش وصدقت قولك، وإنني أرى أن تركنا ديننا واتباعنا إياك على دينك لمجلس جلسته إلينا ليس له أول ولا آخر لم نتفكر في أمرك، وننظر في عاقبة ما تدعو إليه - زلة في الرأي، وطيشة في العقل، وقلة نظر في العاقبة، وإنما تكون الزلة مع العجلة، وإن من ورائنا قومًا نكره أن نعقد عليهم عقدًا. ولكن ترجع ونرجع وتنظر وننظر، وكأنه أحب أن يشركه في الكلام المثنى بن حارثة فقال: وهذا المثنى شيخنا وصاحب حربنا. فقال المثنى: قد سمعت مقالتك واستحسنت قولك يا أخا قريش، وأعجبني ما تكلمت به. والجواب هو جواب هانئ بن قبيصة، وتركنا ديننا واتباعنا إياك لمجلس جلسته إلينا وإنما نزلنا بين صريين أحدهما اليمامة، والآخر السماوة. فقال له رسول الله ﷺ: «وَمَا هَذَا الصَّرِيَانِ؟» فقال له: أما أحدهما فطفوف البر وأرض العرب، وأما الآخر فأرض فارس وأنهار كسرى، وإنما نزلنا على عهد أخذه علينا كسرى ألا نحدث حدثًا، ولا نؤوي محدثًا. ولعل هذا الأمر الذي تدعوننا إليه مما تكرهه الملوك، فأما ما كان مما يلي بلاد العرب فذنب صاحبه مغفور، وعذره مقبول، وأما ما كان يلي بلاد فارس فذنب صاحبه غير مغفور، وعذره غير مقبول. فإن أردت أن ننصرك ونمنعك مما يلي العرب فعلنا.

(١) سورة الأنعام، الآيات: ١٥١-١٥٣.

(٢) سورة النحل، الآية: ٩٠.

فقال رسول الله ﷺ: «مَا أَسَأْتُمْ الرَّدَّ إِذْ أَفْصَحْتُمْ بِالصِّدْقِ إِنَّهُ لَا يَقُومُ بِيَدَيْنِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ حَاطَهُ مِنْ جَمِيعِ جَوَانِبِهِ». ثم قال رسول الله ﷺ: «أَرَأَيْتُمْ إِنْ لَمْ تَلْبَثُوا إِلَّا يَسِيرًا حَتَّى يَمْنَحَكُمُ اللَّهُ بِلَادَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَيُفْرِشَكُم بِنَاتِهِمْ أَنْتَسَبِّحُونَ اللَّهَ وَتُقَدِّسُونَهُ؟» فقال له النعمان بن شريك: اللهم وإن ذلك لك يا أحمق قريش. فتلا رسول الله ﷺ: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ (٤٥) وداعيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴿١﴾ ثم نهض رسول الله ﷺ قابضًا على يدي أبي بكر رضي الله عنه. قال علي: ثم التفت إلينا رسول الله ﷺ فقال: «أَيَّةَ أَخْلَاقٍ لِلْعَرَبِ كَانَتْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ مَا أَشْرَفُهَا بِهَا يَتَحَاجِرُونَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا» قال: ثم دفعنا إلى مجلس الأوس والخزرج، فما نهضنا حتى بايعوا النبي ﷺ. قال علي: وكانوا صدقاء صبراء فسرّ رسول الله ﷺ من معرفة أبي بكر رضي الله عنه بأنسابهم. قال: فلم يلبث رسول الله ﷺ إِلَّا يَسِيرًا حَتَّى خَرَجَ إِلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ لَهُمْ: «أَحْمَدُوا اللَّهَ كَثِيرًا فَقَدْ ظَفَرَتِ الْيَوْمَ أَبْنَاءُ رَيْبَعَةَ بِأَهْلِ فَارِسَ، قَتَلُوا مُلُوكَهُمْ وَاسْتَبَاحُوا عَسْكَرَهُمْ وَبِي نُصِرُوا». قال: وكانت الوقعة بقراقر إلى جنب ذي قار وفيها يقول الأعشى:

فَدَى لِبَنِي دُهَلِ بْنِ شَيْبَانَ نَاقَتِي وَرَاكِبَهَا عِنْدَ اللَّقَاءِ وَقَلَّتِ
هُمُو ضَرَبُوا بِالْحِنُو حِنُو قَرَاقِرِ مُقَدِّمَةَ الْهَامُرِزِ حَتَّى تَوَلَّتِ
فَنَارُوا وَتُرْنَا وَالْمَوَدَّةُ بَيْنَنَا وَكَانَتْ عَلَيْنَا غَمْرَةٌ فَتَجَلَّتِ (٢)

وقد اتضح في تلك المواقف وما جرى فيها من حوار سمو الدعوة الإسلامية وعظيم

(١) سورة الأحزاب، الآيتان: ٤٥، ٤٦.

(٢) قال ابن كثير: هذا حديث غريب جداً كتبناه لما فيه من دلائل النبوة، ومحاسن الأخلاق، ومكارم الشيم، وفصاحة العرب، وقد ورد هذا من طريق أخرى، وفيه أنهم لما تحاربوا هم وفارس والتقوا معهم بقراقر - مكان قريب من الفرات - فجعلوا شعارهم اسم محمد ﷺ فَنُصِرُوا عَلَى فَارِسَ بِذَلِكَ، هذه هي موقعة ذي قار التي انتصف فيها العرب من الفرس قبل الإسلام، وقد دخلوا بعد ذلك في الإسلام. ابن كثير: البداية والنهاية، ٣/١٨٦. الصالحى: سبل الهدى، ٢/٤٥٣، ٤٥٥. أبو نعيم: دلائل النبوة، ٢٣٧.

ما كان يقوم به أبو بكر رضي الله عنه بين يدي رسول الله ﷺ من التقديم والتعريف وتذليل الصعاب وفسح المجال أمام رسول الله ﷺ ليعرض دعوته المباركة بأسلوبه الرائع الذي يأخذ بالباب عقلاء الناس فلا يرده إلا فاقد الرشد خالي الوفاض من كل فضيلة.

وقريب من ذلك ما رواه وابصة العبسي قال: جاءنا رسول الله ﷺ في منازلنا بمنى ونحن نازلون بإزاء الجمرة الأولى التي تلي مسجد الخيف بمنى، ودعوة ميسرة بن مسروق العبسيّ قومه لحماية رسول الله ﷺ وامتناعهم من ذلك وقولهم له: لا تعرضنا لما لا قبل لنا به. ثم إسلامه فيما بعد، ولما كان أبو بكر رضي الله عنه معاشياً لتلك الأحداث ومعرفته تامة بقيمة المواقف المساندة للمسلمين في تلك السنين، كان يرعى له ذلك الموقف، فكانت له عند أبي بكر مكانة. وفي مسيرة الدعوة وعرض الإسلام على القبائل في كل ذلك كان وزير رسول الله ومستشاره ومعاونه صاحبه أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وقد ذكر ابن كثير تلك القبائل مفصلة كما استقصاها محمد بن عمر الواقدي^(١) ومن تتبعها يجد الأهمية الخاصة لأبي بكر رضي الله عنه ودوره المؤثر في تلك المرحلة لمعرفته بأنساب العرب ومكانة الرجال في قبائلهم وقوة كل قبيلة وإمكانية اعتماد أقوال سادة تلك القبائل أو الإعراض عنها.

ومثل هذه المواقف ما كان يقوم رضي الله عنه به من مواجهة الحرب الإعلامية التي يشنها المشركون لزعة الثقة في نفوس المؤمنين مثلما فعلوا حينما فرحوا وروجوا لانتصار الفرس الوثنيين المجوس على الروم من أهل الكتاب ونزول قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ يَمَنُّونَ بِأَنَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَةَ لِيُؤْتِيَهُنَّ الْغَنَاءَ وَالْحَرَامَ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَةِ أَنْ يُبَايَعُوا بِغَيْرِ الْإِذْنِ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ إِلَى الْكُفْرِ وَالْعَدْوِ عَلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي الْقَوْمَ الْغَالِبِينَ﴾ (١) ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ يَمَنُّونَ بِأَنَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَةَ لِيُؤْتِيَهُنَّ الْغَنَاءَ وَالْحَرَامَ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَةِ أَنْ يُبَايَعُوا بِغَيْرِ الْإِذْنِ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ إِلَى الْكُفْرِ وَالْعَدْوِ عَلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي الْقَوْمَ الْغَالِبِينَ﴾ (٢) ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ (٣).

قال ابن عباس رضي الله عنهما: كان المسلمون يحبون أن يظهر الروم على فارس

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، ٣/١٨٦.

(٢) سورة الروم، الآيات: ١-٥.

لأنهم أهل كتاب، وكان المشركون يحبون أن تظهر فارس على الروم لأنهم أهل أوثان، فذكر ذلك المسلمون لأبي بكر رضي الله عنه فذكره أبو بكر للنبي ﷺ فقال: «أما إنهم سيظهرون» فذكر أبو بكر ذلك للمشركين فقالوا: اجعل بيننا وبينك أجلاً، إن ظهروا كان لك كذا وكذا، وإن ظهرنا كان لنا كذا وكذا. فذكر ذلك أبو بكر للنبي ﷺ فقال: «ألا جعلته أداة». قال: دون العشر. فظهرت الروم بعد ذلك. وكان المراهن لأبي بكر رضي الله عنه أمية بن خلف، وأن الرهن كان على خمس قلائص، وأنه كان إلى مدة، فزاد فيها الصديق عن أمر رسول الله ﷺ وفي الرهن. وأن غلبة الروم على فارس كان يوم بدر، أو كان يوم الحديبية، فالله أعلم^(١).

وكان العلاء بن الزبير الكلابي يحدث عن أبيه. قال: رأيت غلبة فارس الروم، ثم رأيت غلبة الروم فارس، ثم رأيت غلبة المسلمين الفرس والروم، وظهورهم على الشام والعراق. كل ذلك في خمسة عشرة سنة!^(٢).

وفي كل صفحات الرسالة في مكة يجد المتابع أن عامة عناوينها لأبي بكر خليفة رسول الله، وكلها آثار أطيّب من المسك وأحسم من السيف، توحى بعظمة الروح وقوة الشكيمة وعمق اليقين والثقة المطلقة بكل ما يأتي به رسول الله ﷺ، والاستعداد الدائم للمواجهة بكل ألوانها وتحمل التبعات بكل أشكالها وبكامل السرور والرضا مع التحفز التام للعتاء والتضحية والإقدام إلى كل موقع يخدم الإسلام والمسلمين، وهذه الروح المتوثبة التي تريد أن تزيل كل الحواجز والعقبات من طريق المؤمنين هي التي جعلت من أبي بكر رضي الله عنه أقرب الناس إلى نفس وقلب رسول الله ﷺ من بين جميع أصحابه رضي الله عنهم.

(١) ابن حنبل: المسند، ك. وباب مسند عبد الله بن العباس، ح (٢٧٦٥) الحاكم: المستدرک، ك. التفسير، باب تفسير سورة الروم، ح (٣٥٤٠). الطبراني: المعجم الكبير، باب العين، باب أحاديث عبد الله بن العباس، ح (١٢٣٧٧).

(٢) ابن الجوزي: المنتظم، ٢/٩١.

قيادة أبي بكر رضي الله عنه المواجهة الأولى بين المؤمنين والمشركين في مكة:

قاد أبو بكر رضي الله عنه أول مواجهة بين المؤمنين والمشركين فكانت ثمرة ذلك فوزه رضي الله عنه بشرف الإعلان الرسمي للإسلام، وبإسلام والدته بعد تلك الجولة، فقد أسلمت أم الخير سلمى بنت صخر رضي الله عنها قديمًا في دار الأرقم بن أبي الأرقم بن عبد مناف بن أسد المخزومي، بعد إلحاح من أبي بكر رضي الله عنه على رسول الله ﷺ لإعلان الإسلام بين ظهرائي المشركين وكسر الأطواق التي تكمم الأفواه وتصنع الإرهاب ضد كل من يتحدث باسم الدين ويدعو إلى قيمه الراقية، في وقت تصنع فيه الجاهلية مناخًا آمنًا لكل ألوانها فتقيء كل ما في أحشائها من أنواع الموبقات والكبر والتسلط والعنصرية ومصادرة حريات المؤمنين!! وكان المسلمون آنذاك تسعة وثلاثين رجلًا فقام أبو بكر رضي الله عنه بين جموع المشركين وثلة المؤمنين هذه المحيطة به ليسجل له التاريخ أنه أول خطيب يدعو إلى الله وإلى رسوله جهارًا نهارًا في وسط قريش وعقر دار الشرك، وأنه وحده القادر بعد رسول الله ﷺ أن ينفذ الجاهلية لتدور حول نفسها حتى تفقد كثيرًا من ثوابتها وتسقط قيمها وأخلاقياتها التي تتباهى بها رياء في ساعات الرخاء، فثار المشركون بحمية الجاهلية وبغيها على المسلمين فضربوهم في نواحي المسجد؛ ودنا عتبة بن ربيعة بمساندة عتاة المشركين من أبي بكر رضي الله عنه فضربه حتى لم يعد يعرف أنفه من وجهه، وجاءت بنو تيم قبيلة أبي بكر رضي الله عنه فأجلوا المعتدين عن أبي بكر رضي الله عنه وحملوه في ثوب حتى أدخلوه بيته لا يشكون في موته؛ ورجع بنو تيم فدخلوا المسجد فقالوا: والله لئن مات أبو بكر لنقتلن عتبة بن ربيعة. ثم رجعوا إلى أبي بكر رضي الله عنه فجعلوا يكلمونه حتى أجابهم آخر النهار، فكان أول ما قاله رضي الله عنه: ما فعل رسول الله ﷺ؟!!

أي أنه لم يآلم لما أصابه ولم يكن همه نفسه حتى وهو في تلك الحال، ولم يأسف على ذهاب هيئته بين قريش المشركة بجرأتهم عليه، في سبيل عقيدته وعدم مبالاته بتقاليد الجاهلية وكبرها، وإنما كان همه سلامة رسول الله ﷺ واستمرار رسالته.

فلما سمع مشركو بني تيم ما نطق به أبو بكر رضي الله عنه نالوا منه بالستهم؛ ثم قالوا لأم الخير أمه: انظري أن تطعميه شيئاً أو تسقيه فلما خلت به وألحت عليه جعل يقول: ما فعل رسول الله ﷺ؟ قالت: والله ما أعلم بصاحبك! قال: فاذهبي إلى أم جميل بنت الخطاب فاسألها عنه.

فخرجت حتى جاءت إلى أم جميل فقالت: إن أبا بكر يسألك عن محمد بن عبد الله. قالت: ما أعرف أبا بكر ولا محمد بن عبد الله، وإن شئت ذهبت معك إليه. قالت: نعم. فمضت معها حتى وجدت أبا بكر صريعاً ذنفاً في جسده، طوداً شامخاً في إيمانه وإخلاصه وحبه وإشفاقه على رسول الله ﷺ فدنّت منه أم جميل رضي الله عنها وأعلنت بالصياح وقالت: إن قومًا نالوا منك لأهل فسق وإنني لأرجو أن ينتقم الله لك. قال: ما فعل رسول الله ﷺ؟
فيا للعجب! ولا عجب من إيمان أبي بكر رضي الله عنه وشدة حبه لرسول الله ﷺ، ذلك الحب الذي أصبح له دواءً وبلسمًا شافيًا، فهو في دوحه حب رسول الله ﷺ حتى إن ضُرب جسده وأغمي عليه وضعفت حركته إلى حين، فما إن يفيق ويعود إليه وعيه حتى يقذف بنفسه إلى وسط ذلك الروض الذي لا ألم فيه ولا أسي، فهو الذي يوافق حاله في حب رسول الله ﷺ قول القائل:

إذا صح منك الوصل فالكل هين وكل الذي فوق التراب تراب^(١)

فحاله السباحة الدائمة في بحر رسول الله ﷺ ذلك البحر الذي يزيل عنه كل عناء، فإن سلم ﷺ سلم الدين وسلمت الدنيا. فقالت له أم جميل: هذه أمك تسمع! قال: لا عين عليك منها. قالت: سالم صالح ﷺ. قال: أين هو؟ قالت: في دار الأرقم. قال: فإن لله عليّ ألا أذوق طعاماً ولا شراباً أو آتي رسول الله ﷺ؛ وكيف يذوق ذواقاً وهو يعرف أن شفاءه في كل ملمة ومن كل ألم يتجلى برؤيته لرسول الله ﷺ سالمًا معافى، فأمهلتاه حتى إذا هدأت الرجل وسكن الناس، خرجتا به يتكوى عليهما حتى دخلتا به على رسول الله ﷺ فانكب عليه فقبله

(١) ابن القيم: مدارج السالكين، ٢/٣٠١.

وانكب عليه المسلمون يقبلونه ورق له رسول الله ﷺ رقة شديدة، فلما رأى أبو بكر ما في رسول الله ﷺ من التألم لحاله خشي أن يكون سبباً في إيذاء مشاعر رسول الله ﷺ، فقال رضي الله عنه: بأبي أنت وأمي، ليس بي إلا ما نال الفاسق عتبة بن ربيعة من وجهي. وأراد أن يغتنم تلك الرقة والرحمة التي في قلب رسول الله ﷺ عليه في أمر يفيد الدين والدنيا، وبذات الوقت يصرف الهمّ عن رسول الله ﷺ فقال رضي الله عنه: وهذه أمي برة بولدها وأنت يا رسول الله مبارك فادعها إلى الله، وادع الله لها عسى أن يستنقذها بك من النار. فدعا لها فأسلمت^(١) لتقر عين ولدها الصديق بإسلام والدته وطمأنينة نفسه وقرار مشاعره بأنه قد أجزل برها وأخلص في نصحتها حين اختار لها الإسلام منهج حياة وسبيل مسار إلى جنتي الدنيا والآخرة.

تحمله الأذى من أجل إظهار الإسلام:

إن ما أنجزه أبو بكر رضي الله عنه في هذه الجولة الأولى من جولات المواجهة الجماعية الكبرى مع الشرك يعد من أبرز الدلائل على مشاركته في ترسيم سياسة الدعوة في ظل تلك الظروف القاهرة التي تتحكم فيها قريش بكل القرارات الرسمية داخل مكة، فقد استطاع أبو بكر بوسع رؤيته وحسن تدبيره أن يحشد الإيمان كله لمواجهة الشرك كله مواجهة إيمانية فطرية عقلية فكرية حوارية بالكلمة والحجة بوضوح وجلاء لا لبس فيه ولا غموض، فهذا سيد المسلمين ونيهم ورسول البشرية بأجمعها ﷺ يجلس في أعظم بقعة وأقدس مكان على وجه الأرض حول الكعبة المشرفة، فأبو بكر رضي الله عنه جمع لهم شرف المكان وشرف الداعية لعلهم يعودون إلى رشدهم ويثيرون إلى عقولهم ولكن هيهات للشرك أن يتنازل عن كبره وريائه وعنجهيته وبهتانه، وأتى له ذلك وقد أسقط من حساباته الله والدار الآخرة؟

فأثبتت تلك الجولة وكما هو في كل الأحداث أن المسلمين دائماً هم أهل الحكمة والعقل والحلم والعفو وسعة الصدر، وأن الجاهلية في كل عصورها هي الظالمة الباغية

(١) ينظر: ابن هشام: السيرة النبوية، ١/ ٤٣٩. الطنطاوي: أبو بكر الصديق، ٥٩.

المعتدية على الحريات والطهر والخيارات الراشدة، والحال ذاتها تتكرر، فكما صادرت جاهلية المشركين حريات المسلمين وحالت دون دخول الناس في عقيدتهم، كذلك الجاهلية العلمانية المعاصرة صادرت حريات المسلمين وخياراتهم وحاربتهم في أفكارهم وأقصت عقيدتهم، ومثلما رفض المشركون الدعوة المسالمة والكلمة الطيبة؛ كذلك جاهلية هذا العصر رفضت الدعوة المسالمة والكلمة الطيبة، والجاهلية الهالكة كما هي الجاهلية المعاصرة لم تدع المسلمين وخياراتهم، بل وقفت على طريقهم تدعوهم إلى تبني انحلالها وسقوطها الأخلاقي في الإباحية والظلم والاحتكار والتحالف على الباطل وفي الربا والقمار والخمرة والمخدرات والتزوير وهضم حقوق الضعفاء، وإن لم يفعلوا أقامت عليهم الحصار وسلطت عليهم الإعلام الهابط في قيمه وأهدافه، وأطلقت عليهم أيدي الطغاة تمدهم بجبروتها وتسوغ لهم جرائمهم وبغيهم، وأمدت من يناسب السنة المطهرة بالعداء والبغض والاستهانة بكل ما تملكه من أدوات الإغراء والبطش والتزوير وتكذيب الحقيقة، أي أنها تقوم بدور الدجال في الأرض تمامًا.

لكن الصدِّيق رضي الله عنه بما أوتي من الحكمة والحلم والصبر والفصاحة والشجاعة استطاع أن يقيم الحججة على قريش وجاهليتها المهيمنة، بالكلمة والموعظة الحسنة، حينما جاءهم ومعه رسول الله ﷺ بطلعته وبهائه وحلمه ووقاره وصدقه وأناقته وطهره ورفقه وحسن منطقه وقوة حجته، وقام هو يشرح الإسلام ويبين فضائله وضرورة كسر القيود التي تحول بينه وبين الوصول إلى الناس، لكن موقف المشركين كان عدوانياً فجأً غليظاً مع ذلك المنهج الشرعي المنصف العادل الرقيق الرفيق؛ فلم تقبله جاهلية المشركين؛ ولم تواجهه بالسلاح ذاته من الحوار والنقاش ومقارعة الكلمة بالكلمة والحجة بالحجة، وإنما استخدموا سلاح الطغاة والجبابرة فاستقبلوا المسلمين ببطشهم وأذاهم وشتائمهم وسفاهتهم حتى نالوا منهم جميعاً، إلا أن هدفهم الأول كان أبا بكر ذلك العملاق الذي أخذ يزلزل جاهليتهم من جذورها بعلمه وصدقه وفصاحته وحلمه وصبره، فلا بد من إسكاته رضي الله عنه وإطفاء نوره؛ لكن الله تعالى نجاه من كيدهم ليبقى شوكة في حلوقهم ونوراً يمزق ظلمة جاهليتهم

وعوناً لنبيه ﷺ يشد أزره في كل ملمة ويناصره ويؤازره ويتقدم بين يديه جندياً مخلصاً لا يبتغي جزاءً ولا شكوراً إلا من الله تعالى.

وقد أظهرت هذه الجولة بين الإيمان والشرك البون الشاسع بين منهج الإيمان المسالم العلمي العادل، ومنهج الشرك الباغي المعرض المعاند المعتمد على القوة المادية فقط، وقد كشفت تلك الجولة أن القوة لم تكن يوماً مادية فقط، كما أثبتت للمسلمين أن الكلمة إذا لم تكن محمية بالقبضة فإنها تُخمد وتُسكت ولا يباح لها أن تشارك في أي أمر، وكانت تلك القيم الظالمة هي المعرض الأول على البحث عن أرض أخرى لا تكتم الكلمة ولا تمنع خيارات الناس، فكانت الهجرة إلى الحبشة ثم إلى المدينة.

كذلك اتضح في جولة الإيمان الأولى مع المشركين حرص أبي بكر رضي الله عنه على إعلان الإسلام وإسماعه لعتاة قريش وإقامة الحججة عليهم مهما كانت نتائج تلك المواجهة.

واتضح قوة الصديق رضي الله عنه الإيمانية التي لا يوقفها خطر ولا يعوقها عائق، كما تبينت قدرته على جمع المسلمين وتوجيههم وجهة واحدة تحت راية رسول الله ﷺ في جراءة وشجاعة لا يقف أمامها شيء، مما مكنه من إسماع صوت الإيمان للمشركين رغماً عنهم.

وتبين في تلك الجولة قدرة أبي بكر رضي الله عنه الخطابية وجرأته الهائلة التي وقف فيها معتزلاً بإيمانه أمام فصاحة قريش وقدرتها على النقد واعتدادها بأصالتها وكثرة جموعها وقوة شكيمتها وتنافس بيوتاتها على خدمة آلهتها ومحاربة من يتعرض لها بنقد أو تشكيك، ومع أنها أول مواجهة بين الإيمان والكفر على وجه الأرض فقد كان أبو بكر رضي الله عنه هو المخطط الأول لهذه المواجهة التي لا يوجد أي تكافؤ مادي بين أطرافها، كما أنه لا يوجد تكافؤ أخلاقي أو علمي بين قيم الإسلام السامية، وبين قيم الجاهلية الهابطة.

حيازة أبي بكر رضي الله عنه على شرف إعلان مواجهة الباطل الوثني بصورة شرعية أقرها رسول الله ﷺ وشارك فيها، وحيازة شرف تلقي ضربات المشركين الحاقدة دون أن تترك في نفسه أي أثر من آثار الوهن أو التباطؤ على أن يكون هو الأول في كل المواقف،

كما أثبتت هذه المواجهة أن أبا بكر رضي الله عنه هو الهدف الأول لقريش من بين أصحاب رسول الله ﷺ لما يمثله من خطر على دينها وآلهتها بحسن دعوته وشدة شكيمته وحلمه وصبره وكرمه رضي الله عنه.

أراد المشركون من استهدافهم لأبي بكر رضي الله عنه أكثر من أي مسلم آخر إيذاء رسول الله ﷺ في نفسه لما يمثله له أبو بكر رضي الله عنه من مكانة الصحبة والألفة والمؤانسة والمكانة في العشيرة ولما له من الخبرات والمواقف الاجتماعية التي تفتح آفاق الدعوة ومخالطة القبائل على علم وبينه من أخلاقهم وعاداتهم وتحالفاتهم، ولما يمتلكه أبو بكر رضي الله عنه من معرفة واسعة في علم الأنساب الذي كان مهمًّا عند العرب في ذلك العصر، ولما يمتلكه أبو بكر رضي الله عنه من وسائل دفاعية وإنقاذية للمستضعفين من أصحاب رسول الله ﷺ، لكل ذلك استهدف المشركون أبا بكر رضي الله عنه لما يرون أن في ذلك إيذاء لرسول الله وضرِبًا للدعوة في سمعها وبصرها.

الإعلان في تلك المواجهة الأولى عن تسجيل أول انتصار أخلاقي علمي جماعي لجماعة المؤمنين على المشركين، حيث ظهرت هزيمة الشرك الذي لجأ أتباعه إلى العنف البدني والمناطحة، عندما عجزوا عن مواجهة ما جاء به رسول الله ﷺ من قيم وقواعد حياتية حضارية عادلة، وما أعلنه أبو بكر رضي الله عنه في تلك الخطبة من دعوة للرشد والتعاون على فعل الخير، ولكن لم يستطع أعداء الإسلام، وكما هو حالهم في كل العصور إذا امتلكوا القوة أن ينتقلوا إلى مرحلة الانقياد للشرع الرباني الذي يرضى الجميع، فهم في تلك الحال لا يعرفون سوى السجون والتعذيب والأذى لمواجهة دعوة الطهر والعفاف والعدل والحرية.

وتبين في تلك المواجهة أيضًا الفرق بين أخوة الإيمان وأخوة القبيلة، فقد انتفضت روابط بني تيم حينما اعتدى عتبة بن ربيعة على أبي بكر رضي الله عنه وهددوه بالقتل إن حصل لأبي بكر مكروه وانتظروا حوله حتى تاب إليه وعيه الذي فقده وهو ينافح عن نبيه ﷺ ودينه وعقيدته، لكنهم سرعان ما انفضوا عندما كان أول ما نطق به الصديق رضي الله عنه أن قال:

ما فعل رسول الله، فلم يكن همه في نفسه أو في أهله أو قبيلته وإنما كان همه الذي أخذ عليه كل مشاعره هو حال رسول الله ﷺ الذي يرتبط بإجابته ونصرته سعادة الدنيا والآخرة، وبمعارضته فساد الدنيا والآخرة، إضافة إلى أنه أصبح السمع والبصر والماء والضيء في حياة أبي بكر رضي الله عنه، ونظرًا لهذه الحال التي كان يعيشها الصديق لم يلق أي بال لموقف قومه فأصبح الانتماء عنده ومنذ ذلك التاريخ هو انتماء ونسب العقيدة، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾^(١) فأصبحت هذه الآية هي شعار حياة الأمة وعنوان مجدها، فإذا كانت الأخوة مبنية على العقيدة فهذا علامة الإيمان والحياة والتلاحم أمام كل المواقف، وإذا كان العكس فإنما هي المصالح والمنافع، فتقوى الصلوات وتضعف بقدر ذلك.

وفي تلك المحنة اتضح دور المرأة المسلمة التي شاركت أخاها الرجل في كل ما يتحمله من تبعات حصار الشرك وكبره وسفهه وصلافته التي لا تقيم وزنًا لشيء، وقد كانت أم جميل مثالًا للمرأة المؤمنة الحصيفة التي تقدر الأمور بأشباهاها؛ فما دام الشرك يجترئ على رسول الله وعلى أبي بكر فإنه لن يقيم وزنًا لأحد لهذا كان عليها أن تحتاط للأمر وأسرار الجماعة حتى لو كان ذلك من أقرب المقربين وهي أم أبي بكر رضي الله عنه، فما دامت ليست من أصحاب محمد ﷺ فلا أمان لها، فاحتاطت للأمر أجمل احتياط ولم تتوقع في بيتها، بل احتالت حتى وصلت إلى هدفها المتمثل في الاطمئنان على أبي بكر رضي الله عنه ثم وصله مع رسول الله ﷺ فنجحت في ذلك أيما نجاح، وإن كانت غلبتها عاطفة الأخوة في الله فصرخت من هول ما رأت من معاناة صاحب رسول الله العزيز الكريم ودعت الله أن ينتقم من المشركين الذين اعتدوا على نصير المستضعفين وسيد أتباع رسول رب العالمين. قال تعالى عن أم موسى: ﴿ إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَّنَا عَلَنَّا قَلْبَهَا لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾^(٢).

(١) سورة الحجرات، الآية: ١٠.

(٢) سورة القصص، الآية: ١٠.

بعد هذه المحنة بلغت مكانة أبي بكر رضي الله عنه في نفوس المؤمنين النهاية من الاعتزاز والمحبة والإجلال، لما قام به من دور رائد، حيث كسر أطواق الرهبة من قريش وفتح أبواب الدعوة العلنية وأن المسلمين كيان لا يقهر وسيعلو على جميع العقبات التي يضعها المشركون في طريقه، وكذلك بلغت مكانته من الإشفاق عليه لما ناله من العدوان والأذى الذي تبدو آثاره جلية على جسده، مما كان سبباً فيما أصاب رسول الله ﷺ من الإشفاق والرقّة عليه وتقبيله وحنو المسلمين عليه وتقبيله قبلات أرادوا أن ينشروا بها أقوى وأمتن روابط الود والإكبار لكل من يعطي في سبيل دعوته وعقيدته على مر السنين.

لقد فجرت تلك المواجهة ينابيع العطاء والتضحية في نفوس المسلمين وأظهرت لهم مكانة رسول الله ﷺ بين أصحابه واستعدادهم لبذل دمايتهم بين يديه ولكل ما يقره أو يأمر به ومع ما نال المسلمين من أذى جسدي في تلك الملحمة الدعوية العقدية فإنهم أرغموا أنوف المشركين بما أظهره من تلاحم وأخوة وعلم وصبر وانضباط.

ومع كل الذي حصل لأبي بكر رضي الله عنه من أذى جسدي ونفسي في تلك المواجهة فإنه لم ينس مهمته الأساسية التي كان يعمل من أجلها في كل أوقاته ألا وهي الدعوة إلى توحيد الله تعالى، وقد اغتنم في تلك الساعة التي لاحظ فيها حنان رسول الله ﷺ ورقته عليه تلك اللحظة ليستعين برسول الله ﷺ على دعوة والدته إلى الإسلام والطلب من رسول الله ﷺ الدعاء لها فاستطاع آنذاك أن يحقق رغبته بإسلام والدته حينما قال: يا رسول الله إنك رجل مبارك، وهذه والدتي بارة بولدها فادع الله لها أن يهديها للإسلام، ففعل النبي ما يقر عين صاحبه ليفوز بعد إسلام والده بلقب الأول من بين المهاجرين ممن أسلم أبواه في حياته. وما هذه المواجهة إلا صورة من صور المواجهة المستمرة والدائمة بين الحق والباطل، وقد تمكن أبو بكر أن يقدم فيها أروع صور التخطيط والتدبير والقيادة واستثمار النتائج، وما هذه إلا صورة لأول ما حصل في مكة بين المسلمين والمشركين ستتضح في فصل جهاد أبي بكر في حياة رسول الله ﷺ. الذي لم يتوقف بعد الهجرة وإنما مر بأطوار أخرى تلونت فيها الأعباء الملقاة عليهم، بل إن

الامتحانات التي كانت تواجههم في مكة تحولت إلى المدينة ولكن بصورة أخرى؛ حيث كان على المسلمين أن يواجهوا مكر اليهود وفتنهم وتشويشهم وإجلاهم الدائم على المسلمين، وعليهم كذلك أن يواجهوا غلظة المشركين وكبرهم وطغيانهم، وفي ذات الوقت أن يكونوا على حذر دائم من تلبيس المنافقين وشائعاتهم وأباطيلهم فضلاً عن الأخطار الخارجية المحدقة بهم، ولكن من أهم ما واجههم في بداية الهجرة هو ذلك العدو الذي لا يرحم صغيراً ولا كبيراً، فكان عليهم أن يواجهوا الجوع وضيق ذات اليد أمام سيول المهاجرين الذين تركوا أموالهم وأهلهم ليشركوا في بناء دولة الإسلام، ولم يكن ذلك مقصوداً على فئة من الناس، بل كانت المدينة مفتوحة لكل مسلم مثلما كانت الهجرة إلزامية لبناء دولة الإسلام والانطلاق بها نحو آفاق العالمية؛ والاعتناق من أسوار القبيلة والمدينة والإقليم، إلى صناعة الأمة الواحدة الموحدة لله رب العالمين، لهذا كان امتحان الجوع يطال الجميع بما فيهم رسول الله ﷺ وصاحبه أبو بكر رضي الله عنه، وقد روى البخاري وغيره عن ابن عباس ما يوضح ذلك ويظهره. فقال: خرج أبو بكر رضي الله عنه في الهاجرة إلى المسجد فسمع بذلك عمر رضي الله عنه فخرج، فقال: يا أبا بكر، ما أخرجك في هذه الساعة؟ قال: لا، والله ما أخرجني إلا الجوع، فقال: أنا والذي نفسي بيده، ما أخرجني غيره، فبينما هما كذلك إذ خرج عليهما رسول الله ﷺ فقال: «ما أخرجكما من بيوتكما هذه الساعة؟» فقالا: الجوع. فقال: «أنا والذي نفسي بيده ما أخرجني غيره» فقاموا، فانطلقوا حتى أتوا باب أبي أيوب الأنصاري، فذكر الحديث في إتيان رسول الله ﷺ وأبي بكر، وعمر بيت أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه وذبحه لهم شاة، وطبخه لها، قال: فأخذ رسول الله ﷺ من الشاة، ووضعها على رغيف، وقال: «يا أبا أيوب أبلغ هذا فاطمة، فإنها لم تصب مثل هذا منذ أيام»^(١).

وبهذا يتضح أن هذا الدين السمح الحنيف لا يمكن نشره في العالمين كما أمر الله تعالى

(١) ابن حبان: صحيح ابن حبان، ك. الأئمة، باب آداب الأكل، ح ٥٢١٦. الطبراني، المعجم الصغير، ك. الألف. باب من اسمه أحمد، ح (١٨٥) مسلم: ك. الأشربة، باب، جواز استتباعه غيره، ح (٢٠٣٨) الترمذي، الزهد. باب ما جاء في معيشة أصحاب النبي ﷺ (٢٣٦٩).

به دون تضحيات وجهاد وصبر وألم ومشقة وجوع وعطش وهجرة وغربة، وما ذلك إلا لأن أهل الأهواء وعبيد الشهوات وإخوان الشياطين والظلمة والمتجبرين لا يقبلون بما فيه من العدل والمساواة والسماحة والتوحيد والاعتراف بحقوق الآخرين ولا سيما من الضعفاء والمساكين، ولما لم يقبلوا من رسول الله ﷺ ولا من أصحابه رضي الله عنهم من بعده أن ينساح الدين في الأرض دون عوائق وعقبات يصنعها أعداؤه، كان لا بد من هذه الدروس التي قدمها أصحاب رسول الله ﷺ لكي يرسموا الطريق لمن يأتي بعدهم فيتعلموا الثبات والصبر والاستعداد الدائم لدفع ثمن إعزاز هذا الدين من كل ما يملكون في الجانب المادي والجانب الروحي، وأما القول بالحوار والتفاهم فهذا سلاح مشهور دائماً؛ فمن قبل بالحوار فله ما للمسلمين وعليه ما عليهم، وأما أن يستخدم الحوار للمساواة بين الحق والباطل والشرك والتوحيد والصدق والكذب والإسلام والجاهلية فهذا ليس بحوار، بل تدليس وتلبيس ورضا بالدونية وأن يتساوى دين الله تعالى المنزه عن الحظوظ والأهواء مع أديان البشر وأن تكون كلمة الله وكلمة عبيده أهل الأهواء والآثام والظلم سواء بسواء، ومن هنا لو كان الدين من الممكن أن يُنشر في العالمين دون قوة ترعاه لانتشر على يدي رسول الله ﷺ الحليم الرؤوف لأنه هو الأقدر والأعلم والأرحم في وسائل تبليغه للناس، ولما لم يحصل هذا الرسول الله ﷺ كان لا بد من الإعداد الدائم كما فعل رسول الله ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم امتثالاً لقوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾^(١) ولأن الله تعالى أخبر أن الشر سيبقى في صراع دائم مع الخير مهما تسامح الحق وغفر. قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطَانِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾^(٢).

دفاعه عن رسول الله في مكة:

عن عروة بن الزبير قال: سألت عبد الله بن عمرو رضي الله عنه عن أشد ما صنع

(١) سورة الأنفال، الآية: ٦٠.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١١٢.

المشركون برسول الله ﷺ قال: رأيت عقبة بن أبي معيط، جاء النبي ﷺ وهو يصلي، فوضع رداءه في عنقه فخنقه به خنقاً شديداً، فجاء أبو بكر حتى دفعه عنه، فقال: ﴿أَنْقَتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ﴾^(١).

وعن أنس رضي الله عنه قال: لقد ضربوا رسول الله ﷺ حتى غشي عليه، فقام أبو بكر رضي الله عنه فجعل ينادي ويقول: ويلكم أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله؟ قالوا: من هذا؟ قالوا: هذا ابن أبي قحافة المجنون^(٢). لقد بلغ من كمال حب أبي بكر لرسول الله ﷺ وإشفاقه عليه أنه لم يعد يرى لنفسه أي حق في العيش إن نال أحد من رسول الله ﷺ، وهذا ما لاحظته عليه مشركو قريش حتى وصفوه بهذا الوصف الذي يريدون أن يعيبوه به؛ بينما هو وسام شرف لأبي بكر رضي الله عنه يراه كل مسلم يزين صدره في حياته ويعطر سيرته بعد وفاته رضي الله عنه، وبالتأكيد فإن المشركين اكتشفوا أن أبا بكر كان يمسك بناصية العقل والحكمة حينما جعل من جسده سوراً يحمي به رسول الله ﷺ، وأن الجنون الفعلي هو فيما كان يقوم به المشركون من عدوان دائم لا مسوغ له سوى الانسياق وراء الشهوات والأهواء وحب الذات على حساب الخير والعدل.

وروي أنه بينما النبي ﷺ في حجر الكعبة، إذ أقبل عليه عقبة بن أبي معيط فوضع ثوبه على عنقه فخنقه خنقاً شديداً، فأقبل أبو بكر رضي الله عنه حتى أخذ بمنكبه ودفعه عن النبي ﷺ وقال: ﴿أَنْقَتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ﴾. وقال عبد الله بن عمرو بن العاص: لقد رأيتهم وقد اجتمع أشرفهم يوماً في الحجر، فذكروا رسول الله ﷺ، فقالوا: ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من هذا الرجل قط، سقاه أحلامنا وشتم آباءنا، وعاب ديننا، وفرق جماعاتنا، وسب آلهتنا، وصرنا منه على أمر عظيم، قال: فبينما هم في ذلك طلع رسول الله ﷺ فأقبل

(١) سورة غافر، الآية: ٢٨. صحيح البخاري ك: فضائل الصحابة. باب قول النبي ﷺ: «لو كنت متخذاً خليلاً» ح (٣٦٧٨) (٣٤٧٥).

(٢) الحاكم: المستدرک، کتاب معرفة الصحابة، باب: أبو بكر الصديق رضي الله عنه، ح (٤٤٢٤) ٧٠ / ٣. هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

يمشي حتى استلم الركن، ثم مرّ بهم طائفاً بالبيت فغمزوه ببعض القول، فعرفت ذلك في وجه رسول الله ﷺ فمضى، فلما مرّ بهم الثانية غمزوه بمثلها فعرفتھا في وجهه فمضى، فمرّ بهم الثالثة فغمزوه بمثلها. فقال: «أَتَسْمَعُونَ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ؟ أَمَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِالذَّنْحِ». فأخذت القوم كلمته حتى ما منهم من رجل إلا وكأنما على رأسه طائر وقع حتى إن أشدهم فيه وصاة قبل ذلك ليرفوه بأحسن ما يجد من القول حتى إنه ليقول: انصرف يا أبا القاسم راشداً فما كنت بجهول. فانصرف رسول الله ﷺ حتى إذا كان الغد اجتمعوا في الحجر وأنا معهم، فقال بعضهم لبعض: ذكرتم ما بلغ منكم وما بلغكم عنه. حتى إذا بادأكم بما تكرهون تركتموه. فبينما هم على ذلك طلع رسول الله ﷺ فوثبوا إليه وثبة رجل واحد فأحاطوا به يقولون: أنت الذي تقول كذا وكذا؟ لِمَا كَانَ يَبْلُغُهُمْ مِنْ عَيْبِ آلِهِمْ وَدِينِهِمْ، فيقول رسول الله ﷺ: «نَعَمْ أَنَا الَّذِي أَقُولُ ذَلِكَ» ولقد رأيت رجلاً منهم أخذ بمجامع رداءه، وقام أبو بكر يبكي دونه ويقول: ويلكم ﴿أَنْقَتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ﴾ ثم انصرفوا عنه. فإن ذلك لأكثر ما رأيت قريشاً بلغت منه قط ﷺ^(١).

وهذا ما كان عايشه علي رضي الله عنه عندما كان في مرحلة شبابه الأولى دون أن يتمكن من التدخل لنجدة رسول الله ﷺ لا بالقول ولا بالفعل نظراً لصغر سنه وأعراف الجاهلية التي كانت لا تقيم وزناً إلا لكبار القوم. قال علي رضي الله عنه: لما كان بعد وفاة أبي بثلاثة أيام اجتمعت قريش تريد قتل رسول الله ﷺ فلم يُعنه يومئذ إلا أبو بكر رضي الله عنه ولأبي بكر يومئذ ضفيريان، فأقبل يجادل هذا ويدفع هذا ويقول: ﴿أَنْقَتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ والله إنه لرسول الله ﷺ، وتقطعت في ذلك اليوم إحدى ضفيري أبي بكر رضي الله عنه وقال علي رضي الله عنه يوماً لأصحابه: ناشدتكُم الله، أي يوم الرجلين خير: مؤمن آل فرعون أو أبو بكر؟ فأمسك القوم، فقال علي: والله ليوم واحد من أبي بكر خير من مؤمن آل فرعون، ذاك رجل كتم إيمانه فأثنى الله عليه.

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، ٣/٩٥، ٩٦.

وهذا بذل لله نفسه ودمه^(١). كل هذه الروايات تؤكد الدور الرائد الذي كان يقوم به أبو بكر رضي الله عنه في الدفاع عن رسول الله ﷺ ونصرتة بعد أن عز النصير فكان الصديق كالأم الرؤوم يدور حول رسول الله ﷺ يفتديه بنفسه من وحشية الجاهلية وجبروتها، فكان رضي الله عنه جيشاً لجباً وحده بين يدي رسول الله ﷺ لا يبالي بالطغاة ولا يحرص على غير سلامة النبي ﷺ، وهذا ما أدركه المشركون وعرفوا من خلاله المكانة العلية لأبي بكر رضي الله عنه عند رسول الله ﷺ كما أدركوا مدى إخلاصه للإسلام وخطورته على الشرك حتى إنهم أخذوا يجعلونه في موازينهم ومخططاتهم مع رسول الله ﷺ؛ إذ إنهم كانوا يدركون أنه هو الوحيد الذي يسد مسد رسول الله ﷺ إذا غاب عن المسلمين، قال سراقه ابن جعشم المدلجي: جاءتنا رسل كفار قريش يجعلون في رسول الله ﷺ وفي أبي بكر دية، ولمن قتلها في كل واحد منهما دية أو أسرها^(٢). وهذا النص يؤكد مكانة أبي بكر رضي الله عنه في أمة رسول الله ﷺ بل هذا ما أدركه أعداء الصحابة رافضو السنة وخلافة النبوة، حيث جعلوه هدفاً لبهتانهم وتزييفهم يعملون بكل وسعهم لتشويه سيرته وصرف المسلمين عن تلقي الدروس والعبر من مواقفه وتضحياته، وهذا ما أدركه المؤمنون أيضاً على مرّ العصور فأصبح عندهم الصديق هو الميزان الذي يتضح في كفته المؤمنون من المنافقين، فكل من في قلبه ذرة حقد أو شك أو تشويش إنما هو امتداد للمرتدين تلامذة مسيلمة الكذاب فلا قيمة لوجودهم بين المؤمنين، بل إنهم خطر وبلاء وفتنة وشر في أي تجمع يكونون فيه مع المؤمنين لأنهم لا يجيدون سوى الدس والوقعة وإشاعة الإفك، فما أعظم دور الصديق وما أعمق أثره في الإسلام حياً وميتاً، ففي حياة رسول الله ﷺ صدح بالإسلام وعلم المسلمين كيف يفعلون ذلك، وفي خلافته سحق الرفض والردة وأزهق

(١) البزار: مسند البزار، مما روى محمد بن عقيل عن علي رضي الله عنه ٥٦١ / ٥. الطنطاوي: أبو بكر الصديق، ٨٢.

(٢) الحاكم: المستدرک، کتاب معرفة الصحابة، باب: أبو بكر الصديق رضي الله عنه، ح (٤٤٢٥) ٧٠ / ٣. هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

روح النفاق وأطاح بعروش الطغاة والجبابرة، وحمى الدين وافتدى السنة بكل ما يملك وما يستطيع حتى أقر من رفض ركن الزكاة أن يؤديها ويؤمن أن الزكاة هي الركن الثالث من أركان الإسلام، وبعد وفاته رضي الله عنه بقي نورًا كاشفًا يُظهر زيف المنافقين وغش وخذاع ومكر الرافضين للسنّة الحاقدين على أهلها.

الإسراء:

ومن مواقف الصديق رضي الله عنه الشهيرة المتفردة في الإيمان والتصديق والرعاية والنصرة ما قام به من مؤازرة رسول الله ﷺ يوم الإسراء، حيث كان يشد من أزره فيفصح ﷺ عن كل ما يريد قوله في وسط جموع الشرك المتشككة المكذبة، وبين يديه صاحبه ينافح عنه ويشهر كل ما يريد ﷺ قوله فيتلقفه بالتصديق لا يسأل عن بينة ولا عن حجة، فإذا ثبت عنده أن رسول الله ﷺ قال قولاً فقولوه هو الحق والصدق أي قول كان. وقد ثقل على رسول الله يوم الإسراء كيفية إخبار قريش برحلة الإسراء وهو يعلم غلظتهم على المؤمنين وشدة عنادهم وتكذيبهم له ﷺ، فتلطف بإخبارهم أنه جاء بيت المقدس في تلك الليلة؛ وذلك أن أبا جهل، رأى رسول الله ﷺ في المسجد الحرام وهو جالس واجم. فقال له: هل من خير؟ فقال ﷺ: «نعم». فقال: وما هو؟ قال ﷺ: «إني أسري بي الليلة إلى بيت المقدس». قال: إلى بيت المقدس؟! قال ﷺ: «نعم». قال: رأيت إن دعوت قومك لك لتخبرهم، أتخبرهم بما أخبرني به؟ قال ﷺ: «نعم». فأراد أبو جهل جمع قريش ليسمعوا منه ذلك، وأراد رسول الله ﷺ جمعهم ليخبرهم ذلك ويبلغهم. فقال أبو جهل: هيا معشر قريش، وقد اجتمعوا من أئديتهم. فقال: أخبر قومك بما أخبرني به. فقص عليهم رسول الله ﷺ خبر ما رأى، وأنه جاء بيت المقدس هذه الليلة وصلّى فيه. فمن بين مصفق وبين مصفر تكذيباً له واستبعاداً لخبره، وطار الخبر بمكة. وجاء الناس إلى أبي بكر رضي الله عنه فأخبروه أن محمداً ﷺ يقول كذا وكذا. فقال: إنكم تكذبون عليه. فقالوا: والله إنه ليقوله. فقال: إن كان قاله فلقد صدق. ثم جاء إلى رسول الله ﷺ وحواله مشركو قريش، فسأله عن ذلك، فأخبره،

فاستعلمه عن صفات بيت المقدس، ليسمع المشركون ويعلموا صدقه فيما أخبرهم به. وفي الصحيح: أن المشركين هم الذين سألوا رسول الله ﷺ عن ذلك. قال: «فجعلت أخبرهم عن آياته، فالتبس عليّ بعض الشيء، فجلىّ الله لي بيت المقدس، حتى جعلت أنظر إليه دون دار عقيل وأنعته لهم». فقالوا: أما الصفة فقد أصاب. وأخبرهم بمروره ببيعيرهم وقافتهم وما كان من شربه ﷺ لمائهم. فأقام الله عليهم الحجة واستنارت لهم المحجة، فأمن من آمن على يقين من ربه، وكفر من كفر بعد قيام الحجة عليه. كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرِّيَا أَلْتَّيْ أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾^(١) أي اختباراً لهم وامتحاناً^(٢) حيث كان تصديق أبي بكر المطلق لكل ما قاله النبي ﷺ حجة على كل مكذب بالإسراء الذي جاء نصح صريحاً في كتاب الله. قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مَنِ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾^(٣).

موقف أبي بكر رضي الله عنه من الإسراء وتسميته بالصديق:

ولما انصرف رسول الله ﷺ إلى مكة وأصبح فيه بعد تلك الرحلة العجيبة، غدا إلى قريش فأخبرهم الخبر فقال أكثرهم: هذا والله الأمر البين، تالله إن العير لتطرد شهرًا من مكة إلى الشام مدبرة وشهرًا مقبلة، أفيذهب محمد في ليلة واحدة، ويرجع إلى مكة! فارتد كثير ممن كان أسلم، وذهب الناس إلى أبي بكر رضي الله عنه فقالوا له: هل لك يا أبا بكر في صاحبك؟! يزعم أنه قد جاء هذه الليلة بيت المقدس وصلى فيه ورجع إلى مكة. قال: فقال لهم أبو بكر: إنكم تكذبون عليه، فقالوا: بلى، ها هو ذاك في المسجد يحدث الناس، فقال أبو بكر: والله لئن كان قاله لقد صدق، فما يعجبكم من ذلك! فوالله إنه ليخبرني أن الخبر ليأتيه من الله من السماء إلى الأرض في ساعة من ليل أو نهار فأصدقه، فهذا أبعد مما تعجبون

(١) سورة الإسراء، الآية: ٦٠.

(٢) ابن كثير: السيرة النبوية، ١٠٢/٢.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ١.

منه. ثم أقبل حتى انتهى إلى رسول الله ﷺ فقال: يا نبي الله أحدثت القوم أنك جئت بيت المقدس هذه الليلة؟ قال: «نعم»، قال: يا نبي الله، فصفه لي، فإني قد جئته. قال الحسن: فقال رسول الله ﷺ: «فرغ لي حتى نظرت إليه». فجعل رسول الله ﷺ يصفه لأبي بكر، ويقول أبو بكر: صدقت، أشهد أنك رسول الله، كلما وصف له منه شيئاً، قال: صدقت، أشهد أنك رسول الله، حتى إذا انتهى قال رسول الله ﷺ لأبي بكر: «وأنت يا أبا بكر الصديق»، فيومئذ سماه الصديق. قال الحسن: وأنزل الله تعالى فيمن ارتد عن إسلامه لذلك: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرِّيَاءَ الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُحُوتِهِمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾ (١).

وروي أن أبا جهل مرّ على رسول الله ﷺ فجاء حتى جلس إليه، فقال له كالمستهزئ: هل كان من شيء؟ قال: «نعم»، قال: ما هو؟ قال: «أسري بي الليلة». قال: إلى أين؟ قال: «إلى بيت المقدس». قال: ثم أصبحت بين ظهرانينا؟ قال: «نعم». فلم ير أنه يكذبه مخافة أن يجحده الحديث إن دعا قومه إليه. قال: أرأيت إن دعوت قومك تحدثهم ما حدثني؟ قال: «نعم»، قال: يا معشر بني كعب بن لؤي. فانفضت إليه المجالس، وجاءوا حتى جلسوا إليهما. فقال: حدث قومك بما حدثني. فقال النبي ﷺ: «إني أسري الليلة بي» قالوا: إلى أين؟ قال: «إلى بيت المقدس»، قالوا: ثم أصبحت بين ظهرانينا؟ قال: «نعم» فمن بين مصفق ومن بين واضع يده على رأسه متعجباً، وضجوا وأعظموا ذلك. فقال المطعم بن عدي: كل أمرك قبل اليوم كان أمماً غير قولك اليوم، أنا أشهد أنك كاذب، نحن نضرب أكباد الإبل إلى البيت المقدس مصعداً شهراً ومنحدرًا شهراً، أتدعي أنت أنك أتيت في ليلة؟ واللوات والعزى لا أصدقك (٢).

فقال أبو بكر رضي الله عنه لمطعم: بئس ما قلت لابن أخيك، جبهته وكذّبه، أما أنا فأشهد أنه صديق صادق. فقالوا: يا محمد، صف لنا بيت المقدس، كيف بناؤه وكيف هيئته؟

(١) سورة الإسراء، الآية: ٦٠. ابن هشام: السيرة النبوية، ١٢/٢.

(٢) الصالحى: سبل الهدى والرشاد ٩٤/٣.

وكيف قربه من الجبل؟ وفي القوم من سافر إليه. فذهب ينعت لهم بناء كذا وهيئته كذا، وقربه من الجبل كذا، فما زال ينعته لهم حتى التبس عليه النعت فكرب كرباً ما كرب مثله، فجيء بالمسجد وهو ينظر إليه حتى وضع دون دار عقيل أو عقال، فقالوا: كم للمسجد من باب؟ ولم يكن عدها، فجعل ينظر إليه ويعدّها باباً باباً، ويعلمهم، وأبو بكر يقول: صدقت، صدقت، أشهد أنك رسول الله. فقال القوم: أما النعت فوالله لقد أصاب. ثم قالوا لأبي بكر: أفصدقه أنه ذهب الليلة إلى بيت المقدس وجاء قبل أن يصبح؟ قال: نعم، إني لأصدقه فيما هو أبعد من ذلك، أصدقه بخبر السماء في غدوة أو روحة. فبذلك سمي أبو بكر الصديق^(١). قال تعالى: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾^(٢).

عزم الصديق على الهجرة إلى أرض الحبشة:

ومن مواقف الصديق الأخرى قبل الهجرة إلى المدينة محاولته الهجرة إلى الحبشة ومن ثم رده جوار ابن الدغنة^(٣) الذي زعم أنه يجير أبا بكر في مكة حتى يعبد ربه ولكنه سرعان ما استجاب للمشركين ومكرهم حتى اضطر أبا بكر أن يرد عليه جواره، ويستغني بجوار الله تعالى - كما سيتضح ذلك مفصلاً بعد قليل - ويتحمل تبعات ذلك ومخاطره مما جرأ عليه سفهاء المشركين حتى تناول أحدهم وذر على رأسه التراب وهو في طريقه إلى الكعبة

(١) الصالحى: سبل الهدى والرشاد، ٩٣/٣. (٢) سورة الزمر، الآية: ٣٣.

(٣) واسمه الحارث بن يزيد أحد بني بكر بن عبد مناة بن كنانة سيد قبيلة القارة. وقال السهيلي: اسمه مالك. والدغنة: وهي أمه، وقيل: أم أبيه، ومعنى الدغنة: المسترخية، وأصلها الغمامة الكثيرة المطر، القارة، وهي قبيلة مشهورة من بني الهون، ويضرب بهم المثل في قوة الرمي. قال الشاعر:

قد أنصف القارة من رماها

والأحابيش: بنو الحارث بن عبد مناة بن كنانة، والهون بن خزيمة بن مدركة، وبنو المصطلق من خزاعة. قال ابن هشام: تحالفوا جميعاً فسموا الأحابيش (لأنهم تحالفوا بوادٍ يقال له الأحبش بأسفل مكة). السهيلي: الروض الأنف، ١٥٨/٢. ابن كثير: السيرة النبوية، ٤١٠/١. الصالحى: سبل الرشاد، ٤١١/٢.

المشرفة، فلما عرض ذلك على زعماء المشركين رد عليه قائلهم: أنت فعلت ذلك بنفسك، أي بسبب إسلامك. فذهب أبو بكر وهو يقول: أي رب ما أحلمك، أي رب ما أحلمك أي رب ما أحلمك^(١)! والملاحظ لمنطق زعماء قريش عندما عرض عليهم الصديق أفعال سفهائهم وخروجهم على كل الضوابط والقيم، يشتّم فيها منطق الجاهلية المعاصرة وتعاملها مع المسلمين، هذا المنطق الظالم المتغابي الذي يُحمّل المسلم تبعات اختياره للإسلام، فيشرع لأعداء الإسلام فعل كل ما يحول بين المسلم وبين القيام بشعائره وما في عنقه وضميره من ضوابط شرعية يعتقدها ويؤمن بها، في الوقت الذي يبيح فيه للكافرين بشرائع الإسلام القيام بكل ما ترشحه أهواؤهم وتخيلاتهم من طلاسّم وطقوس واعتقادات باطلة لا يسندها عقل ولا واقع، هذا هو الحال لم يتغير، فالناظر إلى ما يعانیه المسلمون في هذا العصر يجد أن المسارات لم تتبدل، فمسارات الإيمان هي هي، ومسارات الشرك والكفر والنفاق والرفض والردة أيضًا هي لم تتبدل، والذي تغير فقط أن المشركين أيام أبي بكر رضي الله عنه كان فيهم نوع من الاعتداد بالذات والخوف من أن يتهم أحدهم بالكذب أو العدوان على الطفل والمرأة والضعيف بينما أعداء الإسلام ومبغضو الصحابة في هذا العصر لم يبق بين أيديهم ما يستر فضائحهم الأخلاقية والإنسانية، فمسيرتهم مع أهل الإيمان مكشوفة واعتناقهم للعقائد الفاسدة والمحاربة للإسلام ثابتة معلومة، وستأتي الهجرة إلى الحبشة مفصلة أكثر في المبحث الثاني من هذا الفصل إذ إنه لا يمكن الفصل بين الحديث عن هجرة الحبشة وهجرة المدينة لأن معاني الهجرة مترابطة ومقاصدها متشابهة، وإن كان كل منهما لها ظروفها وأسبابها ووسائلها وأهدافها. ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾^(٢).

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، ٣/١٤١. السيرة، ٢/٦٣. ابن هشام: السيرة النبوية، ١/٤١٠.

(٢) سورة التوبة، الآية: ١١٧.

المبحث الثاني

من مواقف أبي بكر الصديق رضي الله عنه وجهاده يوم الهجرة

الهجرة^(١) لها وجهان في حياة المهاجرين، أولهما أنها شرف وعز لأهلها في الدنيا والآخرة، ومنزلة ربانية وهبها الله تعالى لأصحاب رسول الله ﷺ ووهبها جلّ وعلا لكثير من المؤمنين ممن جاء بعدهم واهتدى بهديهم، ومن جانب آخر هي جرح دائم النزيف إن اندمل يوماً انتقض على صاحبه أياماً، يرتشف فيه المهاجرون ألواناً من التجارب المرة والحلوة، ويُمتحنون فيها بما يحملون من عقيدة ومبادئ وقيم، فتظهر فيها معادن الناس على حقيقتها وتبلور فيها التجارب، ويتزلزل فيها المتفجعون وأهل الأهواء، فتميل المنافع بأصحابها على حساب العقيدة، فتُنسج التحالفات وتوثق الصداقات على حساب المبدأ والمصلحة العامة، فتفتح عندها الثغرات في الأسوار وتتصدع بأسباب ذلك الجماعات وتتجلى كل الخيارات ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّٰ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾^(٢) فيُعرف المخلصون لعقيدتهم

(١) كل من فارق بلده من بدوي أو حضري وسكن بلداً آخر فهو مهاجر. والمهاجرون هم الذين هاجروا بأمر رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة، أو من مواطن القبائل العربية إلى المدينة، ومنهم مهاجرو الحبشة. ينظر: الخليفة، مهاجرة الحجاز، ٧٣. وعن المعاني اللغوية للهجرة، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ٥/٢٥٠. الفيروز آبادي: القاموس المحيط، ٣/١٦٣. الرازي: مختار الصحاح، ٥٠٣.

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٤٢.

الذين لا تزيدهم المحن والتجارب إلا تمسكاً بهويتهم وعطاءً لعقيدتهم على مرّ الأجيال والدهور، كما يعرف المساومون على الدين والسنة المزايديون على العقيدة.

فالهجرة أحد الحلول التي يلجأ إليها المؤمنون بالله تعالى لحماية إيمانهم وسلامة عقيدتهم ولتجاوز ما يحيق بهم من عدوان الجاهلية وأزمات المجتمعات الفاسدة والمترهلة التي لا يحكمها شرع ولا يضبطها قانون، ففي الوقت الذي تبيح فيه المجتمعات والنظم الجاهلية عبادة الذات وعبادة السلطات وعبادة المال والشهوات، والتعبد بالرشوة والنميمة والجاسوسية والنفاق ونشر الرذيلة، في الوقت الذي تبيح فيه كل ذلك فإنها تُحرّم على المؤمنين عبادة ربهم وخالقهم عبادة حقة، تحل الحلال وتحرم الحرام وتنصر الضعفاء وتواسي المحتاجين، والناظر في مسيرة الإيمان يجد أن الهجرة كانت ثمناً ملازماً لكل صفقة تعقد بين المؤمنين وربهم سبحانه وتعالى، لذلك هاجر الأنبياء وهاجر الصديقون وهاجر الصحابة والتابعون، واستمرت كواكب الأخيار في كثير من الأعصار والأمصار تجدد هذه الصفحة الإيمانية ليتعلم الناس أن كل شيء يجب أن يخدم الإسلام حتى تتوثق روابطه ويسود سلطانه فيعم عدله ورحمته الإنسانية جمعاء، وهذا ما أرشد إليه رسول الله ﷺ في كثير من الأحاديث التي أوضح فيها أن الهجرة تشريع إسلامي يدفع فيه المؤمنون وسائل الحصار ويتجاوزون شرك الإذلال والاستضعاف التي ينصبها لهم أعداء الدين والحرية والعدل والمساواة، فقال ﷺ: «لا تنقطع الهجرة ما دام العدو يقاتل... ولا تنقطع الهجرة ما قبلت التوبة، ولا تزال التوبة مقبولة حتى تطلع الشمس من مغربها»^(١). وقوله ﷺ: «ستكون هجرة بعد هجرة»^(٢). وقد مرت الهجرة في الإسلام بأطوار متعددة؛ فقد كانت إلى أرض الحبشة اختيارية في الرحيل وفي الإقامة وحتى في العودة، ثم مرت فترة من الزمن أصبحت الهجرة فيها إلى المدينة فريضة على كل مسلم، ومن لم يهاجر فهو خارج إطار مهام ومسؤوليات

(١) الساعاتي: الفتح الرباني لترتيب مسند أحمد بن حنبل الشيباني، (٢٠ / ٢٩٥). الخليفة: مهاجرة الحجاز، ٧٥.

(٢) ينظر: ابن قيم الجوزية: زاد المعاد، ٣ / ١٢٣.

المجتمع الإسلامي. قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا ﴾^(١) فالهجرة مستمرة إلى يوم القيامة والتي انقطعت بقوله ﷺ: « لا هجرة بعد الفتح»^(٢). أي بعد فتح مكة إنما هي القصد إلى النبي ﷺ؛ فبعد الفتح أصبح الإسلام ظاهراً ولم يعد هناك ضرورة للهجرة إلى المدينة، ولكن من بقي في دار الحرب أو في أي مكان لا يستطيع أن يمارس فيه الفرائض والشعائر والأحكام الإسلامية الظاهرة وبإمكانه الهجرة، فمن لم يفعل ذلك فهو الذي ينطبق عليه قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْتُمُ الْمُكَلَّفَةَ طَالِمَىٰ أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَهَاجِرُوا فِيهَا قَالُوا لَيْتَكُم مَّا وَنَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾^(٣) ومثلما أن الهجرة وولاية المسلمين واجبة، كذلك النصره لهم بالمال والنفس واجبة^(٤) ولما واجه رسول الله ﷺ صلف الجاهلية وبغيها وظلمها وكبرها؛ لم يعد أمامه وأمام المؤمنين من حل للخروج مما هم فيه من التضييق والظنك سوى التفكير بالهجرة ومغادرة أرض الظلم والشرك، لهذا أذن ﷺ لأصحابه أن يهاجروا إلى الحبشة في بداية الأمر فهاجر من هاجر إليها تخلصاً من ظلم المشركين وفراراً بالدين الذي يرتضيه الله رب العالمين سبحانه وتعالى ويرفضه الطغاة والوثيون، وهكذا فعل أصحاب محمد ﷺ فتركوا الأهل والدار والوطن من أجل نصره الدين، ولكنهم لم يجدوا في أرض الحبشة الأنصار، كما وجدوا ذلك عند الذين قال الله تعالى فيهم ممجداً نصرتهم: ﴿ وَالَّذِينَ نَبَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَن هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾^(٥) فلولا أن الله تعالى هياً هذه النصره لما أثمرت الهجرة هذه الثمار اليانعة،

(١) سورة الأنفال، الآية: ٧٢.

(٢) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب فضل الجهاد والسير، ح (٢٦٣١).

(٣) سورة النساء، الآية: ٩٧.

(٤) ينظر: القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ٢/ ٨٧٦، ٥/ ٣٥٠.

(٥) سورة الحشر، الآية: ٩.

فكم من المهاجرين هاجروا من أجل دينهم ولكنهم لم يجدوا النصير، فما أثمرت جهودهم إلا بالقليل، ولا حول ولا قوة إلا بالله تعالى.

الصديق والهجرة إلى الحبشة:

ولما كان الصديق رضي الله عنه في موقع الصدارة من الدين والأمة كان المشركون أشد حرصًا على تقييد طاقاته وكبت إيمانه وتكميم منطقته الحصيف وإسكات صوته القوي لإبطال حجته وتمزيق هويته، وقد حاولوا مرارًا استهدافه من بين الصحابة لكن الله تعالى سلم، ولما كان رضي الله عنه لا يبالي بطغيان الشرك والجاهلية ويصر دائمًا وأبدًا أن يكون الإسلام هو الأعلى سهمًا والأسمى كلمة ومقامًا، ازداد التضييق عليه والتعرض له بالأذى، فحين ضاقت عليه مكة ورأى من تظاهر قريش على رسول الله ﷺ وأصحابه ما رأى، استأذن رسول الله ﷺ في الهجرة فأذن له، فخرج أبو بكر رضي الله عنه مهاجرًا حتى إذا سار من مكة يومًا أو يومين لقيه ابن الدُّغْنَةَ أخو بني الحارث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة، وهو يومئذ سيد الأحابيش، قال الواقدي: واسمه الحارث بن يزيد أحد بني بكر بن عبد مناة بن كنانة. وقال السهيلي: اسمه مالك. فقال: إلى أين يا أبا بكر؟ قال: أخرجني قومي وآذوني وضيقوا عليّ. قال: ولم؟ فوالله إنك لتزِين العشيرة، وتُعين على النوائب، وتفعل المعروف وتُكسِب المَعْدوم. ارجع فإنك في جوارِي. فرجع معه حتى إذا دخل مكة قام معه ابن الدُّغْنَةَ فقال: يا معشر قريش إنني قد أجرت ابن أبي قحافة فلا يعرضن له أحد إلا بخير. فكفوا عنه. وكان لأبي بكر مَسْجِد عند باب داره في بني جمح، فكان يصلي فيه، وكان رجلًا رقيقًا، إذا قرأ القرآن استبكى، فيقف عليه الصبيان والعبيد والنساء يعجبون لما يرون من هيئته، فمشى رجال من قريش إلى ابن الدُّغْنَةَ. فقالوا له: يا بن الدُّغْنَةَ، إنك لم تُجِرْ هذا الرجل ليؤذينا إنه رجل إذا صلّى وقرأ ما جاء به محمّد يرقّ ويبكي وكانت له هيئة، ونحن نتخوّف على صبياننا ونسائنا وضعفائنا أن يفتنهم، فأته فمُرّه بأن يدخل بيته فليصنع فيه ما شاء. قالت: فمشى ابن الدُّغْنَةَ إليه فقال: يا أبا بكر، إنني لم أجرك لتؤذي قومي، وقد كرهوا مكانك الذي أنت به

وتأذَّوا بذلك منك، فادخل بيتك فاصنع فيه ما أحببت. قال: أوأرُذُّ عليك جوارك وأرضي بجوار الله؟ قال: فاردد عليّ جوارِي. قال: قد رددته عليك. فقام ابن الدُّعْنَةَ فقال: يا معشر قريش، إن ابن أبي قحافة قد ردَّ عليّ جوارِي فشأنكم بصاحبكم^(١).

وقالت أم المؤمنين الطاهرة عائشة رضي الله عنها: فلما ابتلي المسلمون خرج أبو بكر الصديق رضي الله عنه مهاجرًا قبلَ أرض الحبشة، حتى إذا بلغ برك الغماد^(٢) لقيه في الطريق سيد قبيلة القارة ابن الدُّعْنَةَ، فقال ابن الدُّعْنَةَ: أين تريد يا أبا بكر؟ فقال رضي الله عنه: أخرجني قومي، فأريد أن أسبح في الأرض وأعبد ربي، فقال له ابن الدُّعْنَةَ: فإنَّ مثلك يا أبا بكر لا يخرج ولا تخرج إنك تكسب المعدوم، وتصل الرِّحْم، وتحمل الكل، وتقري الضيف، وتُعِين على نوائب الحق فأنا لك جارٌّ، فارجع فاعبد ربك في بلدك^(٣).

وبقي أبو بكر رضي الله عنه آمنًا حتى خرج من جوار ابن الدُّعْنَةَ، فلقيه سفيه من سفهاء قريش وهو عامد إلى الكعبة رضي الله عنه فحشا على رأسه ترابًا، فمر بأبي بكر رضي الله عنه الوليد بن المغيرة أو العاص بن وائل فقال له أبو بكر رضي الله عنه: ألا ترى ما يصنع هذا السفية؟ فقال: أنت فعلت ذلك بنفسك. فولى أبو بكر وهو يقول: أي ربِّ ما أحلمك، أي ربِّ ما أحلمك، أي رب ما أحلمك^(٤).

وروي أنه كان مع أبي بكر حين خرج الحارث بن خالد، فقال أبو بكر لابن الدُّعْنَةَ: فإن معي رجلًا من عشيرتي. فقال له ابن الدُّعْنَةَ: دعه فليمض لوجهه وارجع أنت إلى عيالك. فقال له أبو بكر: فأين حق المرافقة؟ فقال الحارث: أنت في حل، فامض فإنني سأمضي

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، ٣/١٤١. السيرة النبوية، ٢/٦٣. ابن هشام: السيرة النبوية، ١/٤١٠. البخاري: بشرح فتح الباري، كتاب: مناقب الأنصار، باب: هجرة النبي وأصحابه إلى المدينة. ح (٣٩٠٥).

(٢) برك الغماد: موضع على خمس ليالٍ من مكة، ياقوت: معجم البلدان، ٢/٣١٧.

(٣) ابن عساکر: تاريخ دمشق، ٣٠/٧٨.

(٤) ابن كثير: البداية والنهاية، ٣/١٤١. السيرة النبوية، ٢/٦٣. ابن هشام: السيرة النبوية، ١/٤١٠.

لوجهي مع أصحابي. فمضى حتى صار إلى الحبشة، وبقي أبو بكر حتى نكص ابن الدُّعْنَة عما تعهد به أمام ضغوط المشركين ومكرهم، فقال له أبو بكر رضي الله عنه: فإني أرد إليك جوارك وأرضى بجوار الله تعالى^(١). فلما رد الصديق جوار المشرك ابن الدُّعْنَة بعد أن ظهر انحيازه إلى الجاهلية على حساب قيم مجتمع المشركين، الذين ضاقت صدورهم من أن يعبد أبو بكر ربه في فناء بيته وما يحيط بمنزله من مساحة فقط، فتحمل تبعات ذلك كاملة دون أن يبدي أي أسف على راحة بدنية تورثها الجاهلية لحلفائها، وظهر في موقف الصديق ذلك عز الإيمان وحمية المؤمنين وقوة ثقتهم بالله تعالى، لكنه ضيق عليه أكثر فأكثر وعانى من سفاهات المشركين ما لا يطاق وبما أوجد أمامه العقبات الهائلة التي تحول بينه وبين ممارسة الشعائر التعبدية على الوجه الصحيح، وأغلقوا أمامه منافذ الدعوة إلى الله تعالى مما اضطره أن يستأذن رسول الله في الهجرة إلى المدينة بعد أن أذن رسول الله ﷺ لأصحابه بذلك، حين قال لهم: «إني أريت دار هجرتكم بسبخة ذات نخل بين لابتين»^(٢). وهما الحرتان^(٣) فهاجر من هاجر قبل المدينة، ورجع عامة من كان بأرض الحبشة إلى المدينة.

وأقام رسول الله ﷺ بمكة بعد أصحابه من المهاجرين ينتظر أن يؤذن له في الهجرة، ولم يبق معه بمكة أحد من المهاجرين إلا من حبس أو فتن، إلا الصديق وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما أقاما بأمره لهما، وكان أبو بكر رضي الله عنه كثيرًا ما يستأذن رسول الله ﷺ في الهجرة، فيقول له رسول الله ﷺ: «لا تعجل لعل الله يجعل لك صاحبًا»،

(١) ابن حبان: صحيح ابن حبان، ح (٦٨٦٨) ينظر: الصالحى: سبل الهدى، ٢/٤١٠.

(٢) البخاري. باب جوار أبي بكر في عهد النبي ﷺ وعقده، ح (٢١٧٥) صحيح ابن حبان: ك. ويا ب مناقب الصحابة، ح (٦٨٦٨) الصنعاني، ك. المغازي، باب من هاجر إلى الحبشة، ح (٩٧٤٣) ابن كثير: البداية والنهاية ٣/١٨٤.

(٣) الحرتان: مثنى حرة، والحرة أرض غليظة تركيبها حجارة سود، والمدينة فيها حرتان؛ حرة واقم، والحرة الشرقية. ينظر: الخليفة، مهاجرة الحجاز، ٥٢. ابن دريد: الاشتقاق، ١٣٥.

فيطمع أبو بكر أن يكونه^(١). ويقول له ﷺ: «على رسلك^(٢) فإنني أرجو أن يؤذن لي». فقال أبو بكر: وهل ترجو ذلك بأبي أنت وأمي؟ قال: «نعم»^(٣). فحبس أبو بكر رضي الله عنه نفسه على رسول الله ﷺ ليصحبه في أعظم رحلة في التاريخ البشري أنتجت هذا الدين الخالد وهذا التراث الإسلامي التالد، وأخذ أبو بكر رضي الله عنه بحصافته المعهودة ونباهته المعروفة يعد متطلبات الهجرة لكي يكون على أتم الاستعداد للتنفيذ عند تلقي أي إشارة من رسول الله ﷺ، وهذا ما فعله رضي الله عنه فسارع إلى شراء راحلتين من أجود ما تملكه العرب وباشر يعلفهما ورق السم - وهو الخبط^(٤) - أربعة أشهر، وذكر بعضهم أنه علفهما ستة أشهر^(٥). فأعد جهازه وجهاز رسول الله ﷺ منتظرًا حتى يأذن الله عز وجل لرسوله ﷺ في الخروج.

فلما كانت ليلة همّ المشركون بالغدر والفتك برسول الله ﷺ فأرصدوا على الباب أقوامًا، حتى إذا خرج ﷺ عليهم قتلوه، ولكن الله تعالى خيب سعيهم، فلما خرج عليهم ﷺ لم يره منهم أحد، وقد جاء في حديث أنه ذرّ على رأس كل واحد منهم ترابًا ثم خلص إلى بيت أبي بكر رضي الله عنه فخرج من خوخة في دار أبي بكر ليلاً^(٦) بعد أن بشر رسول الله ﷺ صاحبه بقوله: «يا أبا بكر، ألم ترني كنت أستأذن الله في الخروج» قال: أجل، قال: «فقد أذن لي» قال أبو بكر: الصحبة؟ قال: «الصحبة» فقال أبو بكر: عندي راحلتان قد علفتهما منذ ستة

(١) ابن هشام: السيرة النبوية، ٩٣/٢. ابن كثير: البداية والنهاية، ٢١٨/٣.

(٢) على رسلك: أي على مهلك، والرسول: السير الرفيق. الصالحى: سبل الهدى، ٤١١/٢.

(٣) البخاري: كتاب الكفالة، باب جوار أبي بكر رضي الله عنه ح (٢١٧٥). ينظر: الصالحى: سبل الهدى، ٤١١/٢.

(٤) السمّ هو ضرب من شجر الطلح الواحدة سمرة، ينظر النهاية لابن الأثير ٣٩٩/٢. وهو الخبط، والخبط: ضرب الشجر بالعصا ليتناثر ورقها، واسم الورق الساقط خَبَطَ بالتحريك، وهو من علف الإبل. ابن الأثير: النهاية، ٧/٢.

(٥) ابن كثير: السيرة النبوية، ٢٤٤/٢. ابن كثير: البداية والنهاية، ٢٢٧/٣.

(٦) ابن كثير: البداية والنهاية، ١١٤/١. ابن هشام: السيرة النبوية، ٩٨/٢.

أشهر لهذا، فخذ إحداهما، قال ﷺ: «بل أشتريها» فاشترها منه بعد أن حاول الصديق هبتها لنبيه ﷺ ولكن الهجرة أمرها عظيم أراد رسول الله ﷺ أن يكون له مشاركة في تبعاتها ليتعلم المسلمون وسائل الإعداد والاعتماد على الله تعالى ثم على جهودهم وإمكانياتهم في بناء دولة الإسلام وإلا فإن رسول الله ﷺ قد قبل أن ينفق عليه أبو بكر الصديق رضي الله عنه ماله في سبيل الله فخرجا إلى الغار^(١).

الهجرة إلى المدينة:

وفي هجرة رسول الله ﷺ بنفسه الكريمة إلى المدينة نزل من الآداب الربانية والآيات القرآنية قول الله تعالى: ﴿ وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِيْ مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِيْ مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِيْ مِنْ لَّدُنْكَ سُلْطٰنًا نَّصِيْرًا ﴾^(٢) قال ابن عباس رضي الله عنه عنهما: كان رسول الله ﷺ بمكة فأمر بالهجرة من مكة وأنزل عليه قوله تعالى: ﴿ وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِيْ مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِيْ مُخْرَجَ صِدْقٍ ﴾ أي الهجرة إلى المدينة ﴿ وَاجْعَلْ لِيْ مِنْ لَّدُنْكَ سُلْطٰنًا نَّصِيْرًا ﴾: كتاب الله عز وجل، وفرائضه وحدوده. وروى الحاكم وصححه عن قتادة في الآية قال: ﴿ أَدْخِلْنِيْ مُدْخَلَ صِدْقٍ ﴾ يعني المدينة ﴿ وَأَخْرِجْنِيْ مُخْرَجَ صِدْقٍ ﴾ يعني مكة. وروى الزبير بن بكار عن زيد بن أسلم في الآية قال: جعل الله تعالى لنبيه ﷺ مدخل صدق المدينة، ومخرج صدق مكة، وسلطانا نصيرا^(٣) كتاب الله تعالى، والله أعلم.

مقدمات الهجرة إلى الأنصار:

وكان أبو بكر رضي الله عنه يستأذن رسول الله ﷺ في الهجرة كما سبق بيان ذلك، والنبي ﷺ كما يبدو كان يصرفه عن ذلك ليكون معه من غير أن يصرح له، قالت الطاهرة

(١) ابن عساکر: تاريخ دمشق، ٣٠/٨٠.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٨٠.

(٣) الصالحی: سبیل الهدی، ٣/٢٣٨. البخاری: کتاب مناقب الأنصار، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة: ح (٤٥).

أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: استأذن أبو بكر رضي الله عنه في الخروج من مكة حين اشتد عليه الأذى، فقال له رسول الله ﷺ: «أقم». فقال: يا رسول الله! أتطمع أن يؤذن لك؟ فيقول ﷺ: «إني لأرجو ذلك». فحبس أبو بكر رضي الله عنه نفسه على رسول الله ﷺ في موقف من مواقفه التي تؤكد فطنته وحزمه واستعداده للأحداث بأعلى درجات الاستعداد، فلما قال له رسول الله ﷺ: «لا تعجل، لعل الله يجعل لك صاحباً»، طمع بأن يكون رسول الله ﷺ إنما يعني نفسه، حين قال له ذلك، فلم يجلس ينتظر حتى يعلمه رسول الله ﷺ بيوم الهجرة ثم يذهب فيعد لذلك اليوم ما يناسبه من إعداد، بل إنه باشر من تلك اللحظة التي التقط فيها تلك الإشارة بالتجهز وتأمين المتطلبات استعداداً لذلك اليوم المنتظر ولم يشغل بالإعداد لنفسه فقط، بل كان يحمل هم رسول الله ﷺ قبل هم نفسه ويحرص على إنجاز متطلباته بأعلى درجات الحرص، ولعل في مثل هذا الموقف المشتمل على النباهة والحزم والأريحية ما يوحى بخصال أبي بكر رضي الله عنه المتفردة التي جعلت رسول الله ﷺ يحرص على اجتباؤه من بين أصحابه الكرام. ثم أتى رسول الله ﷺ ذات يوم ظهراً، فناداه، فقال: «أخرج من عندك». فقال: يا رسول الله إنما هما ابتائي. قال: «أشعرت أنه قد أذن لي في الخروج؟» فقال: يا رسول الله! الصحبة؟ فقال: «الصحبة». قال: يا رسول الله، عندي ناقتان قد أعددتهما للخروج، فأعطى النبي ﷺ إحداهما وهي الجدعاء^(١). وعن أم المؤمنين الطاهرة عائشة رضي الله عنها لما قال ﷺ لأبي بكر رضي الله عنه: «نعم» موافقاً على الهجرة، فرح أبو بكر بهذه النعمة فرحاً عظيماً، قالت: فوالله ما علمت أن أحداً يبكي من الفرح حتى رأيت أبا بكر يبكي يومئذ^(٢). وقال أبو بكر رضي الله عنه: يا رسول الله، خذ إحدى راحلتي هاتين، فقال ﷺ:

(١) ابن سيد الناس: عيون الأثر: ٢٩٦/١. وقال: فركبها ﷺ فانطلقا حتى أتيا الغار، وهو بجبل ثور، فتواريا فيه، وهذا مخالف للمشهور بأن الناقتين كانتا عند دليهما الذي جاء بهما بعد اليوم الثالث لهما في الغار ثم باسرا الهجرة إلى المدينة، وهذا يوحى بأن الاتفاق مع ابن أريقط كان قبل يوم الهجرة، والله أعلم.

(٢) وقد أصبحت هذه الكلمة من أم المؤمنين رضي الله عنها ملهمة للشعراء، وهي: ما كنت أرى =

«بالثمن، لا أركب بعيراً ليس هو لي» قال: فهو لك. قال: «لا ولكن بالثمن الذي ابتعتها به». قال رضي الله عنه: أخذتها بكذا وكذا. قال ﷺ: «أخذتها بذلك». قال: هي لك^(١). وعند البخاري في غزوة الرجيع أنها الجدعاء، وأفاد الواقدي أن الثمن ثمانمائة^(٢) أي لكلا الرحلتين.

تاريخ الهجرة:

كانت هجرة النبي ﷺ في شهر ربيع الأول سنة ثلاث عشرة من النبوة، وذلك يوم الإثنين. قال ابن عباس: ولد نبيكم ﷺ يوم الإثنين وخرج من مكة يوم الإثنين ودخل المدينة يوم الإثنين وتوفي يوم الإثنين ﷺ^(٣). وكان ذلك بعد الحج الذي بايع فيه الأنصار رضي الله عنهم رسول الله ﷺ بقیة ذي الحجة والمحرم وصفر، ثم إن مشركي قريش أجمعوا أمرهم ومكرهم على أن يقتلوا رسول الله ﷺ أو يحبسوه، أو يخرجوه فأطلع الله على ذلك فأنزل عليه: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرٌ الْمَكْرِينِ﴾^(٤) قال ابن سعد: إن رسول الله ﷺ لما خرج من بيته أتى بيت أبي بكر بمكة فكان فيه إلى الليل، ثم خرج هو وأبو بكر فمضيا إلى غار ثور فدخلاه.

= أحدًا يبكي من الفرح حتى رأيت أبا بكر يبكي من الفرح. قال في الروض: قالت ذلك لصغر سنها وأنها لم تكن علمت بذلك. وقد تطرقت الشعراء لهذا المعنى فأخذته استحساناً له، فقال الطائي يصف السحاب:

دُهم إذا وكفت في روضة طفقت
وقال بعض المحدثين:

ورد الكتاب من الحبيب بأنه
غلب السرور عليّ حتى إنه
يا عين صار الدمع عندك عادة
سيزورني فاستعبرت أجفاني
من فرط ما قد سرني أبكاني
تبكين في فرح وفي أحزان

ينظر: الصالحي: سبل الهدى، ٢٥٣/٣.

(١) الصالحي: سبل الهدى والرشاد، ٢٣٨/٣، ابن سيد الناس: عيون الأثر: ٢٩٦/١

(٢) الصالحي: سبل الهدى والرشاد، ٢٣٩/٣. ابن كثير: السيرة النبوية، ٢٣٢/٢.

(٣) ابن كثير: السيرة النبوية، ٢٣٢/٢. (٤) سورة الأنفال، الآية: ٣٠.

وعن الطاهرة عائشة أم المؤمنين أنها قالت: كان لا يخطئ رسول الله ﷺ أن يأتي بيت أبي بكر أحد طرفي النهار، إما بكرة أو عشية، حتى إذا كان اليوم الذي أذن فيه لرسول الله ﷺ في الهجرة والخروج من مكة من بين ظهري قومه؛ أتانا رسول الله ﷺ بالهاجرة، في ساعة كان لا يأتي فيها. قالت: فلما رآه أبو بكر رضي الله عنه قال: ما جاء رسول الله ﷺ هذه الساعة إلا لأمر حدث. قالت: فلما دخل، تأخر له أبو بكر رضي الله عنه عن سريرته، فجلس رسول الله ﷺ وليس عند أبي بكر إلا أنا وأختي أسماء بنت أبي بكر، فقال رسول الله ﷺ: «أخرج عني من عندك». فقال: يا رسول الله، إنما هما ابتائي، وما ذاك؟ فقال: «إن الله قد أذن لي في الخروج والهجرة». قالت: فقال أبو بكر: الصحبة يا رسول الله؟ فقال: «الصحبة». قالت: فوالله ما شعرت قط قبل ذلك اليوم أن أحدًا يبكي من الفرح، حتى رأيت أبا بكر يبكي يومئذ، ثم قال: يا نبي الله، إن هاتين راحلتين قد كنت أعددتكما لهذا^(١).

وروي أنهما خرجا ليلاً من خوخة في ظهر بيت أبي بكر. وروي أبو نعيم أن النبي ﷺ قال: «لقد خرجت من الخوخة متكرراً فكان أول من لقيني أبو جهل فأعمى الله عز وجل بصره عني وعن أبي بكر حتى مضينا»^(٢).

الدليل:

وقد استأجرا عبد الله بن أريقط، رجلاً من الدئل بن بكر من بني عبد بن عدي، وكانت أمه امرأة من بني سهم بن عمرو، قد غمس حلفاً في آل العاص بن وائل السهمي وهو على دين كفار قريش - وأسلم بعد ذلك - وكان هادياً خريئاً، ماهراً بالدلالة إلى أرض المدينة، وأمانه على ذلك مع أنه كان على دين قومه، وسلموا إليه راحلتيهما، وواعداه غار ثور بعد ثلاث، فكانتا عنده يرعاهما لميعادهما^(٣).

(١) ابن هشام: السيرة النبوية، ٩٨/٢ (٢) الصالحى: سبل الهدى والرشاد، ٢٣٩/٣.

(٣) ابن هشام: السيرة النبوية، ٩٨/٢. ابن كثير: البداية والنهاية، ١١٤/١. السيرة النبوية، ٢٣٣/٢.

الصالحى: سبل الهدى، ٢٣٩/٣.

ولعل هذه إحدى المفارقات التي شهدتها رسول الله ﷺ وصاحبه يوم الهجرة، إذ أخرجهما المشركون وهم من أقاربهما وأبناء بلدتهما، ولكن الله تعالى هياً لهما ابن أريقط وهو من المشركين ومن حلفاء بني سهم القرشيين، فوفى لرسول الله ﷺ ولصاحبه مع أن قريشاً كانت قد عرضت لمن يأتي بأخبارهما مائة ناقة عن كل منهما بينما رضي ابن أريقط بأن يأخذ ناقتين فقط لقاء تعبه ودلالته ومخاطرته بحياته، وإن دل هذا على شيء فإنما هو رعاية الله تعالى أولاً ومن ثم أخلاق العرب حتى في الجاهلية؛ حيث كانوا يحترقون الكذاب ويأبون أن يرتكبوا جريمة الكذب والغدر ويحرصون على الوفاء بكل صورته مهما قدمت لهم من الإغراءات والمكاسب مقابل الوفاء بالكلمة والموقف، وهذا ما تمتاز به أمة العرب عن باقي الأمم آنذاك مما جعلها أهلاً لحمل أعظم أمانة تعرض على البشرية ألا وهي أمانة الإسلام بكتابه وسنة نبيه ﷺ، وسبحان مقلب القلوب والأبصار ومغير الأحوال من حال إلى حال.

من كان يعلم بهجرة الرسول ﷺ:

قال ابن إسحاق: ولم يعلم فيما بلغني بخروج رسول الله ﷺ أحد حين خرج، إلا أبو بكر الصديق وآل أبي بكر وعلي رضي الله عنهم. أما علي رضي الله عنه فإن رسول الله ﷺ أمره أن يتخلف بعده بمكة، حتى يؤدي عنه الودائع التي كانت عنده للناس، ولم يكن بمكة أحد عنده شيء يخشى عليه إلا وضعه عند رسول الله، لما يعلم من صدقه وأمانته ﷺ^(١) وذكر الحاكم عن علي بن أبي طالب أن النبي ﷺ قال لجبريل: «من يهاجر معي؟» قال: أبو بكر الصديق^(٢).

داخل الغار:

فلما أجمع رسول الله ﷺ الخروج، أتى أبا بكر رضي الله عنه فخرجا من خوخة لأبي بكر في ظهر بيته، ثم عمدا إلى غار بجبل ثور وهو جبل أسفل مكة فدخلاه، فلما حصلوا في الغار

(١) ابن هشام: السيرة النبوية، ٢/ ٩٩. ابن كثير: البداية والنهاية، ٣/ ٢٢٠. السيرة النبوية، ٢/ ٢٣٣.

(٢) ابن القيم: زاد المعاد، ٣/ ٦٠.

عمى الله على قريش خبرهما، فلم يدروا أين ذهبا. وجاء المشركون في طلبهما إلى غار جبل ثور، وما هناك من الأماكن، حتى إنهم مروا على باب الغار، وحازت أقدامهم رسول الله ﷺ وصاحبه. قال أبو بكر رضي الله عنه: قلت للنبي ﷺ وأنا في الغار: لو أن أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا، فقال: «ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما»^(١). وذلك أن أبا بكر رضي الله عنه لشدة حرصه على رسول الله ﷺ بكى حين مرّ المشركون قريباً من رسول الله ﷺ، فطمأنه النبي ﷺ بأن الله تعالى معهما فلا يبالي بمكر البشر وكيدهم الضعيف.

قال ابن هشام: وحدثني بعض أهل العلم، أن الحسن بن أبي الحسن البصري قال: انتهى رسول الله ﷺ وأبو بكر إلى الغار ليلاً، فدخل أبو بكر رضي الله عنه قبل رسول الله ﷺ فلمس الغار، لينظر أفيه سبع أو حية، بقي رسول الله ﷺ بنفسه رضي الله عنه^(٢).

وقال أنس رضي الله عنه: لما كان ليلة الغار قال أبو بكر: يا رسول الله دعني! فدخل أبو بكر فجعل يلمس بيديه، فكلما رأى جُحراً قال بثوبه فشقه ثم ألقمه الجُحر حتى فعل ذلك بثوبه أجمع. قال: فبقي جحر فوضع عقبه عليه ثم أدخل رسول الله ﷺ، فلما أصبح قال له النبي ﷺ: «أين ثوبك يا أبا بكر» فأخبره بالذي صنع فرفع النبي ﷺ يديه فقال: «اللهم اجعل أبا بكرٍ معي في درجتي في الجنة» أو قال: «يوم القيامة» فأوحى الله عز وجل إليه أن قد استجاب لك^(٣).

وعن ابن أبي مليكة: أن النبي ﷺ لما خرج هو وأبو بكر إلى غار ثور، فجعل أبو بكر يكون أمام النبي ﷺ مرّة، وخلفه مرّة. فسأله النبي ﷺ عن ذلك فقال: إذا كنت خلفك خشيت أن

(١) البخاري، صحيح البخاري بشرح فتح الباري، كتاب: فضائل الصحابة، باب: مناقب المهاجرين وفضلهم، ح ٣٦٥٣. مسلم: صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم باب: من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه ح (٣٦٥٢)، (٦١٦٩).

(٢) ابن هشام: السيرة النبوية، ٩٨/٢.

(٣) الصالحي: سبل الهدى والرشاد، ٢٤٠/٣. أبو نعيم: حلية الأولياء، ١/٣٣. السيوطي: الجامع الكبير (٩٣٣٨).

تؤتى من أمامك؛ وإذا كنت أمامك خشيت أن تؤتى من خلفك. حتى إذا انتهى إلى الغار من ثور قال أبو بكر: كما أنت حتى أدخل يدي فأحسّه وأقصّه، فإن كانت فيه دابة أصابتنى قبلك. وروي أنه كان في الغار جحر فألقم أبو بكر رضي الله عنه رجله ذلك الجحر تخوفاً أن يخرج منه دابة أو شيء يؤدي رسول الله ﷺ^(١) وجاء في بعض الروايات أن أبا بكر لدغ من ذلك الجحر فدعا له رسول الله ﷺ فشفى وعوفي رضي الله عنه ولكن أعداء الصحابة يقدسون تلك الأفعى المزعومة ويلبسون أزياء تخلد تلك الواقعة تقديساً لها وتشفيًا فيما يؤدي أصحاب رسول الله ﷺ والسر في اتخاذ رافضة العجم اللبد المقصصة على رؤوسهم هو التعظيم للحيات للدغهن أبا بكر رضي الله عنه ليلة الغار^(٢). ورافضة العرب تلبس العقال مفتوحاً على مقدمة رؤوسهم تقديساً لعم الحية التي لدغت الصديق كما يزعمون، وتعظيمًا لها وكرهاً لخليفة رسول الله وبغضاً له وللصحابة المكرمين رضي الله عنهم، وكل ما يقوم به أعداء الصحابة من أفراح وأحزان وقبول ورفض وحب وبغض له أبعاد وأهداف عقائدية جاهلية، صنعها لهم مراجعهم لتأصيل الأحقاد في نفوسهم على الصحابة والسنة النبوية المطهرة وأهلها، وتأمين استمرارية تغذية البغض وإمداد ثقافة الكراهية في نفوسهم للسنة وأهلها على مرّ السنين، في ثقافة حاقدة يتشربها كل رافضي، ويرضع صديدها مع اللبن الذي يتناوله في مهده، مما سمح لهم في التمدد والانسياح داخل الكيان الإسلامي، وقد أعانهم على ذلك أيضاً غفلة عامة أهل السنة وبلادة تفكير الكثير منهم وانعدام الإحساس بالهوية السنية عند طبقات هائلة من أجيالهم، وصمت مريب من عامة علمائهم وتزييف ظاهر للأحداث من أكثر كتابهم، وفتاوى آئمة مضللة لكثير ممن يتصدر بين الناس من علمائهم، تدعو إلى نصره أعداء السنة وموالاتهم في الوقت الذي يستييحون فيه كل محرمات أهل السنة، وفي وقت يتوجب فيه على العقلاء من أهل السنة المباشرة في إيجاد ثقافة عقائدية

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، ٢٢٣/٣. وقال: هذا مرسل. وقد ذكرنا له شواهد أخر في سيرة أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

(٢) ينظر الصالحى: سبل الهدى والرشاد، ٢٥٣/٣.

تقدس السنَّة المطهرة وتبرأ من كل من ينالها بقول أو فعل أو كتابة أو شتائم شركية تنال من حملتها رضي الله عنهم والإسهام في مد ثقافي دائم يفصل بين الصحابة وأعدائهم وبين السنة وأعدائها، وردع علماء الفتنة الغوغاء المضللين لأهل السنة ممن يدعون إلى محبة أعداء القرآن والسنة وحملتهما، ونزع الأقنعة التي يتلبس بها أعداء الصحابة للتصويه على البسطاء من أهل السنَّة، والتظاهر أمامهم بأنهم لا يعملون على هدم الإسلام والمشاركة في تدميره وقتل أخياره مع كل عدو حاقد أو غاز لديار المسلمين على مر السنين.

وإن لم يسهم في تكوين هذه الثقافة جميع علماء السنة المخلصين فإنهم سيشاركون في توفير الفراغ العقدي الذي يتمدد فيه سرطان الرفض والهدم والتخريب لدين الإسلام والقتل لأهل السنة والدمار لبلادهم، ولا سيما أنهم يمدون ثقافة مضادة للإسلام الحنيف من خلال ما يحيونه من أعياد يصطنعون فيها مناسباتهم مثل عيد مولد السيد وعيد وفاة الإمام، ومن ثم مرور سبعة أيام على موت المرجع والأربعين والسبعين ومرور السنة، وهكذا يخرجون من جاهلية إلى جاهلية، كل ذلك في سبيل تأصيل الدين البديل عمَّا جاء به رسول الله ﷺ ولإبقاء الرافضة في استنفار دائم ضد ما جاء به الشرع، لذلك تبقى السنة النبوية مقياسًا يظهر على أركانه المتبع لمحمد ﷺ وأصحابه من المحارب لهم أو المنافق لأعدائهم.

فكل عالم يزعم أنه من أهل السنة ليس له مشاركة في صد عدوان أعداء الصحابة على عقيدة ودماء أهل السنة وبلادهم وأعراضهم وأعلامهم؛ مشاركة مباشرة بأي شيء يسهم في فضح باطنيتهم وإسقاط أقنعتهم التي يتلبسون بها لمحاربة الإسلام؛ ويشارك في استنفار أهل السنَّة للدفاع عن عقيدتهم وهويتهم وثوابتهم - فإنه متهم لا تشفع له الغفلة ولا تسعفه الأعذار، لأن كل شيء أصبح واضحًا جليًّا في هذا العصر، أعداء الصحابة يشاركون بكل طاقاتهم ومجالسهم وندواتهم ومحاضراتهم وفضائياتهم في دمار السنَّة والعمل على تمزيقها وسحق أهلها، فبأي عذر يصمت علماء السنَّة عن الإسهام في صد هذا الخطر المحدق، وتحت أي عباءة يختفي المفلسون من شرف العمل على حماية السنَّة.

وأمام هذا التقاعس المشبوه أصبح من حق كل فرد من أهل السنّة أن يسأل أي عالم من أهل الفقه أو الحديث أو التاريخ أو التفسير أو الشعر أو الأدب أو أي فرع من فروع الفكر والمعرفة ويزعم أنه من أهل السنّة. فيقول: أين رصيدك في الدفاع عن الصحابة وميراثهم الطاهر؟ وأين إسهامك في رد العدوان المستمر على السنّة؟ هل لك محاضرة عن ذلك بيّنة صريحة أو لك مقال أو ندوة أو كتاب أو دعاء أو أي إسهام آخر؟ فإن كان الجواب بـ (لا)، فإن النتيجة ستكون بأن لا مكان لك بين حُماة السنّة وأهلها، وأن الغيرة على السنّة وأهلها عند هذا الصنف معدومة وأن ما يتلبسون به بما يسمى بالحكمة والعقلانية وما إلى ذلك إنما هو تزييف للحق وشك بالسنّة، وأن التهمة والريبة بهم وبولائهم قائمة حتى يتداركوا هذا التفريط الذي لا تسوغه الأعذار ولا تغسل عاره الأنهار، ولا يشفي منه سوى المباشرة بالمشاركة العملية الظاهرة في مواجهة أحقاد الرفض وتمدده وبغض السنّة وأهلها، والإسهام في عمل دؤوب على إيقاف هذا البغي المظلم على عقيدة السنّة وأمة القرآن، والانتفاض على هذا الوهن والترهل والتقاعس القائم في نفوس الكثير ممن لا يفرق بين أهل السنّة، وبين من يقتل أهل السنّة، ويعمل على دمار عقيدتهم وليس فقط إقصاؤهم والتعاون مع كل من يضربهم ويهاجمهم وبكل أنواع التحالف، دون أن يحس بأي خطر أو ردة فعل أو خسارة؛ فتجارته رائجة بين أهل السنّة وأرباحه هائلة ممن يزعمون أنهم من أهل السنّة، وهو آمن بين جموع أهل السنّة لا يكلفه ذلك سوى الزعم بأنه مسلم، إذ إن دين الإسلام عند الصامتين الخرس وفي قواميسهم لا يوجد ما ينقضه، فمن يتهم القرآن بالتزييف والنبى ﷺ بعدم التبليغ والصحابة بالردة وأمّهات المؤمنين بالفحشاء - حاشاهن - والبخاري ومسلمًا بالكذب والسنّة النبوية بالبهتان، ويرفض خلافة النبوة، ويكفر بكل إنجازاتها وتشريعاتها، ويستبيح دماء الخلفاء الراشدين، ويرى أن كل من يسير على نهجهم مستباح الدم والمال والعرض، وكل من لا يشارك بلعن الصحابة رضي الله عنهم وأمّهات المؤمنين رضي الله عنهم؛ فهو غير مؤمن ومن لا يعتقد بأن هناك شيئًا اسمه أئمة هم فوق الأنبياء والملائكة، وأن لهم وكلاء في الأرض يحلون ويحرمون من دون الله تعالى وقولهم فوق كل قول، من لم يفعل هذا وغيره الكثير والكثير من أهل السنّة فإنه مستباح

ولا تجوز رحمته أو مساكنته إن تمكن أعداء الصحابة منهم كما هو في عقيدتهم وكما هو قائم على كل أرض وفي كل عصر يتمكنون فيه من أهل السنة، ومع كل هذا فإن إخواناً لهم يزعمون أنهم من أهل السنة يعتقدون أخوتهم ويعملون من أجلها ولا يقبلون أن يبني أهل السنة جداراً يحتمون به من بوائقهم ورفضهم وبغضهم ومكرهم وشتهم وغدرهم وتحريضهم.

وهذه هي المفارقة بين أعداء الصحابة وإجماعهم على عداة أهل السنة واستباحتهم، وبين غباء وغوغائية كثير من علماء السنة وسياسيهم، وسقوطهم في هذه المعادلة وانكشاف جهلهم وحماسة الكثير منهم، وانعدام الغيرة والحمية عند آخرين، مما أسهم بشكل ظاهر بتمدد سرطان الرفض وجرب الردة والشك بالكتاب والسنة في الكثير من بلاد المسلمين، والخطر لا زال في ازدياد إن لم يكن هناك ثقافة متبصرة تستمد توجهاتها من العقيدة المباركة ومن مواقف أصحاب رسول الله ﷺ في تطبيقها وتعاملها مع الرفض والردة كما حصل مع مسيلمة الكذاب والأسود العنسي وأمثالهم من المتنبيين المشرعين لأنفسهم ولأتباعهم ما لم يأمر به الله تعالى، وإن لم يسهم الجميع في إقامة هذه الثقافة بأدلتها الشرعية فإن حركات هدم عقيدة التوحيد والتحريض على أهلها ستمضي تزحف بزيفها أكثر فأكثر لطمس معالم الكتاب والسنة، وما أثمر من العدل والأمن والعز والشرف الذي سطره السلف في مسيرة إيمانهم وقيادتهم لهذه الأمة، وفي مقدمتهم خليفة رسول الله الذي كان موقفه المتفرد الخالد الذي أسهم في سلامة رسول الله ﷺ يوم الغار أحد الأسباب التي تجدد عليه أحقاد الرافضة، لا لشيء إلا لأن الأمة تتعلم منه حب النبي ﷺ والتمسك بسنته المطهرة وهذا ما يغيب أعداء السنة ومبغضي الصحابة.

وبعد هذا التوضيح الذي تمليه الظروف المأساوية التي يعيشها أهل السنة في هذا العصر وتفرضه منهجية الربط بين الماضي والحاضر للتبصر والاعتبار؛ نعود لمتابعة حديث الهجرة والغار. فلما كان أبو بكر رضي الله عنه مع رسول الله ﷺ في الغار، أصاب يده حجر فقال رضي الله عنه:

إِنَّ أَنْتَ إِلَّا أُضْبَعُ دَمِيَّتٍ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا لَقِيتَ^(١)

وفي ذلك اليوم الخالد كان أبو بكر رضي الله عنه وأهله وبنوه ودماؤهم وأمواهم وأوقاتهم وأمنهم وكرامتهم بين يدي رسول الله ﷺ نصرته وخدمة ومؤازرة وحبًا ووفاء وفداء، وهذا هو الذي يغضب أعداء رسول الله ﷺ ومبغضي أصحابه رضي الله عنهم ويؤجج في قلوبهم الأحقاد والكراهية التي يشاهد أهل السنة ثمارها وأخطارها وهم يتفرجون جحظ العيون غلف القلوب إلا من رحم الله تعالى، وليتهم يكتفون بذلك ولكن المأساة أن أمواهم وإعلامهم تغذي وتناصر من يعمل لإبادتهم ونزع هويتهم وسحق عقيدتهم!!

وقد أمر أبو بكر الصديق رضي الله عنه ابنه عبد الله وهو غلام شاب ثقف فطن لقن، أن يتسمع ما يقول الناس فيهما نهاره، ثم يأتيهما إذا أمسى بما يكون في ذلك اليوم من الخبر. فمكثا فيه ثلاث ليال يبيت عندهما عبد الله بن أبي بكر، فيدلج من عندهما بسحر فيصبح مع قريش بمكة كبائت، لا يسمع أمرًا يكاد به رسول الله ﷺ وصاحبه رضي الله عنه إلا وعاه وعلمه وحفظه حتى يأتيهما بخبر ذلك حين يختلط الظلام.

وأمر أبو بكر رضي الله عنه أيضًا مولاه عامر بن فهيرة أن يرعى غنمه نهاره، ثم يريحها عليهما إذا أمسى في الغار. فكان عبد الله بن أبي بكر رضي الله عنهما يكون في قريش نهاره معهم يسمع ما يأترون به، وما يقولون في شأنهما ثم يأتيهما إذا أمسى فيخبرهما الخبر.

وكان عامر بن فهيرة يرعى في رعيان أهل مكة، فإذا أمسى أراح عليهما غنم أبي بكر فاحتلبا وذبحا. فإذا غدا عبد الله بن أبي بكر من عندهما إلى مكة أتبع عامر بن فهيرة أثره بالغنم يعفي عليه^(٢). ثم يريحها عليهما في اليوم الثاني حين يذهب ساعة من العشاء، فيبيتان في رسل وهو لبن منحتهما ورضيفهما^(٣) حتى ينق بهما عامر بغلس، يفعل ذلك في كل ليلة

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، ٣/ ٢٢٥.

(٢) ابن هشام: السيرة النبوية، ٢/ ٩٨. ابن كثير: البداية والنهاية، ٣/ ٢٢٢.

(٣) الرضيف: اللبن المرصوف، وهو الذي طرح فيه الحجارة المحمأة ليذهب وخمه. ينظر النهاية، ٢/ ٢٣١.

من تلك الليالي الثلاث^(١).

وكانت أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما تجعل لهما طعامًا فتبعث به إليهما، قالت أسماء رضي الله عنها: صنعت سفرة رسول الله ﷺ في بيت أبي بكر رضي الله عنه حين أراد أن يهاجر إلى المدينة قالت: فلم نجد لسفرته ولا لسقائه ما نربطهما به، فقلت لأبي بكر: والله ما أجد شيئًا أربط به إلا نطاقي، قال: فشقيه باثنتين فاربطي بواحد السقاء وبالأخر السفرة، ففعلت، فلذلك سميت ذات النطاقين^(٢). وكان عبد الله بن أبي بكر هو الذي يختلف بالطعام إلى النبي ﷺ وأبي بكر رضي الله عنه وهما في الغار^(٣).

وأفاد الواقدي أنه كان في السفرة شاة مطبوخة. قالت الطاهرة أم المؤمنين عائشة: فشقت أسماء بنت أبي بكر قطعة من نطاقها فأوكت بقطعة منه الجراب وشدت فم القربة بالباقي فسميت ذات النطاق - وفي لفظ: النطاقين^(٤). ولا شك أن هذه الحادثة تكررت في تلك الأيام الثلاثة العصبية من شدة رقابة قريش وعيونها التي ترصد تحركات المؤمنين ولا سيما آل أبي بكر رضي الله عنهم.

وقد روى البخاري عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: كنا نتزود لحوم الأضاحي على عهد النبي ﷺ إلى المدينة^(٥). وهذا يشير إلى أن رواية الواقدي ليست غريبة عما كان يفعل الناس في تلك الأيام ويقوي ذلك أن النبي ﷺ وصاحبه لما عرض عليهما سارقة الطعام لم يأخذا منه شيئًا مما يشير إلى أنهما قد تزودا بزيادة يكفيهما والله أعلم. وروي أن

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، ٢٢٧/٣.

(٢) البخاري: صحيح البخاري بشرح فتح الباري، كتاب: الجهاد والسير، باب حمل الزاد في السفر، ح (٢٩٧٩).

(٣) ابن هشام: السيرة النبوية، ١٠٧/٢.

(٤) الصالحى: سبل الهدى، ٢٣٩/٣.

(٥) البخاري: صحيح البخاري بشرح فتح الباري، كتاب: الجهاد والسير، باب حمل الزاد في السفر، (٢٩٨٠).

رسول الله ﷺ قال: «إن لها نطاقين في الجنة»^(١).

قال البلاذري: وكان مال أبي بكر يوم أسلم أربعين ألف درهم، فخرج إلى المدينة للهجرة وماله خمسة آلاف أو أربعة، فبعث ابنه عبد الله فحملها إلى الغار^(٢).

وروي أن الله تعالى عمى على المشركين باب الغار، ويقال: إن العنكبوت نسجت على باب الغار، وإن حمامتين عششتا على بابه، وذلك يرد في تأويل قوله تعالى: ﴿وَأَيْتَهُ يَجْنُودٌ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَسْفَلًا وَكَلِمَةَ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا﴾^(٣) والله تعالى أعلم. وروى أبو نعيم عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما أن أبا بكر رضي الله عنه رأى رجلاً من المشركين مواجهًا الغار فقال: يا رسول الله إنه يرانا. قال: «كلا إن الملائكة تستره الآن بأجنحتها». فلم ينشب أن قعد المشرك يبول مستقبلنا، فقال رسول الله ﷺ: «يا أبا بكر لو كان يراك ما فعل هذا»^(٤). وقال البوصيري واصفًا الحال يوم الهجرة:

ويح قوم جفوا نبيًا بأرض
وسألوه وحنّ جذع إليه

وقال أيضًا يصف الغار الذي آوى رسول الله ﷺ وصاحبه رضي الله عنه:

وما حوى الغار من خير ومن كرم
فالصدق في الغار والصدّيق لم يردا

وكل طرف من الكفار عنه عم
وهم يقولون ما بالغار من أرم

وقاية الله أغنت عن مضاعفة
من الدرّوع وعن عال من الأطم^(٥)

(١) ينظر: الصالحي: سبل الهدى، ٢٣٩/٣. ابن كثير: البداية والنهاية، ٢٣٠/٣.

(٢) الصالحي: سبل الهدى والرشاد، ٢٣٩/٣.

(٣) سورة التوبة، الآية: ٤٠.

(٤) الصالحي: سبل الهدى والرشاد، ٢٤٢/٣. ابن سيد الناس: عيون الأثر: ١/٢٩٧.

(٥) الصالحي: سبل الهدى والرشاد، ٢٤٢/٣.

وقال الحسن البصري: انطلق النبي ﷺ وأبو بكر رضي الله عنه إلى الغار، وجاءت قريش يطلبون النبي ﷺ وكانوا إذا رأوا على باب الغار نسج العنكبوت قالوا: لم يدخل أحد. وكان النبي ﷺ قائماً يصلي وأبو بكر يرتقب، فقال أبو بكر للنبي ﷺ: هؤلاء قومك يطلبونك، أما والله ما على نفسي أسأل ولكن مخافة أن أرى فيك ما أكره. فقال له النبي ﷺ: «يا أبا بكر لا تخف إن الله معنا». قال ابن كثير: وهذا مرسل وهو حسن بحاله من الشاهد. وفيه زيادة صلاة النبي ﷺ في الغار. وقد كان ﷺ إذا أحزنه أمرٌ ﷺ صلى. وقد نظم بعضهم هذا في شعر فقال:

نسج داود ما حمى صاحب الغار ر وكان الفخار للعنكبوت
وعن الحمامتين اللتين روي أنهما عشستا على باب الغار، نظم بعضهم في ذلك شعراً فقال:

فغمى عليه العنكبوت بنسجه وظل على الباب الحمام يبيض^(١).
وروي أن القائف الذي كان يقفو أثر النبي ﷺ وصاحبه أبي بكر رضي الله عنه للمشركين هو سراقبة بن مالك المدلجي. وروى الواقدي أن الذي اقتفى لهم الأثر كرز بن علقمة. قال ابن كثير: ويحتمل أن يكونا جميعاً اقتفيا الأثر. والله أعلم^(٢).

وذكر أن المشركين استأجروا علقمة بن كرز بن هلال الخزاعي - وأسلم عام الفتح - فقفا لهم الأثر حتى انتهى إلى غار ثور وهو بأسفل مكة فقال: ههنا انقطع أثره ولا أدري أخذ يمينا أم شمالاً أم صعد الجبل؟ فلما انتهوا إلى فم الغار قال أمية بن خلف: ما أربكم في الغار إن عليه لعنكبوتاً كان قبل ميلاد محمد. ثم جاء فبال كما في الرواية السابقة. والمشركون لما فقدوا رسول الله ﷺ ركبوا في كل وجه يطلبونه وبعثوا إلى أهل المياه يأمرونهم به ويجعلون لهم الجعل العظيم وأتوا إلى الغار في جبل ثور الذي فيه النبي ﷺ وصاحبه حتى طلوعوا فوقه،

(١) ابن كثير: السيرة النبوية، ٢/ ٢٣٩.

(٢) ابن كثير: السيرة النبوية، ٢/ ٢٤٠.

وسمع رسول الله ﷺ وأبو بكر أصواتهم، فأشفق أبو بكر رضي الله عنه وبكى، فعند ذلك قال رسول الله ﷺ: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾^(١) ودعا رسول الله ﷺ فنزلت السكينة من الله تعالى^(٢). وقال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ﴾ قال: على أبي بكر رضي الله عنه؛ لأن النبي ﷺ لم تنزل السكينة معه^(٣).

قال السهيلي: انتبه أيها العبد المأمور بتدبر كتاب الله تعالى لقوله عز وجل: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ الآية، كيف كان سبحانه وتعالى معهما بالمعنى وباللفظ؟ أما المعنى: فكان معهما بالنصر والإرفاد، والهداية والإرشاد. وأما اللفظ: فإن اسم الله تبارك وتعالى كان يذكر إذا ذكر رسوله ﷺ، وإذا دعي فقول: يا رسول الله أو فعل رسول الله. ثم كان لصاحبه كذلك، يقال: يا خليفة رسول الله، وفعل خليفة رسول الله، فكان يذكر معهما بالرسالة والخلافة ثم ارتفع ذلك فلم يكن لأحد من الخلفاء ولا يكون^(٤).

ولما كان بعد الثلاث أتى الدليل عبد الله بن أريقط بالراحتين إلى النبي ﷺ وصاحبه رضي الله عنه فقرب أبو بكر الراحتين إلى رسول الله ﷺ وقدم له أفضلهما ثم قال: اركب فذاك أبي وأمي، فأخذ ﷺ القصواء، قال: وهي الجدعاء، وكان أبو بكر اشتراها بثمانمائة درهم^(٥) فركبهما، وأردف أبو بكر عامر بن فهيرة وسار الديلي أمامهما على راحلته^(٦). وانطلقوا راشدين يضعون في كل خطوة يقطعونها باتجاه المهاجرين والأنصار في المدينة لبنة في أساس دولة الرسول ﷺ ومسمارًا في نعش الجاهلية بغيها وظلمها. وبعد أن غادر رسول الله ﷺ الغار وسلك طريق المدينة في قرار لا رجعة عنه أبدًا التفت ﷺ إلى مكة

(١) سورة التوبة، الآية: ٤٠.

(٢) الصالحي: سبل الهدى، ٣/ ٢٤١.

(٣) المتقي الهندي: كنز العمال، (٤٦٢٨١).

(٤) الصالحي: سبل الهدى، ٣/ ٢٥٥.

(٥) ابن كثير: البداية والنهاية، ٣/ ٢٣٠.

(٦) ابن كثير: البداية والنهاية، ١/ ١١٤.

كالمعتذر لها فقال ﷺ مودعًا: «والله إني لأخرج منك وإني لأعلم أنك أحب بلاد الله إلى الله، وأكرمها على الله، ولولا أن أهلك أخرجوني منك ما خرجت منك»^(١).

قال ابن إسحاق: وسمع أهل مكة شعرًا منه:

جَزَى اللَّهُ رَبُّ النَّاسِ خَيْرَ جَزَائِهِ رَفِيقَيْنِ حَلًّا خَيْمَتِي أُمَّ مَعْبَدِ
هُمَا نَزَلَا بِالْبِرِّ ثُمَّ تَرَوَّحَا فَأَفْلَحَ مَنْ أَمْسَى رَفِيقَ مُحَمَّدِ
لِيَهْنِ بَنِي كَعْبٍ مَكَانَ فِتَاتِهِمْ وَمَقْعَدَهَا لِلْمُؤْمِنِينَ بِمَرْصَدِ

قالت أسماء: فلما سمعنا هذا عرفنا حيث وجه رسول الله ﷺ وأن وجهه إلى المدينة.

قال ابن إسحاق: وكانوا أربعة؛ رسول الله ﷺ وأبو بكر، وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر، وعبد الله بن أريقط الدثلي. وكان إذ ذاك مشركًا^(٢). وكانت قريش قد جعلت لمن جاء بواحد من محمد ﷺ أو أبي بكر رضي الله عنه مائة من الإبل لكل واحد منهما، فأصبح ذلك ميدانًا لتسابق المتنافعين وفاقدي الفهم والمروءة من الناس لقطع الطريق على رسول الله ﷺ وصاحبه الكريم أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

معاناة أسماء بنت أبي بكر يوم الهجرة:

وكان من معاناة أسماء بنت أبي بكر والطاهرة أم المؤمنين التي كانت تساندها وهي ابنة ست سنين رضي الله عنهم أن أبا بكر رضي الله عنه لما هاجر احتمل معه ماله كله وهو خمسة آلاف درهم أو ستة آلاف، فانطلق بها فدخل علينا جدي أبو قحافة، وقد ذهب بصره، فقال: والله إني لا أراه إلا قد فجعكم بماله مع نفسه. قالت: قلت: كلا يا أبت، إنه قد ترك لنا خيرًا كثيرًا. قالت: فأخذت أحجارًا فوضعتها في كوة في البيت الذي كان أبي يضع ماله فيها، ثم وضعت عليها ثوبًا، ثم أخذت بيده، فقلت: يا أبت، ضع يدك على هذا المال. قالت: فوضع

(١) ابن سيد الناس: عيون الأثر: ٢٩٦/١

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية، ٣/٢٣٠.

يده عليه، فقال: لا بأس، إذا كان ترك لكم هذا فقد أحسن، وفي هذا بلاغ لكم. ولا والله ما ترك لنا شيئاً ولكني أردت أن أسكن الشيخ بذلك^(١). وفي رواية قالت: أخذ أبو قحافة يلتمس ولده ويبحث عنه ويقول: أقد فعلها؟! خرج فترك عياله علي؟ ولعله قد ذهب بماله؟! وكان أبو قحافة قد عمي آنذاك. قالت أسماء: فقلت: لا، أي لم يأخذ ماله، فأخذت بيده، فدنوت به إلى جلد فيه أقط، فمسسته فقلت: هذا ماله^(٢) فعندما اطمان الشيخ على ما يعين أبناء ولده على الحياة الكريمة سكت عنهم وسكن عما كان فيه من هم فراق ولده والخوف عليه والشعور بالمسؤولية تجاه عائلته التي تركها وراءه في مكة، وشتان بين تفكير الصديق رضي الله عنه بإيمانه وتوكله وبقينه وهمه الأكبر المتعلق بنجاة رسول الله ﷺ وسلامته؛ وبين تفكير الشيخ الكبير الذي لا زال ينظر إلى الدنيا بمنظار الجاهلية وتنافسها المادي وتفاخرها بالأموال والبنين حيث إنه لم يكن أسلم بعد.

ومن معاناة أسماء والطاهرة أم المؤمنين رضي الله عنهما مواجهة فرعون المشركين الذي أحس بالخطر يحدق به بعد هجرة النبي ﷺ، وأحس أيضًا بمرارة فشل الكيد والمكر والغدر الذي كان يراعه ضد رسول الله ﷺ، فجاء ومعه نفر من المشركين إلى بيت الصديق رضي الله عنه فلم يجد إلا أسماء والطاهرة عائشة، فقالوا: أين أبوك يا بنت أبي بكر؟ قالت: قلت: لا أدري والله أين أبي؟ قالت: فرغ أبو جهل يده، وكان فاحشًا وخبيثًا، فلطم خدي لطمه طرح منها قرطي^(٣).

ومع أن هذا الذي فعله أبو جهل قبيح ومخالف حتى لأعراف الجاهلية التي كانت ترعى الجوار وترحم الضعيف وتدين التطاول على المرأة أو الفتاة ولكن مع كل هذه السوءات التي تلبس بها أبو جهل لو قورنت قبائحه تلك بكثير من مواقف جاهلية هذا القرن وحرهبها

(١) ابن هشام: السيرة النبوية، ١٠٢/٢

(٢) ابن عساکر: تاريخ دمشق، ٨٠/٣٠.

(٣) ابن هشام: السيرة النبوية، ١٠٠/٢.

المعلنة على الإسلام لتبين أن البون شاسع بين حرب أهل هذا العصر على الإسلام واستباحتهم قتل المسلمات والأطفال والشيوخ وسجنهم وإذلالهم في مواقف يندى لها جبين كل شريف حر، فلو قورن هذا بذاك لتبين أن جاهلية أبي جهل ما هي إلا وجه مخفف من وجوه الجاهلية المعاصرة؛ إذ إن ذلك الفرعون لم يسجن أبناء الصديق ويصادر أملاكه ولم يقيد والده الأعمى أو والدته العاجزة كرهائن كما تفعل الجاهلية المعاصرة مع المؤمنين وهم أقل أثرًا من أبي بكر في مجتمعاتهم وعصورهم، قياسًا على عصر أبي بكر رضي الله عنه ومجتمعه، فستان بين جاهلية تعيب الكذب والنميمة والزيف والتناول على الضعيف والأسير والجريح وبين جاهلية تعتقد وتفعل كل هذه الموبقات بوحشية غليظة فجأة.

استراحة على الطريق:

ومما يصور حال رسول الله ﷺ وصاحبه الصديق رضي الله عنه على طريق الهجرة وما حصل لهم من أحداث ومتاعب ومخاطر ما رواه البراء بن عازب، قال: اشترى أبو بكر رضي الله عنه من عازب رحلاً بثلاثة عشر درهماً، فقال أبو بكر لعازب: مر البراء فليحمل إليّ رحلي، فقال عازب: لا، حتى تحدثنا كيف صنعت أنت ورسول الله ﷺ حين خرجتما من مكة، والمشركون يطلبونكم؟ قال: ارتحلنا من مكة فأحينا، أو سرينا ليلتنا ويومنا حتى أظهرنا وقام قائم الظهيرة، فرميت ببصري هل أرى من ظل فأوي إليه، فإذا صخرة، أتيتها فنظرت بقية ظل لها فسويته، ثم فرشت للنبي ﷺ فيه، ثم قلت له: اضطجع يا نبي الله، فاضطجع النبي ﷺ ثم انطلقت أنظر ما حولي هل أرى من الطلب أحدًا، فإذا أنا براعي غنم يسوق غنمه إلى الصخرة، يريد منها الذي أردنا، فسألته فقلت له: لمن أنت يا غلام، فقال: لرجل من قريش، سماه فعرفته، فقلت: هل في غنمك من لبن؟ قال: نعم، قلت: فهل أنت حالب لبنًا لنا؟ قال: نعم، فأمرته فاعتقل شاةً من غنمه، ثم أمرته أن ينفض ضرعها من الغبار، ثم أمرته أن ينفض كفيه، فقال: هكذا، ضرب إحدى كفيه بالأخرى، فحلب لي كثة من لبن، وقد جعلت لرسول الله ﷺ إداوة على فمها خرقة، فصبيت على اللبن حتى برد أسفله،

فانطلقت به إلى النبي ﷺ فوافقته قد استيقظ، فقلت: اشرب يا رسول الله، فشرب حتى رضيت، ثم قلت: قد آن الرحيل يا رسول الله؟ قال: «بلى»، فارتحلنا والقوم يطلبوننا، فلم يدركنا أحد منهم غير سراقه بن مالك بن جعشم على فرس له، فقلت: هذا الطلب قد لحقنا يا رسول الله، فقال: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾^(١). وبعد أن قضى رسول الله وصاحبه ساعة استراحة على طريق الهجرة تابعا سيرهما، وأثناء ذلك لحق بهما سراقه بن مالك المدلجي يبتغي الفوز بجائزة قريش لمن يقطع الطريق على الدعاة إلى الله تعالى، ومعلوم أن هذا صنف من الناس لا يقيم وزناً لقيم أو مبادئ لا يرى سوى مصالحه الآنية الحاضرة فهو يسعى للوصول إليها بأي طريق أو منهج حتى لو كان ذلك بقطع الطريق والعمل في الجاسوسية ضد أقوام لا يحملون حقداً على أحد ولم يباشروا أي استفزاز لأحد من الناس، وللأسف فإن قطاع الطريق وبائعي الذمم ما زالوا يتكاثرون بين صفوف المؤمنين لا صنعة لهم سوى الجاسوسية على من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، والمشاركة في أي عمل يحاصر أهل الإيمان حتى لو كانوا من الأنبياء والصدّيقين، وهذا ما ينطبق على سراقه بن مالك قبل أن يعلن توبته ويغير وجهته من جاسوس للباطل على أهل الحق إلى منافع عن الحق ضد الباطل.

سراقه وطلبه للرسول ﷺ وصاحبه رضي الله عنه:

قال أبو بكر رضي الله عنه: وتبعنا سراقه بن مالك ونحن في جلد من الأرض، فقلت: يا رسول الله، هذا الطلب قد لحقنا. قال: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾. فلما دنا منا وكان بيننا وبينه قدر رمح أو رمحين أو ثلاثة قلت: هذا الطلب قد لحقنا وبكيت. قال ﷺ: «ما يبكيك؟» قلت: أما والله ما على نفسي أبكي ولكني أبكي عليك. فدعا عليه

(١) سورة التوبة، الآية: ٤٠. البخاري: صحيح البخاري بشرح فتح الباري، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب المهاجرين وفضلهم، ح (٣٦٥٢)، مسلم: صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب حديث الهجرة، ح (٧٤٣٨).

رسول الله ﷺ فقال: «اللهم اكفنا به فرسه في الأرض إلى بطنها فوثب عنها، ثم قال: يا محمد، قد علمت أن هذا عملك فادع الله أن ينجيني مما أنا فيه، فوالله لأعمين على من ورائي من الطلب، وهذه كنانتي فخذ منها سهمًا فإنك ستمر على إبلي وغنمي بمكان كذا وكذا فخذ منها حاجتك، فقال رسول الله ﷺ: «لا حاجة لنا في إبلك وغنمك» ودعا له رسول الله ﷺ فانطلق راجعًا إلى أصحابه لا يلقي أحدًا إلا قال: قد كفيتم ما ههنا، ولا يلقي أحدًا إلا رده، ووفى لنا^(١). وكان سراقه يحدث بذلك فيقول: جاءنا رسل كفار قريش يجعلون في رسول الله ﷺ وأبي بكر دية كل واحد منهما مائة ناقة من الإبل لمن قتله أو أسره^(٢) قال: فكنت أرجو أن أردد رسول الله ﷺ إلى قريش، فأخذ المائة ناقة. فركبت على أثره، فبينما فرسي يشتد بي عثري، فسقطت عنه، قال: فقلت: ما هذا؟ قال: ثم أخرجت قداحي فاستقسمت بها، فخرج السهم الذي أكره لا يضره. قال: فأبيت إلا أن أتبعه. قال: فركبت في أثره، فبينما فرسي يشتد بي، عثري، فسقطت عنه. فقلت: ما هذا؟ قال: ثم أخرجت قداحي فاستقسمت بها فخرج السهم الذي أكره لا يضره. قال: فأبيت إلا أن أتبعه، فركبت في أثره. فلما بدا لي القوم ورأيتهم، عثري فرسي، فذهبت يدها في الأرض، وسقطت عنه، ثم انتزع يديه من الأرض، وتبعهما دخان كالإعصار. قال: فعرفت حين رأيت ذلك أنه قد منع مني، وأنه ظاهر. قال: فناديت القوم: فقلت: أنا سراقه ابن جعشم: انظروني أكلمكم، فوالله لا أريبيكم، ولا يأتيكم مني شيء تكرهونه. قال: فقال رسول الله ﷺ لأبي بكر رضي الله عنه: «قل له: وما تبغي منا؟» قال: فقال ذلك أبو بكر، قال: فقلت: تكتب لي كتابًا يكون آية بيني وبينك. قال: «اكتب له يا أبا بكر»^(٣). سأل رسول الله ﷺ أن يكتب له كتاب أمان، فأمر ﷺ أبا بكر رضي الله عنه فكتب له كتابًا ثم ألقاه إليه، وروي أن عامر بن فهيرة هو الذي

(١) الصالحى: سبل الهدى، ٢٥٠/٣.

(٢) الصالحى: سبل الهدى، ٢٤٨/٣. البخارى: صحيح البخارى، ك. فضائل الصحابة، باب هجرة

النبي ﷺ، ح (٣٦٩٣).

(٣) ابن هشام: السيرة النبوية، ١٠٠/٢.

كتب الكتاب، قال ابن كثير: فيحتمل أن أبا بكر رضي الله عنه كتب بعضه ثم أمر مولاه عامراً فكتب باقيه. والله أعلم^(١) وعرض عليهما الزاد والحملان فقالا: لا حاجة لنا به، ولكن عمّ عنا الطلب، فقال: قد كفيتم. ورجع فوجد الناس في الطلب فجعل يقول: قد استبرأت لكم الخبر وقد كفيتم ما ههنا وكان أول النهار جاهداً عليهما وآخره حارساً لهما^(٢).

قال سراقه: ثم رجعت فسكت فلم أذكر شيئاً مما كان حتى إذا كان فتح مكة على رسول الله ﷺ وفرغ من حنين والطائف خرجت لألقاه ومعني الكتاب الذي كتب لي لقيته بالجعرانة^(٣). قال: فيينا أنا عامد له دخلت بين ظهري كتيبة من كتائب الأنصار، فطفقوا يقرعونني بالرماح ويقولون: إليك إليك حتى إذا دنوت من رسول الله ﷺ وهو على ناقته، قال: فرفعت يدي بالكتاب. ثم قلت: يا رسول الله، هذا كتابك لي وأنا سراقه بن مالك. قال: فقال رسول الله ﷺ: «يوم وفاء وبر، ادنه»، فدنوت منه فأسلمت، ثم تذكرت شيئاً أسأل رسول الله ﷺ عنه فما أذكره، إلا أني قلت: يا رسول الله، الضالة من الإبل تغشى حياضي وقد ملأتها لإبلي هل لي من أجر في أن أسقيها؟ قال: «نعم، في كل ذات كبد حرّى أجر». قال: ثم رجعت إلى قومي فسقت إلى رسول الله ﷺ صدقتي^(٤) وهكذا قبض سراقه ثمرة توبته عن معاونه الباطل، ومساندته للحق حيث منّ الله تعالى عليه بالإيمان ومنّ عليه

(١) ابن كثير: السيرة النبوية، ٤/ ٦٩٠.

(٢) ابن القيم: زاد المعاد، ٣/ ٥٥.

(٣) الجعرانة: وهي ماء بين مكة والطائف، وهي إلى مكة أقرب، نزلها النبي ﷺ لما قسم غنائم هوازن بين المسلمين، مرجعه من غزوة حنين متصراً على المشركين، أحرم منه ﷺ وله فيه مسجد. قال الشاعر:

فيا ليت في الجعرانة اليوم دارها وداري ما بين الشام فكبكب
فكنت أراه في الملبين ساعة بطن منى ترمي جمار المحصب
ياقوت: معجم البلدان، ٣/ ٦٠.

(٤) الصالحي: سبل الهدى، ٣/ ٢٤٨. الطبراني: المعجم الكبير، ك. السين، باب سراقه بن مالك، ٦٦٠٢.

رسول الله ﷺ بمكافأته على تلك التوبة بقوله ﷺ: «إن توبته ووفاءه لها آنذاك أهل للبر والصلة والترحيب عند رسول الله ﷺ».

ومن دعائه ﷺ يوم الهجرة:

ومما روي من دعاء رسول الله ﷺ يوم الهجرة قوله: «الحمد لله الذي خلقني ولم أك شيئاً، اللهم أعني على هول الدنيا وبوائق الدهر ومصائب الليالي والأيام، اللهم اصحبني في سفري واخلفني في أهلي وبارك لي فيما رزقتني، ولك فذلني، وعلى صالح خلقي فقومني، وإلى ربي فحبيني، وإلى الناس فلا تكلمي، أنت رب المستضعفين وأنت ربي، أعوذ بوجهك الكريم الذي أشرقت له السماوات والأرض فكشفت به الظلمات وصلح عليه أمر الأولين والآخرين، أن يحل بي غضبك أو ينزل عليّ سخطك، أعوذ بك من زوال نعمتك وفجاءة نقمتك وتحول عافيتك وجميع سخطك، لك العتبي خير ما استطعت، ولا حول ولا قوة إلا بك»^(١).

استضافة على طريق الهجرة:

قصة أم معبد، واسم أم معبد عاتكة بنت خالد بن خليف بن منقذ بن ربيعة بن أصرم الخزاعية. عن حبيش بن خالد الأشعر الخزاعي القديدي^(٢) أخي أم معبد رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ حين خرج من مكة مهاجراً إلى المدينة هو وأبو بكر، ومولى أبي بكر عامر بن فهيرة ودليلهم الليثي عبد الله بن أريقط، مروا على خيمة أم معبد الخزاعية، وهي لا تعرفه، وكانت برزة جلدة تحتبي بفناء القبة ثم تسقي وتطعم فسألوها لحماً وتمراً ليشتروه منها، فلم يصيبوا عندها شيئاً من ذلك، وإذا القوم مرملون مستنون. فقالت: والله لو كان عندنا شيء ما أعوزناكم^(٣). فنظر رسول الله ﷺ إلى شاة في كسر الخيمة وفي لفظ في كفاء البيت فقال: «ما

(١) الصالحى: سبل الهدى، ٣/ ٢٤٣. ابن كثير: السيرة النبوية، ٢/ ٢٣٤.

(٢) يكنى أبا صخر، وهو أخو أم معبد، وصاحب حديثها. أسد الغابة ١/ ٤٥١.

(٣) الصالحى: سبل الهدى ٣/ ٢٤٤. والحاكم: المستدرک، کتاب وباب الهجرة، ٤٢٧٤.

هذه الشاة يا أم معبد؟» قالت: شاة خلفها الجهد عن الغنم. قال: «هل بها من لبن؟» قالت: هي أجهد من ذلك. قال: «أتأذنين لي أن أحلبها؟» قالت: بأبي أنت وأمي نعم، إن رأيت بها حلبًا فاحلبها، فوالله ما ضربها فحل قط فشانك بها. فدعا بها رسول الله ﷺ فمسح بيده ضرعها وظهرها وسمى الله عز وجل ودعا لها في شاتها فتفاجت عليه ودرت واجترت، ودعا بإناء يربض^(١) الرهط فحلب فيه نَجًّا حتى علاه البهاء - وفي لفظ الشمال - ثم سقاها حتى رويت ثم سقى أصحابه حتى رووا، ثم شرب ﷺ آخرهم، وقال: «ساقى القوم آخرهم شربًا»^(٢). ثم حلب فيه ثانية بعد بدء، حتى ملأ الإناء ثم غادره عندها. فبايعها وارتحلوا عنها. والله أعلم^(٣).

فقل ما لبثت أن جاء زوجها أبو معبد يسوق أعتزًا حيا لا - جمع حائل - عجافًا يتساوكن هزالًا مخهن قليل. فلما رأى اللبن عجب، فقال: من أين لك هذا اللبن يا أم معبد، والشاة عازب ولا حلوب في البيت؟ قالت: لا والله إلا أنه مر بنا رجل مبارك من حاله كذا وكذا. قال: صفيه لي يا أم معبد. قالت: رأيت رجلًا ظاهر الوضأة أبلج الوجه حسن الخلق، لم تعبه

(١) يربض الرهط: أي يرويههم ويثقلهم حتى يناموا ويمتدوا على الأرض. من ربض في المكان يربض إذا لصق به وأقام ملازمًا له. ينظر: النهاية ٢ / ١٨٤.

(٢) أبو داود: سنن أبي داود، كتاب الأشربة، باب في الساقى متى يشرب، ح (٣٧٢٥) والترمذي: سنن الترمذي، كتاب الأشربة، باب ما جاء أن ساقى القوم آخرهم شربًا، ح (١٨٩٤) وقال: حسن صحيح.

(٣) ينظر: الصالحي: سبل الهدى، ٣ / ٢٤٥. وقالت أم معبد: بقيت الشاة التي لمس رسول الله ﷺ ضرعها عندنا حتى كان زمان الرمادة وهي سنة ثمانى عشرة من الهجرة زمان عمر بن الخطاب رضي الله عنه. وكنا نحلبها صبوحةً وغبوقًا، وما في الأرض قليل ولا كثير. وقال هشام بن حيش: أنا رأيت الشاة وإنها لتأدم أم معبد وجميع صرمتها. أي أهل ذلك الماء يوم هجرته ﷺ. والحاكم: المستدرک، كتاب وباب الهجرة، ٤٢٧٤. ولكن لا يوجد ما يثبت أنها بايعت رسول الله، ولو كانت من السابقات المبايعات لما خفي ذلك، ولا سيما أن القصة المتممة لهذه تذكر أنها لم تكن تعرف رسول الله ﷺ عندما أضافته هو وصاحبه ومن معهما يوم الهجرة في حين قال زوجها بعد أن وصفته له: هذا صاحب قريش.

ثجلة ولم تُزَرِّ به صعلة - صغر الرأس - وسيم قسيم، في عينيه دعج، وفي أشفاره وطف، وفي صوته صحل أو قالت سهل، وفي عنقه سطح، وفي لحيته كثائة، أزج أقرن، إن صمت فعليه الوقار، وإن تكلم سما وعلاه البهاء، أجمل الناس وأبهاه من بعيد وأحسنه وأحلاه من قريب، حلو المنطق فصل لا نزر ولا هذر، كأن منطقَه خرزات نظم يتحدرن، ربعة لا تشنؤه من طول، ولا تقتحمه عين من قصر، غصن بين غصنين، فهو أنضر الثلاثة منظرًا وأحسنهم قدرًا، له رفقاء يحفون به، إذا قال استمعوا لقوله وإذا أمر تبادروا إلى أمره، محفود محشود - كناية عن خدمة أصحابه له - لا عابس ولا مفند. فقال أبو معبد: هذا والله صاحب قريش الذي ذكر لنا من أمره بمكة ما ذكر، ولقد هممت أن أصحبه ولأفعلن إن وجدت إلى ذلك سبيلًا^(١).

ورويت هذه القصة بوجه آخر عن أبي بكر رضي الله عنه أنه قال: خرجت مع رسول الله ﷺ من مكة، فانتبهينا إلى حي من أحياء العرب فنظر رسول الله ﷺ إلى بيت متحيا فقصده إليه، فلما نزلنا لم يكن فيه إلا امرأة فقالت: يا عبدي الله، إنما أنا امرأة وليس معي أحد، فعليكما بعظيم الحي إن أردتم القرى. قال: فلم نجبها، وذلك عند المساء، فجاء ابن لها بأعز له يسوقها. فقالت له: يا بني انطلق بهذه العنزة والشفرة إلى هذين الرجلين فقل لهما: تقول لكم أمي: اذبحا هذه وأطعمانا. فلما جاء قال له النبي ﷺ: «انطلق بالشفرة وجثني بالقدح». قال: إنها عازب وليس لها لبن، قال: «انطلق» فانطلق فجاء بقدح فمسح النبي ﷺ ضرعها ثم حلب ملء القدح ثم قال: انطلق به إلى أمك. فشربت ثم رويت ثم جاء به. فقال: انطلق بهذه وجثني بأخرى ففعل بها كذلك. ثم سقى أبا بكر، ثم جاء بأخرى ففعل بها كذلك ثم شرب النبي ﷺ. فلبثنا ليلتين ثم انطلقنا، وكانت تسميه المبارك، وكثرت غنمها حتى جلبت جلبًا إلى المدينة، فمر أبو بكر رضي الله عنه فرآه ابنها فعرفه، فقال: يا أمه، إن هذا الرجل الذي كان مع المبارك، فقامت إليه فقالت: يا عبد الله من الرجل الذي كان معك؟ قال: وما تدرين؟ قالت: لا. قال: هو نبي الله ﷺ. قالت: فأدخلني عليه. قال: فأدخلها فأطعمهما

(١) الصالحي: سبل الهدى والرشاد، ٣/ ٢٤٥.

وأعطاها. وفي رواية: فأهدت إليه شيئاً من أقط ومتاع الأعراب، فكساها وأعطاها. قال: ولا أعلمه إلا قال: «أسلمت». قال البيهقي في الدلائل: وهذه القصة وإن كانت تنقص عما رويها في قصة أم معبد وتزيد في بعضها، فهي قريبة منها ويشبه أن تكونا واحدة، وقد ذكر ابن إسحاق في قصة أم معبد شيئاً يدل على أنها وهذه القصة واحدة^(١). وهذه الرواية تثبت أنها لم تسلم يوم هجرة النبي ﷺ، بل إنها لم تكن تعرفه آنذاك ﷺ.

ومما روي من أحداث يوم الهجرة عن قيس بن النعمان قال: لما انطلق رسول الله ﷺ وأبو بكر مستخفيين مروا بعدد يرعى غنماً فاستسقىاه اللبن فقال: ما عندي شاة تحلب، غير أن ههنا عناقاً حملت أول الشتاء وقد أخذجت وما بقي لها من لبن فقال: «ادع بها» فدعا بها، فاعتقلها النبي ﷺ ومسح ضرعها حتى أنزلت. ودعا أبو بكر رضي الله عنه بمجن، فحلب وسقى أبا بكر، ثم حلب ﷺ فسقى الراعي، ثم حلب فشرب، فقال الراعي: من أنت؟ فوالله ما رأيت مثلك قط. قال: «أوتراك تكتم علي حتى أخبرك؟» قال: نعم. قال: «فإني محمد رسول الله». قال: أنت الذي تزعم قريش أنك صابئ؟ قال: «إنهم ليقولون ذلك». قال: فأشهد أنك نبي الله وأشهد أن ما جئت به حق، وأنه لا يفعل ما فعلت إلا نبي^(٢).

طريق الهجرة:

ولما خرج بهما دليلهما سلك بهما أسفل مكة، ثم مضى بهما على الساحل حتى عارض الطريق أسفل من عُسفان^(٣).....

(١) الصالحي: سبل الهدى، ٣/ ٢٤٧. (٢) الصالحي: سبل الهدى، ٣/ ٢٥٢.

(٣) عُسفان قرية جامعة بها منبر ونخيل ومزارع على ستة وثلاثين ميلاً من مكة، وهي حد تهامة ومن عسفان إلى ملل يقال له الساحل، وملل على ليلة من المدينة وهي لخزاعة خاصة ثم البحر وتذهب عند الجبال الغرف، وقد غزا النبي ﷺ بني لحيان بعسفان وقد مضى لهجرته خمس سنين وشهران وأحد عشر يوماً. وقال أعرابي:

لقد ذكرتني عن حباب حمامة بعسفان أهلي فالفضود حزين
ياقوت: معجم البلدان، ٦/ ٣٢٧.

ثم سلك بهما على أسفل أمج^(١) ثم استجاز بهما حتى عارض الطريق بعد أن أجاز قديداً^(٢) ثم أجاز بهما من مكانه ذلك فسلك بهما الخرار^(٣) ثم أجاز بهما ثنية المرّة ثم سلك بهما لقفاً^(٤) ثم أجاز بهما مدلجة لقف ثم استبطن بهما مدلجة مجاج ثم سلك بهما مرجح مجاج، ثم تبطن بهما مرجح من ذي العضوين، ثم بطن ذي كشد، ثم أخذ بهما على الجّداجد^(٥) ثم على الأجرد^(٦) ثم سلك بهما ذا سلم من بطن أعداء مدلجة تعهن^(٧) ثم على العبايد^(٨) ثم أجاز بهما القاحة^(٩) ثم هبط بهما العرج^(١٠) وقد أبطأ عليهم بعض ظهرهم، فحمل رسول الله ﷺ

(١) أمج في اللغة العطش. وهو بلد من أعراس المدينة، وقيل وادٍ منها حميد الأمجي. قال الشاعر:

حميد الذي أمج داره أخو الخمر ذو الشيبة الأصلع

ياقوت: معجم البلدان، ١/ ٢٠٠.

(٢) قديد: تصغير القد، من قولهم: قددت الجلد أو من القد وهو جلد السخلة اسم موضع قرب مكة، قال ابن قيس الرقيّات:

صادراتٍ عشيةً عن قديدٍ وارداتٍ مع الضحى عُسفانا

(٣) الخرار: موضع في الحجاز، يقال قرب الجحفة، وقيل وادٍ من أودية المدينة، وقيل ماء بالمدينة، وقيل موضع بخير. معجم البلدان، ٣/ ٢١٨.

(٤) لقف: ماء آبار كثيرة عذب، ليس عليها مزارع ولا نخل فيها لغلظ موضعها وخشونتها، وهو بأعلى قوران وادٍ من ناحية السوارقية على فرسخ. ياقوت: معجم البلدان، ٧/ ١٨١.

(٥) الجّداجد وهي الأرض المستوية الصلبة، وهي بئر قديمة في طريق ليس يعلم. معجم البلدان، ٣/ ٣٧.

(٦) الأجرد: اسم جبل من جبال القبلية، وهو من جبال جهينة بين المدينة والشام. معجم البلدان: ١/ ٩٠.

(٧) تعهن: اسم عين ماء سمي به موضع على ثلاث أميال من السقيا بين مكة والمدينة. معجم البلدان: ٢/ ٤٤٧.

(٨) العبايد: اسم موضع على طريق الهجرة كأنه اسم مياه. معجم البلدان: ٦/ ٢٩٠.

(٩) القاحة: مدينة على ثلاث مراحل من المدينة قبل السقيا بنحو ميل، وقيل موضع بين الجحفة وقديد. معجم البلدان، ٦/ ٦.

(١٠) العرج: وهي قرية جامعة في وادٍ من نواحي الطائف وإليها ينسب العرجي الشاعر، وهي أول تهامة، وبينها وبين المدينة ثمانية وسبعون ميلاً وهي في بلاد هذيل. معجم البلدان: ٦/ ٣٠٩.

رجل من أسلم يقال له أوس بن حجر على جمل يقال له ابن الرداء إلى المدينة، وبعث معه غلامًا يقال له مسعود بن هنيذة، ثم خرج بهما دليلهما من العرج فسلك بهما ثنية العائر^(١) عن يمين رَكُوبَة ويقال ثنية الغائر فيما قال ابن هشام. حتى هبط بهما بطن ريم ثم قدم بهما قباء^(٢) على بني عمرو بن عوف من الأوس لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول يوم الإثنين حين اشتد الضحاء وكادت الشمس تعتدل^(٣).

وقد روى أبو نعيم من طريق الواقدي نحوًا من ذكر هذه المنازل، وخالفه في بعضها والله أعلم. قال أبو نعيم: عن إياس بن مالك بن الأوس الأسلمي عن أبيه قال: لما هاجر رسول الله ﷺ وأبو بكر مرّوا بإبل لنا بالجحفة، فقال رسول الله ﷺ: «لِمَنْ هَذِهِ الْإِبِلُ؟» فقالوا: لرجل من أسلم، فالتفت إلى أبي بكر فقال: «سَلِمْتَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ» فقال: «مَا اسْمُكَ؟» قال: مسعود، فالتفت إلى أبي بكر فقال: «سَعِدْتَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ». قال: فأتاه أبي فحمله على جمل يقال له ابن الرداء^(٤). ثم مضى رسول الله ﷺ حتى إذا طلع على النخل فإذا الشرب مملوء، فالتفت رسول الله إلى أبي بكر فقال: «يَا أَبَا بَكْرٍ هَذَا الْمَنْزِلُ. رَأَيْتُنِي أَنْزِلُ إِلَى حِيَاضٍ كَحِيَاضِ بَنِي مُدَلِجٍ»^(٥).

قُبَيْلِ الْمَدِينَةِ:

وعلى طريق الهجرة لقي رسول الله ﷺ الزبير في ركب من المسلمين كانوا تجارًا قافلين

- (١) وهي ثنية بين مكة والمدينة عند العرج صعبة قرب جبل ورقان وقدس الأبيض. معجم البلدان: ٤١٨/٤.
- (٢) وهي في أعلى المدينة فيها منازل بني عمرو بن عوف من الأنصار الأوس، نزل فيها رسول الله أول هجرته إلى المدينة وبني فيه مسجد قباء، وأهل قباء يقولون: هو المسجد الذي أسس على التقوى من أول يوم. معجم البلدان: ٧/١٤.
- (٣) ابن كثير: البداية والنهاية، ٣/٢٣١.
- (٤) ابن كثير: البداية والنهاية، ٣/٢٣٢.
- (٥) ابن كثير: البداية والنهاية، ٣/٢٣٥.

من الشام، فكسا الزبير رسول الله ﷺ ثياباً بيضاً ثم استقبلتهما هدية من الشام من طلحة بن عبيد الله إلى أبي بكر رضي الله عنه فيها ثياب بياض من ثياب الشام، فلبسها فدخل المدينة في ثياب بياض.

وروى البيهقي أن رسول الله ﷺ لما دنا من المدينة هو وأبو بكر وقدم طلحة بن عبيد الله من الشام خرج عامداً إلى مكة لما ذكر له رسول الله ﷺ وأبو بكر، خرج إما متلقياً لهما وإما عامداً عمرة بمكة ومعه ثياب أهداها لأبي بكر رضي الله عنه من ثياب الشام، فلما لقيه أعطاه الثياب، فلبس رسول الله ﷺ منها وأبو بكر رضي الله عنه^(١).

ومما حصل على طريق الهجرة أنه لقيهم بريدة بن الحُصيب الأسلمي: عن عبد الله بن بريدة عن أبيه: أن النبي ﷺ كان لا يتطير وكان يتفاءل وكانت قريش جعلت مائة من الإبل فيمن يأخذ نبي الله فيرده عليهم حين توجه إلى المدينة، فركب بريدة في سبعين راكباً من أهل بيته من بني سهم فتلقى نبي الله، فقال نبي الله: «من أنت؟» قال: أنا بريدة. فالتفت إلى أبي بكر الصديق فقال: «يا أبا بكر برد أمرنا وصلح». ثم قال: «وممن أنت؟» قال: من بني أسلم. قال رسول الله ﷺ لأبي بكر: «سلمنا». قال: «ممن أنت؟» قال: من بني سهم. قال: «خرج سهمك». فقال بريدة للنبي ﷺ: مَنْ أنت؟ قال: «محمد بن عبد الله رسول الله». فقال بريدة: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله. فأسلم بريدة وأسلم من كان معه جميعاً. فلما أصبح قال بريدة للنبي ﷺ: لا تدخل المدينة إلا ومعك لواء. فحل عمامته ثم شداها في رمح ثم مشى بين يديه حتى دخلوا المدينة^(٢).

عند دخول المدينة:

وعند دخول رسول الله ﷺ وصاحبه إلى المدينة كان الأمر بعكس خروجهما من مكة،

(١) ينظر: الصالحي: سبل الهدى، ٢٥١/٣. البخاري: ك. مناقب الأنصار، باب هجرة النبي ﷺ (الحديث الثالث عشر).

(٢) الصالحي: سبل الهدى، ٢٥١./٣.

فبقدر ما كانا يخفيان الأمر ويأمران بإخفائه أصبحا لا يمانعان من استقبال أكبر عدد من الناس وإعلان وصولهما إلى المدينة، فسبحان مغير الأحوال، ونظرًا لكثرة المستقبلين لهذا الوفد المبارك الفريد قال ﷺ لأبي بكر رضي الله عنه حين مدخلهما المدينة: «أله عني الناس، فإنه لا ينبغي لنبي أن يكذب». فكان أبو بكر إذا سئل: من أنت؟ قال: باغ، وإذا قيل: من الذي معك؟ قال: هادٍ يهديني^(١).

وجاء في المسند: أن أبا بكر كان رديف رسول الله ﷺ بين مكة والمدينة، وكان أبو بكر يختلف إلى الشام، وكان يعرف وكان النبي ﷺ لا يعرف، فكانوا يقولون: يا أبا بكر، ما هذا الغلام بين يديك؟ قال: هذا يهديني السبيل، فلما دنوا من المدينة نزلا الحرّة، وبعثا إلى الأنصار فجاءوا فقالوا: قوما آمنين مطاعين، قال- أنس -: فشهدته يوم دخل المدينة، فما رأيت يومًا قط كان أحسن ولا أضوأ من يوم دخل علينا فيه، وشهدته يوم مات فما رأيت يومًا كان أقبح ولا أظلم من يوم مات فيه ﷺ^(٢).

وعلى طريق المدينة لقي رسول الله ﷺ الزبير في ركب من المسلمين، كانوا تجارًا قافلين من الشام، فكسا الزبير رسول الله ﷺ وأبا بكر ثيابًا بيضاء، وسمع المسلمون بالمدينة بمخرج رسول الله ﷺ من مكة، فكانوا يغدون كل غداة إلى الحرّة فينتظرونه حتى يردهم حرّ الظهيرة، فانقلبوا يومًا بعدما أطالوا انتظارهم، فلما أووا إلى بيوتهم أوفى رجل من اليهود على أطم من أطامهم لأمر ينظر إليه، فبصر برسول الله ﷺ وأصحابه مبيضين يزول بهم السراب، فلم يملك اليهودي أن قال بأعلى صوته: يا معشر العرب، هذا جدكم الذي تنتظرون، فثار المسلمون إلى السلاح فتلقوا رسول الله ﷺ بظهر الحرّة، فعدل بهم ذات اليمين حتى نزل بهم في بني عمرو بن عوف، وذلك يوم الإثنين من شهر ربيع الأول، فقام أبو بكر للناس

(١) الصالحى: سبل الهدى، ٣/٢٥٢. ابن حنبل: المسند، كتاب وباب مسند أنس، ح (١١٨٢٥).

(٢) ابن حنبل: المسند، كتاب مسند أبي بكر، باب مسند أبي بكر، ح (١٣٦٤٩) الصالحى: سبل الهدى، ٣/٢٥٢.

وجلس رسول الله ﷺ صامتًا فطفق من جاء من الأنصار ممن لم ير رسول الله ﷺ يحيي أبا بكر حتى أصابت الشمس رسول الله ﷺ فأقبل أبو بكر حتى ظلَّ عليه بردائه^(١).

استقبالهما في المدينة:

وعن عبد الرحمن بن عويم بن ساعدة قال: لما بلغنا مخرج النبي ﷺ من مكة وتوكلنا قدومه كنا نخرج إذا صلينا الصبح إلى ظاهر حرتنا ننتظر النبي ﷺ، فوالله ما نبرح حتى تغلبنا الشمس على الظلال، فإذا لم نجد ظلًّا دخلنا، وذلك في أيام حارة حتى إذا كان اليوم الذي قدم فيه رسول الله ﷺ جلسنا كما كنا نجلس، حتى إذا لم يبق ظل دخلنا بيوتنا، وقدم رسول الله ﷺ حين دخلنا البيوت، فكان أول من رآه رجل من اليهود فصرخ بأعلى صوته: يا بني قَيْلَةَ، هذا جدكم قد جاء، فخرجنا إلى رسول الله ﷺ وهو في ظل نخلة، ومعه أبو بكر في مثل سنه، وأكثرنا لم يكن رأى رسول الله ﷺ قبل ذلك. ورَكِبَه الناس وما يعرفونه من أبي بكر حتى زال الظلُّ عن رسول الله ﷺ فقام أبو بكر فأظله بردائه، فعرفناه عند ذلك.

وقد تقدّم مثل ذلك في سياق البخاري، وكذا ذكر موسى بن عقبة في مغازيه. وقال الإمام أحمد: حدّثنا هاشم، حدّثنا سليمان عن ثابت، عن أنس بن مالك. قال: إني لأسعى في الغلمان يقولون: جاء محمّد، فأسعى ولا أرى شيئًا، ثم يقولون: جاء محمّد، فأسعى ولا أرى شيئًا، قال: حتى جاء رسول الله ﷺ وصاحبه أبو بكر. فكمنا في بعض خراب المدينة، ثم بعثا رجلًا من أهل البادية يؤذن بهما الأنصار، فاستقبلهما زهاء خمسمائة من الأنصار حتى انتهوا إليهما، فقالت الأنصار: انطلقا آمنين مطاعين. فأقبل رسول الله ﷺ وصاحبه بين أظهرهم، فخرج أهل المدينة حتى إن العواتق لفوق البيوت يتراءينه يقلن: أيهم هو، أيهم هو؟ فما رأينا منظرًا شبيهاً به.

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، ٣/٢١٨. البخاري: ك. مناقب الأنصار، باب هجرة النبي ﷺ (الحديث الثالث عشر).

قال أنس: فلقد رأيت يوم دخل علينا ويوم قبض، فلم أرَ يومين شبيهاً بهما. ورواه البيهقي عن الحاكم، عن الأصم، عن محمد بن إسحاق الصنعاني، عن أبي النضر هاشم بن القاسم، عن سليمان بن المغيرة، عن ثابت عن أنس بنحوه أو مثله.

وفي الصحيحين من طريق إسرائيل عن أبي إسحاق، عن البراء، عن أبي بكر في حديث الهجرة قال: وخرج الناس حين قدمنا المدينة في الطرق وعلى البيوت، والغلمان والخدم يقولون: الله أكبر جاء رسول الله، الله أكبر جاء محمد، الله أكبر جاء محمد، الله أكبر جاء رسول الله. فلما أصبح انطلق وذهب حيث أمر. وقال البيهقي: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة جعل النساء والصبيان يقلن:

طَلَعَ الْبَدْرُ عَلَيْنَا مِنْ ثَنِيَّاتِ الْوَدَاعِ
وَجَبَّ الشُّكْرُ عَلَيْنَا مَا دَعَا لِيهِ دَاعٍ

قال محمد بن إسحاق: فنزل رسول الله ﷺ فيما يذكرون، يعني حين نزل بقاء على كلثوم بن الهدم أخي بني عمرو بن عوف ثم أحد بني عبيد، ويقال: بل نزل على سعد بن خيثمة، ويقول من يذكر أنه نزل على كلثوم بن الهدم: إنما كان رسول الله ﷺ إذا خرج من منزل كلثوم بن الهدم، جلس للناس في بيت سعد بن خيثمة، وذلك أنه كان عزبا لا أهل له، وكان يقال لبيته بيت العزاب، والله أعلم.

ونزل أبو بكر رضي الله عنه في بقاء على خبيب بن إساف أحد بني الحارث بن الخزرج بالسُّنْح، وقيل على خارجة بن زيد بن أبي زهير من بني الحارث بن الخزرج^(١)

ما بين بقاء والمدينة:

وركب رسول الله ﷺ وأبو بكر رضي الله عنه وحفت الأنصار حولهما بالسلاح، وقيل في المدينة: جاء نبي الله ﷺ فاستشرفوا نبي الله ينظرون إليه ويقولون: جاء نبي الله. قال:

(١) ابن هشام: السيرة النبوية، ٢/١٠٧. ابن كثير: البداية والنهاية، ٣/٢٣٨.

فأقبل يسير حتى نزل إلى جانب دار أبي أيوب. وقال نبي الله ﷺ: «أَيُّ بَيْتٍ أَهْلِنَا أَقْرَبُ؟» فقال أبو أيوب: أنا يا نبي الله، هذه داري، وهذا بابي، قال: «فَأَنْطَلِقُ فَهَيْئًا لَنَا مَقِيلًا»، فذهب فهياً لهما مقيلًا، ثم جاء فقال: يا رسول الله قد هيأت مقيلًا، قوما على بركة الله فقيلاً^(١).

في دخوله المدينة ومنزله بها ﷺ:

جاء عن أبي بكر رضي الله عنه في حديث الهجرة. قال: فقدمنا ليلاً فتنازعه ﷺ القوم أيهم ينزل عليه، فقال رسول الله ﷺ: «أَنْزَلُ عَلَى بَنِي النَّجَّارِ أَخْوَالَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ أَكْرَمُهُمْ بِذَلِكَ»^(٢). وذكر البخاري أنه نزل في بني عمرو بن عوف بقاء، وأقام فيهم بضع عشرة ليلة، وأسس مسجد بقاء في تلك الأيام، ثم ركب ومعه الناس، حتى بركت به راحلته في مكان مسجده، وكان مربداً لغلّامين يتيمين، وهما سَهْلٌ وَسُهَيْلٌ، فابتاعه منهما واتخذ مسجداً. وذلك في دار بني النجار رضي الله عنهم^(٣).

أول جمعة في المدينة:

خرج رسول الله ﷺ وصاحبه رضي الله عنه من مكة يوم الإثنين في شهر ربيع الأول وقيل: في صفر، وله إذ ذاك ثلاث وخمسون سنة، فلما انتهوا إلى المدينة وذلك يوم الإثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول، وقيل غير ذلك نزل بقاء في أعلى المدينة على بني عمرو بن عوف، وقيل: نزل على كلثوم بن الهدم، وقيل: على سعد بن خيثمة، والأول أشهر، فأقام عندهم أربعة عشر يوماً وأسس مسجد بقاء ثم خرج يوم الجمعة فأدرّكته الجمعة في بني سالم فجمع بهم بمن كان معه من المسلمين وهم مائة ثم ركب ناقته ﷺ وسار وجعل الناس يكلمونه في النزول عليهم ويأخذون بخطام الناقة فيقول ﷺ: «خلوا

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، ٣/٢٤٠، ٢٤١.

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية، ٣/٢٣٦.

(٣) ابن كثير: البداية والنهاية، ٣/٢٣٨.

سبيلها فإنها مأمورة» فبركت عند مسجده اليوم، وكان مربداً لسهل وسهيل غلامين من بني النجار فنزل عنها على أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه ثم بنى مسجده موضع المربرد بيده هو وأصحابه بالجريد واللين، ثم بنى مسكنه ومساكن أزواجه إلى جنبه وأقربها إليه مسكن عائشة ثم تحول بعد سبعة أشهر من دار أبي أيوب إليها وبلغ أصحابه بالحبشة هجرته إلى المدينة فرجع منهم ثلاثة وثلاثون رجلاً فحبس منهم بمكة سبعة وانتهى بقيتهم إلى رسول الله ﷺ بالمدينة ثم هاجر بقيتهم في السفينة عام خير سنة سبع^(١). وقال حسان يهنئ أبا بكر رضي الله عنه بتفرده بصحبة رسول الله ﷺ وخدمته ونصرته.

ليهن أبا بكر سعادة جده بصحبته من يسعد الله يسعد^(٢)

حُمَى الْمَدِينَةِ:

وقد سلم رسول الله ﷺ منها بحول الله وقوته، ثم دعا ربّه فأزاحها الله عن مدينته. عن أم المؤمنين الطاهرة عائشة رضي الله عنها أنها قالت: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة وعكّ أبو بكر وبلال، قالت: فدخلت عليهما فقلت: يا أبا، كيف تجدك؟ ويا بلال، كيف تجدك؟ قالت: وكان أبو بكر إذا أخذته الحمى يقول:

كُلُّ امْرِئٍ مُصَبَّحٌ فِي أَهْلِهِ وَالْمَوْتُ أَذْنَى مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ

قالت الطاهرة عائشة رضي الله عنها: فجئت رسول الله ﷺ فأخبرته فقال: «اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْمَدِينَةَ كَحُبِّنَا مَكَّةَ أَوْ أَشَدَّ وَصَحِّحْهَا، وَبَارِكْ لَنَا فِي صَاعِهَا وَمُدِّهَا، وَانْقُلْ حُمَاهَا فَاجْعَلْهَا بِالْجُحْفَةِ». وفي رواية البخاري قال ﷺ: «اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْمَدِينَةَ كَحُبِّنَا مَكَّةَ أَوْ أَشَدَّ، اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي صَاعِهَا وَفِي مُدِّهَا وَصَحِّحْهَا لَنَا، وَانْقُلْ حُمَاهَا إِلَيَّ الْجُحْفَةَ». قالت: وقدمنا المدينة وهي أوبأ أرض الله، وكان وادي بطحان يجري نجلاً يعني ماء آجناً^(٣).

(١) ابن القيم: زاد المعاد: ١٠١/١.

(٢) ابن سيد الناس: عيون الأثر: ٣٠٦/١.

(٣) ابن كثير: البداية والنهاية، ٣/٢٦٠. البخاري: ك. أبواب فضائل المدينة، باب كراهية أن تعرى

عن الطاهرة عائشة رضي الله عنها أنها قالت: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة قدمها وهي أوبأ أرض الله من الحمى، وكان واديهما يجري نجلاً، يعني ماء آجناً فأصاب أصحابه منها بلاء وسقم، وصرف الله ذلك عن نبيه. قالت: فكان أبو بكر وعامر بن فهيرة وبلال موليا أبي بكر رضي الله عنه في بيت واحد، فأصابتهم الحمى، فاستأذنت رسول الله ﷺ في عيادتهم فأذن، فدخلت إليهم أعودهم، وذلك قبل أن يضرب علينا الحجاب، وبهم ما لا يعلمه إلا الله من شدة الوعك، فدنوت من أبي بكر رضي الله عنه فقلت: يا أبت كيف تجدك؟ فقال:

كل امرئ مصبح في أهله والموت أدنى من شراك نعله

قالت: فقلت: والله ما يدري أبي ما يقول، ثم دنوت من عامر بن فهيرة فقلت: كيف تجدك يا عامر؟ فقال:

لقد وجدت الموت قبل ذوقه إن الجبان حتفه من فوقه

كل امرئ مجاهد بطوقه كالشور يحمي جلده بروقه

وقد تكون هذه الحمى أصابت أبا بكر رضي الله عنه ومواليه بعد فترة من دخول المدينة لأن الطاهرة عائشة رضي الله عنها لم تهاجر إلا بعدهم بزمن ثم لم يدخل بها رسول الله ﷺ إلا بعد ذلك بزمن آخر من دخولهم المدينة.

إقامة النبي ﷺ في بيت أبي أيوب رضي الله عنه والقدم بعيال النبي ﷺ وعيال الصديق رضي الله عنه:

فأقام ﷺ في منزل أبي أيوب خالد بن زيد بن كليب الأنصاري رضي الله عنه حتى بنى حُجْرَهُ ومسجده ﷺ وبعث رسول الله ﷺ وهو في منزل أبي أيوب زيد بن حارثة وأبا رافع إلى مكة وأعطاهما بعيرين وخمسمائة درهم فقدمتا عليه بفاطمة وأم كلثوم ابنتيه رضي الله عنهما، وسودة بنت زمعة زوجته رضي الله عنها، وأسامة بن زيد وأمه أم أيمن رضي الله عنهم

وأما زينب بنت رسول الله ﷺ فلم يمكنها زوجها أبو العاص بن الربيع من الخروج، وخرج عبد الله بن أبي بكر معهم بعيال أبي بكر، ومنهم الطاهرة عائشة رضي الله عنها فنزلوا في بيت حارثة بن النعمان^(١). أما أبو بكر فإنه نزل على خبيب بن إساف. وروي أنه نزل على خارجة بن زيد بن أبي زهير وتزوج ابنته كما اتضح ذلك في الفصل الأول، ولم يزل في بني الحارث بن الخزرج بالسُّنح حتى توفي رسول الله ﷺ^(٢). وقد جاء الصريخ بوفاة رسول الله ﷺ وهو لا يزال في مسكنه في السُّنح، ومن هناك نزل إلى المدينة وخطب خطبته الشهيرة التي أقر فيها وفاة رسول الله ﷺ ثم حدّث الناس وخطبهم وحثهم على التمسك بسنة رسول الله والسير على خطاه ﷺ، وبذلك يتضح دور صاحب رسول الله وأمينه في كل ملمة، في نجاح الهجرة وبلوغ رسول الله ﷺ هدفه في ذلك ودخوله إلى وسط فيه المهاجرون والأنصار ومن إذا أمرهم ﷺ استرخصوا المهج والأموال في سبيل تحقيق ما يأمر به ﷺ وفي أي مكان وأي وقت كان، ومنذ تلك الساعة باشر ﷺ عمله في بناء دولة الإسلام التي ما زالت قائمة وستبقى كذلك إلى قيام الساعة وإن ضعفت أحياناً أو بدا للبعض أنها غائبة.

أبو بكر رضي الله عنه وفتح خاص اليهودي في المدينة:

وبعد الهجرة النبوية المباركة دخل أبو بكر الصديق رضي الله عنه بيت المدراس الذي يتدارس فيه اليهود دينهم، وذلك بعد نزول قوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾^(٣) فوجد يهود قد اجتمعوا إلى رجل منهم يقال له فنحاص بن عازوراء، وكان من علمائهم وأخبارهم، ومعه خبر من أخبارهم، يقال له: أشيع، فقال أبو بكر رضي الله عنه لفنحاص: ويحك يا فنحاص، اتق الله وأسلم، فوالله إنك لتعلم أن محمداً لرسول الله قد جاءكم بالحق من عنده، تجدونه مكتوباً عندكم في التوراة والإنجيل، فقال

(١) ابن القيم: زاد المعاد، ٦١/٣.

(٢) ابن هشام: السيرة النبوية، ١٠٧/٢.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٤٥.

فنحاص لأبي بكر: والله يا أبا بكر، ما بنا إلى الله من فقر، وإنه إلينا لفقير، وما نتضرع إليه كما يتضرع إلينا، وإننا عنه لأغنياء، وما هو عنا بغني، ولو كان عنا غنياً ما استقرضنا أموالنا، كما يزعم صاحبكم، ينهاكم عن الربا ويعطيناه، ولو كان عنا غنياً ما أعطانا الربا، قال: فغضب أبو بكر، فضرب وجهه فنحاص ضرباً شديداً، وقال: والذي نفسي بيده، لولا العهد الذي بيننا وبينكم، لضربت رأسك، أي عدو الله. قال: فذهب فنحاص إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد، انظر ما صنع بي صاحبك، فقال رسول الله ﷺ لأبي بكر رضي الله عنه: «ما حملك على ما صنعت؟» فقال أبو بكر رضي الله عنه: يا رسول الله، إن عدو الله قال قولاً عظيماً، إنه زعم أن الله فقير وأنهم أغنياء، فلما قال ذلك غضبت لله مما قال، وضربت وجهه، فوجد ذلك فنحاص، وقال: ما قلت ذلك. فأنزل الله تعالى فيما قال فنحاص رداً عليه، وتصديقاً لأبي بكر رضي الله عنه: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ (١).

ونزل في أبي بكر الصديق رضي الله عنه وما بلغه في ذلك الغضب: ﴿وَلَسَّمْعُ مِنَ الَّذِينَ أُوْتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذَى كَثِيرًا وَإِنْ تَصَبَرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ (٢).

ثم قال تعالى فيما قال فنحاص والأخبار معه من يهود: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَأَشْرَقُوا بِهِ ثُمَّناً قَلِيلًا فَيَسَّ مَا يَشْرُونَ﴾ (٣). وهم على الأخبار الذين يكتمون الحق والعلم، وكتمهم محاربة للحق وأهله، أولئك الذين يفرحون بما يصيبونه من الدنيا وعلى ما زينوا للناس من الضلالة وطمس الحق ومؤازرة الباطل، وحبهم للشهرة وأن يحمدا بما لم يفعلوا، وأن يقول الناس

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٨١.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٨٦.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٨٧.

عنهم: إنهم علماء، وهم ليسوا بأهل علم، ولم يحملوهم على هدى ولا حق، ويحبون أن يقول الناس: قد فعلوا ما لم يفعلوه^(١)، قال تعالى: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا آتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(٢).

فأبو بكر الصديق رضي الله عنه لم يتغير منهجه في المدينة عما كان عليه في مكة، فهو حرب على الباطل سلم للحق، يجاهد في سبيل الله بالكلمة واللسان والمال واليد وبكل ما يملك، لم يغيره المكان ولا الزمان واستمر على ذلك حتى فارق هذه الدنيا؛ بعد أن قدم دروساً عميقة لكل مؤمن في كيفية الثبات على المبدأ والاعتزاز بالحق والصبر من أجل انتصار العقيدة، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾^(٣).

(١) ابن هشام: السيرة النبوية، ٢/ ١٧١. الصالحى: سبل الهدى، ٣/ ٤٠٠.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٨٨.

(٣) سورة الحجرات، الآية: ١٥.

المبحث الثالث

جهاد أبي بكر الصديق رضي الله عنه بعد الهجرة

خليفة رسول الله أبو بكر رضي الله عنه شهد المشاهد التي شهدها رسول الله ﷺ والصحابة رضي الله عنهم جميعها، ولم يتخلف عن أي منها، وشهد مشاهد مع رسول الله ﷺ لم يشهدا معه أحد من الصحابة، فهو علم متفرد في كثير من المواقف لا يشركه فيها أحد؛ فضلاً عما يُجملها ويسبغ عليها خصوصية السبق التي لا يدركها إلا من شهدها. قال تعالى: ﴿وَالسَّيِّئُونَ السَّيِّئُونَ ﴿١٠﴾ أُولَئِكَ الْمَفْرُوقُونَ ﴿١١﴾﴾. وكما هو شأن خليفة رسول الله ﷺ في السبق والريادة في كل وجوه الخير والعطاء والتضحية فهو يأتي في مقدمة الشجعان الذين ذبوا عن حمى الدين وعرين المسلمين، حتى شهد له بذلك عمالقة هذا الشأن البارعون في ميادين النزال، ولا يعرف الفضل إلا أهل الفضل، فهذا علي رضي الله عنه في فترة خلافته بعد عشرات السنين من وفاة أبي بكر رضي الله عنه يسرح خياله إلى أيام خلت قدم فيها من قدم وجاهد فيها من جاهد حتى انقضت تلك الشدائد وزالت كرباتهما وأصبح المسلمون يقطفون ثمار جهاد السابقين؛ فأراد أمير المؤمنين علي رضي الله عنه أن يسطر شهادة لإمام الأمة وقائدها رضي الله عنه، فانفتل إلى أصحابه يسألهم سؤالاً أراد أن ييث به علماً قد يجهله بعض المتأخرين فقال رضي الله عنه: من أشجع الناس؟ فقال من لم يشهد مشاهد خليفة رسول الله: أنت يا أمير المؤمنين. فقال رضي الله عنه: أما إنني ما بارزني أحد إلا انتصفت منه، ولكن هو أبو بكر رضي الله عنه إنا جعلنا لرسول الله ﷺ يوم بدر عريشاً فقلنا: من

(١) سورة الواقعة، الآيتان، ١٠، ١١.

يكون مع رسول الله ﷺ لثلا يهوي إليه أحد من المشركين؟ فوالله ما دنا منا أحد إلا أبو بكر رضي الله عنه شاهرًا بالسيف على رأس رسول الله ﷺ لا يهوي إليه أحد إلا أهوى إليه. فهذا أشجع الناس^(١).

وبعد أن أدى رضي الله عنه هذه الشهادة التي ترد على أعداء الصحابة كل مكرهم الذي تحبكه أقلامهم المسمومة وتدسه كتاباتهم الموبوءة، أراد أن يؤكد لكل مؤمن أن هذه الشجاعة ليست عارضة في سيرة الصديق رضي الله عنه أو أنه يتخلق بها عندما يكون بين كتائب المؤمنين، ولكنها خلق ثابت وخصيصة أصيلة في شخصيته لا ينفك عنها ولم يفته شرفها في موقف من المواقف، فضرب لهم مثلاً يؤكد ذلك عندما كان المؤمنون في حالة الاستضعاف بين المشركين في مكة. فقال علي رضي الله عنه: ولقد رأيت رسول الله ﷺ وأخذته قريش، فهذا يحاده، وهذا يتلته، يقولون: أنت جعلت الآلهة إلهاً واحداً! فوالله ما دنا منا أحد إلا أبو بكر رضي الله عنه يضرب هذا ويجاهد هذا ويتلثل هذا وهو يقول: ويلكم! أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله. ثم رفع علي رضي الله عنه بردة كانت عليه فبكى حتى اخضلت لحيته ثم قال: أنشدكم الله، أمؤمن آل فرعون خير أم هو؟ فسكت القوم، فقال علي: فوالله لساعة من أبي بكر رضي الله عنه خير من ملء الأرض من مؤمن آل فرعون، ذاك رجل يكتم إيمانه، وهذا رجل أعلن إيمانه. وقال: ألا تجيبونني؟ فوالله لساعة من أبي بكر خير من مثلي مؤمن آل فرعون، ذاك رجل يكتم إيمانه وهذا رجل أعلن إيمانه^(٢).

فالجهاد هو سمة أصحاب رسول الله ﷺ وهو قدرهم الذي تخلقوا به حتى أزالوا بذلك كل عقبة تقف عثرة في طريق نشر الإسلام وتبليغه للعالمين كما أمر رسول الله ﷺ، ولكن خليفة رسول الله رضي الله عنه لم يرض أن يكون مع عامة المجاهدين من أصحاب

(١) البزار: البحر الزخار، ومما روى محمد بن عقيل عن علي رضي الله عنه (٧٦١).

(٢) ابن كثير: السيرة، ٤١١/٢. البزار: البحر الزخار، محمد بن عقيل عن علي رضي الله عنه (٧٦١).

الصالح: سبل الهدى، ٤٣٧/٢.

رسول الله ﷺ حتى امتاز عن الجميع بجهاده وصبره وثباته وتضحيته، وحتى شهد له أمير المؤمنين علي رضي الله عنه بأنه أشجع الناس بما فيهم من شهد له القرآن الكريم بالشهادة في عصره ألا وهو مؤمن آل فرعون الذي قال الله تعالى فيه: ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾^(١) إلى قوله: ﴿إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمِعُونِ﴾^(٢) فهذه الروح الإيمانية روح التحدي والسمو التي يتسلح بها أئمة الجهاد والإيمان تفجر فيهم روح الإقدام ومباشرة العطاء دون أي تردد أو وجل أو حساب لقوة جبارة، وهذه الروح هي التي كانت تمد خليفة رسول الله بمواقفه التي لو وزنت بمواقف الأمة مجتمعة لرجحتها، ولهذا كان علي رضي الله عنه إذا ذكره أجهش في البكاء ليس لآلام الفراق والشوق فقط؛ بل لعدم وجود رجل بعد أبي بكر رضي الله عنه يحمل ذات المواصفات التي سدت على أعداء الصحابة كل منافذ المكر وتسعير الفتن، ولحاجة الأمة في أيام أمير المؤمنين علي رضي الله عنه لمواقف رجل من طراز خليفة رسول الله يجلب الشفاء والعلاج لكل ما كانت تعانيه الأمة من التمزق والتناحر وشتات الكلمة الذي أسهم في صناعته خلافة رافضي النبوة بغيهم وكيدهم.

ولقد صبر الصدّيق رضي الله عنه على الابتلاء واحتسب لأجل دينه وعقيدته، ودافع عن رسول الله ﷺ دفاع الأبطال وأنفق أمواله في سبيل الله، وعرض نفسه على مواطن الخطر قبل أن ينزل الإذن بالقتال، ولما اشتد أذى قريش على المسلمين في مكة وهاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة كان صاحبه الوحيد في الغار وعلى طريق الهجرة، فهو (ثاني اثنين) وفي المواضع التي لا يكون مع النبي ﷺ فيها إلا واحد يكون ذلك الواحد هو أبا بكر رضي الله عنه وهو صاحبه المطلق. قال تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ﴾ المشارك في معية الاختصاص في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ وهو صاحبه ﷺ في نزول السكينة

(١) سورة يس، الآية: ٢٠.

(٢) سورة يس، الآية: ٢٥.

والنصرة قال تعالى: ﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾^(١) ونظرًا لهذه الخصائص والمزايا التي امتاز بها الصديق عن غيره، ونظرًا لفقده وعلمه وشدة تمسكه بالسنة وعزة أهلها، وإصراره على إنفاذ كل ما أمر به رسول الله ﷺ دون أي تفریط؛ وأنه الحربة في عيون المنافقين، والشوكة في حلوق الرافضة المرتدين، أصبح الهدف الأول لأعداء الصحابة ومبغضيه؛ فصنعوا له التهم ولفقوا له العيوب ودانوا بكرهيته وتشويه سيرته وتقييح محاسنه، ولا سيما بعد ثباته الراسخ ونظره الثاقب وحرصه الكامل ألا يחדش الإسلام خادش، وألا يحول أمام انطلاقته حائل في الانتشار والفتوح بعد وفاة رسول الله ﷺ فاستمر الإسلام عزيزًا في سمو وانطلاق كما كان في عصر رسول الله ﷺ، ولكل هذه الأسباب ولغيرها كان لا بد من تجلية الحقيقة وإظهار جوهر وكنوز تاريخ الصديق الحافل بالأمجاد والمواقف السامية التي أسهمت في بناء ورعاية الجهاد حتى استقر علم الدين عاليًا على وجه الأرض، وأذل رافضي خلافة النبوة وجبايرة الأرض وطغاتها، فسادت السنة النبوية وصدع أئمتها بالحق وأعلنوا فضيلة الصديق رضي الله عنه على من سواه حتى أصبح رضي الله عنه علمًا فاصلاً بين علماء السنة النبوية وعلماء البدع والرفض والجاهلية، فكل من ينال من الصديق رضي الله عنه فهو جندي من جند مسيلمة الكذاب الذين حاربوا خلافة النبوة، متهم في دينه وأمانته وولائه لله ورسوله ﷺ وحرب على الفضيلة والرحمة وكل القيم النبيلة، إذ إن من قيم الصديق ألا يقتل طفلًا ولا امرأة ولا شيخًا من أي ملة كانوا، في وقت نرى فيه أعداء الصديق من اليهود والصليبيين وإخوانهم الرافضة يتشفون بقتل الأطفال والنساء والعجزة والعزل من أهل السنة كما هو حاصل في فلسطين ليلة أمس حيث شاهد العالم أجمع جثث الأطفال تنتشل من بين أنقاض البيوت، أما في العراق فإن الكلام بكل مفرداته لن يتمكن من وصف ما يجري على أيدي الصليبيين وشيعتهم أعداء أبي بكر رضي الله عنه حيث أعلنت الفضائيات في هذا اليوم الأحد ٦/١٣ جمادى الآخرة /١٤٢٧هـ ٢٠٠٦/٧/٩م

(١) سورة التوبة، الآية: ٤٠.

أن مليشيات أعداء الصحابة قد هاجمت بيوت أهل السنة في مدينة بغداد، ولا سيما في حي الجهاد فقامت بإخراج النساء والأطفال والشيوخ وقتلهم داخل بيوتهم وعلى أبوابها في مذبحه رهيبه قدرة ولا مذبحه دير ياسين التي اقترفتها أيدي اليهود في فلسطين، في حالة من غرق عامة أهل السنة في اللهو وبلادة الفهم وتيه الخطاب، حالة لا تشبهها حالهم حتى أيام موتهم في عصر هولوكو الأثيم وجاسوسه الخبيث ابن العلقمي الرافضي حين قتلت التتار وإخوانهم الرافضة ما يزيد على المليون من أهل السنة، وكل هذا وغيره الكثير يؤكد أن كل من يحمل ذرة من العداء لأي من أصحاب رسول الله ﷺ إضافة إلى الصدّيق رضي الله عنه فإنما هو والغ في دماء أهل السنة وأموالهم وأعراضهم، وكل من يصمت على من ينال من الصدّيق رضي الله عنه ولا يرد عنه الزيف والبهتان ويتبرأ ممن يدين به من الرافضة فهو شيطان، أخرس عن قول الحق، وكل من يحسن الظن فيمن ينال من الصدّيق رضي الله عنه بالقول أو بالتعامل؛ فهو غاش للأمة مخادع للمؤمنين فاقد للغيرة مخروم الولاء وفساد الطوية أعمى البصر والبصيرة، يدين بمخالفة ما جاء في الكتاب والسنة وإنكار كل ما جرى للمؤمنين على أيدي أعداء الصحابة على مر التاريخ الذي علمنا أنه لن يجاهد في سبيل الله ويعمل على نشر العدل والتوحيد سوى أصحاب رسول الله ﷺ ومحبيهم من الأمم المؤمنة.

فالصدّيق رضي الله عنه كان كظل رسول الله ﷺ في سلمه وحر به قبل البعثة وبعدها حتى أضيف إلى رسول الله ﷺ في حياته، فقد خاطبه القرآن باسم صاحبه ﷺ، وبعد وفاته أجمع المؤمنون على تسميته بخليفة رسول الله فقد أصبح مضافاً إلى رسول الله ﷺ ومقروناً اسمه باسمه ﷺ إلى الأبد، وما ذلك إلا ثمرة من ثمار تلك الصحبة التي بدأها أبو بكر رضي الله عنه صغيراً وأخلص لها وتفانى من أجلها كبيراً، ولما ضاقت مكة على المسلمين وأذن الله تعالى بالهجرة حمل النبي ﷺ إلى المدينة براحلته وزاده ومواليه، ولم يزل ينفق عليه ماله ويقوم على خدمته بنفسه ويجاهد بين يديه في حياته، ولم يزل ملازماً له سقراً وحضراً حتى توفي ﷺ فدفنه في حجرة ابنته الطاهرة عائشة التي كانت أنسه ومستراحه، ثم حمل الراية من بعده ﷺ يسير بها على ذات الخطى والمنهج الذي رسمه ﷺ لأمته، حتى إذا توفي رضي الله

عنه دفن إلى جنب صاحبه ليرقد هناك قرير العين هانيها بما قدم من إيمان وصبر وجهاد في سبيل الله تعالى، كان من أشهره بعد الهجرة يوم بدر يوم الفرقان الذي أظهر الله به الدين وأهله وأذل الشرك وأهله.

في يوم بدر:

وشهد أبو بكر رضي الله عنه بدرًا، وأحدًا، والخندق، والحديبية، والمشاهد كلها مع رسول الله ودفن رسول الله ﷺ رايته العظمى يوم تبوك إلى أبي بكر، وكانت سوداء، وكان جيش تبوك الذي حمل رايته أبو بكر رضي الله عنه أكبر جيش جمعه وقاده رسول الله ﷺ، وأطعمه رسول الله ﷺ من خيبر مائة وُسُق، وقد ثبت مع رسول الله ﷺ يوم أُحد ويوم حُنين حين ولى الناس من هول ما أصابهم من مفاجأة الإعلان بموت رسول الله ﷺ يوم أحد ومن مفاجأة سهام المشركين مع ظلمة الفجر يوم حنين، ولم يختلف أهل السير في أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه لم يتخلف عن رسول الله ﷺ في مشهد من مشاهده كلها. فلما خرج رسول الله ﷺ إلى بدر ومعه زيد بن حارثة وابنه وكبشة موالي رسول الله يعقبون بعيرًا؛ كان صاحبه أبو بكر ومعه عمر وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهم يعقبون بعيرًا أيضًا^(١).

في شورى المواجهة:

ولما علم النبي ﷺ بإفلات قافلة قريش التي خرج لاعتراض طريقها بما أخذته قريش من أموال المؤمنين في مكة، وأصبح على المؤمنين أن يواجهوا جيشًا يزيد عليهم أكثر من ثلاثة أمثالهم استشار ﷺ أصحابه، فقام أبو بكر رضي الله عنه فقال وأحسن القول وفتح الباب لبقية الصحابة أن يعربوا عن آرائهم في معالجة ذلك الموقف العصيب، فتدارسوا الأمر حتى أجمع رأيهم جميعًا على المواجهة فكانت ثمرة تلك الشورى وتبادل الرأي وحسن معالجة الواقع؛ ذلك النصر المؤزر يوم بدر الذي فرق الله تعالى به بين الحق والباطل.

(١) ابن القيم: زاد المعاد، ٣ / ١٧٢.

في الاستطلاع:

قام النبي ﷺ وصاحبه أبو بكر رضي الله عنه بجولة استطلاعية يستكشفان فيها أحوال جيش المشركين وطبيعة الأرض التي تحيط بمعسكرهم حتى يكونا على بينة فلقيا شيخاً من العرب فسأله رسول الله عن جيش قريش وعن محمد ﷺ وأصحابه وما بلغه من أخبارهم، فقال الشيخ: إنه بلغني أن محمداً وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا، فإن كان صدق الذي أخبرني فهم اليوم بمكان كذا وكذا - للمكان الذي فيه جيش المسلمين، وبلغني أن قريشاً خرجوا يوم كذا وكذا فإن كان صدق الذي أخبرني فهم اليوم بمكان كذا وكذا - للمكان الذي فيه جيش المشركين فعلاً، ثم انصرف النبي ﷺ وأبو بكر رضي الله عنه^(١) بعد أن علما ما حولهما من أخبار وأرض وتضاريس وغيرها.

أبو بكر بين يدي النبي ﷺ وهو يكثر الابتهاال إلى الله تعالى في عريش القيادة:

ويوم بدر عندما التقى الجمعان. قال سعد بن مُعَاذ الأنصاري رضي الله عنه لرسول الله ﷺ: يا رسول الله، ألا نبني لك عريشاً، فتكون فيه ونُنيخ إليك ركائبك، ونلقَى عدونا، فإن أظفرنا الله وأعزنا فذاك أحب إلينا، وإن تكن الأخرى تجلس على ركائبك، فتلحق بمن وراءنا؟ فأثنى عليه رسول الله ﷺ خيراً، ودعا له. فبُني لرسول الله ﷺ عريش، فكان فيه ﷺ وأبو بكر رضي الله عنه ما معهما غيرهما^(٢).

وفي ذلك اليوم نظر رسول الله ﷺ إلى أصحابه وهم ثلاثمائة ونيف، ونظر إلى المشركين فإذا هم ألف وزيادة فاستقبل النبي ﷺ القبلة ثم مد يديه يدعو ربه وعليه رداؤه وإزاره ثم قال: «اللهم إني أنشدك عهدك ووعدك اللهم إن شئت لم تعبد» فأخذ أبو بكر بيده فقال: حسبك. فخرج وهو يقول: ﴿سَبِّحْهُمُ الْجَمْعُ وَيُولُونَ الدُّبْرَ﴾^(٣).

(١) سيرة ابن هشام (٢/ ٢٢٨).

(٢) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، تفسير سورة الأنفال، الآية (٤٢) ٢/ ٣١٥.

(٣) سورة القمر، الآية: ٤٥. البخاري بشرح فتح الباري: كتاب المغازي، باب، قول الله =

وأمام شدة هجمة المشركين وكثرتهم، لجأ رسول الله ﷺ إلى الدعاء والابتهاال والتضرع وهو يقول فيما يدعو به: «اللهم إنك إن تهلك هذه العصاة لا تعبد بعدها في الأرض» وجعل يهتف بربه عز وجل ويقول: «اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم نصرك» ويرفع يديه إلى السماء حتى سقط الرداء عن منكبيه، وجعل أبو بكر رضي الله عنه يلتزمه من ورائه ويسوي عليه رداءه ويقول مشفقاً عليه ﷺ: «وإنما بتحقيق موعود الله تعالى: يا رسول الله بعض مناشدتك ربك، فإنه سينجز لك ما وعدك. وإنما قال الصديق رضي الله عنه: بعض مناشدتك ربك، من باب الإشفاق لما رأى من نصبه ﷺ في الدعاء والتضرع حتى سقط الرداء عن منكبيه فقال: بعض هذا يا رسول الله. أي: لم تتعب نفسك هذا التعب، والله تعالى قد وعدك بالنصر؟ وكان رضي الله عنه رقيق القلب شديد الإشفاق على رسول الله ﷺ»^(١).

وعن ابن عباس أن النبي ﷺ قال وهو في قبته يوم بدر: «اللهم إني أسألك عهدك ووعدك، اللهم إن شئت لم تعبد بعد اليوم». قال: فأخذ أبو بكر رضي الله عنه بيده فقال: حسبك يا نبي الله، فقد ألححت على ربك وهو في الدرع، فخرج ﷺ وهو يقول: ﴿سَيَهْرَمُ الْجَمْعُ وَيَوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾ (٤٥) بِلِ السَّاعَةِ مَوَّعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدَهَى وَأَمْرٌ^(٢).

وكان من تعليماته لأصحابه قوله ﷺ: «إن اكتنفكم القوم فانضحوهم بالنبل»، ورسول الله ﷺ في العريش معه أبو بكر ليس معه غيره. ثم عدل الصفوف ورجع إلى العريش يناشد ربه وما وعده من النصر فحقق رسول الله ﷺ في العريش خفقة ثم انتبه فقال: «يا أبا بكر أتاك نصر الله، هذا جبريل أخذ بعنان فرسه يقوده على ثنياه النَّقْع. فلما كان يومئذ التقوا هزم الله المشركين فقتل منهم سبعون رجلاً وأسر منهم سبعون رجلاً^(٣). ثم نزل قوله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِآلِفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ

= تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾ ح (٣٩٥٣).

(١) ابن كثير: السيرة النبوية، ٤١١/٢.

(٢) سورة القمر، الآيتان: ٤٥، ٤٦. الطبري: تاريخ، ٣٣/٢.

(٣) ابن الجوزي: المنتظم، ٣٤/٣.

مُرْدِفِينِ ﴿١﴾ ولا يجوز أن يتوهم أحد أن أبا بكر رضي الله عنه كان أوثق بربه من النبي ﷺ في تلك الحال، بل الحامل للنبي ﷺ على ذلك شفقتة على أصحابه وتقوية قلوبهم، لأنه كان أول مشهد شهده، فبالغ في التوجه والدعاء والابتهاال، لتسكن نفوسهم عند ذلك، لأنهم كانوا يعلمون أن وسيلته مستجابة، فلما قال له أبو بكر رضي الله عنه ما قال كف عن ذلك، وعلم أنه استجيب له، لما وجد أبو بكر في نفسه من القوة والطمأنينة.

وقال القاضي أبو بكر بن العربي رحمه الله تعالى: كان النبي ﷺ يوم بدر في مقام الخوف وصاحبه في مقام الرجاء، والرجاء والخوف مقامان لا بد للإيمان منهما، وإنما قال الصدّيق للنبي ﷺ ما قال معاونة ورقة عليه، لما رأى من نصّبه في الدعاء والتضرع حتى سقط الرداء عن منكبيه، فقال له: بعض هذا يا رسول الله، أي لم تتعب نفسك هذا التعب والله تعالى قد وعدك بالنصر؟! وكان رقيق القلب شديد الإشفاق على النبي ﷺ^(٢).

الأسرى:

ويوم بدر تمكن المسلمون من أسر سبعين من المشركين المقاتلين، فيهم كثير من الوجوه والقادة، فاستشار رسول الله ﷺ المهاجرين والأنصار في شأنهم وتقرير مصيرهم.

وكان النبي ﷺ إذا استشار أصحابه؛ أول من يتكلم أبو بكر في الشورى وربما تكلم غيره وربما لم يتكلم غيره فيعمل برأيه وحده فإذا خالفه غيره اتبع رأيه دون رأي من يخالفه^(٣).

فقال ﷺ: «ما ترون في هؤلاء الأسرى؟ إن الله قد أمكنكم منهم، وإنما هم إخوانكم بالأمس». فقال أبو بكر رضي الله عنه: يا رسول الله، أهلك وقومك، قد أعطاك الله الظفر ونصرك عليهم، هؤلاء بنو العم والعشيرة والإخوان استبقهم، وإنني أرى أن تأخذ الفداء

(١) سورة الأنفال، الآية: ٩.

(٢) زاد المعاد ج: ٣ / ١١١. الصالحي: سبل الهدى والرشاد، ٤ / ٧٣.

(٣) أبو بكر الصدّيق، محمد مال الله، ص ٣٢٥.

منهم، فيكون ما أخذنا منهم قوة لنا على الكفار، وعسى الله أن يهديهم بك، فيكونوا لك عضداً. فقال رسول الله ﷺ: «ما تقول يا بن الخطاب؟». قال: يا رسول الله، قد كذبوك وأخرجوك وقاتلوك، ما أرى ما رأى أبو بكر، ولكن أرى أن تمكيني من فلان - قريب لعمر - فأضرب عنقه وتمكن علياً من عقيل فيضرب عنقه، وتمكن حمزة من فلان - أخيه - حتى يضرب عنقه، ليعلم الله تعالى أنه ليست في قلوبنا مودة للمشركين، هؤلاء صنديد قريش وأئمتهم وقادتهم فاضرب أعناقهم، ما أرى أن يكون لك أسرى. وقال عبد الله بن رواحة الأنصاري: يا رسول الله، انظر وادياً كثير الحطب فأضرمه عليهم ناراً. فقال العباس وهو أسير يسمع ما يقول: قطعت رحمك. فدخل رسول الله ﷺ البيت، فقال أناس: يأخذ بقول أبي بكر، وقال أناس: يأخذ بقول عمر، وقال أناس: يأخذ بقول عبد الله بن رواحة، ثم خرج فقال: «إن الله تعالى ليلين قلوب أقوام فيه حتى تكون ألين من اللبن، وإن الله تعالى ليشد قلوب أقوام فيه حتى تكون أشد من الحجارة، مثلك يا أبا بكر في الملائكة مثل ميكائيل ينزل بالرحمة، ومثلك في الأنبياء مثل إبراهيم قال: ﴿فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(١) ومثلك يا أبا بكر مثل عيسى ابن مريم إذ قال: ﴿إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَلَهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(٢) ومثلك يا عمر في الملائكة مثل جبريل ينزل بالشدة والبأس والنقمة على أعداء الله تعالى، ومثلك في الأنبياء مثل نوح إذ قال: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنْ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾^(٣) ومثلك في الأنبياء مثل موسى، إذ قال: ﴿رَبَّنَا أَطْمَسَ عَلَيْنَا أَمْوَالَهُمْ وَأَشَدَّدَ عَلَيْنَا قُلُوبَهُمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾^(٤)»^(٥).

وقال ﷺ لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما: «لو اتفقتما ما خالفتكما، أنتم عالة فلا يفلتن منكم أحد إلا بفساد أو ضرب عنق». فهوي النبي ﷺ ما قال أبو بكر رضي الله عنه ولم يهوَ

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٣٦. (٢) سورة المائدة، الآية: ١١٨.

(٣) سورة نوح، الآية: ٢٦.

(٤) سورة يونس، الآية: ٨٨.

(٥) مسند أحمد (١/٣٧٣)، تفسير ابن كثير (٢/٣٢٥).

ما قال عمر رضي الله عنه^(١) ثم نزل القرآن يعاتب النبي ﷺ على أخذ الفداء من الأسرى دون قتلهم قبل أن يُنخن في الأرض. قال تعالى: ﴿ مَا كَانَتْ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَى حَتَّى يُنْخَنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾^(٢) أي يبالغ في قتل الكفار ﴿ تُرِيدُونَ ﴾ أيها المؤمنون ﴿ عَرَضَ الدُّنْيَا ﴾ حطامها بأخذ الفداء ﴿ وَاللَّهُ يُرِيدُ ﴾ لكم ﴿ الْآخِرَةَ ﴾ أي ثوابها بقتلهم ﴿ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ ثم عفا الله تعالى عن نبيه ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم وأقر فعلهم في أخذ الفداء فنزل قوله تعالى: ﴿ فَكُلُوا مِمَّا عَمِلْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَأَتَقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾^(٣) وقوله تعالى: ﴿ فَإِنَّمَا مَتَأٌ بَعْدَ وَإِنَّمَا فِدَاءٌ ﴾^(٤) ينسخ ما كان قبله من أحكام. واستعمل ﷺ على الأسرى يوم بدر شقران غلامه، فأخذوا من كل أسير ما لو كان حرًا ما أصابه في المقسم^(٥).

وقد تكلم الناس في أي الرأيين في الأسرى كان أصوب فرجحت طائفة قول عمر رضي الله عنه لهذا الحديث، ورجحت طائفة قول أبي بكر رضي الله عنه لاستقرار الأمر عليه وموافقته الكتاب الذي سبق من الله بإحلال ذلك لهم ولموافقته الرحمة التي غلبت الغضب، ولتشبيهه النبي ﷺ له في ذلك بإبراهيم وعيسى وتشبيهه لعمر بنوح وموسى ولحصول الخير العظيم الذي حصل بإسلام أكثر أولئك الأسرى ولخروج من خرج من أصلاهم من المسلمين، ولحصول القوة التي حصلت للمسلمين بالفداء ولموافقة رسول الله ﷺ لأبي بكر رضي الله عنه أولاً ولموافقة الله له آخرًا؛ حيث استقر الأمر على رأيه، ولكمال نظر الصدّيق رضي الله عنه فإنه رأى ما يستقر عليه حكم الله آخرًا وغلب جانب الرحمة على جانب العقوبة.

وأما بكاء النبي ﷺ فإنما كان رحمة لنزول العذاب لمن أراد بذلك عرض الدنيا ولم يرد ذلك رسول الله ﷺ ولا أبو بكر رضي الله عنه وإن أراد بعض الصحابة رضي الله عنهم

(١) الطبري: تاريخ، ٢ / ٤٧٥. شبير الباكستاني: عصر الصدّيق، ٤٦.

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٦٧. (٣) سورة الأنفال، الآية: ٦٩.

(٤) سورة محمد، الآية: ٤.

(٥) الصالحي: سبل الهدى والرشاد، ٤ / ٦١. الطبري: تاريخ، ٢ / ٤٧.

فالفتنة كانت تعم ولا تصيب من أراد ذلك خاصة، كما هزم عسكر المسلمين يوم حنين بقول أحدهم: لن نغلب اليوم من قلة ويأعجاب كثرتهم لمن أعجبتهم منهم فهزم الجيش بذلك فتنة ومحنة، ثم استقر الأمر على النصر والظفر والله أعلم^(١).

ولعل البعض يلتبس عليه الأمر في هذا الموقف الذي يشاهد فيه أبا بكر رضي الله عنه يميل إلى الليونة والرغبة في الإبقاء على حياة الأسرى المشركين، ولكن المتمعن في الموقف سرعان ما تزول عنه تلك الغرابة إذا علم أن شوكة المشركين قد كسرت، وأن الله تعالى قد من على المؤمنين بذلك النصر المؤزر الذي سقط فيه فراعنة قريش وقادة الشرك وأئمة العداوة لرسول الله ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم، فرؤية أبي بكر منبثقة من الواقع الجديد الذي أثمر بعد نصر المسلمين في بدر حيث تحقق الإجهاز على من كان يقف سدًا أمام انتشار الإسلام ويقود حرب الأذى والتضييق والحصار والتسفيه ضد رسول الله ﷺ وصاحبه رضي الله عنه فإن الصديق رأى بثاقب نظره أن بالإمكان الإفادة من أموال المشركين لدعم كيان المسلمين الناشئ وإضعاف قريش، وفي الوقت ذاته إمكانية الإفادة من طاقات رجالات قريش المميزة في قدراتها القيادية والسياسية والاجتماعية وغيرها، وهذا ما حصل في نهاية المطاف حيث دخلت قريش في الإسلام أفواجًا وهم عشيرة رسول الله ﷺ وصاحبه أبي بكر رضي الله عنه الذين استبدلوا عنادهم بالطاعة، وبغضهم بالمودة والمحبة، وحربهم ضد المسلمين بالحرب على المشركين، فكان في دخولهم الإسلام خير وبركة على الدين والأمة، ولا سيما من تمعن في موقفهم بعد وفاة رسول الله ﷺ وثباتهم على الإيمان، ومن ثم مساندة الراشدين والإسهام الفاعل في قيادة الفتوح وبناء الدولة الإسلامية وحراسة العقيدة وقيادة المؤمنين من القبائل ممن أسلم بعدهم، فكان كل ذلك خيرًا على المسلمين وعلى قريش وعلى قبائل العرب قاطبة التي تقبل جميعها الانقياد لقريش ولا تقبل ذلك لغيرها، وكل هذا يؤكد سعة الأفق السياسي عند خليفة رسول الله، وعميق فقهه

(١) ابن القيم: زاد المعاد ج: ٣ ص: ١١٢

لكل ما يجري على الساحة آنذاك من أحداث، ولا أدل على ذلك من موافقة رسول الله ﷺ له وهواه لموقفه من الأسرى، ومن ثم إقرار الوحي لكل ذلك حتى أصبح قرآنًا يتلى على ألسنة المؤمنين.

وكان من هدي النبي ﷺ في الأسرى:

أن من أسلم على شيء في يده فهو له ولم ينظر إلى سببه قبل الإسلام، بل يقره في يده كما كان قبل الإسلام، ولم يكن يضمن المشركين إذا أسلموا ما أتلفوه على المسلمين من نفس أو مال حال الحرب ولا قبله، واستوهب من سلمة بن الأكوع جارية نفله إياها أبو بكر رضي الله عنه في بعض مغازيه فوهبها له؛ فبعث بها إلى مكة ففدى بها ناسًا من المسلمين، ولم يكن أيضًا يرد على المسلمين أعيان أموالهم التي أخذها منهم الكفار قهراً بعد إسلامهم، بل كانوا يرونها بأيديهم ولا يتعرضون لها سواء في ذلك العقار أو المنقول، وكل هذا من هديه الذي لا شك فيه، وقد فعل ذلك كله بحسب المصلحة ففادى أسارى بدر بمال وقال: «لو كان المطعم بن عدي حيًّا ثم كلمني في هؤلاء التتني لتركتهم له»، وهبط عليه في صلح الحديبية ثمانون من المشركين متسلحين يريدون غرته فأسرهم ثم منّ عليهم فأطلقهم، وأسر ثمامة بن أثال سيد بني حنيفة فربطه بسارية المسجد ثم أطلقه فأسلم رضي الله عنه^(١).

وعزم الصدِّيق رضي الله عنه على تضمين المحاربين من أهل الردة ديات المسلمين الذين قتلوهم وأموالهم، فقال عمر رضي الله عنه: تلك دماء أصيبت في سبيل الله، وأجورهم على الله ولا دية لشهيد، فاتفق الصحابة على ما قال عمر رضي الله عنه^(٢) طمعًا في تأليف المرتدين وإعادتهم إلى ما خرجوا منه بعد أن رأوا من شدة أبي بكر رضي الله عنه على من خالف جماعة المؤمنين ورفض خلافة النبوة.

(١) ابن القيم: زاد المعاد ج: ٣/ ١١٠.

(٢) ابن القيم: زاد المعاد، ٣/ ١١٦، ٣/ ١٧٢.

في أحد:

ولما مضى عام من الزمن على موقعة بدر الكبرى، كانت قريش قد أتمت استعداداتها للثأر من المسلمين، فخرجت قريش ومعهم أبو عامر الراهب^(١) وكان عددهم ثلاثة آلاف فيهم سبعمائة دارع ومعهم مائتا فرس وثلاثة آلاف بعير، وكانت الظعن خمسة عشرة امرأة، فساروا حتى نزلوا ذا الحليفة، فأقاموا يوم الأربعاء والخميس والجمعة، وكان العباس بن عبد المطلب قد كتب إلى رسول الله ﷺ يخبره بأمر قريش، فلما علم المسلمون بذلك، بات سعد بن معاذ وسعد بن عباد وأسيد بن حضير، وهم سادة الأنصار وقادتهم رضي الله عنهم بباب رسول الله ﷺ في عدة من الناس، وحُرست المدينة، ورأى رسول الله ﷺ في الرؤية كأنه في درع حصينة وكان سيفه ذا الفقار قد انفصم، وكان يقرأ تذيح وكأنه مردف كبشاً، فأولها فقال: «أما الدرع فالمدينة، والبقر قتل في أصحابي، وانفصام سيفي مصيبة في نفسي، والكبش كبش الكتيبة نقتله إن شاء الله»، وكان رأيه ﷺ ألا يخرج من المدينة، وكان ذلك رأي الأكابر من أصحابه، وطلب فتیان أحداث لم يشهدوا بدرًا أن يخرجوا حرصًا على الشهادة فغلبوا على الأمر فصلى الجمعة ثم وعظهم وأمرهم بالجد والجهاد ثم صلى العصر، ثم دخل بيته ومعه أبو بكر وعمر فعمماه وألبسناه، وصف الناس له، وقد صف الناس له بين حجرته إلى منبره، ينتظرون خروجه، فخرج ﷺ قد لبس لأمته وأظهر الدرع وحزم وسطها بمنطقة من أدم واعتم وتقلد السيف ﷺ وألقى الترس في ظهره، فندموا جميعًا على ما صنعوا وقالوا: ما كان لنا أن نخالفك فاصنع ما بدا لك. فقال ﷺ: «لا ينبغي لنبي إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يحكم الله بينه وبين أعدائه، فامضوا على اسم الله، فلکم النصر إن صبرتم»^(٢).

فلما استعجل بعض المسلمين الغنيمة وخالف بعض الرماة أمر رسول الله ﷺ تغيرت

(١) أبو عامر الراهب، وسماه النبي ﷺ أبو عامر الفاسق لعدم إيمانه ولتعاونه مع المشركين بعدما فارق المدينة وقومه الأنصار وتعاون مع المشركين.

(٢) ابن الجوزي: المنتظم، ٣/ ٥٤. الصالحی: سبل الهدى: ٤/ ١٨٧.

صفحات المعركة واضطرب أمر المسلمين ففقدوا تلاحمهم فاستفرد الأعداء ببعض قاداتهم وركزوا هجمتهم على رسول الله ﷺ حتى صرخ صارخ أن قتل محمد ﷺ بعد استشهاد مصعب بن عمير رضي الله عنه، فتفرق عامة المسلمين وأذهلهم الخبر حتى لم يعد الكثير منهم قادرًا على أن يحدد وجهته بين تلك الأخطار ولم يعد البعض منهم يفرق بين المؤمنين والكافرين، فكانت جولة رهيبة على المسلمين اصطلى الكثير منهم بنارها ونال سبعون رجلًا منهم الشهادة.

وثبت معه ﷺ خمسة عشر رجلًا: ثمانية من المهاجرين: منهم أبو بكر رضي الله عنه وسبعة من الأنصار. ويقال: ثبت بين يديه يومئذ ثلاثون رجلًا كلهم يقول: وجهي دون وجهك، ونفسي دون نفسك، وعليك السلام غير مودع! (١) وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه لما كان يوم أحد انصرف الناس كلهم عن النبي ﷺ فكانت أول من فاء إلى النبي ﷺ فرأيت بين يديه رجلًا يقاتل عنه ويحميه، قلت: كن طلحة فذاك أبي وأمي، كن طلحة فذاك أبي وأمي، فلم أنشب أن أدركني أبو عبيدة بن الجراح وإذا هو يشتد كأنه طير حتى لحقني فدفعنا إلى النبي ﷺ فإذا طلحة بين يديه صريعًا فقال النبي ﷺ: «دونكم أخاكم فقد أوجب» وقد رمي النبي ﷺ في جبينه، وروي في وجنته حتى غابت حلقة من حلق المغفر في وجنته فذهبت لأنزعها عن النبي ﷺ فقال أبو عبيدة: نشدتك بالله يا أبا بكر إلا تركتني، قال: فأخذ أبو عبيدة السهم بفيه فجعل ينضضه كراهة أن يؤذي رسول الله ثم استل السهم بفيه فندرت ثنية أبي عبيدة، قال أبو بكر رضي الله عنه: ثم ذهبت لآخذ الآخر، فقال أبو عبيدة: نشدتك بالله يا أبا بكر إلا تركتني، قال: فأخذه فجعل ينضضه حتى استله فندرت ثنية أبي عبيدة الأخرى، ثم قال رسول الله ﷺ: «دونكم أخاكم فقد أوجب»، قال: فأقبلنا على طلحة نعالجه وقد أصابته بضعة عشر ضربة (٢).

(١) الصالحي: سبل الهدى: ٤ / ٢٠٠.

(٢) ابن القيم: زاد المعاد: ٣ / ٢٠٥. ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٧٦ / ٢٥.

وعن الطاهرة عائشة قالت: كان أبو بكر رضي الله عنه إذا ذكر يوم أحد قال: ذلك اليوم كله لطلحة بن عبيد الله رضي الله عنه. ثم قال: كنت ممن فاء إلى رسول الله ﷺ يوم أحد فأنتهيت إلى رسول الله ﷺ وقد كسرت رباعيته، وشج وجهه، وقد دخل في وجنته حلقتان من حلق المغفر، فقال رسول الله ﷺ: «عليكما صاحبكما»، يريد طلحة رضي الله عنه وقد نزع الدم فتركانه، فأصلحنا من شأن رسول الله ﷺ ثم أتينا طلحة في بعض تلك الحفر، فإذا به بضع وسبعون أو أقل أو أكثر من طعنة وضربة ورمية، وإذا قد قطعت إصبعه فأصلحنا من شأنه^(١).

وأقبل رسول الله نحو المسلمين وكان أول من عرفه تحت المغفر كعب بن مالك فصاح بأعلى صوته: يا معشر المسلمين، أبشروا هذا رسول الله ﷺ، فأشار إليه أن اسكت واجتمع إليه المسلمون^(٢) فلما عرفوا رسول الله ﷺ أقبلوا عليه. ولما رأوه سالمًا كأنهم لم يصيبهم شيء وفرحوا بذلك فرحًا شديدًا، ونهضوا به ونهض معهم نحو الشعب ومعه أبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، وطلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام، والحارث بن الصمة، ورهط من المسلمين^(٣).

نداء أبي سفيان بمقتل رسول الله ﷺ وصاحبيه:

فرح أبو سفيان لاعتقاده باستشهاد رسول الله ﷺ وصاحبيه الصديق والفاروق رضي الله عنهما، فلما انقضت الحرب يوم أحد أشرف على الجبل فنادى: أفيكم محمد؟ فلم يجيبوه فقال: أفيكم ابن أبي قحافة؟ فلم يجيبوه، فقال: أفيكم عمر بن الخطاب؟ فلم يجيبوه ولم يسأل إلا عن هؤلاء الثلاثة لعلمه وعلم قومه أن قوام الإسلام بهم فقال: أما هؤلاء فقد

(١) ابن حجر: المطالب العالية، (٤٣٢٧) والمتقي الهندي: الكنز (٣٠٠٢٥). الصالحي: سبل الهدى: ٢٠٠/٤.

(٢) ابن القيم: زاد المعاد، ٢٠١/٣.

(٣) الصالحي: سبل الهدى، ٢٠٨/٤ - ٢٢٣.

كفيتموهم، فلم يملك عمر نفسه أن قال: يا عدو الله إن الذين ذكرتهم أحياء، وقد أبقى الله لك ما يسوؤك، فقال: قد كان في القوم مثلة، لم أمر بها ولم تسؤني^(١).

ولعل اللافت في نداء أبي سفيان أن المشركين كانوا يعلمون من هم رؤوس الإسلام وقادته الذين يخشون سطوتهم وتدابيرهم وانقياد أمة المسلمين لهم، وهذا ما كان يعمل به المسلمون في عهد رسول الله ﷺ ومن بعده إلى هذا اليوم، وفي هذا الموقف يتجلى معنى قوله تعالى: ﴿ثَانِيًا أَتَيْنَ﴾ ليس فقط عند المسلمين، بل كذلك عند المشركين، ولعل في هذا الموقف ما يكشف زيف إسلام من يناصب أبا بكر وعمر العداء وينبه كل عاقل يزعم أنه مسلم إلى خطورة هذا الصنف المبغض لأصحاب محمد ﷺ وشدة عداوتهم للإسلام التي تجاوزوا فيها ما كان يعمل المشركون واليهود والمرتدون، فكل هؤلاء حاربيهم رسول الله ﷺ ومن ثم أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، ولكن لم يسمع السامعون من كل هؤلاء الكفار إلا الثناء العاطر والعرفان بسمو القيم وحميد خصال المؤمنين، بينما رافضو دين محمد ﷺ وسنته، ومبغضو أصحابه تجاوزوا في بهتانهم كل حد فانحدروا إلى هاوية الرفض والردة وحرب السنة المطهرة.

حمراء الأسد:

عن أم المؤمنين الطاهرة عائشة رضي الله عنها أنها قالت لعروة: لما أصاب رسول الله ﷺ وأصحابه ما أصابهم يوم أحد، وانصرف المشركون، خاف ﷺ أن يرجعوا. فقال: من يذهب في آثارهم؟ فانتدب سبعون رجلاً كان فيهم أبو بكر والزبير^(٢).

قال ابن كثير: هذا سياق غريب جداً، فإن المشهور عند أصحاب المغازي أن الذين خرجوا مع رسول الله ﷺ إلى حمراء الأسد كل من شهد أحداً، وكانوا سبعمائة كما تقدم،

(١) ابن القيم: زاد المعاد ج: ٣ / ٢٠٤.

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية، ٤ / ٥٢. الصالح: سبل الهدى والرشاد، ٤ / ٣١٤.

قتل منهم سبعون وبقي الباقيون. والظاهر والله أعلم أنه لا تخالف بين قول عائشة وما ذكره أصحاب المغازي، لأن معنى قولها: فانتدب منهم سبعون. أنهم سبقوا غيرهم، ثم تلاحق الباقيون، ولم ينبه على ذلك الحافظ في الفتح^(١).

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقْبَلُوا الْإِسْلَامَ وَمَا كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ قال ابن إسحاق: أي الجراح، وهم المؤمنون الذين ساروا مع رسول الله ﷺ الغد من يوم أحد إلى حمراء الأسد على ما بهم من الجراح^(٢).

بدر الموعد:

وسببها أن أبا سفيان بن حرب لما أراد أن ينصرف يوم أحد نادى: موعد ما بيننا وبينكم بدر الصفراء رأس الحول، نلتقي فيها فنقتل. فقال رسول الله ﷺ لعمر بن الخطاب: قل: نعم إن شاء الله، فافترق الناس على ذلك، ورجعت قريش فخبروا من قبلهم بالموعد. وكانت بدر الصفراء مجمعا للعرب، وسوقا تقوم لهلال ذي القعدة إلى ثمان ليالٍ تخلو منه، فإذا مضت ثمان ليالٍ تفرق الناس إلى بلادهم. فلما دنا الموعد كره أبو سفيان الخروج إلى رسول الله ﷺ، وأحب ألا يوافي رسول الله ﷺ الموعد، وكان أبو سفيان يظهر أنه يريد أن يغزو رسول الله ﷺ في جمع كثيف، فيبلغ أهل المدينة عنه أنه يجمع الجموع، وتسير في العرب، فيهاب المسلمون ذلك. وقدم نعيم بن مسعود الأشجعي مكة - وأسلم بعد ذلك - فبصر أبا سفيان وقريشا بتهيؤ المسلمين لحربهم. وكان عام جذب، فأعلمه أبو سفيان بأنه كاره للخروج إلى لقاء المسلمين، واعتل بجذب الأرض، وجعل لنعيم عشرين فريضة توضع تحت يد سهيل بن عمرو، على أن يخذل المسلمين عن المسير لموعده، وحمله على بعير. فقدم المدينة وأرجف بكثرة جموع أبي سفيان حتى أربع المسلمين، وهو يطوف فيهم

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، ٤/ ٣١٤.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٧٢.

(٣) ينظر: الخليفة: مهاجرة الحجاز، ١٥٨.

حتى قذف الرعب في قلوبهم، ولم يبق لهم نية في الخروج، واستبشر المنافقون واليهود، وقالوا: محمد لا يفلت من هذا الجمع، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ حتى خشى ألا يخرج معه أحد، وجاءه أبو بكر وعمر رضي الله عنهما وقد سمعا ما سمعا، وقالوا: يا رسول الله، إن الله تعالى مظهر دينه، ومعز نبيه، وقد وعدنا القوم موعدًا لا نحب أن نتخلف عنه، فيرون أن هذا جبن، فسر لموعدهم، فوالله إن في ذلك لخيرة، فسر رسول الله ﷺ بذلك، ثم قال: «والذي نفسي بيده لأخرجن وإن لم يخرج معي أحد». فنصر الله تعالى المسلمين، وأذهب عنهم ما كان الشيطان رعبهم.

ذكر خروج رسول الله ﷺ وأصحابه:

استخلف على المدينة عبد الله بن عبد الله بن أبي بن سلول فيما قاله ابن إسحاق. وقال محمد بن عمر: استخلف عبد الله بن رواحة. وخرج رسول الله ﷺ في ألف وخمسمائة، فيهم عدة أفراس، فرس لرسول الله ﷺ وفرس لأبي بكر، وفرس لعمر، وفرس لأبي قتادة، وفرس لسعيد بن زيد، وفرس للمقداد بن الأسود، وفرس للحباب بن المنذر، وفرس للزبير بن العوام، وفرس لعباد بن بشر رضي الله عنهم^(١).

وخرج المسلمون بتجارات لهم إلى بدر فربحت ربحًا كثيرًا. فانتهوا إلى بدر ليلة هلال ذي القعدة، وقام السوق صبيحة الهلال، فأقاموا ثمانية أيام، والسوق قائمة، وأقام رسول الله ﷺ على بدر ينتظر أبا سفيان لميعاده.

وخرج المشركون وهم ألفان ومعهم خمسون فرسًا، حتى انتهوا إلى مجنة^(٢) من ناحية الظهران، رجعوا بحجة الجذب وقلة المراعي، فسمى أهل مكة ذلك الجيش «جيش السوق». وانطلق معبد بن أبي معبد الخزاعي سريعًا، بعد انقضاء الموسم إلى مكة، فأخبر بكثرة المسلمين،

(١) ابن القيم: زاد المعاد: ٣/٢٤٨. ابن كثير: البداية والنهاية، ٤/٧٧. الصالحي: سبل الهدى

والرشاد، ٤/٣٣٧

(٢) مجنة: ينظر: ياقوت، معجم البلدان، ٤/٢٠٩.

وأنهم أهل ذلك الموسم، وأنهم ألقان. فأخذوا في الكيد والنفقة في قتال رسول الله ﷺ من جديد فاستجلبوا من حولهم من العرب، وجمعوا الأموال وضربوا البعث على أهل مكة، فلم يترك أحد منهم إلا أن يأتي بمال، ولم يقبل من أحد منهم أقل من أوقية لغزو الخندق.

ثم انصرف رسول الله ﷺ إلى المدينة، بعد أن أكرمه الله وأصحابه رضي الله عنهم بالأرياح وقذف الرعب في قلوب المشركين فلم يشاركوا في ذلك الموسم^(١) فكانت مشورة الصديق والفاروق رضي الله عنهما على رسول الله ﷺ بوجوب المسير إلى بدر الموعد بركة على المسلمين لما جلبت عليهم من المهابة والخير وإظهار الدين والقوة، ولما جلبت على المشركين من مظاهر الرعب والتمزق ونقض المواعيد ومعرفة القبائل العربية بكل ذلك.

في يوم قريظة:

وفي يوم قريظة كان أبو بكر رضي الله عنه بين يدي النبي ﷺ وهو يحاصرهم خمسًا وعشرين ليلة حتى إذا نزلوا من الحصار على حكم سعد بن معاذ رضي الله عنه قال سعد: اللهم إن كنت أبقيت على نبيك من حرب قريش شيئًا فأبقني لها، وإن كنت قطعت الحرب بينه وبينهم فاقبضني إليك، فانفجر كلمه وكان قد برئ حتى لا يرى منه إلا مثل الخرص، ورجع إلى قبته التي ضرب عليه رسول الله ﷺ، قالت الطاهرة عائشة رضي الله عنها: فحضره رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما فوالذي نفس محمد ﷺ بيده إني لأعرف بكاء عمر من بكاء أبي بكر وأنا في حُجرتي، وكانوا كما قال الله: ﴿رُحَمَاءَ بَيْنَهُمْ﴾^(٢) قال علقمة: فقلت: يا أمه فكيف كان رسول الله ﷺ يصنع؟ قالت: كانت عينه لا تدمع على أحد، ولكنه كان إذا وُجِدَ فإنما هو آخذ بلحيته. وهذا الحديث إسناده جيد وله شواهد من وجوه كثيرة^(٣).

(١) الصالحي: سبيل الهدى والرشاد، ٤/٣٣٨.

(٢) سورة الفتح، الآية: ٢٩.

(٣) الطبري: تاريخ الطبري، ٢/١٠٣.

غزوة خيبر:

الأسباب التي دعت المسلمين إلى المسير لفتح خيبر كثيرة؛ أبرزها سعي اليهود الدائم على التحريض وإقامة التحالفات على حرب المسلمين، لما نزل رسول الله ﷺ خيبر استسلم حصن ناعم بعد يومين من الحصار ثم استسلم حصن القموص ثم فتح المسلمون حصن الصعب بن معاذ وكان عليه خمسمائة مقاتل ثم فتحت حصون الشق والنطاة^(١) وغيرها من حصون خيبر حتى إذا استعصى بعضها على المسلمين، كان أول من أخذ راية النبي ﷺ أبو بكر رضي الله عنه فنهض بها فقاتل قتالاً شديداً ثم رجع فأخذها عمر رضي الله عنه فقاتل قتالاً شديداً ثم رجع، فقال ﷺ: «لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ﷺ ويحبه الله ورسوله ﷺ يفتح الله عليه» فتناولت لها قريش ورجا كل واحد منهم أن يكون صاحب ذلك فأصبح فجاء علي رضي الله عنه على بعير له حتى أناخ قريباً من خباء رسول الله ﷺ وهو أرمد وقد عصب عينيه بشقة برد قطري، فقال رسول الله ﷺ: «ما لك؟» قال: رمدت بعد. فقال رسول الله ﷺ: «ادن مني» فدنا فتقل في عينيه فما وجعهما حتى مضى لسبيله ثم أعطاه الراية فنهض بها حتى فتح الله عليه^(٢). ولما قسم رسول الله ﷺ أسهم خيبر على أصحابه رضي الله عنهم أسهم لأبي بكر رضي الله عنه مائة وسق من الغنائم^(٣).

سرية بشير بن سعد إلى الجناح:

ثم قدم حسيل بن نويرة وكان دليل النبي ﷺ إلى خيبر فقال له النبي ﷺ: «ما وراءك؟» قال: تركت جمعاً من يمن وغطفان وحيان وقد بعث إليهم عيينة بن حصن، إما أن تسيروا إلينا وإما أن نسير إليكم، فأرسلوا إليه أن سر إلينا وهم يريدونك أو بعض أطرافك، فدعا رسول الله ﷺ أبا بكر وعمر فذكر لهما ذلك فقالا جميعاً: ابعث بشير بن سعد. فعقد له لواء وبعث معه ثلاثمائة رجل وأمرهم أن يسيروا الليل ويكمنوا النهار، وخرج معهم حسيل دليلاً

(١) ينظر: الخليفة: مهاجرة الحجاز تكوينهم وأنهم في بناء الدولة في عصر الرسول ﷺ، ١٨٨.

(٢)، (٣) الطبري: تاريخ، ١٣٧/٢.

فساروا الليل وكمنوا النهار حتى أتوا أسفل خيبر حتى دنوا من القوم فأغاروا على سرحهم وبلغ الخبر جمعهم ففترقوا فخرج بشير في أصحابه حتى أتى محالهم فوجدها ليس بها أحد فرجع بالنعم، فلما كانوا بسلاح لقوا عيناً لعينته فقتلوه ثم لقوا جمع عينته وعينته لا يشعر بهم فناوشوهم ثم انكشف جمع عينته وتبعهم أصحاب رسول الله ﷺ فأصابوا منهم رجلين فقدموا بهما على النبي ﷺ فأسلما فأرسلهما وقال الحارث بن عوف لعينته وقد لقيه منهزماً تعدو به فرسه: قف. قال: لا أقدر، خلفي الطلب. فقال له الحارث: أما آن لك أن تبصر بعض ما أنت عليه، وأن محمداً قد وطئ البلاد وأنت توضع في غير شيء. قال الحارث: فأقمت من حين زالت الشمس إلى الليل وما أرى أحداً، ولا طلبوه إلا الرعب الذي دخله^(١).

غزوة رسول الله ﷺ وادي القرى:

لما فتح رسول الله ﷺ خيبر عنوة بعد القتال وكانت خيبر مما أفاء الله على رسوله ﷺ خمّسها رسول الله ﷺ وقسمها بين المسلمين ونزل من نزل من أهلها على الجلاء بعد القتال، فدعاهم رسول الله ﷺ فقال: «إن شئتم دفعنا إليكم هذه الأموال - المزارع والبساتين - على أن تعملوها وتكون ثمارها بيننا وبينكم وأقركم ما أقركم الله» فقبلوا فكانوا على ذلك يعملونها وكان رسول الله ﷺ يبعث عبد الله بن رواحة الأنصاري رضي الله عنه فيقسم ثمرها ويعدل عليهم في الخرص، فلما توفي الله عز وجل نبيه ﷺ أقرها أبو بكر رضي الله عنه بعد النبي ﷺ في أيديهم على المعاملة التي كان عاملهم عليها رسول الله ﷺ حتى توفي ثم أقرها عمر رضي الله عنه صدر إمارته، ثم بلغ عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال في وجعه الذي قبض فيه: «لا يجتمعن بجزيرة العرب دينان»^(٢). ففحص عمر رضي الله عنه عن ذلك حتى بلغه الثبت فأرسل إلى يهود أن الله قد أذن في إجلائكم، فقد بلغني أن رسول الله ﷺ قال: «لا يجتمعن بجزيرة العرب دينان» فمن كان عنده عهد من رسول الله ﷺ فليأتني به أنفذه

(١) ابن القيم: زاد المعاد: ٣/٣٦٣. الخليفة: مهاجرة الحجاز، ١٦٣.

(٢) ابن هشام: السيرة النبوية، ٤/٣٢٩. ابن كثير: البداية والنهاية، ٤/٢١٩.

له، ومن لم يكن عنده عهد من رسول الله ﷺ من اليهود فليتجهز للجلاء فأجلى عمر رضي الله عنه من لم يكن عنده عهد من رسول الله ﷺ منهم^(١).

سرية أبي بكر الصديق رضي الله عنه إلى بني كلاب بنجد:

عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال: غزوت مع أبي بكر رضي الله عنه إذ بعثه النبي ﷺ أميرًا علينا، في سرية إلى بني كلاب بنجد، بناحية ضرية^(٢) في شعبان سنة سبع من مهاجر رسول الله ﷺ فسبى ناسًا من المشركين، فقتلناهم، وكان شعارنا: أمت أمت. قال: فقتلت بيدي سبعة أهل أبيات من المشركين.

سرية أبي بكر إلى قوم من بني فزارة:

وقال سلمة بن الأكوع رضي الله عنه: بعث رسول الله ﷺ أبا بكر إلى فزارة، وخرجت معه، حتى إذا ما صلينا الصبح أمرنا فشننا الغارة، فوردنا الماء، فقتل أبو بكر رضي الله عنه من قتل ونحن معه، قال سلمة: فرأيت عنقًا من الناس، فمنهم الذراري، فخشيت أن يسبقوني إلى الجبل، فأدركتهم، فرميت بسهم بينهم وبين الجبل، فلما رأوا السهم قاموا، فإذا امرأة من فزارة فيهم عليها قشع من آدم، معها ابنتها من أحسن العرب، فجئت أسوقهم إلى أبي بكر، فنفلني أبو بكر رضي الله عنه ابنتها، فلم أكشف لها ثوبًا، حتى قدمت المدينة، ثم باتت عندي، فلم أكشف لها ثوبًا، حتى لقيني رسول الله ﷺ في السوق، فقال: «يا سلمة، هب لي المرأة». فقلت: يا نبي الله والله لقد أعجبتني وما كشفت لها ثوبًا. فسكت حتى كان من الغد لقيني

(١) الطبري: تاريخ، ١٤١/٢.

(٢) قرية في طريق مكة من البصرة من نجد، وضرية بئر. قال الشاعر:

فأسقاني ضرية خير بئر نميح الماء والجبب الثؤاما

وقيل امرأة، قال الشاعر:

وأسي ذات الخير بنت ربيعة ضرية من عيص السماحة والمجد

ياقوت: معجم البلدان، ٢٢٨/٣.

رسول الله ﷺ في السوق، لم أكشف لها ثوبًا. فقال: «يا سلمة هب لي المرأة لله أبوك». قال: فقلت: هي لك يا رسول الله. قال: فبعث بها رسول الله ﷺ إلى مكة ففدى بها أسرى من المسلمين كانوا في أيدي المشركين^(١).

بنو النضير:

وكان سبب غزوة بني النضير أن النبي ﷺ خرج إليهم ليعينوه في دية رجلين قتلتهما عمرو بن أمية الضمري رضي الله عنه لما كان بينه وبينه ﷺ وبينهم من الحلف، فلما فاتحهم النبي ﷺ بذلك قالوا: نعم، وجلس رسول الله ﷺ وطائفة من أصحابه، ثم خلا اليهود بعضهم ببعض فقالوا: إنكم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذه - ورسول الله ﷺ إلى جنب جدار من بيوتهم قاعد - فَمَنْ رَجُلٌ يعلو على هذا البيت فيُلقي عليه صخرة ويُرِيحنا منه؟ فانتدب لذلك الشقي عمرو بن جحاش بن كعب فقال: أنا لذلك، فصعد لِيُلقي عليه صخرة كما قال، ورسول الله ﷺ في نَفَرٍ من أصحابه، فيهم أبو بكر وعمر وعلي رضي الله عنهم فأتى رسول الله الخبر من السماء بما أراد القوم، فقام وخرج راجعًا إلى المدينة، فلما استلبث النبي ﷺ أصحابه قاموا في طلبه فلقوا رجلاً مقبلًا من المدينة، فسأله عنه فقال: رأيت داخلًا المدينة، فأقبل أصحاب رسول الله ﷺ حتى انتهوا إليه، فقال أبو بكر: يا رسول الله، قمت ولم نشعر، فقال رسول الله ﷺ: «همت يهود بالغدر بي، فأخبرني الله تعالى فقامت». قال الواقدي: فبعث رسول الله ﷺ محمد بن مسلمة الأنصاري رضي الله عنه يأمرهم بالخروج من جواره وبلده. فلما لم يفعلوا تجهز رسول الله ﷺ وخرج بنفسه لحربهم فحاصرهم ست ليالٍ، واستعمل على المدينة عبد الله بن أم مكتوم رضي الله عنه وبقي محاصرًا لهم حتى قبلوا الجلاء عن المدينة فأجلاهم، وأنزل الله في ذلك قوله تعالى: ﴿يَتَأَيَّمُوا لَدِينِ آبَائِكُمُ الَّذِينَ يَدْعُونَكُم بِآلِهَتِهِمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي يَخْلُقُكُمْ فِي مَنَازِلِكُمْ فَأَتَىٰ بِكُلِّ جُنَّةٍ أَزْوَاجًا ثَلَثًا ۚ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾. قال ابن كثير: «أما قوله تعالى: ﴿يَتَأَيَّمُوا لَدِينِ آبَائِكُمُ الَّذِينَ يَدْعُونَكُم بِآلِهَتِهِمْ﴾ فالتأيم هو التوجه إلى جهة ما، والتأيماء هي الجهة التي يتوجه إليها، والتأيماء هي الجهة التي يتوجه إليها، والتأيماء هي الجهة التي يتوجه إليها».

(١) ابن سيد الناس، عيون الأثر، ٢/ ٢٠٠. مسلم: صحيح مسلم، كتاب الجهاد والبر، باب التنفيل وفداء المسلمين بالأسارى، ح (١٧٥٥). ابن كثير: السيرة، ٣/ ٤١٧. البداية والنهاية، ٤/ ٢١٩.

عَنْكُمْ^١ وَأَتَقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ وروى أن أبا بكر رضي الله عنه كان على الجيش الذي حاصر بني النضير وروى أنه علي رضي الله عنه، وبعد جلاء بني النضير قال رسول الله ﷺ للأنصار: «ليس لإخوانكم من المهاجرين أموال، فإن شئتم قسمتم هذه وأموالكم بينكم وبينهم جميعاً، وإن شئتم أمسكتم أموالكم وقسمت هذه فيهم خاصة». فقال الأنصار رضي الله عنهم: «بل اقسم هذه فيهم واقسم لهم من أموالنا ما شئت». فنزل قوله تعالى: ﴿وَيُؤْتِرُونَكَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾^(٢) وقال أبو بكر رضي الله عنه: جزاكم الله يا معشر الأنصار خيراً، فوالله ما مثلنا ومثلكم إلا كما قال الغنوي:

جزى الله عنا جعفرًا حين أزلقت بنا نعلنا في الواطئين فزلت
أبوا أن يملونا ولو أن أمنا تلاقي الذي يلقون منا لملت^(٣)

ومن خلال هذه الصور الرائعة الرائقة تظهر نوعية العلاقة بين المهاجرين والأنصار، تلك العلاقة الأخوية التي يسقط تحت معانيها كل زيف وإفك اقترفته ألسنة أعداء الصحابة لتشويه وحدة الأمة التي دون معانيها المهاجرون بوفائهم وتعففهم والأنصار بكرمهم وإخلاصهم.

غزوة ذي قرد وهي الغابة:

والسبب في تلك الغزوة إغارة عيينة بن حصن بن حذيفة الفزاري في خيل غطفان على لقاح رسول الله ﷺ قال محرز بن نضلة قبل أن يلقي العدو بيوم: رأيت السماء فرجت لي حتى دخلت في السماء الدنيا، حتى انتهيت إلى السماء السابعة، ثم انتهيت إلى سدرة المنتهى، فقيل لي: هذا منزلك، فعرضتها على أبي بكر الصديق رضي الله عنه وكان من أعبّر الناس للرؤيا فقال: أبشر بالشهادة. فقتل بعد ذلك بيوم^(٤).

(١) سورة المائدة، الآية: ١١.

(٢) سورة الحشر، الآية: ٩.

(٣) الصالحي: سبل الهدى، ٤ / ٣٢٤، البلاذري: فتوح البلدان، ١ / ٢٢٤.

(٤) الصالحي: سبل الهدى، ٥ / ٩٥.

وكان أبو بكر رضي الله عنه في ذلك اليوم بين يدي رسول الله ﷺ فلما قتل أبو قتادة الأنصاري رضي الله عنه مسعدة الفزاري بعد أن لحق بمن هاجم لقاح رسول الله ﷺ في الغابة أدرجه في برده وأخذ ثيابه وفرسه وسلاحه فلحق بالمشركين يستنقذ منهم اللقاح، وكانت فرسه قد عرقت فلما نظر إليهم العسكر فروا. قال: فلما انتهوا إلى موضع المعسكر إذا بفرس أبي قتادة قد عرقت، ثم أقبل رسول الله ﷺ وأصحابه في طلب القوم حتى إذا انتهوا إلى الموضع الذي سجد فيه أبو قتادة قتيله في ثيابه، قال رجل من الصحابة: يا رسول الله، قد استشهد أبو قتادة، فقال رسول الله ﷺ: «رحم الله أبا قتادة، والذي أكرمني بما أكرمني به إن أبا قتادة على آثار القوم يرتجز» فدخلهم الشيطان أنهم ينظرون إلى الفرس قد عرقت، وينظرون إليه فيما يحسبون مسجى عليه ثيابه. قال: فخرج أبو بكر وعمر رضي الله عنهما يسعيان حتى كشفا الثوب، فإذا وجه مسعدة الفزاري. فقالا: الله أكبر، صدق الله ورسوله، مسعدة يا رسول الله. فكبر الناس، ولم ينشب أن طلع عليهم أبو قتادة يحوش اللقاح، فقال رسول الله ﷺ: «أفلح وجهك يا أبا قتادة»^(١).

في سرية زيد بن حارثة رضي الله عنه إلى القردة:

القردة: بالقاف ويقال بالفاء، ماء من مياه نجد، كانت في أول جمادى الآخرة سنة ثلاث من الهجرة، وهي أول سرية خرج فيها زيد أميراً. وسببها أن قريشاً لما كانت وقعة بدر خافوا طريقهم الذي كانوا يسلكونه إلى الشام، فسلكوا طريق العراق فاعترضهم زيد فأسر منهم وكان في الأسارى فرات بن حيان، وكان أسر يوم بدر، فأفلت على قدميه، فكان الناس عليه أحنق شيء. وكان الذي بينه وبين أبي بكر رضي الله عنه حسناً، فقال له: أما أن لك أن تقصر؟ قال: إن أفلت من محمد هذه المرة لم أفلت أبداً. فقال له أبو بكر رضي الله عنه فأسلم. فأتى به رسول الله ﷺ فأسلم، فتركه رسول الله ﷺ^(٢).

(١) الصالحى: سبل الهدى والرشاد، ٤/١٠٠. البيهقي: الدلائل ٤/١٩٣. القاضي عياض: الشفاء ١/٦٢٨.

(٢) الصالحى: سبل الهدى والرشاد، ٦/٣٢.

سرية أبي بكر الصديق رضي الله عنه إلى بني فزارة بوادي القرى:

عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال: غزونا فزارة وعلينا أبو بكر رضي الله عنه أميرًا أمره رسول الله ﷺ فلما كان بيننا وبين الماء ساعة أمرنا أبو بكر رضي الله عنه فعرسنا، ثم شن الغارة فورد الماء فقتل من قتل عليه فأنظر إلى عنق من الناس فيهم الذراري، فخشيت أن يسبقوني إلى الجبل فرميت بسهم بينهم وبين الجبل، فلما رأوا السهم وقفوا فجئت بهم أسوقهم وفيهم امرأة من بني فزارة عليها ثياب قشع من آدم، معها ابنة لها من أحسن العرب. فسقتهم حتى أتيت أبا بكر. فنفلني أبو بكر ابنتها^(١).

الخدق:

ويوم غزوة الأحزاب اضطر المسلمون إلى أن يصنعوا المعوقات أمام زحف الطغاة المشركين، فكان الاتفاق على حفر الخندق في أيام معدودات فتكاثفت الجهود وتضافرت الأيدي على إنجاز المهام. قال البراء رضي الله عنه: لقد رأيت رسول الله ﷺ يحمل التراب على ظهره، حتى حال التراب بيني وبينه ﷺ. وكان من فرغ من المسلمين من حصته عاد إلى غيره فأعانه حتى كمل الخندق. ولم يتأخر عن العمل في الخندق أحد من المسلمين، وكان أبو بكر وعمر رضي الله عنهما ينقلان التراب في ثيابهما، إذ لم يجدا مكاتل من العجلة، وكانا لا يفترقان في عمل، ولا مسير ولا منزل.

وكان رسول الله ﷺ من شدة اجتهاده في العمل يضرب مرة بالمعول ومرة يغرف بالمسحاة التراب، ومرة يحمل التراب في المکتل، وبلغ منه التعب يومًا مبلغًا، فجلس ثم اتكأ على حجر على شقه الأيسر فنام: فقام أبو بكر وعمر رضي الله عنهما على رأسه ينحيان الناس عنه، أن يمروا به، فينبهوه، ثم استيقظ ووثب فقال: «أفلا أفرعتموني!» وأخذ

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، ٤/ ١٢٥. مسلم: ك. الجهاد والبر، ح (١٧٥٥). الصالحي: سبيل

الهدى، ٦/ ٩٢.

الكرزن يضرب به ويقول: «اللهم إن العيش عيش الآخرة فاغفر للأنصار والمهاجرة». وعمل المسلمون في الخندق حتى أحكموه في ستة أيام. وكان الخندق بسطة أو نحوها.

وعن حذيفة رضي الله عنه وقد ذكر مشاهدتهم مع رسول الله ﷺ فقال جلساؤه: أما والله لو شهدنا ذلك لكننا فعلنا وفعلنا. وفي لفظ: فقال رجل: لو أدركت رسول الله ﷺ لقاتلت معه وأبليت. فقال حذيفة: لا تتمنوا ذلك، لقد رأيتنا ليلة الأحزاب ونحن صافون قعود، وأبو سفيان ومن معه من الأحزاب فوقنا، وقرينة اليهود أسفل منا نخافهم على ذرارينا، وما أتت علينا ليلة قط أشد ظلمة، ولا أشد ريحاً منها، وفي أصوات ريحها أمثال الصواعق، وهي ظلمة ما يرى أحدنا إصبغه، فجعل المنافقون يستأذنون رسول الله ﷺ ويقولون ما ذكره الله تعالى: ﴿إِنَّ يَتُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾^(١) فما يستأذنه أحد منهم إلا أذن له، فيتسللون، ونحن ثلاثمائة أو نحو ذلك، فاستقبلنا رسول الله ﷺ رجلاً رجلاً، يقول: «ألا رجل يأتيني بخبر القوم يكون معي يوم القيامة»، وفي لفظ: «جعل الله رفيق إبراهيم يوم القيامة» فلم يجبه منا أحد، ثم الثانية، ثم الثالثة مثله. فقال أبو بكر رضي الله عنه: يا رسول الله ابعث حذيفة، فقلت: دونك والله، فمر علي رسول الله ﷺ وما علي جنة من العدو ولا من البرد إلا مرطاً لا مرأتى ما يجاوز ركبتي - أي لا درع ولا ثياب - قال: فأتاني وأنا جاثٍ على ركبتي فقال: «من هذا؟» فقلت: حذيفة، قال رسول الله ﷺ: «حذيفة». فقال حذيفة: فتقاصرت للأرض، فقلت: بلى يا رسول الله، كراهية أن أقوم، قال: «قم»، فقلت: «إنه كائن في القوم خير، فأتني بخبر القوم». فقلت: والذي بعثك بالحق، ما قمت إلا حياء منك من البرد. قال: «لا بأس عليك من حر ولا برد حتى ترجع إلي». قال: وأنا من أشد الناس فزعا وأشدهم قرأ، فقلت: والله ما بي أن أقتل، ولكن أخشى أن أوسر، فقال: «إنك لن تؤسر»، قال: فخرجت، فقال: «اللهم احفظه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه، وعن شماله، ومن فوقه ومن تحته». قال: فوالله ما خلق الله تعالى في جوفي فزعا

(١) سورة الأحزاب، الآية: ١٣.

ولا قرأ إلا خرج، فما أجد فيه شيئاً، فمضيت كأنما أمشي في حمام. فجاءه رضي الله عنه بخبر القوم^(١).

الحديبية:

خرج النبي ﷺ عام الحُدَيْبِيَّة في بضع عشرة مائة من أصحابه، فلما أتى ذا الحليفة قلَّد الهدي الذي ساقه معه وأشعره وأحرم منها بعمرة، وبعث عيناً له من خِزَاعَة، وسار النبي ﷺ حتى إذا كان بغدير الأشطاط^(٢) أتاه عينه قال: إن قريشاً قد جمعوا لك جمعوا لك جمعوا لك الأحابيش وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت ومانعوك، فقال: «أَشِيرُوا أَيُّهَا النَّاسُ عَلَيَّ، أَتَرُونَ أَنْ أَمِيلَ إِلَى عِيَالِهِمْ وَذُرَارِي هَوْلَاءِ الَّذِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَصُدُّونَا عَنِ الْبَيْتِ، فَإِنْ يَأْتُونَا كَانَ اللَّهُ قَدْ قَطَعَ عَيْنًا مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَإِلَّا تَرَكْنَاهُمْ مَحْرُوبِينَ». قال أبو بكر: يا رسول الله، خرجت عامداً لهذا البيت لا نريد قتل أحد ولا حرب أحد، فتوجه له فمن صدنا عنه قاتلناه. قال: «امضوا عَلَيَّ اسْمِ اللَّهِ»^(٣). وروي أن قام ﷺ في المسلمين فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: «أما بعد، يا معشر المسلمين أشيروا علي؛ أترون أن نميل إلى ذراري هؤلاء الذين أعانوهم فنصيبهم». وقال ﷺ: «فإن قعدوا قعدوا موتورين محروبين وإن يأتونا تكن عنقاً - وفي لفظ: عيناً - قطعها الله؟ أم ترون أن نؤم البيت فمن صدنا عنه قاتلناه؟». فقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: الله ورسوله أعلم، يا رسول الله إنما جئنا معتمرين ولم نجئ لقتال أحد، ونرى أن نمضي لوجهنا، فمن صدنا عن البيت قاتلناه، ووافقه على ذلك أسيد بن الحضير الأنصاري رضي الله عنه^(٤) فأقر النبي ﷺ ذلك. حتى إذا بلغ ثنية المُرَارِ مهبط الحديبية من أسفل مكة بركت ناقته ﷺ فقال: «حبسها حابس الفيل عن مكة، لا تدعوني قريش اليوم إلى

(١) الصالحي: سبل الهدى والرشاد، ٤ / ٣٦٥، ابن كثير: تفسير سورة الأحزاب، ٣ / ٤٧٢.

(٢) غدِير الأشطاط قريب من عسفان قال عبيد الله بن قيس الرقيات:

فغدِير الأشطاط منها محل بمسْفان منزل معلوم

(٣) البخاري بشرح فتح الباري: كتاب: المغازي، باب غزوة الحديبية، ح (٤١٧٩).

(٤) الصالحي: سبل الهدى، ٥ / ٣٨.

خطة يسألوني منها صلة الرحم إلا أعطيتهم إياها»^(١). وهناك تبادل الرسل مع قريش، فاتاه بديل بن ورقاء الخزاعي ومعه رجال من خزاعة فأخبرهم ﷺ أنه جاء معظمًا للبيت لا يريد حربًا فقام بديل بإبلاغ قريش ما سمعه من رسول الله ﷺ فقال عروة بن مسعود الثقفي: إن هذا قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها ودعوني آته. فقالوا: آتته. فلما أذنوا له قال: يا معشر قريش إني قد رأيت ما يلقي منكم من بعثتموه إلى محمد إذ جاءكم من التعنيف وسوء اللفظ، وقد عرفتم أنكم والد وأني ولد، وكان عروة لسبيعة بنت عبد شمس، وقد سمعتُ بالذي نابكم، فجمعت من أطاعني من قومي ثم جئتكم حتى آسيتكم بنفسي. قالوا: صدقت، ما أنت عندنا بمتهم. فخرج حتى أتى رسول الله ﷺ فجلس بين يديه^(٢) فقال: يا محمد، تركت كعب بن لؤي وعامر بن لؤي على إعداد مياه الحديدية، معهم العوذ المطافيل قد استنفروا لك الأحابيش ومن أطاعهم، قد لبسوا جلود النمرور، وهم يقسمون بالله لا يخلون بينك وبين البيت حتى تجتاحهم، وجعل يكلمه فقال له النبي نحوًا من قوله لبديل فقال له عروة عند ذلك: أي محمد رأيت لو استأصلت قومك هل سمعت بأحد من العرب اجتاح أهله قبلك؟ وإن تكن الأخرى فوالله إني لأرى وجوهاً وأرى أوشابًا من الناس خليقًا أن يفروا ويدعوك، فَرَدَّ عليه أبو بكر رضي الله عنه بما يسكته عن التشكيك بإخلاص أصحاب رسول الله ﷺ قائلاً بلغة يفهمها أهل الجاهلية تمامًا: امصص بظر اللات أنحن نفرُّ عنه ﷺ وندعه! قال عروة: من ذا؟ قالوا: أبو بكر. قال: أما والذي نفسي بيده لولا يد كانت لك عندي لم أجرك بها لأجبتك. وكان عروة قد استعان في حمل دية فأعانه الرجل بالفريضتين والثلاث، وأعانه أبو بكر رضي الله عنه بعشر فرائض فكانت هذه يد أبي بكر عند عروة^(٣).

وفي قول الصديق رضي الله عنه لعروة: امصص بظر اللات دليل على جواز التصريح باسم العورة إذا كان فيه مصلحة تقتضيها تلك الحال، كما أذن النبي أن يصرح لمن ادعى

(١) هارون: تهذيب سيرة ابن هشام، ١٩٦.

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية، ١٦٩/٤.

(٣) ابن القيم: زاد المعاد: ٢٩٢/٣، الصالح: سبل الهدى، ٤٥/٥.

دعوى الجاهلية بهن أبيه، ويقال له: اعضض أير أبيك ولا يكنى له، فلكل مقام مقال^(١). وقوله امصص: فعل أمر، والبظر: قطعة تبقى بعد الختان في فرج المرأة. واللات: اسم معروف لأحد الأصنام التي كانت قريش وثقيف يعبدونها، وكانت عادة العرب الشتم بذلك، لكن بلفظ الأم، فأراد أبو بكر المبالغة في سب عروة بإقامة من كان يعبد مقام أمه، وحمله على ذلك ما أغضبه من نسبة المسلمين إلى الفرار، وفيه جواز النطق بما يستشنع من الألفاظ لإرادة زجر من بدا منه ما يستحق به ذلك^(٢) ومعلوم أن عروة كان يقول ذلك من باب الحرب النفسية، وإلا فإن قوله لما رجع إلى قريش يدل على انبهاره بما شاهد وسمع من النظام والطاعة وحسن الصحبة وشدة التعظيم والمحبة لرسول الله من أصحابه رضي الله عنهم، وأنه لم يشاهد في مجالس كسرى المجوس وقيصر الصليبيين ما شاهده بين يدي رسول الله ﷺ من الهيبة والإجلال والتواضع والألفة والتلاحم، حتى قال: والله ما رأيت ملكاً في قوم قط مثل محمد في أصحابه، ولقد رأيت قوماً لا يسلمونه لشيء أبداً فرؤا رأيكم^(٣).

ثم استمرت الرسل بين قريش وبين رسول الله ﷺ والمسلمين حتى جاء سهيل بن عمرو وأخو عامر بن لؤي فصالحه رسول الله ﷺ على شروط رأى المسلمون فيها إجحافاً بحقهم، ومنها قول سهيل: على ألا يأتيك منا رجل وإن كان على دينك إلا رددته إلينا فقال المسلمون: سبحان الله، كيف يرد إلى المشركين وقد جاء مسلماً؟! فبينا هم كذلك إذ جاء أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف في قيوده قد خرج من أسفل مكة حتى رمى بنفسه بين ظهور المسلمين. فقام إليه المسلمون يرحبون به ويهنتونه، فلما رآه أبوه سهيل قام إليه فضرب وجهه بغصن شوك وأخذ بتلابيبه، ثم قال: يا محمد، هذا أول ما أقاضيك عليه أن ترده. فقال رسول الله ﷺ: «إنا لم نقض الكتاب بعد». قال: فوالله إذاً لا أصالحك على شيء أبداً. قال: «فأجزه لي». قال: ما أنا بمجيزه لك. قال: «بلى فافعل». قال: ما أنا بفاعل. فقال

(١) ابن القيم: زاد المعاد، ٣/ ٣٠٥.

(٢) الصالحي: سبل الهدى، ٥/ ٨٨. واليد: النعمة والإحسان. لم أجزك بها: لم أكافئك بها.

(٣) تهذيب سيرة ابن هشام: ١٩٨. ابن كثير: البداية والنهاية، ٤/ ١٦٧.

مركز وحويطب: بلى قد أجزناه لك. فأخذاه فأدخله فسطاطاً فأجازاه وكف عنه أبوه.

فقال أبو جندل: يا معشر المسلمين أرد إلى المشركين وقد جئت مسلماً! ألا ترون ما لقيت؟ وكان قد عذب في الله عذاباً شديداً، فرفع رسول الله ﷺ صوته وقال: «يا أبا جندل، اصبر واحتسب فإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً، إنا قد عقدنا مع القوم صلحاً وأعطيناهم وأعطينا على ذلك عهداً، وإنا لا نغدر». ومشى عمر بن الخطاب إلى جنب أبي جندل، وقال له: اصبر واحتسب فإنما هم المشركون وإنما دم أحدهم دم كلب، وجعل عمر يذني قائم السيف منه. قال عمر: رجوت أن يأخذ السيف فيضرب به أباه. قال: فضن الرجل بأبيه^(١).

قال عمر رضي الله عنه: فأتيت النبي فقلت: يا رسول الله، ألسنت نبي الله حقاً؟ قال: «بلى». قلت: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟ قال: «بلى». قلت: علام نعطي الدنية في ديننا إذا ورجع ولما يحكم الله بيننا وبين أعدائنا؟ فقال ﷺ: «إني رسول الله وهو ناصرني ولست أعصيه». قلت: أولست كنت تحدثنا أنا سنأتى البيت ونطوف به؟ قال: «بلى، أفأخبرت أنك تأتية العام؟». قلت: لا. قال: «فإنك آتية ومطوف به». قال: فأتيت أبا بكر فقلت له كما قلت لرسول الله ورد علي أبو بكر كما رد علي رسول الله سواء وزاد: فاستمسك بغرزه حتى تموت، فوالله إنه لعلى الحق. قال عمر: فعملت لذلك أعمالاً^(٢). أي تكفيراً لما حصل من موقف متشدد ضد المشركين بين يدي رسول الله ﷺ.

وقال رضي الله عنه: ما زلت أصوم وأتصدق وأصلي وأعتق من الذي صنعت يومئذ مخافة كلامي الذي تكلمته يومئذ، حتى رجوت أن يكون خيراً^(٣).

- (١) ابن حنبل: المسند، ح (١٨٩٣٠)، الصالحي: سبل الهدى، ٥٦/٥. وينظر: البخاري بشرح فتح الباري: كتاب: المغازي، باب غزوة الحديبية، ح (٤١٨١).
- (٢) ابن القيم: زاد المعاد، ٣/٢٩٥، الصالحي: سبل الهدى، ٥٥/٥.
- (٣) ابن كثير: البداية والنهاية، ٤/١٧٣.

وقد تحدث أبو بكر الصديق رضي الله عنه فيما بعد عن هذا الفتح العظيم الذي تم في الحديبية. فقال: ما كان فتح أعظم في الإسلام من فتح الحديبية ولكن الناس يومئذ قصر رأيهم عما كان بين محمد ﷺ وربه، والعباد يعجلون، والله لا يعجل كعجلة العباد حتى يبلغ الأمور ما أراد، لقد نظرت إلى سهيل بن عمرو في حجة الوداع قائمًا عند المنحرف يقرب إلى رسول الله بدنه، ورسول الله ينحرفها بيده ودعا الحلاق فحلق رأسه وأنظر إلى سهيل يلتقط من شعره، وأراه يضعه على عينه وأذكر إياه أن يقر يوم الحديبية بأن يكتب: بسم الله الرحمن الرحيم. ويأبى أن يكتب: محمد رسول الله، فحمدت الله أن هداه للإسلام^(١).

من أسباب عدم ارتياح المسلمين لصلح الحديبية:

لقد أصاب المسلمين غم وحزن شديداً يوم الحديبية، وذلك أن أصحاب رسول الله ﷺ قد خرجوا وهم لا يشكون في الفتح لرؤيا رسول الله ﷺ، فلما رأوا ما رأوا من الصلح المتساهل مع المشركين والرجوع دون الطواف حول البيت، وما تحمل عليه رسول الله ﷺ في نفسه دخل على الناس من ذلك أمر عظيم حتى كادوا يهلكون. فزادهم أمر إرجاع أبي جندل إلى المشركين رغم استغاثته بإخوانه المؤمنين غمًا على ما بهم من الغم، ونفذت القضية وشهد على الصلح رجال من المسلمين: أبو بكر وعمر، وعبد الرحمن بن عوف، وعبد الله بن سهيل بن عمرو، وسعد بن أبي وقاص، ومحمود بن مسلمة وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهم، وكان هو الذي كتب كتاب الصلح^(٢). ومن المشركين مكرز بن حفص. فلما فرغ ﷺ من قضية الكتاب قال ﷺ: «قوموا فانحروا ثم احلقوا». فما قام رجل منهم، حتى قال ذلك ثلاث مرات، فاشتد ذلك عليه ﷺ فدخل على زوجته أم سلمة رضي الله عنها. فقال: «هلك المسلمون، أمرتهم أن ينحروا ويحلقوا فلم يفعلوا» فقالت: يا رسول الله، لا تلمهم فإنهم قد دخلهم أمر عظيم مما أدخلت على نفسك من المشقة في أمر الصلح، ورجوعهم بغير فتح،

(١) الصالحي: سبل الهدى والرشاد، ٦٤/٥.

(٢) ابن هشام: السيرة النبوية، ٣/٣٤٨.

يا نبي الله اخرج ولا تكلم أحدًا كلمة حتى تنحر بدنك وتدعو حالقك فيحلقك. فجلى الله عن الناس بأمر سلمة فقام رسول الله ﷺ واضطبع^(١) بثوبه، فخرج فأخذ الحربة ويمم هديه وأهوى بالحربة إلى البدن رافعًا صوته: «بسم الله، والله أكبر» ونحر، فتوائب المسلمون إلى الهدى وازدحموا عليه ينحرونه حتى كاد بعضهم يقع على بعض، وأشرك رسول الله ﷺ بين أصحابه في الهدى، فنحر البدنة عن سبعة، وكان هدى رسول الله ﷺ سبعين بدنة، وكان الهدى دون الجبال التي تطلع على وادي الثنية، فلما صده المشركون رد وجوه البدن^(٢).

قال ابن عباس: لما صُدَّت البدن عن البيت حنت كما تحن إلى أولادها^(٣) فنحر رسول الله ﷺ بدنه حيث حبسوه وهو في الحديدية، وشرذ جمل أبي جهل من الهدى وهو يرعى، وقد قلد وأشعر. وكان نجيبًا مَهْرِيًّا، في رأسه برة من فضة، أهدها ﷺ ليغيظ بذلك المشركين، فمر من الحديدية حتى انتهى إلى دار أبي جهل بمكة، وخرج في أثره عمرو بن عنمة بن عدي الأنصاري، فأبى سفهاء مكة أن يعطوه حتى أمرهم سهيل بن عمرو بدفعه إليه، قيل: ودفعوا فيه عدة نياق، فقال رسول الله ﷺ: «لولا أن سميناه في الهدى فعلنا»، ونحره عن سبعة، ونحر طلحة بن عبيد الله، وعبد الرحمن بن عوف، وعثمان بن عفان بدنات ساقوها. وروى ابن سعد عن أبي سفيان عن جابر قال: نحر رسول الله ﷺ سبعين بدنة عام الحديدية، البدنة عن سبعة، وكنا يومئذ ألقًا وأربعمائة، ومن لم يضح أكثر ممن ضحى. وبعث رسول الله ﷺ من هديه بعشرين بدنة لتنحر عنه عند «المروة» مع رجل من أسلم، فلما فرغ رسول الله ﷺ من نحر البدن دخل قبة له من آدم حمراء ودعا بخراش بن أمية بن الفضل الكعبي، فحلق رأسه ورمى شعره على شجرة كانت إلى جنبه من سمرة خضراء،

- (١) اضطبع: يأخذ الإزار أو البرد فيجعل وسطه تحت إبطه الأيمن، ويلقي طرفيه على كتفه الأيسر من جهتي صدره وظهره، ابن الأثير: النهاية، ٣ / ٧٣.
- (٢) البخاري: ك. الشروط، باب الشروط والجهاد والمصالحة مع العدو، ح (٢٥٨١) أبو داود: ك. الجهاد، باب صلح العدو، (٢٧٥٦).
- (٣) ابن حنبل: المسند، ح (٢٨٨٢)، البيهقي: دلائل النبوة، جماع أبواب عمرة الحديدية، ٤ / ١٥٢.

فجعل الناس يأخذون الشعر من فوق الشجرة فيتحاصونه، وأخذت أم عمارة المازنية طاقات من شعره فكانت تغسلها للمريض وتسقيه فيبراً، وحلق بعض المسلمين وقصر بعض، فأخرج رسول الله ﷺ رأسه من قبته وهو يقول: «رحم الله المحلقين»، قيل: يا رسول الله والمقصرين قال: «رحم الله المحلقين» ثلاثاً. ثم قال: «والمقصرين»^(١).

قال ابن عباس فقالوا: يا رسول الله، ما بال المحلقين ظهرت عليهم الترحيم؟ قال: «لأنهم لم يشكوا»^(٢) وروي أن الله تعالى بعث ريحاً عاصفة فاحتملت أشعارهم فألقتها في الحرم، وأقام رسول الله ﷺ بالحديبية تسعة عشر يوماً، ويقال عشرين ليلة، وقيل: أقام رسول الله ﷺ في غزوته هذه شهراً ونصفاً^(٣) والله أعلم.

صلح الحديبية أعظم الفتح:

ولما قفل رسول الله ﷺ راجعاً قال رجل من أصحاب رسول الله ﷺ: ما هذا بفتح، لقد صددنا عن البيت وصد هدينا. ورد رسول الله ﷺ رجلين من المؤمنين كانا خرجا إليه، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: «بئس الكلام، بل هو أعظم الفتح، قد رضي المشركون أن يدفعوكم بالراح عن بلادهم. ويسألوكم القضية، ويرغبون إليكم في الأمان، ولقد رأوا منكم ما كرهوا، وأظفركم الله تعالى عليهم وردكم سالمين ماجورين فهو أعظم الفتح، أنسيتم يوم أحد؟؟ إذ تصعدون ولا تلوون على أحد، وأنا أدعوكم في أخراكم! أنسيتم يوم الأحزاب؟ إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنوننا!!». فقال المسلمون: صدق الله ورسوله، فهو أعظم الفتح، والله يا نبي الله

(١) الصالحي: سبل الهدى، ٥٦/٥، مسلم: ك. الحج، باب بيان استحباب الرمي، ح (١٣٠١)،

البخاري: ك. الحج، باب من لبأ رأسه وقت الإحرام، ح (١٦٤٠).

(٢) الصالحي: سبل الهدى والرشاد، ٥٧/٥، فتح الباري: باب الشروط في الجهاد والمصالحة، ٣٤٨/٥.

(٣) الصالحي: سبل الهدى، ٥٨/٥.

ما فكرنا فيما فكرت فيه، ولأنت أعلم بالله وبالأمر منا^(١). قال أنس رضي الله عنه: لما رجعنا من (الحديبية) قال رسول الله ﷺ: «أنزلت علي ضحى آية هي أحب إلي من الدنيا جميعاً؛ قال تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾^(٢)، وقوله تعالى: ﴿لِيَدْخُلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفَّرُ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا﴾^(٣).

وعن البراء رضي الله عنه قال: تعدون أنتم الفتح فتح مكة، وقد كان فتح مكة فتحاً ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية^(٤).

بنو المصطلق:

المصطلق اسمه جذيمة سمي المصطلق لحسن صوته، من الصلق شدة الصوت وحدته^(٥) وهم أحد بطون خزاعة، والمريسيع بئر لبني المصطلق بينه وبين المدينة حوالي تسعة مراحل، وهو من ناحية قديد إلى الشام^(٦) وعند المريسيع تهيأ الحارث بن أبي ضرار سيد بني المصطلق بقومه وبمن أطاعه من العرب لحرب المسلمين والسير إلى المدينة، فخرج إليهم رسول الله ﷺ ليلتين مضتا من شعبان سنة خمس من الهجرة في سبعمائة من أصحابه وهم على ماء لهم يقال له المريسيع، وكانوا حلفاء بني مدلج، فلما انتهى إليهم ضرب ﷺ قبته عند ذلك الماء ومعه الطاهرة عائشة وأم سلمة رضي الله عنهما فتهيؤوا للقتال، وصف رسول الله ﷺ أصحابه ودفع راية المهاجرين إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه وراية

(١) الصالحي: سبل الهدى والرشاد، ٥٩/٥، البيهقي: دلائل النبوة، جماع أبواب عمرة الحديبية، ١٦٠/٤.

(٢) سورة الفتح، الآية: ١.

(٣) سورة الفتح، الآية: ٥، البخاري بشرح فتح الباري: كتاب المغازي، باب، غزوة الحديبية، ح (٤١٧٢)، المستدرک، تفسير سورة الفتح، ح (٣٧١٣).

(٤) البخاري بشرح فتح الباري: كتاب المغازي، باب غزوة الحديبية، ح (٤١٥٠).

(٥) ابن دريد: الاشتقاق، ٤٧٧.

(٦) البكري: معجم ما استعجم، ٣/٩٤٣، الخليفة: مهاجرة الحجاز، ٦٦.

الأنصار إلى سعد بن عباد، ثم أمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه فنَادَى في الناس أن قولوا: لا إله إلا الله تمنعوا بها أنفسكم وأموالكم، فأبوا فتراموا بالنبل، ثم أمر رسول الله ﷺ المسلمين فحملوا حملة رجل واحد، وانهزم المشركون وقتل منهم عشرة، وأسر سائرهم، وسبى رسول الله ﷺ النساء والذراري والنعم والشاء ولم يُقتل من المسلمين إلا رجل واحد^(١).

قالت الطاهرة عائشة رضي الله عنها: ولما كان من أمر عقدي ما كان أي من فقدانها إياه قال أهل الإفك ما قالوا، وخرجت مع النبي ﷺ في غزاة أخرى، فسقط أيضًا عقدي حتى حبس التماسه الناس ولقيت من أبي بكر ما شاء الله. وقال لي: يا بنية في كل سفر تكونين عناء وبلاء وليس مع الناس ماء فأنزل الله الرخصة في التيمم فكان ذلك بركة على المسلمين^(٢).

ذات السلاسل:

ذات السلاسل من مشارف الشام في بلي، وعبد الله ومن يليهم من قضاة. وهي وراء وادي القرى وبينها وبين المدينة عشرة أيام، وكانت في جمادى الآخرة سنة ثمان حين بلغ رسول الله أن جمعًا من قضاة قد تجمعوا يريدون أن يدنوا إلى أطراف المدينة، فدعا رسول الله عمرو بن العاص، وذلك بعد إسلامه بسنة لعلمه بالحرب فعد له لواء أبيض وجعل معه راية سوداء وبعثه في ثلاثمائة من سراة المهاجرين والأنصار ومعهم ثلاثون فرسًا وأمره أن يستعين بمن مر به من بلي وعذرة وبلقين، وبنو بلي أحوال العاص بن وائل، فسار الليل وكمن النهار، حتى إذا كان على ماء بأرض جذام يقال له: السلاسل، وبه سميت تلك الغزوة ذات السلاسل. فلما كان عليه وخاف من كثرة عدوه بعث إلى رسول الله ﷺ يستمده، فندب رسول الله ﷺ المهاجرين الأولين، فانتدب أبو بكر وعمر

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، ٤/١٥٧، ابن القيم: زاد المعاد، ٣/٢٨٥.

(٢) ابن القيم: زاد المعاد، ٣/٢٨٨.

في جماعة من سراة المهاجرين رضي الله عنهم وأمر عليهم رسول الله ﷺ أبا عبيدة بن الجراح، في مائتين وعقد له لواء، وكان عمرو يومئذ في سعد الله وتلك الناحية من قضاة، فلما قدموا على عمرو قال: أنا أميركم وأنا أرسلت إلى رسول الله ﷺ أستمدّه بكم، فقال المهاجرون: بل أنت أمير أصحابك، وأبو عبيدة أمير المهاجرين، فقال عمرو: إنما أنتم مدد أمددته، فلما رأى ذلك أبو عبيدة رضي الله عنه قال: تعلم يا عمرو أن آخر ما عهد إليّ رسول الله ﷺ أن قال: «إِذَا قَدِمْتَ عَلَى صَاحِبِكَ فَتَطَاوَعَا». وإنك إن عصيتني لأطيعنك. فسلم أبو عبيدة رضي الله عنه الإمارة لعمرو بن العاص رضي الله عنه، وقال ابن إسحاق: بعث رسول الله ﷺ عمرو بن العاص يستنفر العرب إلى الإسلام، وذلك أن أم العاص بن وائل كانت من بني بلي، فبعثه رسول الله ﷺ إليهم يتألفهم بذلك، ولما اجتمع أبو عبيدة وعمرو بن العاص صاروا خمسمائة، فساروا الليل والنهار حتى وطئ بلاد بلي ودوخها، وكلما انتهى إلى موضع بلغه أنه قد كان بهذا الموضع جمع، فلما سمعوا بك تفرقوا حتى انتهى إلى أقصى بلاد بلي وعُدرة وبلقين ولقي في آخر ذلك جمعا ليس بالكثير، فاقتتلوا ساعة، وتراموا بالنبل ساعة، ورُمي يومئذ عامر بن ربيعة وأصيب ذراعه، وحمل المسلمون عليهم فهزموا وأعجزوا هربا في البلاد، وتفرقوا ودوخ عمرو ما هناك، وأقام أياما لا يسمع لهم بجمع ولا مكان صاروا فيه، وكان يبعث أصحاب الخيل فيأتون بالشاء والنعم، فكانوا ينحرون ويذبحون، ولم يكن في ذلك أكثر من ذلك، ولم تكن (لهم) غنائم تقسم، وبعث عوف بن مالك الأشجعي بريداً إلى رسول الله فأخبره بقولهم وسلامتهم وما كان في غزاتهم^(١).

وقال عوف بن مالك الأشجعي: كنت في غزوة ذات السلاسل فصحبت أبا بكر وعمر رضي الله عنهما فمررت بقوم وهم على جزور قد نحروها وهم لا يقدرّون على أن يعضوها،

(١) ابن القيم: زاد المعاد: ٣/٣٨٦، ابن كثير: البداية والنهاية، ٤/٢٦٧، الصالحي: سبل الهدى، ٦/١٦٨.

وكنت امرأً جازراً، فقلت لهم: تعطوني منها عشرًا على أن أقسمها بينكم؟ قالوا: نعم، فأخذت الشفرة فجزأتها مكاني، وأخذت منها جزءاً، فحملته إلى أصحابي فطبخناه وأكلناه، فقال أبو بكر وعمر: أتى لك هذا اللحم يا عوف؟ فأخبرتهما فقالا: لا والله ما أحسنت حين أطعمتنا هذا، ثم قاما يتقيآن ما في بطونهما منه، فلما أن قفل الناس من ذلك السفر كنت أول قادم على رسول الله ﷺ فجنّته وهو يصلي في بيته فقلت: السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته، فقال: «أَعَوْفُ بْنُ مَالِكٍ؟» فقلت: نعم بأبي أنت وأمي، فقال: «صَاحِبُ الْجَزُورِ؟» ولم يزدني على ذلك شيئاً. وهو حديث معضل^(١) - أي ساقط من سنده اثنان من الرواة.

وعن أبي عثمان النهدي عبد الرّحمن بن مل قال: سمعت عمرو بن العاص يقول: بعثني رسول الله ﷺ على جيش ذات السلاسل وفي القوم أبو بكر وعمر، فحدّثت نفسي أنه لم يبعثني على أبي بكر وعمر إلا لمنزلة لي عنده، قال: فأتيته حتى قعدت بين يديه فقلت: يا رسول الله، من أحب الناس إليك؟ قال: «عَائِشَةُ» قلت: إني لست أسألك عن أهلك، قال: «فَأَبُوهَا» قلت: ثم من؟ قال: «عُمَرُ» قلت: ثم من؟ حتى عدد رهطاً قال: قلت في نفسي: لا أعود أسأل عن هذا. وهذا في الصحيحين. وفي رواية قال عمرو: فسكت مخافة أن يجعلني في آخرهم^(٢).

في سرية ذات السلاسل:

قال رافع بن عمرو الطائي رضي الله عنه: لما نزل المسلمون جبل طيء، قال عمرو رضي الله عنه: انظروا إلى رجل دليل بالطريق، فقالوا: ما نعلمه إلا رافع بن عمرو، قال رافع:

(١) الصالحي: سبل الهدى والرشاد، ٦/ ١٧١. إنما كره أبو بكر وعمر أجرة مجهولة لأن العشر واحد الأعرار على غير قياس ٦/ ١٧٣.

(٢) البخاري: ك. المغازي، باب غزوة ذات السلاسل، ح (٤١٠٠)، مسلم: ك. فضائل الصحابة، باب فضائل أبي بكر رضي الله عنه، ح (٢٣٨٤)، ابن كثير: البداية والنهاية، ٤/ ٢٦٩.

فلما قضينا غزاتنا وانتهيت إلى المكان الذي كنا خرجنا منه توسمت أبا بكر رضي الله عنه، وكانت له عباءة فدكية، فإذا ركب خلها عليه بخلال وإذا نزل بسطها فأثيته فقلت: يا صاحب الخلال إني توسمتك من بين أصحابك فأتني بشيء إذا حفظته كنت مثلكم ولا تطول عليّ فأنسى. فقال: تحفظ أصابعك الخمس؟ قلت: نعم، قال: تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، وتقيم الصلاة، وتؤتي زكاة مالك إن كان لك مال، وتصوم رمضان، وتحج البيت، هل حفظت؟ قلت: نعم. قال: وأخرى لا تؤمّن على اثنين. قلت: وهل تكون الإمرة إلا فيكم أهل المدر؟! فقال: يوشك أن تفشو حتى تبلغك ومن هو دونك؛ إن الله عز وجل لما بعث نبيه ﷺ دخل الناس في الإسلام، فمنهم من دخل لله فهداه الله، ومنهم من أكرهه السيف، فكلهم عواذ الله وجيرانه، وإن الرجل إذا كان أميراً فتظالم الناس بينهم فلم يأخذ بعضهم من بعض انتقم الله منه، إن الرجل منكم لتؤخذ شاة جاره فيظل ناتئ عضلته غضباً لجاره، والله من وراء جاره^(١).

ومن هذه الوصية وغيرها من مواقف ومواعظ الصديق رضي الله عنه يتضح أنه لم يكن يفكر بالإمارة وما تجره على صاحبها من تبعات المسؤولية وحفظ الأمانة، ففضلاً عن زهده في الخلافة ووجله من أن يتحملها فإنه ينصح من يسأله النصيح ألا يتحمل تبعات الإمارة أي إمارة كانت، كما نصح لرافع الطائي رضي الله عنه ولكن الصديق رضي الله عنه وكما أسلفنا لم يكن جامد الرؤية لا يغير في اجتهاداته التي تخدم الدين وتنفع المسلمين، بل إنه كان طاقات حيوية تتجدد لا هدف له سوى خدمة الأمة ونصرة السنة ورعاية الدين فلما قدمه رسول الله ﷺ للصلاة تقدم مع زهده في الإمامة، ولما أشار ﷺ إلى أن موقعه رضي الله عنه هو في مكانه ﷺ إذا غاب ما كان منه إلا أن تجشم ذلك ولما أقحمه المسلمون مسؤولية الخلافة اقتحم فكان وحده المؤهل لذلك الموقع الذي وقف فيه إماماً وقائداً للأمة في موقع رسول الله ﷺ، فأثبت في كل ذلك أنه خليفة رسول الله الأجدر والأولى والأكفأ الذي لم

(١) الطبراني: المعجم الكبير، ح (٤٤٦٧)، مجمع الزوائد (٥/٢٠٢).

يقبل النبي ﷺ أن يقف موقفه أحد من أصحابه ولم يكن يأذن لمن يمنعه خليفته ولا يرد من يأذن له صاحبه رضي الله عنه ليتأكد في كل ذلك أنه (ثاني اثنين) كما وصفه ربه وخالقه اللطيف الخبير جل وعلا. وليتضح لكل عاقل سفاهة من ينال منه رضي الله عنه في أمر من أمور الدين أو الدنيا، كما يتأكد جهل وبلادة من يصدق أو يعتقد أن فيمن ينال من الصدّيق رضي الله عنه ذرة من الخير أو الدين، أو أن من ينال منه ليس زنديقاً رافضياً للكتاب والسنة حاقداً على حملة القرآن وحماة السنة حرباً على كل فضيلة، داعية لكل رذيلة وعاوناً لكل معتد وظالم أثيم.

فتح مكة

نقض قريش شروط صلح الحديبية:

في فتح مكة أكرم الله عز وجل رسوله ﷺ وأقر عينه بها، وجعلها علمًا ظاهرًا على إعلاء كلمته وإكمال دينه والاعتناء بنصرته.

وكان السبب المباشر لذلك الفتح هو نقض قريش لصلح الحديبية الشهير، وذلك لما دخلت قبيلة خزاعة عقد رسول الله ﷺ، ودخلت بنو بكر في عقد قريش وضربت المدة إلى عشر سنين أمن الناس بعضهم بعضًا، ومضى من المدة سنة ومن الثانية نحو تسعة أشهر، فلم تكمل حتى عدا نوفل بن معاوية الديلي فيمن أطاعه من بني بكر بن عبد مناة فبيتوا خزاعة على ماء لهم يقال له: الوتير، فاقتتلوا هناك بأحقاد كانت لبني بكر على خزاعة من أيام الجاهلية، فأعانت قريش بني بكر على خزاعة بالسلاح، وساعدهم بعضهم بنفسه خفية، وفرت خزاعة إلى الحرم فاتبعهم بنو بكر إليه وقتلوا من خزاعة رجلًا يقال له: منبه، وتحصنت خزاعة في دور مكة فدخلوا دار بديل بن ورقاء الخزاعي، ودار مولى لهم يقال له: رافع، فانتقض عهد قريش مع رسول الله ﷺ بذلك الموقف مع بني بكر.

فخرج عمرو بن سالم الخزاعي وبديل بن ورقاء الخزاعي وقوم من خزاعة حتى أتوا رسول الله ﷺ فأعلموه بما كان من قريش واستنصروه عليهم، فأجابهم ﷺ وبشرهم بالنصر وأنذرهم أن أبا سفيان سيقدم عليهم مؤكداً العقد وأنه ﷺ سيرده بغير حاجة. فكان ذلك^(١).

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، ٤/ ٢٧٤.

خروج أبي سفيان إلى المدينة لتوثيق الصلح وإخفاقه:

تحقق ما أشار إليه النبي ﷺ، وذلك أن قريشاً ندموا على ما كان منهم، فبعثوا أبا سفيان ليشد العقد الذي بينهم وبين محمد ﷺ ويزيد في الأجل، فخرج، فلما كان بعُسفان لقي بديل بن ورقاء وهو راجع من المدينة، فكتمه بديل ما كان من رسول الله ﷺ وذهب أبو سفيان حتى قدم المدينة فدخل على ابنته أم حبيبة زوج رسول الله ﷺ ورضي الله عنها، فذهب ليقعد على فراش رسول الله ﷺ فمنعته، وقالت: إنك رجل مشرك نجس، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا﴾^(١). فقال: والله يا بنية لقد أصابك بعدي شر. ثم جاء رسول الله ﷺ فعرض عليه ما جاء له، فلم يجبه ﷺ بكلمة واحدة^(٢).

وروي أن أبا سفيان تخوّف الذي كان، فقال: يا محمد، اشدد العقد وزدنا في المدة، فقال رسول الله ﷺ: «وَلِذَلِكَ قَدِمْتُ؟ هَلْ كَانَ مِنْ حَدِيثٍ قَبْلَكُمْ؟» فقال: معاذ الله، نحن على عهدنا وصلحنا يوم الحديبية لا نغير ولا نبذل، فخرج من عند رسول الله ﷺ وأتى إلى أبي بكر رضي الله عنه فطلب منه أن يكلم رسول الله ﷺ فأبى عليه. ثم جاء إلى عمر رضي الله عنه فأغظ له، وقال: أنا أفعل ذلك؟! والله لو لم أجد إلا الذر لقاتلتكم به. وجاء علياً رضي الله عنه فلم يفعل، وطلب من فاطمة بنت رسول الله ﷺ ورضي الله عنها أن تأمر ولدها الحسن أن يجير بين الناس، فقالت: ما بلغ بني ذلك، وما يجير أحد على رسول الله ﷺ. فأشار عليه علي رضي الله عنه أن يقوم هو فيجير بين الناس، ففعل. ورجع إلى مكة فأعلمهم بما كان منه ومنهم^(٣).

فلما قدم على قريش قالوا: ما وراءك؟ قال: جئت محمداً فكلمته، فوالله ما رد عليّ شيئاً، ثم جئت ابن أبي قحافة، فلم أجد فيه خيراً، ثم جئت ابن الخطاب، فوجدته أعدى العدو. ثم

(١) سورة التوبة، الآية: ٢٨.

(٢)، (٣) ابن كثير: البداية والنهاية، ٤/ ٢٧٤.

جئت علياً فوجدته أئين القوم، وقد أشار علي بشيء صنعته، فوالله ما أدري هل يغني ذلك شيئاً أم لا؟ قالوا: وبم أمرك؟ قال: أمرني أن أجير بين الناس، ففعلت، قالوا: فهل أجاز ذلك محمداً؟ قال: لا، قالوا: ويلك، والله إن زاد الرجل على أن لعب بك، فما يغني عنك ما قلت. قال: لا والله، ما وجدت غير ذلك^(١).

قرار رسول الله ﷺ بفتح مكة:

وبعد أن رجع أبو سفيان إلى مكة خرج رسول الله ﷺ من بعض حجره الشريفة فجلس عند بابها، وكان إذا جلس وحده لم يأتته أحد حتى يدعوه، فقال: «ادع لي أبا بكر» فجاء فجلس أبو بكر رضي الله عنه بين يديه، فناجاه طويلاً، ثم أمره فجلس عن يمينه، ثم قال: «ادع لي عمر» فجاء فجلس إلى أبي بكر فناجاه طويلاً، فرفع عمر صوته فقال: يا رسول الله هم رأس الكفر، هم الذين زعموا أنك ساحر، وأنت كاهن، وأنت كذاب، وأنت مفتر. ولم يدع عمر شيئاً، مما كان أهل مكة يقولونه إلا ذكره، فأمره أن يجلس إلى الجانب الآخر، فجلس أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله ثم دعا الناس فقال: «ألا أحدثكم بمثل صاحبيكم هذين؟» فقالوا: نعم يا رسول الله، فأقبل بوجهه إلى أبي بكر فقال: «إن إبراهيم كان أئين في الله تعالى من الدهن اللين»، ثم أقبل على عمر، فقال: «إن نوحاً كان أشد في الله من الحجر، وإن الأمر أمر عمر، فتجهزوا وتعاونوا»، فتبعوا أبا بكر رضي الله عنه فقالوا: يا أبا بكر، إنا كرهنا أن نسأل عمر عما ناجاك به رسول الله ﷺ، قال: قال لي: «كيف تأمرني في غزو مكة؟» قال: قلت: يا رسول الله، هم قومك، حتى رأيت أنه سيطيعني، ثم دعا عمر بن الخطاب. فقال عمر: هم رأس الكفر، حتى ذكر له كل سوء كانوا يقولونه، وإيم الله، وإيم الله لا تذلل العرب حتى تذلل أهل مكة، وقد أمركم بالجهاد ليغزو مكة ﷺ^(٢).

(١) ابن هشام: السيرة النبوية، ٤/٤٤.

(٢) ابن أبي شيبه: المصنف، ١٤/٥٠٦، ابن حنبل: المسند، ٣/٣٩٨، الصالحى: سبل الهدى، ٥/٢٠٨.

جهاز رسول الله إلى مكة:

مكث رسول الله ﷺ ما شاء الله أن يمكث بعدما خرج أبو سفيان، ثم أخذ في الجهاز، وأمر الطاهرة عائشة رضي الله عنها أن تجهّزه وتخفي ذلك، ثم خرج رسول الله ﷺ إلى المسجد أو إلى بعض حاجاته، فدخل أبو بكر رضي الله عنه على الطاهرة عائشة رضي الله عنها فوجد عندها حنطة تنسف وتنقى، فقال لها: يا بُنية لِمَ تصنعين هذا الطعام؟ فسكتت فقال: أريد رسول الله ﷺ أن يغزو؟ فصمتت، فقال: يريد بني الأصفر - وهم الروم - «فذكر من ذلك أمراً فيه منهم بعض المكروه في ذلك الزمان»؟ فصمتت، قال: فلعله يريد أهل نجد «فذكر منهم نحواً من ذلك» فصمتت رضي الله عنها. قال: فلعله يريد قريشاً؟ فصمتت رضي الله عنها. قال: فدخل رسول الله ﷺ فقال له: يا رسول الله، أتريد أن تخرج مخرجاً؟ قال ﷺ: «نَعَمْ» قال أبو بكر رضي الله عنه: فلعلك تريد بني الأصفر؟ قال ﷺ: «لَا» قال: أتريد أهل نجد؟ قال: «لَا»، قال: فلعلك تريد قريشاً؟ قال: «نَعَمْ» قال أبو بكر: يا رسول الله، أليس بينك وبينهم مدّة؟ قال: «أَلَمْ يَبْلُغَكَ مَا صَنَعُوا بِبَنِي كَعْبٍ؟» قال: وأذن رسول الله ﷺ في الناس بالغزو^(١).

وأمر ﷺ بحفظ الطرق ودعا بالألّا تعلم قريش بمسيره، وقال ﷺ: «اللهم خذ على أسماعهم وأبصارهم فلا يرونا إلا بغتة، ولا يسمعون بنا إلا فجأة»^(٢) وأمر رسول الله ﷺ جماعة أن تقيم بالأنقاب - أي مداخل المدينة - وكان عمر بن الخطاب يطوف على الأنقاب، فيمر بهم فيقول: لا تدعوا أحداً يمر بكم تنكرونيه إلا رددتموه، وكانت الأنقاب مسلمة إلا من سلك إلى مكة فإنه يتحفظ به ويسأل عنه^(٣).

المنام الذي رآه أبو بكر الصديق في فتح مكة رضي الله عنه:

عن ابن شهاب رضي الله عنه أن أبا بكر رضي الله عنه قال: يا رسول الله، أراني في المنام

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، ٢٧٦/٤، الصالحي: سبل الهدى والرشاد، ٢٠٩/٥.

(٢) المغازي للواقدي ٧٩٦/٢، الصالحي: سبل الهدى والرشاد، ٢٠٩/٥.

(٣) الصالحي: سبل الهدى والرشاد، ٢٠٩/٥.

وأراك دنونا من مكة، فخرجت إلينا كلبة تهر، فلما دنونا منها استلقت على ظهرها، فإذا هي تشخب لبنًا، فقال رسول الله ﷺ: «ذهب كلّهم وأقبل درهم، وهم سيأوون بأرحامهم وإنكم لا قون بعضهم فإن لقيتم أبا سفيان فلا تقتلوه»^(١). وهذا ما يؤكد أن أمر قريش كان يأخذ من المسلمين مجالات واسعة من التفكير والتدبر في كيفية تحطيم الشرك الذي يعشش حول الكعبة، وكيفية إنهاء ذلك الوجود اللا شرعي في تلك البقاع الطاهرة، مع الحرص على كسب قريش إلى جانب المسلمين دون استباحة معقلهم المقدس عند المسلمين، وضرورة مراعاة جوار بيت الله الحرام، وهذا ما حصل في صفحات فتح مكة حيث كان العفو والصفح والتسامح هو عنوان صفحة الفتح.

حبس أبي سفيان ليرى جيش المؤمنين:

ولما ولّى أبو سفيان، قال أبو بكر رضي الله عنه: يا رسول الله، لو أمرت بأبي سفيان فحبس على الطريق؟ فلما ذهب لينصرف، قال رسول الله ﷺ للعباس: «احبس بمضيق الوادي». فأدركه العباس رضي الله عنه فحبسه، فقال أبو سفيان: أغدرًا يا بني هاشم؟ فقال العباس: إن أهل النبوة لا يغدرون، ولكن أصبح حتى تنظر جنود الله، وإلى ما أعد الله للمشركين، فحبسهم بالمضيق دون الأراك إلى مكة حتى أصبحوا^(٢).

دخول مكة:

ولما دخل رسول الله ﷺ عام الفتح وأتى النساء يلظمن وجوه الخيل (بالخُمُر) فتبسّم إلى أبي بكر رضي الله عنه وقال: «يَا أَبَا بَكْرٍ كَيْفَ قَالَ حَسَّانُ؟» فأنشده أبو بكر رضي الله عنه قول حسان رضي الله عنه:

(١) الصالحى: سبل الهدى والرشاد، ٢١٨/٥، البيهقي: دلائل النبوة، جماع أبواب فتح مكة، ٤١/٥،

ابن عساکر: ٤٥٢/٢٣.

(٢) الصالحى: سبل الهدى والرشاد، ٢٣٥/٥.

عَدِمْتُ بُنَيَّتِي إِنْ لَمْ تَرَوْهَا تُثِيرُ النَّقْعَ مِنْ كُنْفِي كُدَاءً
يُنَازِعَنَّ الْأَعِنَّةَ مُسْرَجَاتٍ يُلَطِّمُهُنَّ بِالْخُمْرِ النَّسَاءُ^(١)

فقال رسول الله ﷺ: «اذْخُلُوهَا مِنْ حَيْثُ قَالَ حَسَّانُ» ولما وقف رسول الله ﷺ بذي طوى يعد كتابه لدخول مكة، وقف أبو قحافة ومعه ابنة له من أصغر ولده على جبل أبي قبيس يرقب حركة الفاتحين، فلما باشر المسلمون الحركة من ذي طوى باتجاه مكة، انحطت به الصغيرة إلى بيته، فتلقته الخيل قبل أن يصل إلى بيته، وكان في عنقه طوق من ورق فيلقاها رجل فيقتطعه من عنقه. فلما دخل رسول الله ﷺ مكة ودخل المسجد أتى أبو بكر بأبيه يقوده، فلما رآه رسول الله ﷺ قال: «هَلَّا تَرَكْتَ الشَّيْخَ فِي بَيْتِهِ حَتَّى أَكُونَ أَنَا آتِيَهُ فِيهِ؟» تكرمة لأبي بكر رضي الله عنه، قال أبو بكر: يا رسول الله، هو أحق أن يمشي إليك من أن تمشي أنت إليه. فأجلسه ﷺ بين يديه ثم مسح صدره ثم قال: «أسلم». فأسلم، قالت: ودخل به أبو بكر رضي الله عنه وكان رأسه كالثغامة بياضاً فقال رسول الله ﷺ: «غَيِّرُوا هَذَا مِنْ شَعْرِهِ» ثم قام أبو بكر فأخذ بيد أخته وقال: أنشد الله والإسلام طوق أختي؟ فلم يُجبه أحد. فقال: أي أخية احتسبي طوقك، فوالله إن الأمانة في الناس اليوم لقليل. يعني به الصدِّيق رضي الله عنه ذلك اليوم على التعيين لأن الجيش فيه كثرة، ولا يكاد أحد يلوي على أحد مع انتشار الناس، ولعل الذي أخذه تأول أنه إنما أخذه من حربي. والله أعلم.

وروى البيهقي أن عمر رضي الله عنه هو الذي أخذ بيد أبي قحافة فأتى به النبي ﷺ، فلما وقف به على رسول الله ﷺ قال: «غَيِّرُوا هَذَا وَجْنُوهُ السَّوَادَ»^(٢) هو أول مخضوب في الإسلام وعن زيد بن أسلم رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ هنا أبا بكر بإسلام أبيه^(٣).

(١) قال النووي في شرح مسلم (١٦/٥٠): في هذا البيت إقواء مخالف لباقيها، وفي بعض النسخ: (غايته كداء)، وفي بعضها: (موعدها كداء).

(٢) الصنعاني: المصنف، صباغ وشف الشعر، ح (٢٠١٧٩). الصالحى: سبل الهدى، ٥/٢٣٤.

(٣) ابن كثير: البداية والنهاية، ٤/٢٧٦. المستدرک: ك. معرفة الصحابة (٥٠٦٨)، البيهقي: دلائل النبوة، فتح مكة ٥/٩٦.

دخوله ﷺ المسجد الحرام وطوافه به:

ثم مكث رسول الله ﷺ في منزله ساعة من النهار حتى اطمأن الناس، فاغتسل، ثم دعا براحلته القصواء، فأدנית إلى باب قبته، وعاد لللبس السلاح والمغفر على رأسه، وقد حف الناس به، فركب راحلته والخيل تمعج بين الخندمة إلى الحجون، ومر رسول الله ﷺ وإلى جنبه أبو بكر الصديق رضي الله عنه يسير معه يحادثه، فلما انتهى ﷺ إلى الكعبة فرآها ومعه المسلمون تقدم على راحلته، واستلم الركن بمحجنه وكبر، فكبر المسلمون بتكبيره، فرجعوا التكبير حتى ارتجت مكة تكبيراً حتى جعل رسول الله ﷺ يشير إليهم أن اسكتوا، والمشركون فوق الجبال ينظرون وطاف رسول الله ﷺ بالبيت، أخذاً بزمام الناقة محمد بن مسلمة الأنصاري رضي الله عنه فأقبل على الحجر فاستلمه، ثم طاف بالبيت.

ولما دخل مكة رسول الله ﷺ يوم فتح مكة، كان حول الكعبة ثلاثمائة وستون صنماً مرصعة بالرصاص، وكان هبل أعظمها وهو وجاه الكعبة، وإساف ونايلة حيث ينحرون ويذبحون الذبائح، وفي يده رسول الله ﷺ قوس وقد أخذ بسية القوس، فجعل رسول الله ﷺ كلما مر بصنم منها يشير إليه ويطعن في عينه ويقول: ﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَرَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾^(١) فما يشير إلى صنم إلا سقط لوجهه. وفي لفظ: لقفاه، من غير أن يمسه. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يوم الفتح قاعداً، وأبو بكر رضي الله عنه قائم على رأس رسول الله ﷺ بالسيف^(٢).

وبفتح مكة أزيلت أكبر عقبة أمام انسياح الإسلام في جزيرة العرب، وطويت صفحة من صفحات الصبر والجهاد والتفاني لنصرة الإسلام ورسوله ﷺ، كان لأبي بكر الصديق رضي الله عنه فيها القدح المعلى واليد الطولى والسبق الأكبر، حتى شهد له كتاب الله تعالى بأنه (ثاني اثنين) وبعد أن طويت هذه الصفحة الخالدة بقوله ﷺ: « لا هجرة بعد فتح

(١) سورة الإسراء، الآية: ٨١.

(٢) الصالحى: سبل الهدى والرشاد، ٥/ ٢٣٥.

مكة»^(١) كتب على غلافها بأقلام العرفان ومداد الذهب أن أهلها الذين سطروا فصولها هم السابقون السابقون وأنهم هم سادة أهل الإسلام وخلفاء الأنبياء، وأن من جاء من بعدهم تبع لهم في الخير والهدى، وأن أبا بكر رضي الله عنه هو علم تلك الصفحة وعنوانها وسيد أهلها بعد رسول الله ﷺ، لا يماري في ذلك إلا هالك ضال رافض لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

واتضح في كل مفردات تلك الصفحة أن أبا بكر رضي الله عنه لم يفارق صاحبه رسول الله ﷺ في حل ولا ترحال، ولا سلم ولا حرب، وكان الوفي الشفيق الأنيس الذي لا يُستغنى عنه في مشهد من المشاهد، وكل أصحاب رسول الله ﷺ كانوا كذلك على منازلهم ومراتبهم رضي الله عنهم.

حُنين:

وبعد أن فرغ رسول الله ﷺ من شأن الفتح في مكة نهض إلى جحافل المشركين من هوازن وثقيف التي تجمعت في وادي حنين وهو وادٍ حدور من أودية تهامة. وقد كمنت لهم هوازن فيه، وذلك في عماية الصبح، فحملوا على المسلمين حملة رجل واحد قبل أن تنجلي ظلمة الليل، برمي كثيف أفقد الكثير منهم توازنه فلم يعد يعرف موقفه وكان فيهم كثير من الأعراب وحديثي العهد بالإسلام من أهل مكة ومن حولها، فتراجع كثير منهم مما أحدث فوضى في صفوف المسلمين حتى أفرد رسول الله ﷺ ومعه نفر من المهاجرين والأنصار كان في مقدمتهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم، عن أنس رضي الله عنه أن أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً رضي الله عنهم ضرب كل منهم يومئذ بضعة عشر ضربة^(٢).

وفي ذلك نزل قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبْتَكُمْ كَثُرْتُكُمْ فَلَمْ تُعْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَصَافَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾^(٣)، وذلك أن بعضهم

(١) ينظر: العيني: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ١٥/١٠، الخليفة: مهاجرة الحجاز، ٧٤.

(٢) الصالحي: سبل الهدى، ٥/٣٣٠، ابن هشام: السيرة النبوية، ٤/٩٣.

(٣) سورة التوبة، الآية: ٢٥.

قال: لن نغلب اليوم من قلة^(١).

عن أبي قتادة الحارث بن ربعي رضي الله عنه قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ عام حنين، فلما التقينا كانت للمسلمين جولة. فنظرت إلى رجل من المسلمين يقاتل رجلاً من المشركين وآخر من المشركين يختله فضربته من ورائه على حبل عاتقه بالسيف فقطعت الدرع، وأقبل علي فضممني ضمة، وجدت منها ريح الموت، ثم أدركه الموت، فأرسلني، فلحقت عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقلت: ما بال الناس؟ قال: أمر الله عز وجل، ثم رجعوا وجلس النبي ﷺ فقال: «من قتل قتيلاً له عليه بينة فله سلبه» فقلت: من يشهد لي؟ ثم جلست، فقال رسول الله ﷺ مثله. فقلت: من يشهد لي؟ ثم جلست، فقال رسول الله ﷺ مثله، فقال: «ما لك يا أبا قتادة؟» فأخبرته. فقال رجل: صدق سلبه عندي فأرضه مني. فقال أبو بكر: لا ها الله إذًا، لا تعتمد إلى أسد من أسد الله يقاتل عن الله ورسوله فيعطيك سلبه! فقال النبي ﷺ: «صدق فأعطه» فأعطانيه، فابتعت به مخرفاً في بني سلمة، فإنه لأول مال تأثله في الإسلام^(٢).

وروى البخاري أيضًا أن أبا بكر رضي الله عنه قال: كلا، لا يعطه أصيبغ من قريش ويدع أسدًا من أسد الله يقاتل عن الله ورسوله. قال: فقام رسول الله ﷺ فأداه إلي^(٣). وروي أن أبا قتادة قال: لحقت عمر رضي الله عنه في الناس الذين لم يهزموا، وذكر تنمة الحديث. وروي أيضًا أن عبد الله بن أنيس الجهني الأنصاري رضي الله عنه شهد له^(٤).

قال العلماء: لو لم يكن من فضيلة أبي بكر الصديق رضي الله عنه إلا هذا لكفى فإنه بثاقب علمه، وشدة صرامته، وقوة إنصافه، وصحة توفيقه، وصدق تحقيقه بادر إلى القول

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، ٢٠٤/١.

(٢) البخاري: ك: المغازي، باب قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾ ح (٤٣٢١)، ابن القيم: زاد المعاد ٣/٤٩٢.

(٣) البخاري، كتاب المغازي، رقم (٤٣٢٢).

(٤) ينظر: الصالح: سبل الهدى، ٣٣٠/٥.

بالحق، فزجر، وأفتى، وحكم، وأمضى، وأخبر في الشريعة عن المصطفى بحضرته وبين يديه ﷺ وبما صدقه فيه وأجراه على قوله رضي الله عنه (١).

وبعد انتهاء مطاردة فلول المشركين حول وادي حنين قسم رسول الله ﷺ الغنائم فكانت كثيرة فأعطى كثيرًا من سادة القبائل حديثي العهد بالإسلام مائة من الإبل وأعطى العباس بن مرداس السلمي أقل من أقرانه عيينة بن حصن الفزاري والأقرع بن حابس، فقال العباس يعاتب رسول الله ﷺ:

فأصبح نهبي ونهب العبيد سد بين عيينة والأقرع
وما كان حصن ولا حابس يفوقان مرداس في المجمع
وما كنت دون امرئ منهما ومن تضع اليوم لا يرفع

فبلغ رسول الله ﷺ ذلك، فدعاه وقال: «أنت القائل فأصبح نهبي ونهب العبيد بين الأقرع وعيينة؟» فقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: بأبي أنت وأمي لم يقل كذلك، ولا والله ما أنت بشاعر وما ينبغي لك، وما أنت براوية. قال: «فكيف قال؟» فأنشد أبو بكر رضي الله عنه فقال النبي ﷺ: «اقطعوا عني لسانه» ففزع منها ناس، وقالوا: أمر رسول الله ﷺ بالعباس بن مرداس أن يمثل به، وإنما أراد رسول الله ﷺ بقوله: «اقطعوا عني لسانه» أي يقطعوه بالعطية من الشاء والغنم ففعلوا ذلك ورضي (٢).

الطائف:

ولما انتهى رسول الله ﷺ من غزوة حنين لاحق فلول المشركين حتى حاصرهم في حصن الطائف، وروي أنه ﷺ رأى منامًا استدل منه على عدم فتح الطائف حيثئذ فأذن ﷺ

(١) الصالحي: سبل الهدى، ٣٣٧/٥، ابن كثير: البداية والنهاية، ٣١٩/٤، ابن القيم: زاد المعاد ٣/٤٦٩، ٤٩٢.

(٢) الصالحي: سبل الهدى، ٣٩٩/٥.

بالرجوع فاشتد الرجوع على الناس قبل فتح الطائف، فقال رسول الله ﷺ لأبي بكر: «إني رأيت أني أهديت لي قعبة مملوءة زبدًا فنقرها ديك، فهراق ما فيها» فقال أبو بكر رضي الله عنه: ما أظن أن تدرك منهم يومك هذا ما تريد، فقال رسول الله ﷺ: «وأنا لا أرى ذلك» فرحل المسلمون عن الطائف قبل فتحها وبعد ذلك علم أهل الطائف أن لا طاقة لهم بالمسلمين فأرسلوا وفدهم يبايع رسول الله ﷺ على الإسلام، وكل ذلك جرى في سنة ثمانٍ من الهجرة النبوية المباركة^(١).

في تبوك:

وكانت غزوة تبوك في رجب من السنة التاسعة للهجرة^(٢) وفيها كانت الراية العظمى في يد أبي بكر الصديق رضي الله عنه وكانت سوداء^(٣) وذلك في أكبر جيش يجمعه رسول الله ﷺ ويقوده في حياته.

وفي غزوة تبوك حث رسول الله ﷺ الصحابة رضي الله عنهم على الإنفاق بسبب بعدها وكثرة العدو وقوة شوكته وغنى إمداداته على كل الصعد، وفي تلك الغزوة وعد ﷺ المنفقين بالأجر العظيم من الله فأنفق في هذه الغزوة الصحابة رضي الله عنهم الكثير الكثير، وكان عثمان رضي الله عنه من أكثر الناس نفقة في سبيل الله تعالى في تلك الغزوة، وأنفق عمر رضي الله عنه نصف ماله، وأنفق أبو بكر الصديق رضي الله عنه جميع ما يملك في سبيل الله^(٤).

وكان أبو بكر في غزوة تبوك كما هو في كل المشاهد في سيرة رسول الله ﷺ وزيرًا ومشيرًا وأنيسًا، فلا يذكر موقف إلا وأبو بكر بين يدي رسول الله ﷺ، عن عبد الله بن

(١) الصالحى: سبل الهدى، ٣٨٧/٥، الخليفة: مهاجرة الحجاز، ٢٣٠.

(٢) ينظر: الخليفة: الأنصار في العصر الراشدي، ٦٤.

(٣) الطبري: تاريخ ١٣٧/٢.

(٤) الصلابي: أبو بكر الصديق، ٨٦.

مسعود قال: قمت من جوف الليل وأنا مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، فرأيت شعلة من نار في ناحية العسكر فتبعتها أنظر إليها، قال: فإذا رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر، وإذا عبد الله ذو البجادين رضي الله عنهم قد مات، وإذا هم قد حفروا له، ورسول الله ﷺ في حفرتة، وأبو بكر وعمر يدلّيانه إليه، وإذا هو يقول ﷺ: «أدنيا إليّ أخاكما» فدلياه إليه، فلما هياأ لشقه قال: «اللهم إني قد أمسيت راضياً عنه فارض عنه» قال: يقول ابن مسعود: يا ليتني كنت صاحب الحفرة. قال ابن هشام: إنما سمي ذا البجادين؛ لأنه كان يريد الإسلام فمنعه قومه وضيّقوا عليه حتى خرج من بينهم، وليس عليه إلاّ بجاد، وهو الكساء الغليظ، فشقه باثنين فائتزر بواحدة وارتدى بالأخرى، ثم أتى رسول الله ﷺ مهاجراً فسمي ذا البجادين^(١).

وفي بعض مراحل طريق تبوك ضاقت السبل بالمسلمين؛ لندرة الماء وشحته في ذلك الصيف اللاهب، فكان المبادر لتفريج تلك الكربة وري ظمأ المؤمنين هو الصدِّيق رضي الله عنه بما يعلمه من أخلاق صاحبه ﷺ وأفضل أوقات تقديم المطالب إليه، ولما رأى صبر المؤمنين على كل لأواء تلك الغزوة التي تمثل فيها صراع الإرادات، وقهر الرغبات، وتجلية جميع الطاقات في سبيل الله تعالى، وقد شاهد الصدِّيق رضي الله عنه نجاح الصحابة رضي الله عنهم في كل ذلك وما هم عليه من الصبر والتسليم لما هم فيه من العطش والتعب بين يدي رسول الله ﷺ فما كان منه إلا أن بادر رسول الله ﷺ يطلب منه الدعاء للمسلمين، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: خرجنا إلى تبوك في قيظ شديد فنزلنا منزلاً وأصابنا فيه عطش شديد حتى ظننا أن رقابنا ستقطع، حتى إن الرجل لينحر بعيه فيعتصر فرثه فيشره ثم يجعل ما بقي على كبده، فقال أبو بكر الصدِّيق رضي الله عنه: يا رسول الله، إن الله قد عودك في الدعاء خيراً، فادع الله قال: «أتحب ذلك؟» قال: نعم، فرفع يديه فلم يردهما حتى قالت السماء - أي: تهيات لإنزال مائها - فأطلت - أي أنزلت مطراً خفيفاً - ثم سكبت فملؤوا ما

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، ٤/١٨، الخليفة: مهاجرة الحجاز، ٢٠١.

معهم ثم ذهبنا فلم نجدها جاوزت العسكر^(١) وبذلك الموقف من خليفة رسول الله فرج الله الكرب وأزال الهم وروى الظمأ وأعاد الحيوية والنشاط إلى قلوب المؤمنين الذين أثلج صدورهم ما شاهدوه بأعينهم من رعاية الله لنبيه ﷺ وسرعة إجابته لما يريد ﷺ.

دومة الجندل:

ومن النشاطات التي قام بها المسلمون أيام تبوك فتح دومة الجندل^(٢) وقد روي أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه كان على المهاجرين في غزوة دومة الجندل، وخالد بن الوليد على الأعراب في تلك الغزوة. والله أعلم^(٣). وروي أن رسول الله ﷺ بعث خالدًا رضي الله عنه في أربعمئة وعشرين فارسًا فتمكنوا من أسر ملك دومة الجندل أكيدر بن عبد الملك الكندي وكان نصرانيًا فقدم به خالد إلى المدينة على رسول الله ﷺ فصالحه وقدم الجزية للمسلمين^(٤).

فيتضح في هذه الجولة مع مشاهد رسول الله ﷺ أن خليفته الصديق رضي الله عنه كان في القمة من كل موقف من مواقف التضحية والبذل والصبر والسهو والشورى والقيادة والجندي لا يذكر رسول الله ﷺ إلا وخليفته بين يديه مقرونًا مع اسمه ﷺ فلا يكاد القارئ الحصيف يمر به النظر على موقف من مواقف السيرة النبوية المباركة إلا ويجد لخليفة رسول الله ﷺ مشاركة أساسية في ذلك الموقف وعلى الصعد كافة، ليتحقق لكل مؤمن ذلك الدور الفاعل لهذا العملاق الذي تمكن بتوفيق الله تعالى وبما تعلمه من رسول الله ﷺ من فنون القيادة والريادة والسيادة والشجاعة ولما استقاه من علوم النبوة وخصوصياتها؛ أن يملأ الفراغ الذي

(١) ابن حبان كتاب الجهاد، باب غزوة تبوك، رقم ١٧٠٧، ابن الجوزي: المتتظم، ٣/ ١٣٥.

(٢) دومة الجندل: حصن على سبع مراحل من دمشق بينها وبين المدينة، ودومة من القرى من وادي القرى، والقرى هي: دومة وسكاكة وذو القارة، وسميت دومة الجندل؛ لأن لها حصنًا مبنياً من الجندل. ياقوت: معجم البلدان، ٥/ ٣٢٥.

(٣) ابن كثير: البداية والنهاية، ٥/ ١٨.

(٤) الواقدي: المغازي، ١٠٢٥، الخليفة: مهاجرة الحجاز، ٢١٢.

تركه غياب رسول الله ﷺ، ذلك الفراغ الذي زاغت له قلوب كثير من الناس وأبصارهم، حتى قام خليفة رسول الله بتقويم كل معوج، وتسديد كل تائه، فعاد بالأمّة إلى منهج صفيه ونبيه ﷺ والأثر في كل ما قام به الصدّيق رضي الله عنه ظاهر؛ لتربية رسول الله ﷺ الذي أعدّه وهياه وأشار إليه وقدمه ليعلم كل مؤمن أن خلافة النبوة لم تأت من فراغ، وأن كل من يجترئ عليها بقول أو فعل أو بهتان إنما هو حرب على الله ورسوله ﷺ لا يوثق به ولا يؤتمن جانبه، وأن أشد الناس عداوة لسنة رسول الله ولكتاب الله هم الرافضة مبغضو خليفة رسول الله الذين لا زالوا يعملون على تضليل الأمّة وهدم عقيدتها وتفكيك وحدتها التي حافظ عليها ورعاها أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه بما وهبه الله تعالى من إيمان و يقين وشجاعة وعلم وإخلاص وهبه وسخره لخدمة الدين والأمّة في كل مراحل حياته، التي تفجرت من جنباتها ينابيع العطاء، وأينعت ثمار الإيمان والصبر والإخلاص، الذي كان يمثل سلوك خليفة رسول الله رضي الله عنه.

الوفود

وفد ثقيف:

كانت ثمرة جهاد رسول الله ﷺ وصبره وعلمه، انقياد العرب له بإرسالهم الوفود إليه ﷺ يحاورونه ويسألونه ويعلنون إسلامهم بين يديه، وقد كان أعضاء تلك الوفود يتكونون من وجهاء أقوامهم وقادتهم وعلمائهم.

وقدم وفد ثقيف إلى رسول الله ﷺ وفيهم كنانة بن عبد ياليل بن عمر بن عمير والحكم بن عمرو بن وهب، وشرحبيل بن غيلان. وعثمان بن أبي العاص، وأوس بن عوف، ونمير بن خرشة. فخرج بهم عبد ياليل إلى المدينة، فلما دنوا من المدينة ونزلوا- واديًا - قناة ألقوا بها المغيرة بن شعبة. فاشتد ليبشر بهم النبي ﷺ فلقيه أبو بكر رضي الله عنه فقال: أقسمت عليك بالله لا تسبقني إلى رسول الله ﷺ حتى أكون أنا أحدثه. فدخل أبو بكر رضي الله عنه على رسول الله ﷺ فأخبره بقدمهم^(١).

وكان كنانة بن عبد ياليل هو رأسهم يومئذ وعثمان بن أبي العاص هو أصغر الوفد فقال المغيرة بن شعبة: يا رسول الله، أنزل قومي علي فأكرمهم، فقال رسول الله ﷺ: «لا أمنعك أن تكرم قومك ولكن أنزلهم حيث يسمعون القرآن». وأنزل رسول الله ﷺ وفد ثقيف في المسجد وبنى لهم خيامًا لكي يسمعوا القرآن ويروا الناس إذا صلوا.

وكانوا يغدون إلى رسول الله ﷺ كل يوم ويخلفون عثمان بن أبي العاص رضي الله

(١) الصالحى: سبل الهدى، ٢٩٦/٦.

عنه على رحالهم لأنه أصغرهم فكان عثمان كلما رجع الوفد إليه وقالوا بالهاجرة؛ عمد إلى رسول الله ﷺ فسأله عن الدين واستقرأه القرآن فاختلف إليه عثمان مراراً حتى فقه في الدين وعلم، وكان إذا وجد رسول الله ﷺ نائماً عمد إلى أبي بكر رضي الله عنه وكان يكتم ذلك من أصحابه فأعجب ذلك رسول الله ﷺ وأحبه فمكث الوفد يختلفون إلى رسول الله ﷺ وهو يدعوهم إلى الإسلام فأسلموا^(١).

وفد جرش:

كان أهل جرش بعثوا إلى رسول الله ﷺ رجلين منهم يرتادان وينظران فيينا هما عند رسول الله عشية بعد العصر إذ قال رسول الله بأي بلاد الله - جبل - شكر فقال الجرشيان: يا رسول الله، ببلادنا جبل يقال له: كشر وكذلك تسميه أهل جرش. فقال: «إنه ليس بكشر ولكنه شكر». قالوا: فما شأنه يا رسول الله؟ فقال: «إن بدن الله لتنحر عنده الآن». قال: فجلس الرجلان إلى أبي بكر وإلى عثمان فقالا لهما: ويحكما إن رسول الله ﷺ لينعى لكما قومكما فقوماً إليه فأسألاه أن يدعو الله أن يرفع عن قومكما، فقاما إليه فسألاه ذلك فقال: «اللهم ارفع عنهم» فخرجا من عند رسول الله راجعين إلى قومهما فوجدا قومهما أصيبوا في اليوم الذي قال فيه رسول الله ﷺ ما قال وفي الساعة التي ذكر فيها ما ذكر، فخرج وفد جرش حتى قدموا على رسول الله ﷺ فأسلموا وحمى لهم حمى حول قريتهم^(٢).

وفد تجيب:

وقدم عليه ﷺ وفد تجيب وهم من قبيلة السكون ثلاثة عشر رجلاً قد ساقوا معهم صدقات أموالهم التي فرض الله عليهم، فسر رسول الله ﷺ بهم، وأكرم منزلهم، وقالوا: يا رسول الله، سقنا إليك حق الله في أموالنا، فقال رسول الله ﷺ: «ردوها فاقسموها

(١) ابن القيم: زاد المعاد ج: ٣/ ٥٩٥.

(٢) ابن القيم: زاد المعاد، ٣/ ٦٢١.

على فقرائكم»، قالوا: يا رسول الله، ما قدمنا عليك إلا بما فضل عن فقرائنا، فقال أبو بكر: يا رسول الله، ما وفد من العرب بمثل ما وفد به هذا الحي من تجيب، فقال رسول الله ﷺ: «إن الهدى بيد الله عز وجل فمن أراد به خيراً شرح صدره للإيمان»، وسألوا رسول الله ﷺ أشياء فكتب لهم بها وجعلوا يسألونه عن القرآن والسنن، فازداد رسول الله ﷺ بهم رغبة، وأمر بلالاً أن يحسن ضيافتهم، فأقاموا أياماً ولم يطلبوا اللبث فقبل لهم: ما يعجبكم؟ فقالوا: نرجع إلى من وراءنا فنخبرهم برؤيتنا رسول الله ﷺ وكلامنا إياه وما رد علينا ثم جاؤوا إلى رسول الله ﷺ يودعون^(١).

فأرسل إليهم بلالاً فأجازهم بأرفع ما كان يجيز به الوفود، قال: «هل بقي منكم أحد؟» قالوا: نعم، غلام خلفناه على رحالنا هو أحدثنا سنّاً. قال: «أرسلوه إلينا». فلما رجعوا إلى رحالهم قالوا للغلام: انطلق إلى رسول الله ﷺ فاقض حاجتك منه، فإننا قد قضينا حوائجنا منه وودعناه. فأقبل الغلام حتى أتى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، إني امرؤ من بني أبنى من الرهط الذين أتوك أنفأ فقضيت حوائجهم، فاقض حاجتي يا رسول الله، قال: «وما حاجتك؟» قال: إن حاجتي ليست كحاجة أصحابي، وإن كانوا قدموا راغبين في الإسلام، وساقوا ما ساقوا من صدقاتهم، وإني والله ما أعملني - من إعمال الإبل وسيرها - من بلادي إلا أن تسأل الله عز وجل أن يغفر لي ويرحمني، وأن يجعل غنائي في قلبي. فقال رسول الله ﷺ: وأقبل إلى الغلام: «اللهم اغفر له وارحمه واجعل غناه في قلبه» ثم أمر له بمثل ما أمر به لرجل من أصحابه فانطلقوا راجعين إلى أهلهم ثم أفوا رسول الله ﷺ في الموسم بمنى سنة عشر فقالوا: نحن بنو أبنى. فقال رسول الله: «ما فعل الغلام الذي أتاني معكم؟» قالوا: يا رسول الله، ما رأينا مثله قط، ولا حدثنا بأقنع منه بما رزقه الله، لو أن الناس اقتسموا الدنيا ما نظر نحوها ولا التفت إليها، فقال رسول الله: «الحمد لله إني لأرجو أن يموت جميعاً» فقال رجل منهم: أو ليس يموت الرجل جميعاً يا رسول الله؟ فقال رسول الله ﷺ: «تشعب

(١) ابن القيم: زاد المعاد، ٣/٦٥٠.

أهواؤه وهمومه في أودية الدنيا، فلعل أجله أن يدركه في بعض تلك الأودية، فلا يبالي الله عز وجل في أيها هلك» قالوا: فعاش ذلك الغلام فينا على أفضل حال وأزهده في الدنيا وأقنعه بما رزق فلما توفي رسول الله ورجع من رجوع من أهل اليمن عن الإسلام قام في قومه فذكرهم الله والإسلام فلم يرجع منهم أحد وجعل أبو بكر الصدّيق يذكره ويسأل عنه حتى بلغه حاله وما قام به فكتب رضي الله عنه إلى زياد بن لييد البياضي الأنصاري يوصيه به خيرًا وزياد رضي الله عنه هو القائد الأمير الكبير صاحب رسول الله ﷺ الذي قهر عتاة الرافضة المرتدين الذين تمردوا على خلافة النبوة في بلاد اليمن^(١).

وفد بني تميم:

ولما قدم ركب بني تميم إلى النبي ﷺ ورفعوا أصواتهم ينادون رسول الله ﷺ ويدعون المسلمين إلى المفاخرة، ففاخرهم حسان عن المسلمين بشعره، وثابت بن قيس بن الشماس بخطابته، فأسكت شاعر المسلمين شاعرهم، وخطيب المسلمين خطيبهم، وأسقط في أيديهم فأسلموا. ونزل ما يشير إلى جلافة ذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ينادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾^(٢) ولما أسلموا قال أبو بكر رضي الله عنه: يا رسول الله أمر عليهم القعقاع بن معبد بن زرارة، فقال عمر: بل أمر الأقرع بن حابس، فقال أبو بكر لعمر: ما أردت إلا خلافي فقال عمر: ما أردت خلافاك، فنزل قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا نُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَانفُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾^(٣) يُعَلِّمُ الْمُؤْمِنِينَ وَيُرْشِدُهُمْ إِلَى أَسْمَى الْأَخْلَاقِ وَاللُّطْفِ وَسَائِلِ الْحَوَارِ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغْضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ لَئِنْ كَانُوا يَرَوْنَ كَثِيرًا مِمَّا يَسْتُرُونَ﴾^(٤).

(١) ابن القيم: زاد المعاد، ٣/ ٦٥١، الصالحى سبل الهدى، ٦/ ٢٨٥، الخليفة: الأنصار في العصر

الراشدي، ٢٢٨.

(٢) سورة الحجرات، الآية: ٤.

(٣) سورة الحجرات، الآية: ١.

(٤) سورة الحجرات، الآية: ٣.

فكان الصديق رضي الله عنه بعد هذه الآية يقول: يا رسول الله، والله لا أكلمك إلا كأخي السرار^(١).

وفد الدارين:

قدم وفد الدارين على رسول الله ﷺ منصرفه من تبوك وهم عشرة نفر منهم تميم ونعيم ابنا أوس بن خارجة بن سواد بن جذيمة بن دارع بن عدي بن الدار بن هانئ بن حبيب بن نمارة بن لخم، ويزيد بن قيس بن خارجة، والفاكه بن النعمان بن جبلة، وأبو هند والطيب ابنا ذر، وهو عبد الله بن رزين، وهانئ بن حبيب، وعزيز، ومرة ابنا مالك بن سواد بن جذيمة. فأسلموا، وسمى رسول الله ﷺ الطيب: عبد الله، وسمى عزيزًا: عبد الرحمن. وأهدى هانئ بن حبيب لرسول الله ﷺ أفراسًا وقباء مخوصًا بالذهب، فقبل الأفراس والقباء، وأعطاه العباس بن عبد المطلب. فقال: ما أصنع به؟ قال: «انتزع الذهب فتحليه نساءك أو تستنقه ثم تبيع الديباج فتأخذ ثمنه». فباعه العباس من رجل من يهود ثمانية آلاف درهم. وقال تميم: لنا جيرة من الروم لهم قريتان يقال لإحدهما: حبرى. والأخرى: بيت عينون، فإن فتح الله عليك الشام فهبهما لي. قال ﷺ: «فهما لك» فلما قام أبو بكر رضي الله عنه بأمر الخلافة بعد وفاة رسول الله ﷺ أعطاه ذلك وكتب له به كتابًا^(٢).

فيتين من كل ما سبق أن خليفة رسول الله ﷺ كان كتلة من الطاقات الخيرة المتجددة المتحركة فلا تحل في مكان إلا وصنعت فيه خيرًا؛ فمن شارك في القتال أو مخطط في القيادة أو مشير أو أمر أو ناه بين يدي رسول الله ﷺ وبما يسد عن مباشرة رسول الله ﷺ لكثير من الأعمال، حيث كان يبادر هو رضي الله عنه بها لفهمه وسبقه وعلمه بمقاصد رسول الله ﷺ ومراميه التربوية والاجتماعية والاقتصادية، وفي كل ما يخص الأعمال السياسية والعسكرية

(١) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ٤/ ٢٥٦، البداية والنهاية: ٥/ ٤١. البخاري: ك. الاعتصام بالكتاب

والسنة، باب ما يكره من التعمق والتنازع في العلم والغلو في الدين والبدع.

(٢) الصالحى: سبل الهدى، ٦/ ٣٣٤.

وما ينفع المسلمين وينصر الدين ويعز السنة وأهلها، وكذلك هو مع الوفود ووجوه الأمة فإنه كان إما مستقبلاً أو معرّفاً أو مبشراً أو معلماً أو مضيّقاً أو مشاركاً في صناعة كل ما يقره رسول الله ﷺ ويسهم في مصلحة المسلمين، أو يرد ما ينافي ذلك مع وفود القبائل ووجوه الناس الذين أخذوا يؤمنون المدينة النبوية إلى رسول الله ﷺ مما صنع منه رضي الله عنه رجل الأمة علمياً وسياسياً وعسكرياً ووُلد لديه القدرة على مواجهة أعتى وأشد الحالات صعوبة وخطورة، كما حصل يوم وفاة رسول الله ﷺ مما أعده لقيادة الأمة على أكمل وجه وأتمه وأحسنه، وأسهم إسهاماً مباشراً في توليد قدراته وفقهه للأحداث التي جرت بعد وفاة النبي ﷺ مما أعطى دروساً وأثمر تجارب لكل من يزعم أنه من أهل القرآن والسنة، أن هذا الدين إنما يقوده المؤمنون المخلصون الذين يملأ قلوبهم حب السنة النبوية وأهلها، وتتفجر جنبات عقولهم وسواعدهم غيرة عليهم واستعداداً كاملاً للتضحية من أجلهم، لا يخدعهم حَبّ يلبس ثوب المؤمنين ويحمل قلوب المجوس والوثنيين، ولا يخيفهم جمع يتأمر على الدين، ويعمل على تزييف هدي رسول رب العالمين ﷺ؛ لما يستثيرونه من حمية في قلوب المؤمنين، ويزرعون من عزة في صدور المصلين، ويصلون من روابط بين جميع طبقات مجتمعات الموحدين، ويغرسون من علوم التوحيد في عقول النشء الصالحين، فيصدون بوحدة هؤلاء المتقين جميع موجات المكر والغزو والإفك التي يؤزها الحاقدون، ويوقدها أعداء النبوة والسنة المنافقون.

فهذه هي قيادة خليفة رسول الله؛ لا تخبو أنوارها، ولا يهدأ بالها ما لم تكن السنة المطهرة فوق كل شيء، فهي التي تقود الأمة، وعلى جنباتها يقف حراس العقيدة، وفي طريقها يسير المؤمنون فينشرون التوحيد والعدل والأمن والسلم في ربوع العالمين، وهذا هو شأنهم وقدرهم على مر العصور والسنين.

حج الصدِّيق رضي الله عنه بالناس سنة تسع من الهجرة:

مثلما قاد خليفة رسول الله المؤمنين في مواطن الجهاد ومواقع العطاء ومجالس العلم

ونوادي الحوار وتعرية الباطل، كذلك قادهم رضي الله عنه في مواطن الإيمان بالغيب، والتصديق، والطاعة، والعبادة فيها هو ينوب عن صاحبه ﷺ وبأمره في قيادة الأمة إلى رحاب الحرم المكي الذي أخرجوا منه لا لشيء إلا لأنهم يقولون ربنا الله تعالى، يقودهم رضي الله عنه وما زال الحرم يعج بجموع المشركين وعتاة الجاهلية التي وهن بنيانها تحت ضربات المجاهدين بقيادة رسول الله ﷺ ومؤتمنه على الأمة أبي بكر الصديق رضي الله عنه فأعلن المفاصلة مع الجاهلية كما جاء ذلك في آيات سورة التوبة والبراءة من المشركين، ونجح في أداء المناسك وتبليغ رسالة رسول الله ﷺ على الوجه الذي أراده وأمر به ﷺ.

عن ابن عمر رضي الله عنهما. قال: استعمل النبي ﷺ أبا بكر رضي الله عنه على الحج في أول حجة كانت في الإسلام، ثم حج رسول الله ﷺ السنة المقبلة، فلما قبض النبي ﷺ واستخلف أبو بكر رضي الله عنه استعمل على الحج عمر رضي الله عنه ثم حج أبو بكر رضي الله عنه من قابل فلما قبض أبو بكر رضي الله عنه واستخلف عمر رضي الله عنه استعمل على الحج عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه ثم لم يزل عمر رضي الله عنه يحج سنه كلها حتى قبض فاستخلف عثمان رضي الله عنه فاستعمل عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه على الحج^(١).

وفي سنة تسع من الهجرة بعد مقدمه من تبوك أقام رسول الله ﷺ بقرية رمضان وشوالاً وذا القعدة ثم بعث أبا بكر أميراً على الحج سنة تسع ليقوم للمسلمين حجهم، والناس من أهل الشرك على منازلهم من حجهم.

فخرج أبو بكر رضي الله عنه والمؤمنون في ثلاثمائة رجل من المدينة وبعث معه رسول الله ﷺ بعشرين بدنة قلدها وأشعرها بيده ﷺ عليها ناجية بن جندب الأسلمي رضي الله عنه وساق أبو بكر خمس بدنات.

فنزلت سورة براءة في نقض ما بين رسول الله ﷺ وبين المشركين من العهد الذي كانوا

(١) البلاذري: الشيخان، ٣١. ابن عساکر: تاريخ دمشق، ٣٠/٢١٦.

عليه، بعد أن غادر أبو بكر رضي الله عنه ومن معه من الحجاج مدينة الرسول ﷺ فخرج علي بن أبي طالب رضي الله عنه على ناقه رسول الله ﷺ العضباء، فلما كان بالعرج^(١) وقيل بضجنان^(٢) لحقه علي رضي الله عنه على العضباء فلما رآه أبو بكر رضي الله عنه قال: أمير أو مأمور؟ قال: لا، بل مأمور. ثم مضيا. وقال ابن سعد فقال له أبو بكر رضي الله عنه: أستعملك رسول الله ﷺ على الحج؟ قال: لا، ولكن بعثني أقرأ براءة على الناس، وأنبذ إلى كل ذي عهد عهده.

فأقام أبو بكر رضي الله عنه للناس حجهم حتى إذا كان يوم النحر قام علي بن أبي طالب رضي الله عنه فأذن في الناس عند الجمرة بالذي أمره رسول الله ﷺ ونبذ إلى كل ذي عهد عهده وقال: أيها الناس، لا يدخل الجنة كافر، ولا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان، ومن كان له عهد عند رسول الله ﷺ فهو إلى مدته.

وعن زيد بن شيع قال: سألتنا علياً رضي الله عنه بأي شيء بعثت في ذي الحجة؟ قال: بعثت بأربع: لا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة، ولا يطوف بالبيت عريان، ولا يجتمع مسلم وكافر في المسجد الحرام بعد عامه هذا، ومن كان بينه وبين النبي ﷺ عهد فعهدته إلى مدته، ومن لم يكن له عهد فأجله إلى أربعة أشهر.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال بعثني أبو بكر رضي الله عنه في تلك الحجة في مؤذنين بعثهم يوم النحر يؤذنون بمنى ألا يحج بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان، ثم أردف النبي أبا بكر بعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما فأمره أن يؤذن براءة قال فأذن معنا

(١) العرج: قرية جامعة من نواحي الطائف، وهي أول تهامة وبينها وبين المدينة ثمانية وسبعون ميلاً، وهي في بلاد هذيل، قال أبو ذؤيب:

هم رجموا بالعرج والقوم شهد
موازن تحدوها حماة بطارق

ياقوت: معجم البلدان، ٥ / ٣٠٩.

(٢) ضجنان: جبل بناحية تهامة وقيل ضجنان جبيل على بريد من مكة، وقال الواقدي: ضجنان على خمسة وعشرين ميلاً من مكة، وهي لأسلم وهذيل وغازرة، وضجنان له ذكر في حديث الإسراء. ياقوت: معجم البلدان، ٥ / ٢٢٤.

علي رضي الله عنه في أهل منى يوم النحر ببراءة وألا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان^(١).

فمضى أبو بكر رضي الله عنه فحج بالناس، وقرأ علي بن أبي طالب رضي الله عنه براءة يوم النحر عند الجمرة، ونبذ إلى كل ذي عهد عهده، وقال: لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان. ثم رجعا قافلين إلى المدينة.

وذكر أن المشركين كانوا يحجون مع المسلمين، ويعارضهم المشركون بإعلاء أصواتهم ليغلطوهم بذلك: لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك.

و يطوف رجال منهم عراة، ليس على رجل منهم ثوب بالليل، يعظمون بذلك الحرمة، ويقول أحدهم: أطوف بالبيت كما ولدتني أُمِّي، ليس علي شيء من الدنيا خالطه الظلم. فكره رسول الله ﷺ أن يحج ذلك العام وأمر الله ببراءة.

فلما كان يوم النحر يوم الحج الأكبر، أذن ببراءة من عهد كل مشرك لم يسلم، أن لا يدخل المسجد الحرام بعد ذلك العام، وبين لهم مدة الله التي ضرب على لسان نبيه أربعة أشهر سيسحون فيها حيث شاؤوا، فقالوا: بل الآن لا نبتغي تلك المدة، نبأ منك ومن ابن عمك إلا من الضرب والطعن. فحج الناس عامهم ذلك، فلما رجعوا أرغب الله المشركين فدخلوا في الإسلام طوعاً وكرهاً. وكان العهد بين رسول الله ﷺ وبين المشركين عاماً وخاصاً، فالعام أن لا يُصد أحد عن البيت جاءه، ولا يُخاف أحد في الأشهر الحرم، فانتقض ذلك بسورة براءة. والخاص بين رسول الله ﷺ وبين قبائل من العرب إلى آجال مسماة، ولذلك قال تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مَدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾^(٢).

(١) ابن القيم: زاد المعاد، ٣ / ٥٩٤، ٥٩٥. البخاري: ك. الصلاة، الصلاة في الثياب، ح (٣٦٢)

ك. الحج، (١٣٤٧)

(٢) سورة التوبة، الآية: ٤. ابن سيد الناس: عيون الأثر، ٢ / ٣١٠.

قال البخاري إن أبا هريرة رضي الله عنه قال: بعثني أبو بكر الصديق رضي الله عنه في تلك الحجة في المؤذنين الذين بعثهم يوم النحر يؤذنون بمنى: أن لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوفن بالبيت عريان. ثم أردف النبي ﷺ بعلي فأمره أن يؤذن ببراءة. قال أبو هريرة: فأذن معنا علي في منى يوم النحر ببراءة أن لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوفن بالبيت عريان^(١).

ويوم الحج الأكبر يوم النحر، وإنما قيل الأكبر من أجل قول الناس: العمرة الحج الأصغر فنبت أبو بكر إلى الناس في ذلك العام، فلم يحج عام حجة الوداع الذي حج فيه رسول الله ﷺ مشرك. وقال أبو الصهباء البكري: سألت علياً رضي الله عنه عن يوم الحج الأكبر. فقال: إن رسول الله ﷺ بعث أبا بكر بن أبي قحافة يقيم للناس الحج، وبعثني معه بأربعين آية من براءة، حتى أتى عرفة فخطب الناس يوم عرفة، فلما قضى خطبته التفت إلي فقال: قم يا علي فأذ رسالة رسول الله ﷺ. فقامت فقرأت عليهم أربعين آية من براءة، ثم صدرنا فأتينا منى فرميت الجمرة ونحرت البدنة، ثم حلقت رأسي، وعلمت أن أهل الجمع لم يكونوا حضروا كلهم خطبة أبي بكر رضي الله عنه يوم عرفة، فظفت أتبع الفساطيط أقرؤها عليهم. قال علي رضي الله عنه: فمن ثم إخال حسبتم أنه يوم النحر، ألا وهو يوم عرفة^(٢).

وروي أن الحكمة في أن النبي ﷺ بعث علياً رضي الله عنه ليقرأ سورة براءة على الناس في حجة أبي بكر، ولم يكتف بغير علي رضي الله عنه:

- أن العرب كان من عاداتها أن الرجل المتبوع منهم إذا عقد عقداً أو عهد عهداً لا يحله إلا هو أو أحد من أهل بيته، ولهذا بعث علياً رضي الله عنه.
- وقيل أردفه به عوناً له ومساعدًا.

(١) ابن القيم: زاد المعاد، ٣/ ٥٩٤، ٥٩٥. البخاري: ك. الصلاة، الصلاة في الثياب، ح (٣٦٢) ك. الحج، (١٣٤٧).

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية، ٥/ ٣٧، الصالحى: سبل الهدى والرشاد، ٨/ ٤٦٠.

- وقيل: كان في سورة براءة الثناء على أبي بكر الصديق رضي الله عنه فأحب أن يكون ذلك الثناء على لسان غيره لأنه أبلغ وأبعد عن الشبهة.

- وقيل لأن السورة نزلت بعد ذهاب أبي بكر رضي الله عنه إلى الحج^(١) فأتبعه ﷺ بمن يبلغه بما فيها من أحكام وعهود متعلقة بما بين المسلمين والمشركين.

ولا شك أن كل هذه الأسباب مع بعضها صحيحة ومعتبرة وتعد من الأمور التي جعلت رسول الله ﷺ يدفع بعلي رضي الله عنه إلى صاحبه أبي بكر رضي الله عنه ليقوم بما كلف به على أتم وجه وأكملة جاعلاً مما جاء في سورة براءة أساساً لبناء علاقات المسلمين الجديدة بغيرهم من المشركين، وليؤكد أن ورثة البيت الحرام هم المؤمنون وحدهم، وهم الذين يقررون منهج العبادة وأداء المناسك على أسس نبي الله إبراهيم عليه السلام، وعلى ما جاء من تعاليم وتوجيهات في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وأنه لا مكان للوثنية والشرك وعبادة القبور والطواف حولها ولا لتعظيم غير الله تعالى والبدع والباطل في بيت الله الحرام، لأن الحج ركن من أركان الإسلام تؤدي شعائره ومناسكه كما أمر الله ورسوله ﷺ.

في حجة الوداع:

لما أراد رسول الله ﷺ حجة الوداع قال أبو بكر رضي الله عنه: يا رسول الله، عندي بعير نحمل عليه زادنا، فقال رسول الله ﷺ: فذاك إذن، فكانت زاملة رسول الله ﷺ وزاملة أبي بكر رضي الله عنه واحدة، وأمر رسول الله ﷺ بزاد دقيق وسويق، فجعل على بعير أبي بكر رضي الله عنه، وأعطاه أبو بكر رضي الله عنه لغلام له.

ومضى رسول الله ﷺ يسير المنازل ويؤم أصحابه في الصلوات في مساجد له، قد بناها الناس وعرفوا مواضعها، والله تعالى أعلم. ثم سار رسول الله ﷺ وهو يلي الناس معه يزيدون في التلبية وينقصون، وهو ﷺ يقرهم ولا ينكر عليهم، ولزم تلبيته، فلما كان

(١) الصالحى: سبل الهدى والرشاد، ١٢ / ٧٥. ابن القيم: زاد المعاد، ١ / ١٢٦.

بالروحاء^(١) رأى حمازًا وحشيًّا عقيرًا، فقال ﷺ: «دعوه، يوشك أن يأتي صاحبه». فجاء صاحبه إلى رسول الله ﷺ، قال الصالحى: قلت: هو رجل من بهز، فقال رسول الله ﷺ: «شأنكم بهذا الحمار» فأمر رسول الله ﷺ أبا بكر فقسمه بين الرفاق، ثم مضى رسول الله ﷺ حتى كان بالأثاية^(٢) بين الرويثة والعرج إذا ظبي حاقف في ظل وفيه سهم، فأمر رجلاً. قال الصالحى: هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه أمره ﷺ أن يقف عنده لا يريبه أحد من الناس حتى يجاوزوه. قال: والفرق بين قصة الطبي، وقصة الحمار الوحشى: أن الذي صاد الحمار كان حلالاً، فلم يمنع من أكله، وهذا لم يعلم أنه حلال، وهم محرمون، فلم يأذن لهم في أكله، ووكل من يقف عنده لثلاً يأخذه أحد حتى يجاوزوه.

ولما نزل ﷺ بالعرج ضاعت زاملته التي بينه وبين أبي بكر رضي الله عنه، وكانت زاملته ﷺ وزاملة أبي بكر واحدة، وكانت مع غلام لأبي بكر، فجلس رسول الله ﷺ وأبو بكر رضي الله عنه إلى جانبه، والطاهرة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها إلى جانبه الآخر، وأسماء بنت أبي بكر إلى جانبها. وأبو بكر رضي الله عنه ينتظر الغلام أن يطلع عليه فطلع وليس معه البعير، فقال: أين بعيرك؟ فقال: أضلته البارحة، فقال أبو بكر رضي الله عنه: بعير واحد تضله؟ لو لم يكن إلا أنا لهان الأمر! ولكن رسول الله ﷺ وأهله، فطفق يضرب الغلام بالسوط، ورسول الله ﷺ يتبسم ويقول: «انظروا إلى هذا المحرم ما يصنع؟» وما يزيد رسول الله ﷺ على أن يقول ذلك ويتبسم، وقد ترجم أبو داود على هذه القصة (باب المحرم يؤدب).

ولما بلغ آل فضالة الأسلمي أن زاملة رسول الله ﷺ ضلت حملوا له جفنة من حيس فأقبلوا

(١) الروحاء: من الاستراحة لانفتاحها وسعتها، وهي من أعمال الفرع، قال الشاعر:

ألا فاحملاني ببارك الله فيكما إلى حاضر الروحاء ثم ذراني

ياقوت: معجم البلدان، ٤/٤٢٦.

(٢) الأثاية: موضع في طريق الجحفة بينه وبين المدينة خمسة وعشرون فرسخًا. ياقوت: معجم

البلدان، ١/٨٠.

بها حتى وضعوها بين يدي رسول الله ﷺ، فجعل رسول الله ﷺ يقول: «هلم يا أبا بكر، فقد جاء الله تعالى بغذاء طيب»، وجعل أبو بكر يغتاز على الغلام، فقال له رسول الله ﷺ: «هون عليك يا أبا بكر، فإن الأمر ليس إليك، ولا إلينا معك، وقد كان الغلام حريصاً على ألا يضل بعيره، وهذا خلف مما كان معه» ثم أكل رسول الله ﷺ وأهله، وأبو بكر، ومن كان معه يأكل حتى شبعوا، فأقبل صفوان بن المعطل رضي الله عنه وكان على ساقاة الناس، والبعير معه، وعليه الزاملة، فجاء حتى أناخ على باب منزل رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ لأبي بكر: «متاعك؟» فقال: ما فقدت شيئاً إلا قعباً كنا نشرب فيه، فقال الغلام: هذا القعب معي. فقال أبو بكر لصفوان: أدى الله عنك الأمانة.

وجاء سعد بن عبادة وابنه قيس رضي الله تعالى عنهما ومعهما زاملة تحمل زاداً يؤمان رسول الله ﷺ فوجدا رسول الله ﷺ واقفاً بباب منزله، قد رد الله عز وجل عليه زاملته، فقال سعد: يا رسول الله، بلغنا أن زاملتك ضلت الغداة، وهذه زاملة مكانها، فقال رسول الله ﷺ: «قد جاء الله بزاملتنا، فارجعا بزاملتكما بارك الله فيكما»^(١).

وفي سفر لرسول الله ﷺ أمر أصحابه بإصلاح شاة، فقال رجل: يا رسول الله، عليّ ذبحها، وقال آخر: يا رسول الله، علي سلقها، وقال آخر: يا رسول الله، علي طبخها، فقال رسول الله ﷺ: «وعلي جمع الحطب» فقالوا: يا رسول الله، نكفيك العمل، فقال: «قد علمت أنكم تكفوني، ولكن أكره أن أتميز عليكم، وإن الله تعالى يكره من عبده أن يراه متميزاً بين أصحابه»^(٢).

وعن عروة بن الزبير أنه قال لرجل من أصحاب رسول الله ﷺ - هو ابن عباس - تأمر الناس بالعمرة في هؤلاء العشر وليس فيها عمرة قال: أولاً تسأل أمك عن ذلك؟ قال عروة: فإن أبا بكر وعمر رضي الله عنهما لم يفعل ذلك، قال الرجل: من ههنا هلكتم ما أرى الله

(١) الصالحى: سبل الهدى والرشاد، ٨ / ٤٦٠، ابن القيم: زاد المعاد، ٢ / ١٦١، ١٩٨.

(٢) الصالحى: سبل الهدى، ٧ / ٣٠. ذكره عن المحب الطبري.

عز وجل إلا سيعذبكم، إني أحدثكم عن رسول الله ﷺ وتخبروني بأبي بكر وعمر! قال عروة: إنهما والله كانا أعلم بسنة رسول الله منك فسكت الرجل^(١).

وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أن النبي سئل أي الحج أفضل؟ فقال: «العج والثج»: والعج: رفع الصوت بالتلبية. والثج: إراقة دم الهدي. فإن قيل يمكن للمفرد أن يحصل هذه الفضيلة؟ قيل: مشروعتها إنما جاءت في حق القارن والمتمتع، وعلى تقدير استحبابها في حقه فأين ثوابها من ثواب هدي المتمتع والقارن في الحج^(٢).

عمرة خليفة رسول الله:

لم يتمكن أبو بكر رضي الله عنه أن يحج بالمؤمنين في أول سنة ولي فيها خلافة النبوة، نظرًا لما مر بالأمة من أحداث وأحوال، وكثرة من يتربص بها من الأعداء بعد وفاة النبي الكريم ﷺ، ولا سيما المنافقين رافضي خلافة النبوة المطهرة أتباع أئمة الكذب والردة، مما اضطر خليفة رسول الله إلى التفرغ لأولئك العتاة؛ ليعلمهم دروسًا في عزة المؤمنين ويقظتهم وحمية الصحابة رضي الله عنهم على السنة وأهلها، فقام بذلك رضي الله عنه أتم قيام وأكمله حتى خضع الرافضة بكل أصنافهم لخلافة النبوة ورايات القرآن والسنة وجندهما الأختيار الأبرار.

فاستعمل أبو بكر على الحج سنة إحدى عشرة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقام بذلك على أتم وجه رضي الله عنه ثم اعتمر خليفة رسول الله في رجب سنة اثنتي عشرة من الهجرة، فدخل مكة ضحوة فأتى منزله وأبو قحافة جالس على باب داره ومعه فتیان أحداث يحدثهم إلى أن قيل له هذا ابنك، فنهض قائمًا، وعجل أبو بكر أن ينيخ راحلته فنزل عنها وهي قائمة فجعل يقول: يا أبت لا تقم. ثم لاقاه فالتزمه وقبل بين عيني أبي قحافة، وجعل الشيخ

(١) ابن القيم: زاد المعاد: ٢/٢٠٧.

(٢) ابن القيم: زاد المعاد: ٢/٢٢١. الترمذي: ك. الحج، باب ما جاء في فضل التلبية والنحر، ح (٨٢٧).

يبكي فرحًا بقدمه. وجاء إلى مكة عتاب بن أسيد وسهيل بن عمرو وعكرمة بن أبي جهل والحارث بن هشام فسلموا عليه: سلام عليك يا خليفة رسول الله وصافحوه جميعًا فجعل أبو بكر يبكي حين يذكرون رسول الله ﷺ ثم سلموا على أبي قحافة، فقال أبو قحافة: يا عتيق، هؤلاء الملاء فأحسن صحبتهم، فقال أبو بكر رضي الله عنه: يا أبت لا حول ولا قوة إلا بالله! طوقت عظيمًا من الأمر لا قوة لي به ولا يدان إلا بالله، ثم دخل فاغتسل وخرج وتبعه أصحابه فنحاهم ثم قال: امشوا على رسلكم. ولقيه الناس يتمشون في وجهه ويعزونه بنبي الله ﷺ. وهو يبكي حتى انتهى إلى البيت فاضطجع بردائه ثم استلم الركن ثم طاف سبعا وركع ركعتين، ثم انصرف إلى منزله، فلما كان الظهر خرج فطاف أيضًا بالبيت، ثم جلس قريبًا من دار الندوة فقال: هل من أحد يتشكى من ظلامه أو يطلب حقًا؟ فما أتاه أحد وأثنى الناس على واليهم خيرًا. ثم صلى العصر وجلس فودعه الناس ثم خرج راجعًا إلى المدينة، فلما كان وقت الحج سنة اثنتي عشرة حج أبو بكر رضي الله عنه بالناس تلك السنة وأفرد الحج واستخلف على المدينة عثمان بن عفان رضي الله عنه^(١) قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾^(٢).

وهكذا تتجلى للقارئ الكريم صفحات بيضاء من مواقف خليفة رسول الله أبي بكر الصديق رضي الله عنه يظهر فيها فضله على الأمة وشدة محبته لها وحرصه على عقيدتها، كما تتجلى فدائته في المواقف العصبية وصراحته وصرامته وحزمه وسعة علمه وقدرته على استيعاب المواقف والمبادرة في إصدار المشورة أو الدعوة للتشاور والمبادرة في تنفيذ ما يأمر به رسول الله ﷺ والفهم التام لكل ما يريد ﷺ إلى غير ذلك من مواقف يجب أن يستقي منها أهل السنة النجباء الدروس والعبر في حسن الاقتداء والاتباع وفنون القيادة وعميق الإخلاص للدين وشدة الغيرة على السنة النبوية المطهرة وعظيم محبته رضي الله

(١) ابن عساکر: تاریخ دمشق، ٣٠/٣٢٦، ابن الجوزي: المنتظم، ٤٦/٤.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٩٧.

عنه لأهلها النجباء الأوفياء. قال تعالى: ﴿ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ ۗ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا يَشْرِكُونَ ﴾^(١)؟



(١) سورة النمل، الآية: ٥٩.

فهرس الموضوعات

رقم الصفحة

الموضوع

الإهداء ٥

مقدمة ٧

الفصل الأول: خليفة رسول الله أبو بكر الصديق رضي الله عنه

شخصيته وإسلامه اسمه ونسبه وألقابه

وأسرته وإسلامه وصفاته وعلمه

المبحث الأول: اسمه ونسبه وألقابه ٢٧

اسمه ونسبه ٢٧

مولده وسنه ٢٧

أشهر ألقابه ٢٨

المبحث الثاني: أسرة خليفة رسول الله أبي بكر الصديق رضي الله عنه ومواليه ١٠٧

أبواه ١٠٧

وفاة أبي قحافة ١٠٨

والدته ١٠٨

زوجاته ١١٢

أولاد أبي بكر رضي الله عنه ١١٤

إخوان خليفة رسول الله ١٢٨

موالي خليفة رسول الله ١٢٩

المبحث الثالث: إسلام أبي بكر الصديق رضي الله عنه وصفاته ١٣٧

سبب إسلامه ١٣٧

أول من أسلم ١٤١

التوفيق بين الروايات في أول من أسلم ١٤٧

خليفة رسول الله كأنك تراه ١٥٢

الموضوع

رقم الصفحة

الفصل الثاني: خليفة رسول الله أبو بكر الصديق رضي الله عنه

إمامة وقيادة

- المبحث الأول: الإشارات إلى صفات خليفة رسول الله في الآيات القرآنية..... ١٧٩
- تمهيد..... ١٧٩
- الإشارة إلى صفات خليفة رسول الله في بعض آيات القرآن الكريم..... ١٨٦
- المبحث الثاني: خصائص خليفة رسول الله أبي بكر الصديق رضي الله عنه ٢٣٧
- بعض خصائص خليفة رسول الله في قوله تعالى: ﴿ تَائِبَ آتِنِينَ ﴾..... ٢٣٧
- ومن خصائصه الأخرى ٢٥٤
- ومن خصائصه وصفه بما وصف به رسول الله ﷺ..... ٢٥٧
- المبحث الثالث: فضائل خليفة رسول الله المتفردة والمشاركة..... ٢٩٩
- من أخلاقه وفضائله التي جُبل عليها..... ٢٩٩
- ومن الفضائل المشتركة لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما..... ٣١٩
- في بعض فضائل أبي بكر وعمر وعثمان مشتركين..... ٣٢٣
- من فضائل خليفة رسول الله الأخرى..... ٣٢٨
- أبو بكر أفضه الصحابة وأعظمهم منة في المال والصحة..... ٣٣٥

الفصل الثالث: خليفة رسول الله أبو بكر الصديق رضي الله عنه

في عصر الرسالة

- المبحث الأول: من مواقف أبي بكر الصديق رضي الله عنه وجهاده قبل الهجرة..... ٣٤٥
- من جهاده في نشر الدعوة الإسلامية وإسلام قادة الأمة على يديه..... ٣٤٥
- ومن مشاركاته في الدعوة..... ٣٤٦
- قيادة أبي بكر رضي الله عنه المواجهة الأولى بين المؤمنين والمشركين في مكة..... ٣٥٢
- تحمله الأذى من أجل إظهار الإسلام..... ٣٥٤
- دفاعه عن رسول الله في مكة..... ٣٦١
- الإسراء..... ٣٦٥
- موقف أبي بكر رضي الله عنه من الإسراء وتسميته بالصديق..... ٣٦٦
- عزم الصديق على الهجرة إلى أرض الحبشة..... ٣٦٨

الموضوع	رقم الصفحة
المبحث الثاني: من مواقف أبي بكر الصديق رضي الله عنه وجهاده يوم الهجرة.....	٣٧١
الصديق والهجرة إلى الحبشة.....	٣٧٤
الهجرة إلى المدينة.....	٣٧٨
مقدمات الهجرة إلى الأنصار.....	٣٧٨
تاريخ الهجرة.....	٣٨٠
الدليل.....	٣٨١
من كان يعلم بهجرة الرسول ﷺ.....	٣٨٢
داخل الغار.....	٣٨٢
معاناة أسماء بنت أبي بكر يوم الهجرة.....	٣٩٣
استراحة على الطريق.....	٣٩٥
سراقة وطلبه للرسول ﷺ وصاحبه رضي الله عنه.....	٣٩٦
ومن دعائه ﷺ يوم الهجرة.....	٣٩٩
استضافة على طريق الهجرة.....	٣٩٩
طريق الهجرة.....	٤٠٢
قبيل المدينة.....	٤٠٤
عند دخول المدينة.....	٤٠٥
استقبالهما في المدينة.....	٤٠٧
ما بين قباء والمدينة.....	٤٠٨
في دخوله المدينة ومنزله بها ﷺ.....	٤٠٩
أول جمعة في المدينة.....	٤٠٩
حُتمى المدينة.....	٤١٠
إقامة النبي ﷺ في بيت أبي أيوب رضي الله عنه والقدم بعيال النبي ﷺ وعياله	
الصديق رضي الله عنه.....	٤١١
أبو بكر رضي الله عنه وفتح حصن اليهودي في المدينة.....	٤١٢
المبحث الثالث: جهاد أبي بكر الصديق رضي الله عنه بعد الهجرة.....	٤١٥
في يوم بدر.....	٤٢٠
في شوري المواجهة.....	٤٢٠

الموضوع	رقم الصفحة
في الاستطلاع.....	٤٢١
أبو بكر بين يدي النبي ﷺ وهو يكثر الابتهاال إلى الله تعالى في عرش القيادة.....	٤٢١
الأسرى.....	٤٢٣
وكان من هدي النبي ﷺ في الأسرى.....	٤٢٧
في أحد.....	٤٢٨
نداء أبي سفيان بمقتل رسول الله ﷺ وصاحبيه.....	٤٣٠
حمراء الأسد.....	٤٣١
بدر الموعد.....	٤٣٢
ذكر خروج رسول الله ﷺ وأصحابه.....	٤٣٣
في يوم قريظة.....	٤٣٤
غزوة خيبر.....	٤٣٥
سرية بشير بن سعد إلى الجناب.....	٤٣٥
غزوة رسول الله ﷺ وادي القرى.....	٤٣٦
سرية أبي بكر الصديق رضي الله عنه إلى بني كلاب بنجد.....	٤٣٧
سرية أبي بكر إلى قوم من بني فزارة.....	٤٣٧
بنو النضير.....	٤٣٨
غزوة ذي قرد وهي الغابة.....	٤٣٩
في سرية زيد بن حارثة رضي الله عنه إلى القردة.....	٤٤٠
سرية أبي بكر الصديق رضي الله عنه إلى بني فزارة بوادي القرى.....	٤٤١
الخنندق.....	٤٤١
الحديبية.....	٤٤٣
من أسباب عدم ارتياح المسلمين لصلح الحديبية.....	٤٤٧
صلح الحديبية أعظم الفتح.....	٤٤٩
بنو المصطلق.....	٤٥٠
ذات السلاسل.....	٤٥١
في سرية ذات السلاسل.....	٤٥٣

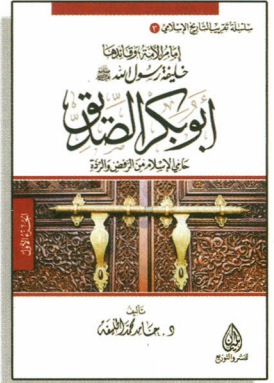
الموضوع	رقم الصفحة
فتح مكة	٤٥٦
نقض قريش شروط صلح الحديبية	٤٥٦
خروج أبي سفيان إلى المدينة لتوثيق الصلح وإخفاقه	٤٥٧
قرار رسول الله ﷺ بفتح مكة	٤٥٨
جهاز رسول الله إلى مكة	٤٥٩
المنام الذي رآه أبو بكر الصديق في فتح مكة رضي الله عنه	٤٥٩
حبس أبي سفيان ليرى جيش المؤمنين	٤٦٠
دخول مكة	٤٦٠
دخوله المسجد الحرام وطوافه به	٤٦٢
حُنين	٤٦٣
الطائف	٤٦٥
في تبوك	٤٦٦
دومة الجندل	٤٦٨
الوفود	٤٧٠
وفد ثقيف	٤٧٠
وفد جرش	٤٧١
وفد تجيب	٤٧١
وفد بني تميم	٤٧٣
وفد الدارين	٤٧٤
حج الصديق رضي الله عنه بالناس سنة تسع من الهجرة	٤٧٥
في حجة الوداع	٤٨٠
عمره خليفة رسول الله	٤٨٣
فهرس الموضوعات	٤٨٧



إمامنا الأئمة أئمة أهل البيت
خليفة رسول الله ﷺ

أبو بكر الصديق

حاجي الإسلام من الرِّفْضِ والرِّدَّةِ



هذا الكتاب

جهد مشكور لمؤلف من حماة الإسلام في العصر الحديث يحمل هموم الدعوة وما يكتنفها من تحديات معاصرة متمثلة في حملات التشكيك التي ينفث سمها أعداء الإسلام من الروافض ومبغضي صحابة رسول الله ﷺ من أجل تضليل شباب الأمة والتلبيس على نشئها في عقيدتها ومواريتها.

ومن ثم اجتهد مؤلف هذا الكتاب في وضع فهم صحيح وفقه وإع وعلم مستنير لسيرة إمام الأمة وقائدها وخليفة رسول الله ﷺ أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - وفق دراسة تحليلية تركيبية تبصيرية للوصول إلى نتائج تثمر رسوخ العقيدة في القلوب وتسرج المصابيح التي تنير لأمتنا طريقها نحو المستقبل بكل تداعياته.

إن قراءة سيرة أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - من خلال هذا الكتاب القيم ستضع على طريق الأمة الإسلامية علامات وصوى نهدي بها ونخرج من مشاكلنا التي تحيط بنا من كل جانب ، وتأتينا من كل حذب وصوب.

الناشر

ردمليف: ٦-٦٤-٦٨٦-٩٩٦٠-٩٧٨ (مجموعة)

٣-٦٥-٦٨٦-٩٩٦٠-٩٧٨ (ج ١)

ISBN 978-9960-686-64-6

3 2 0 1 4



9 789960 686646



للنشر والتوزيع

دار الميمان للنشر والتوزيع
www.arabia-it.com
info@arabia-it.com

يطلب هذا الكتاب من:
المملكة العربية السعودية - الرياض
هاتف: ٧٣٣٦-٤٦٢ ١ (٩٦٦)٠٠
فاكس: ٢١٦٣-٤٦١ ١ (٩٦٦)٠٠